

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190333

UNIVERSAL
LIBRARY

الجمعيات الوطنية

صحيفة من تاريخ النضال القومي

ففرنسا. وأمريكا. وألمانيا. وبولونيا. والناضول

تأليف

عبد الرحمن الرافعي

المحامى

الطبعة الاولى

جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ هـ - يناير سنة ١٩٢٢ م

مقوق الطبع محفوظ

التمن ٢٥ قرشا

مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

مقدمة

هذه رسائل في الجمعيات الوطنية وصحيفة من تاريخ النهضة القومية في مختلف المصور والبلدان التي ظهرت فيها تلك الجمعيات الجمعيات الوطنية هي الهيئات النيابية التي تمثل الأم في دور خطير من أدوارها التاريخية فتجمع كلمة الأمة وتنظم جهادها الوطني وتقرر مصيرها وتضع دستورها

هذه هي الجمعيات التي عنيت ببحثها وعزمت ان أقدم للقراء صورة صغيرة من تاريخها ونظامها وأعمالها وجهودها وآثارها في النهضة القومية والتقلبات التي تعاقبت عليها والحوادث التي اتصلت بها . اخترت الكلام عن أهم هذه الجمعيات وأكبرها أثراً في تاريخ الشعوب وهي نموذج لما تبذله الأم من الجهود في سبيل تحررها من رق العبودية ومقاومة الاخطار التي تهدد كيائها وتدعيم حياتها المستقلة على أرقى القواعد السياسية والاجتماعية .

فهذه الجمعيات كانت قوام النهضات الوطنية في البلاد التي تناولها بحثنا . كانت المنظمة للحياة السياسية فيها والآخذة بيد الأمة في سبيل تحقيق آمالها الوطنية . كانت اليد الفعالة في التطورات والانقلابات التي نقلت الأمم من حال الى حال تخضت عنها ارادة الامم في الساعات العصيبة فتألفت وانعقدت وعملت معتمدة على ساطة الشعب وقوته وارادته . هذه هي الجمعيات الوطنية التي قصدنا اليها في كتابنا . فتاريخها جدير بأن نتعرفه ونعمن النظر في أسبابه ونتأججه ونستخلص منه العبر لنستفيد من تجارب الامم . فان خير الحقائق وأبلغ العظات ما تنطق به حوادث التاريخ . وجدير بنا ونحن أمة نجاهد في سبيل حريتنا واستقلالنا أن نتتبع خطوات الأمم التي سبقتنا الى تحقيق آمالها الوطنية .



ان الأمم تختلف في وسائل جهادها وطرائقه باختلاف أحوالها وظروفها وميراثها القومي . على أن هناك حقيقة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير وهي أن قوام الجهاد الصحيح المنمر في كل أمة هو تنظيم المقاومة الوطنية المرتكزة على ارادة الشعب وقوته القائمة على مبدأ الاخلاص وانكار الذات . هذا هو الاساس الثابت الذي تبنى عليه النهضات القومية هذه هي الدعامة التي تركز عليها حياة الامم العاملة لاستقلالها هذه هي السبيل التي تكفل للأمم تحقيق آمالها ولو بعد حين .

وما من أمة تتنكب هذه السبيل وتستسلم للأمانى والاحلام أو تسير وراء الأهواء وتتراخي في خطة المقاومة الوطنية الا وتصاب حركتها

بالشلل فتصبح حركة عرجاء تتمثر في سيرها ولا ثابت أن ترجع بها إلى الوراء . وفي هذا الرجوع هدم اصرح الوطنية وتقويض لبناء الجهاد الوطني الذي أسس على مجهودات الأمة ومتاعبها وأحزانها وآلامها وضحاياها . ان سياسة المقاومة الوطنية هي سياج الأمم المهضومة الحقوق . وسبيلها لاستقلالها . فهي مناط الفضائل ومصدر الأخلاق . وقوام الشجاعة والنبيل . هي روح الاتحاد الوطني . هي كلمة الأمة التي تجمعها وتحث أبناءها على العمل . هي الوقاية الكبرى من انحلال العزائم وفتور الهمم وفساد النفوس وتفرق الكلمة . هي المدرسة الكبرى التي يكتسب فيها أبناء البلاد فضائل الاخلاص والصدق والمناورة وانكار الذات وتذليل العقبات . هي مصدر القوى المعنوية للشعب . هي عماد نهضة الامم وقوام تربيتها السياسية . فبفضلها تكونت الأمم وغالبت اليأس وقاومت عوامل الفناء وحققت آمالها ووصلت الى أسنى درجات الرقي السياسي والاخلاقي والاجتماعي .



ان العالم لا يستقر على وتيرة واحدة . وأحواله دأبة التبدل والتحول فلا يجوز ان نياس من طول الجهاد أو ننثنى امام العقبات . فان الانسانية سائرة حتما نحو السكال . والامم لاتذعن لحكم القوة . والارض لا يستقر فيها سلام ولا وئام حتى تشرق في ارجائها شمس الحرية وتميش الامم في ظل الاستقلال

حاول انصار الفتح والاستعمار أن يطوفوا الامم بسلاسل الأسر والاستعباد بعد أن أتم لهم النصر في ميادين الحرب العامة وظنوا أن العالم

في قبضة يدهم والامم سلع تباع وتشترى في سوق الاطماع والا هواء .
ولكن اذا كان للسيف والمدفع في الدنيا احكام فاعزم الامم وحزمها وجدها
وسعيها واخلاص بنيتها احكام وآثار . فالقوة الغشوم لا سلطان لها على
الأرواح والمبادئ والعقول والأفكار . وليس في مقدورها أن تقف نهضة
أمة تسير الى الامام نحو المطمح الاسمى

برهنت الحوادث التي تعاقبت بعد انتهاء الحرب العامة على ان العالم
قد دخل دوراً جديداً من أدواره التاريخية وهو دور حرية الشعوب
وحفها في تقرير مصيرها . ومهما بذل دعاة الفتح والاستعمار من الجهود
في مقاومة هذا الحق المقدس فان الشعوب تأبى أن تعيش مستعبدة تسوقها
ارادة المستعمرين . لأن من أعظم نتائج الحرب العامة ارنقاء القوى المعنوية
في الامم وادراكها ان تلك القوى الكامنة فيها اذا اتحدت وعملت فلا
سبيل للقوة أن تتغلب عليها .

لقد رفعت الغشاوة القديمة عن أبصار الشعوب وقرأت مبادئ الحرية
ومعاني الحياة الصحيحة على ضوء النار التي اشتعلت في ميادين القتال أربع
سنوات طوال . فان التاريخ قد خطها بأحرف لا تمحى من دماء الملايين
من بنى الانسان فسمع الناس في سائر ارجاء الدنيا نداء الحلفاء في كل آونة
ان تلك الدماء والضحايا تبذل دفاعاً عن حرية الشعوب . فالتناس في مختلف
الارجاء قد سمعوا هذا النداء ووعوه وهيئات أن ينسوه . وما من قوة
في العالم تستطيع أن تغير سير التاريخ أو تصد أمواج الحرية التي تتدفق
في مشارق الارض ومغاربها

ان المؤتمرات والمعاهدات لم تدملك البت في مصير الأمم وقد
أيدت حوادث التاريخ تلك الحقيقة الازلية « الحكومات تمر وتزول
والامم تبقى وتدوم »

فقد تم انعقاد مؤتمر فيينا سنة ١٨١٥ بعد ان خرجت الدول الاوربية فائزة
من حروب نابليون . وظن الملوك والسياسيون انهم قادرون على التصرف في
أقدار الامم بعد ان تخلصوا من خصمهم القوى العنيد فوضعوا في فيينا
اساس « المحالفة المقدسة » التي تعاهد الملوك فيها أن يحكموا الشعوب
حكما لارأى فيه للأمم ولا قيمة فيه للحقوق الوطنية . ولكن الحوادث
خيبت آمالهم فان الشعوب أخذت تعمل على استرداد حقوقها المشروعة
في الحرية والحياة واخذت أركان معاهدة فيينا تتداعى تحت تأثير مبادئ
الحرية التي انتشرت بين الشعوب الغربية في أثناء حروب نابليون . ولم
تسكد تمضى أعوام معدودات حتى انفطرت عقد المحالفة المقدسة وتغلبت
ارادة الشعوب على قوة السياسيين المتآمرين على حرية العالم وتحطمت
القواعد والاركان التي شيدتها الاهواء السياسية والمطامع الاستبدادية
في مؤتمر فيينا

فالتاريخ يعيد نفسه بعد مائة عام مع فرق عظيم في مبلغ ارتفاع
الشعوب وانتشار مبادئ الحرية التي عمت الدنيا بأسرها شرقا وغربا
ولا غرو فليس في التاريخ حرب أمكنها أن تهز أعصاب الانسانية كلها
وتنبه الامم التي كانت غارقة في بحار الخمول والجود مثل الحرب الاخيرة .
فلا عجب أن يسير العالم الآن الى الامام بخطوات سريعة لم يخطها من
قبل . وان آثار ذلك لماثلة للعيان في تطور الحركات الوطنية والنهضات

القومية بين الامم المهضومة الحقوق . فالامم التي تصرفت مؤتمرات
الحلفاء في مصيرها لا يمكن أن تستسلم لاحكام الهوى ولا أن تدعن
لقرارات تلك المؤتمرات . لأن الشعوب أقوى وكلمتها هي العليا .
والانسانية الجديدة وليدة الاجيال المتعاقبة . وليدة الأحران والآلام
وثمره التجارب والمصائب والمتاعب . تأبى أن تعيش الآن في ظلام العبودية
فحسبها ماتحملته الامم من المصائب لتنفرد من كل نظام يحول بينها وبين
حريتها واستقلالها . وليس في استطاعة العابثين بأقدار الشعوب مهما
أوتوا من بطش وقوة أن يجرموا الامم من رحمة الله ونعمة الحرية

فالدور الذى دخلته الانسانية بعد الحرب العامة هو دور حرية
الشعوب والامم . هو دور الامل والعمل فيجب أن نعمل ونور الأمل
يضئ لنا السبيل

يجب أن نعمل للجهاد طويل تشترك فيه طبقات الامة وتنظمه
ارادتها العامة

يجب أن نمضى فى سبيلنا دون أن نرجع الى الوراء أو نقف فى منتصف
الطريق أو نتعب من طول الجهاد فاقدم قال بطل الوطنية المرحوم
« مصطفى كامل » سنة ١٩٠٧ .

« اننا لانعمل لانفسنا بل نعمل لوطننا وهو باق ونحن زائلون . وما
قيمة السنين والايام فى حياة مصر وهى التى شهدت مولد الامم كلها
وابتكرت المدنية والحضارة للنوع الانسانى كله ؟

ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح أمامه كأنه أمر واقع .
ونحن نرى من الآن هذا الاستقلال المصرى ونبهج به وندعو له كأنه

حقيقة ثابتة . وسيكون كذلك لا محالة . فهما تعددت الليالي وتعاقبت
الايام وأتى بعد الشروق شروق وأعقب الغروب غروب فاننا لانمل ولا
نقف في الطريق ولا نقول ابدا : لقد طال الانتظار :

اننا وجهنا قلوبنا ونفوسنا وقوانا واعمارنا الى أشرف غاية اتجهت
اليها الامم في ماضى الايام وحاضرها واعلى مطلب ترمى اليه في مستقبلها
فلا الدسائس تخيفنا ولا التهديدات تففنا في طريقنا ولا الشتائم تؤثر فينا
ولا اخيانات ترعجننا ولا الموت نفسه يحول بيننا وبين هذه الغاية التى
تصغر بجانبها كل غاية . نعم انا لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحد بعد
واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا : « كونوا أسعد حظا منا وليبارك الله
فيكم ويجعل الفوز على أيديكم ويخرج من الجماهير المئات والآلاف بدل
الاحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية الأهلية والاستقلال المقدس »

* *

وفى الختام أسأل الله الكريم أن يوفقنا جميعاً الى الاتحاد والايلاص
في خدمة الوطن العزيز حتى ترفرف فوق ربوعه راية الحرية
والاستقلال ؟

عبد الرحمن الرافعى

المحامى

غرة يناير سنة ١٩٢٢

ابواب الكتاب

بدأنا الكتاب (بالرسالة الأولى) ص ١ - ٣٨ وهي تتضمن ظهور الثورة الفرنسية وتاريخ الجمعية الوطنية المؤسسة

(الرسالة الثانية) ص ٣٩ - ٨٥ وفيها تاريخ الجمعية الوطنية الكبرى « جمعية الكونغرانسيون » التي أعلنت الجمهورية وأنهزت فرنسا في عصر الثورة

(الرسالة الثالثة) ص ٨٦ - ١١٧ وفيها ثورة سنة ١٨٤٨ التي أسقطت الملكية في فرنسا والجمعية الوطنية التي انعقدت تلك السنة

(الرسالة الرابعة) ص ١١٨ - ١٥٥ وفيها سقوط الامبراطورية في فرنسا وتاريخ الجمعية الوطنية التي انعقدت عقب الحرب السبعينية (الرسالة الخامسة) ص ١٥٦ - ١٩٧ وفيها تاريخ المؤتمر الامريكى واستقلال الولايات المتحدة في القرن الثامن عشر

(الرسالة السادسة) ص ١٩٨ - ٢٣٧ وفيها تاريخ الثورة الالمانية الاخيرة والجمعية الوطنية ودستور المانيا الجديد

(الرسالة السابعة) ص ٢٣٨ - ٢٨٢ وفيها صحيفة من جهاد البولونيين في خلال مائة وخمسين سنة واستقلال بولونيا

(الرسالة الثامنة) ص ٢٨٣ - ٣٧٦ وفيها تاريخ الحركة الوطنية التركية في الاناضول والجمعية الوطنية في أقره وحلاصة الحوادث الحرية والسياسية لغاية ديسمبر سنة ١٩٢١

الرسالة الاولى

الجمعية الوطنية الفرنسية

سنة ١٧٨٩ - ١٧٩١

من ٥ مايو سنة ١٧٨٩ الى ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩١

في سنة ١٧٨٩ انعقدت في باريس أول جمعية وطنية فرنسية وهي الجمعية التي كان لها الأثر العظيم في تاريخ فرنسا والعالم لانها هي التي قررت المبادئ الجديدة للهيئة الاجتماعية في أوروبا . مبادئ الحرية والمساواة في تلك السنة بلغ تدمير الشعب من مساوىء الحكومة الملكية المطلقة مبلغاً عظيماً . كانت مبادئ جان جاك روسو وفولتير ومونتسكيو قد اختمرت في الأذهان ووصلت الافكار الى درجة الغليان . وسئم الشعب سوء الادارة وفقدان الحرية والمساواة والعدل . فكان الجميع يتطلعون الى اصلاح هذه الحال . ولم تكن حكومة فرنسا وعلى رأسها في ذلك الحين لويس السادس عشر ثابتة الدعائم مهيبة الجانب فان سوء حالتها المالية قد أفضى بها الى الضعف . وعبثاً سعى الوزيران تورجو ونيكر في اصلاح تلك الحال لأن دسائس الملكة والاشراف كانت تحول دون الاصلاح . وكان سوء الادارة متغلغلا في فروع الحكومة والشقاء عاماً والشعب يئن من الفقر والفوضى وفساد الأحكام . فانتهز المفكرون ودعاة الاصلاح هذه الفرصة للسعى في الضغط على الهيئة الحاكمة لتنيل الشعب حقوقه

كان البرلمان في باريس على ضعف ساطته يناوئ الحكومة فطلب منها عقد (الجمعية العمومية) لتلافي الحاله السيئة التي وصلت اليها البلاد وأيد الشعب البرلمان في مطلبه . واجتمع في « فيزيل » في أواخر سنة ١٧٨٨ ستمائة نائب ممثلين لطوائف الامة ونادوا بضرورة عقد الجمعية منذرين بعدم دفع الضرائب اذا لم يقررها نواب الامة

الجمعية العمومية

كانت « الجمعية العمومية » الفرنسية هيئة نيابية تمثل طوائف الامة الثلاث - الاشراف - ورجال الدين - والشعب - وكان نواب كل طائفة يجاسون منفصلين في مداولاتهم وقراراتهم عن نواب الطائفتين الأخرين . ولم تكن لها سلطة فعالة واختصاص محدود أو موعد للاجتماع معلوم بل كانت تنعقد بناء على دعوة الملك كلما عرض على البلاد مسأله خطيرة يريد الملك أن يستعين فيها بعضد النواب والاسرشار بأرائهم . والمعروف انه الى ذلك الحين لم تنعقد الجمعية العمومية في فرنسا منذ سنة ١٦١٤

أدعن الملك لويس السادس عشر اضغظ الامة وأصدر دعوته في ٨ أغسطس سنة ١٧٨٨ لعقد الجمعية العمومية في فرساي في ٥ مايو سنة ١٧٨٩

لم تكن دائرة الجمعية العمومية تتعدى بحسب نظامها القديم مشاوره النواب في المسائل التي تعرضها عليهم الحكومة وتقديعهم أمانى وشكاوى موكلهم وعرضهم مشاريع الاصلاحات دون أن تنفيذ الحكومة بتنفيذها

علي ان هذه الدائرة الضيقة قد اتسعت بتصميم الشعب علي تحقيق مطالبه الشرعية وتغيير الحالة القديمة بحالة جديدة. فكانت دعوة الجمعية العمومية للانعقاد انتصاراً كبيراً للامة وللرأى العام . واعتقد الجميع ان انعقادها سيكون فاتحة عصر جديد افرنسا . وانصرفت أفكار الناس في فترة الانتخابات الى التحدث عما سيكون للجمعية من الشأن وما نقوم به من الأعمال تحقيقاً لمطالب الشعب

حركة الانتخابات

كان عدد نواب كل طائفة أول موضوع لحديث الناس ومناقشاتهم فان الشعب كان يطالب بأن يكون عدد نوابه مساوياً على الأقل لمجموع نواب الاشراف والاكليروس . وانتشرت في ذلك الحين كتابات المفكرين والعلماء تأييداً لهذا الحق واشتد النزاع في هذا الصدد بين الشعب ورجال البلاط الذين كانوا يميلون الى المساواة في العدد بين نواب كل طائفة رغم ان الشعب كان يمثل الأغلبية العظمى من سكان المملكة . وأخيراً استمع الملك لنصائح الوزير نيكرو^(١) الذي كان يؤيد دعاة الاصلاح والحرية

(١) نيكرو هو الوزير والمالى الشهير. ولد في جنيف سنة ١٧٣٢ ومات سنة ١٨٠٤ كان مدبراً لبنك في باريس وظهرت كفاءته لمالية من ذلك الحين وحاز ثروة عظيمة ومركزاً مالياً كبيراً وله مؤلفات اقتصادية ومالية قيمة وقد عين مديراً عاماً للخزينة سنة ١٧٧٦ ثم مديراً عاماً للمالية ثم وزيراً للمالية سنة ١٧٨٨ واطهر نزاهة وكفاءة في ادارته المالية وقد بذل جهداً كبيراً في اصلاح مالية الحكومة الفرنسية في عهد لويس السادس عشر وتم على يده كثير من الاصلاحات الاقتصادية والمالية وقد كان له اعداء كثيرون في البلاط ينقمون عليه ميله الى

فقرر أن يكون عدد نواب الشعب مساوياً لمجموع نواب الاشراف والا كليروس . وقد كان للتقرير الذى قدمه الوزير نيكور فى هذا الصدد الفضل الاكبر فى وضع هذا المبدأ قبل البدء فى الانتخابات
أخذت كل طائفة تنتخب نوابها . وكان انتخاب نواب الاشراف على درجة واحدة وانتخاب نواب الشعب والا كليروس على درجتين . فكان الاشراف ينتخبون نوابهم ولا يشترط فى الناخب الا أن يكون من الاشراف بالغاً من العمر ٢٥ سنة . أما القسس فالكبار منهم ينتخبون نوابهم مباشرة والكهنة العاديون ينتخبون بواسطة مندوبين لهم . وأما الشعب فكان الافراد البالغون من العمر ٢٥ سنة والمقيدون فى دفتر الضرائب يجتمعون فى كل دائرة انتخاب فى هيئة « جمعيات أولية » وينتخبون مندوبين عنهم بنسبة مندوب واحد عن كل مائة ناخب وهؤلاء المندوبون ينتخبون النواب

مطالب الامة أثناء الانتخابات

كانت الانتخابات مظهراً لمطالب الامة لان الناخبين الذين يختارون فى كل دائرة ليكونوا هيئة الانتخاب والذين ينتخبون من بينهم نواب

الاقتصاد فى مصروفات الحكومة وكان من الناصحين للملك بعقد الجمعية العمومية والميالىين الى الاحرار ثم غضب عليه الملك وعزله فى ١١ يولو سنة ١٧٨٩ وبعد استيلاء الشعب على الباستيل اعاده للوزارة باعتباره الوزير المحبوب من الامة . على أنه اعتزل الوزارة سنة ١٧٩٠ وقضى بقية حياته فى التأليف وهو والد مادام « دى ستايل » الكاتبة الفرنسية البليغة

الجمعية كانوا يجتمعون أولاً ويعلنون عن رغباتهم ومطالبهم قبل أن ينتخبوا نوابهم ويدونون هذه المطالب في محاضر تكون بمثابة عهد على نوابهم في الجمعية . فكانت اجتماعات الانتخابات في انحاء فرنسا اكبر مظهر لتعبير الامة عن حاجاتها ومطالبها وموضع شكواها . كما انها كانت فرصة سانحة لانتشار الدروس والتعاليم الوطنية بين مختلف الطبقات فكثرت المجتمعات والأندية وانتشرت المؤلفات والمطبوعات السياسية

وقد لوحظ أن رغبات هيئات الانتخابات في سائر انحاء فرنسا كونت مجموعة سياسية عظيمة القيمة اشتملت على معظم المبادئ والأظمة التي قررتها الثورة الفرنسية في مختلف جمعياتها الوطنية مما دل على ارتقاء أفكار الامة وانتشار مبادئ الحرية والمساواة بين طبقاتها واهتمام الجميع باصلاح حالة البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية

وترجع أهم طلمات الامة في اجتماعات الانتخابات الى المبادئ الآتية:

- (١) أن لا تقرر الجمعية العمومية ضريبة ما الا بعد أن يحقق دين الحكومة وتضمن حرية الافراد (٢) أن تضع دستوراً للبلاد (٣) أن يتقرر مبدأ مسؤولية الوزراء (٤) تقرير مبدأ سلطة الامة (٥) المساواة امام القانون (٦) أن يكون الانتخاب أساس كل سلطة (٧) جعل الانتخاب عاماً أي حقاً لكل الافراد (٨) أن تجتمع الجمعية العمومية في مواعيد محدودة دورية (٩) المساواة في الضرائب (١٠) الغاء نظام الخطابات المففلة وهي الأوامر المختومة التي كان يصدرها الملك بابعاد أو سجن من يشاء بدون محاكمة (١١) انشاء مجالس المديرات (١٢) المساواة بين الافراد في حق التوظيف

نتيجة الانتخابات

نمت الانتخابات وبلغ عدد النواب ١١٩٣ نائباً عن الطوائف الثلاث ومما يذكّر عن نواب الشعب ان منهم ٢٥٠ من رجال القانون و ٢٠٠ من الزارعين والتجار وأصحاب الاملاك و ١٦ من الاطباء. واثنان من رجال الاكليروس و ١١ من الاشراف. وهؤلاء مع انهم من غير طائفة الشعب الا انهم رشحوا أنفسهم عنها لتحقيق المبادئ الديمقراطية ومنهم ميرابو^(١) الخطيب الشهير. والراهب « سييس » الذي اشتهر بتأييده لمبادئ الحرية والمساواة

(١) ميرابو — هو اكبر خطباء الثورة الفرنسية ولد سنة ١٧٤٩ ومات سنة ١٧٩١ وهو ابن احد الاشراف. كان على جانب عظيم من الكفاءة في الخطابة وسعة المعلومات وقد حدث بينه وبين والده شقاق بسبب افراطه في المذات فهجر والده وذهب الى امستردام من اعمال هولاندا وهناك عاش من الكتابة والتأليف وحبس مدة من الزمن لاعمال ارتكبها وهو شاب ثم ذهب الى لوندرد سنة ١٧٨٤ وهناك كتب عدة مؤلفات سياسية ولما عاد الى فرنسا كانت بواذر الثورة الفرنسية بدأت تظهر فكان ميرابو من ابطالها ورشح نفسه لانتخابات الجمعية العمومية فانتخب عن طائفة الشعب في « اكس » وانشأ جريدة سياسية تدعى « جريدة الجمعية العمومية » وبدأ اسمه يرن في الآفاق بعد أن وقف وقفته الشهيرة في الجمعية الوطنية يوم ٢٣ يونيو سنة ١٧٨٩ كما سيرد ذلك تفصيلا في موضعه ومن ذلك الحين اصبح له نفوذ عظيم في الجمعية الوطنية وعند الشعب. على أن عيوبه الشخصية وحاجته الى المال قد أساءت اليه في منزلته واطغى مركزه فقد تقرب الى الملك وزادت صلاته بالبلاط وصار من مؤيدي سلطة الملك ووصل اليه شيء من أموال البلاط كما ثبت ذلك بعد وفاته. على انه بقي رمز الثورة بخطاباته البليغة وشجاعته في المواقف العصبية وقوته في المناقشات بالجمعية الوطنية ومات في ٢ ابريل سنة ١٧٩١ بعد ان اصيب بمرض اثر خطبة رنانة القاها قبل موته بيضعة ايام وكان لموته رنة اسف وحزن في فرنسا

افتتاح الجمعية العمومية

افتتحت الجمعية العمومية في فرساي يوم ٥ مايو سنة ١٧٨٩ . وكان يوماً مشهوداً . لان الامة لم تشهد عقد الجمعية العمومية منذ ١٧٥ سنة . فاحتشد معظم سكان باريس في الشوارع المؤدية الى فرساي . وكان من مظاهر تطور الافكار وسريان روح الديمقراطية الجديدة ان الجماهير كانت تقابل نواب الشعب بالهتاف الشديد بينما كان نواب الاشراف والا كليروس يقابلون بالصمت التام . أما الملك فقد فوبل أيضاً بالهتاف لان الشعب لم يكن يشعر الى ذلك الحين بوجوب محاربة الملكية بل كان يعيل الى اصلاح النظام الملكي وجعله مؤسساً على مبادئ الحرية وحسن الإدارة . وكان لويس السادس عشر محبوباً من الشعب لطيب قلبه وحسن نيانه .

افتتح الملك الجمعية بخطاب ضمنه عواطفه وميوله الحسنة نحو الشعب . ثم تلاه وزير الحقانية فذكر للنواب المواضيع التي يجب ان يوجهوا اليها عنايتهم وابعائهم وهي حرية الافراد وحرية الصحافة والقانوني المدني والجنائي والتعليم . ونصح في خطابه بأسلوب الانذار بأن يتعد النواب عن المشاريع التي تحدث انقلاباً خطيراً في البلاد . ولم يتعرض الوزير في خطابه الى المسائل الهامة التي كانت تشغل الاذهان في ذلك الحين وهي ساطة الجمعية العمومية واختصاصها وماذا يجب أن تكون العلاقة فيها بين نواب الطوائف الثلاث . ولم يتكلم الوزير على امتيازات الاشراف والا كليروس وماذا يجب أن يكون مصيرها . وخطب بعده نيكرو وزير المالية وبين ارتباك مالية الحكومة وما فيها من العجز .

المشكلة الأولى

على أن كل هذه المسائل التي أشار إليها الوزيران لم يعرها النواب أهمية كبيرة لأن أذهانهم وأذهان الجمهور كانت متجهة الى وضع دستور للبلاد والخروج عن الدائرة الضيقة التي حددها خطاب الافتتاح. وكانت المسألة الأولى التي يطلب من الجمعية حلها هي كيف يجتمع نواب الطوائف الثلاث؟ وهل تبقى كل هيئة مستقلة عن الأخرى أم يجتمعون معا ويؤلفون هيئة واحدة لا فرق فيها بين نواب الطوائف الثلاث؟

أما طائفة نواب الاشراف فكان أغلبهم يميلون الى انفصال الطوائف واحتفاظهم بهيئتهم لان الانفصال يجعل قرارات هيئة نواب الشعب عديمة القيمة اذا لم تقررها الهيئتان الاخريان. ولكن نواب الشعب كانوا يقولون بتوحيد الهيئات الثلاث وجعلها جمعية واحدة لأنها اذا وحدت كانت الأغلبية فيها لنواب الشعب الكثرة عددهم وأصبحت قراراتهم مازمة للجمعية. أما نواب الأكليروس فقد كانوا منقسمين في الرأي وقد بذل نواب الشعب مساعي كثيرة ليحملوا نواب الاشراف على التوفيق وتوحيد الكلمة ومحو الفوارق بين الطوائف في الجمعية فخطبت هذه المساعي أمام عناد الاشراف

عندئذ عول نواب الشعب على العدل بمفردهم وكانوا متشبعين بفكرة محاربة امتيازات الاشراف فتباحثوا فيما يجب أن يقرروه فاقترح بعض النواب أن تنعقد هيئتهم باعتبارها الهيئة الشرعية النابتة عن الامة

الجمعية الوطنية

واليمين التاريخية

كان هذا الاقتراح بمثابة اعلان حرب من جانب الحق الجديد على النظام القائم في ذلك الحين . وقد صادف موضع الاقتناع من نفوس النواب وكانت روح الجمهور في باريس والمدن الأخرى تؤيد هذا الحق . فاجتمع نواب الشعب وحدهم في ١٧ يونيو سنة ١٧٨٩ وقرروا اعتبار هيئتهم الممثلة للأمة لأنها تنوب عن ٩٦ في المائة من مجموع الأمة والأمة هي صاحبة السلطة الشرعية وأطلقوا عليها اسم « الجمعية الوطنية » وأعلن هذا القرار في الاجتماع بين تصفيق أربعة آلاف من المتفرجين أحدث القرار دهشة كبرى بين الاشراف ورجال البلاط لانه اعلان بأن سلطة الأمة أصبحت منذ ذلك اليوم في يد نواب الشعب فافقت الحكومة أبواب المكان المعد لانعقاد الجمعية العمومية لمنع نواب الشعب من أن يجتمعوا به فلم يثن هذا عزيمة النواب وانتقلوا الى شارع سان فرانسوا في فرساي . وهناك اجتمعوا في المكان المعروف بساحة الكره يوم ٢٠ يونيو سنة ١٧٨٩ برآسة العالم « باي »^(١) نائب باريس ونباحثوا في الأمر فقرروا الفرار الآتي :

(١) « باي » هو العالم والسياسي الشهير ولد في باريس سنة ١٧٣٦ وتصلع في الأدب والفلك وانتخب سنة ١٧٦٣ عضوا في اكاديمية العلوم وله عدة

« انه لما كانت مهمة الجمعية الوطنية هي وضع دستور للبلاد »
« وتنظيم القواعد الاساسية للقانون العام وتأييد المبادئ الحقيقية »
« للمملكة فلا يحول أى مانع دون اجتماعها وموالاتها وبحاشا ومداولاتها »
« فى أى مكان منعقد فيه وحيثما يجتمع اعضاؤها فالجمعية الوطنية تعتبر »
« منعقدة . وعلى ذلك تنظر الجمعية ان يفسم اعضاؤها المبنى العانية ان »
« لا يتفرقوا ولا ينفرد عقدهم وان يجتمعوا فى أى مكان تدعو اليه »
« الظروف الى ان تم وضع دستور المملكة وتفيمه على دعائم ثالثة »

وقد أقسم أعضاء الجمعية هذه المبنى ودونوها فى محضر وقعه بخطهم جميعا
وكان الشعب يؤيد النواب فى موقفهم فاحتشدت الجموع حول مكان
الاجتماع وتطوع كثير من الافراد والجنود ليكونوا حراسا للنواب
أثناء اجتماعهم

كانت هذه المبنى التاريخية من أعظم الحوادث شأنا فى تاريخ الثورة
الفرنسية بل فى التاريخ الحديث . وقد صور الرسام «دافيد» هذا الاجتماع

مؤلفات فى علم الملك وانتخب سنة ١٧٨٣ فى اكاىمية الآداب وانتخب فى بدء
الثورة عضوا بالجمعية الوطنية واشتهر بن زعمائها بالشجاعة وعلو النفس فاختاروه
رئيسا للجمعية وبرهن فى الراسة على كفاءة عالية وارفع اسمه وعات شهرته بين
الشعب ولسمكه لم يابث أن فقد محبة الجمهور لسمكه بالمبادئ الدستورية الملكية
وعدم مجاراته تيار التطرف الذى انجبت له الثورة . وغضب عليه فى عهد الارهاب
واحيل على محكمة الثورة متهما بانه لما كان محافظا لباريس أمر باستعمال الشدة
واشترك فى حوادث اطلاق الرصاص على المتجمهرين الذين كانوا ينادون بخلع الملك
لويس السادس عشر . ومع انه اعتزل الحياة السياسية فى عهد الارهاب فانهم
ساقوه الى المحاكمة وحكم عليه بالاعدام وأعدم سنة ١٧٩٣

في صورة كبرى معلقة الآن في متحف اللوفر يراها الناس ممثلة لجلال الشعب وقوته المعنوية

أخذت الجمعية الوطنية تنعقد باعتبارها الهيئة التشريعية المأهولة لسلطة الشعب . وأصبحت من ذلك الحين تدعى « بالجمعية الوطنية المؤسسة » لأنها أخذت على عاتقها وضع دستور للبلاد . واشتدت حماسة الأمة وسرت الروح الجديدة الى الأشراف والأكليروس فانضم الى الجمعية الوطنية ١٤٨ نائباً من الأكليروس وانضم اليها نواب الأشراف عن مقاطعة دوفينييه . حصل ذلك كله ولم يعض يومان على اجتماع صاله الكره لأن الحوادث كانت تسير سراعاً في ذلك الوقت المعيب

انكار الملك صفة الجمعية الوطنية

أراد الملك أن يقاوم الحركة الجديدة ولم يستمع لنصائح الوزير الحر « نيكور » فنجاهل وجود الجمعية الوطنية ودعا الجمعية العمومية الرسمية الانعقاد يوم ٢٣ يونيو . فاجتمعت في ذلك اليوم برئاسة الملك وخطب بين النواب واعداء بأصلاحات عديدة ولكنه أنكر قرارات الجمعية الوطنية وأنكر صفتها وكانت خطبته بمثابة تهديد بحل الجمعية ففد قال فيها « لقد سمعتم أبها السادة آرائى وأفكارى وهى متفقة مع ما أشعر به للصالح العام . فاذا لم تؤيدونى فى عملى فسأعمل للصالح العام وحدى وسأعتبر نفسى ممثل الأمة . وتذكروا أن أى مشروع أو أى قرار يصدر منكم لا يجوز صفة الفانور الا اذا صدقت عليه وأن عدم ثقتكم بى يعد عملاً منكراً . وانى آمركم أيها السادة بأن تتفرقوا الآن وغداً يجتمع نواب كل طائفة فى المكان المعد لهم »

وانصرف الملك من مكان الاجتماع وانصرف بعده نواب طائفة الاشراف وجزء من نواب الاكليروس . أما نواب الشعب فبقوا اثابتين في مقاعدهم . وبعد قليل دخل عمال المجلس ليرفعوا المقاعد من مكان الاجتماع ايذانا بانتهاء الجلسة ولكنهم جمدوا أمام منظر النواب الرهيب وهم ثابتون في مقاعدهم لا يتحركون . فتراجع العمال الى الوراء احتراماً لنواب الشعب وغادروا قاعة الجلسة

وقفه ميرابو التاريخي

ثم حضر كبير أمناء الملك وذكر النواب بأمر الملك فقال له « باني » رئيس الجمعية « أن نواب الشعب تصدر اليهم الأوامر من الجمعية » وقام ميرابو -- وكان أخطب نواب الجمعية -- وقال كلمته المشهورة التي سجلها التاريخ كآية من آيات الثبات في موقف الحق :

« اذهب وقل لمن أرسلوك اننا مجتمعون هنا بأرادة الشعب واننا لن نخرج الا بقوة السلاح » ولما أتم ميرابو كلمته قال النواب جميعاً بصوت واحد « تلك ارادة الجمعية الوطنية »

فانسحب كبير الأمناء وذهب الى السراى ليخبر الملك بما جرى وقال الأب « سيس » ^(١) لآخوانه أعضاء الجمعية « أيها السادة انكم الآن

(١) الأب « سيس » قسيس ورجل سياسى كبير واسع العلم ولد سنة ١٧٤٨ الف عدة كتب قانونية وسياسية بدأ في نشرها منذ سنة ١٧٨٨ وكان لكتاباته أثر كبير في تحضير الاذهان للثورة الفرنسية . انتخب عضواً بالجمعية الوطنية سنة ١٧٨٩ وهو المحرر لصيغة الدين التاريخي التي اقسها النواب في اجتماع ساحة الكرة وكان في مقدمة زعماء النواب في الجمعية وانتخب عضواً في الجمعية

كما كنتم بالأمس . هلموا تتداول فيما لدينا من الأعمال» فأخذت الجمعية تتداول وقررت التمسك بقراراتها السابقة وقررت نقديس حرمة أشخاص النواب واعتبار كل من يعتدى على حريتهم مرتكباً لأعظم الجرائم ولما وصل الى الملك نبأ ما حدث رأى من الحكمة ألا يلجأ الى القوة وقال كلمته الماثورة «اذا كانوا لا يريدون مغادرة المكان فاتركوهم وشأنهم»

تأييد الشعب للجمعية

أما الشعب في باريس فكان يؤيد الجمعية الوطنية بكل قواه ولا سيما بعد أن رأى من ثبات الأعضاء وشجاعتهم ما رأى فانفض الناس من حول البلاط وانضم معظم نواب الأكليروس وكثير من نواب الأشراف الأحرار نهائيا الى الجمعية وظهرت بوادر الحمية الوطنية بين الجنود الذين كانوا يؤيدون الجمعية بقلوبهم فرأى الملك أن مركزه أصبح حرجا وأن الحكمة تقضى عليه باحترام الجمعية الوطنية

فدعا اليه الوزير نيكرا الذى أبعدته منذ ٢٣ يونيو وأصدر أمره بانضمام طائفتى الاكليروس والأشراف الى نواب الشعب . ومما يذكر في هذا الصدد أن الملك استدعى رئيس نواب الأشراف - الدوق اكسمبورج -

الوطنية الكبرى « جمعية الكونتفانسيون » سنة ١٧٩٢ ولكنه اعتزل الحياة السياسية في عهد الارهاب منكرافظائع هذا العهد وانتخب عضوا في مجلس الخمائة وله مباحث وآراء دستورية وقانونية عالية وقد انتخب قنصلا في عهد نظام القنصلية مع نابليون بوناپارت ثم ابعد عن فرنسا بعد سقوط نابليون ولم يعد الى فرنسا الا بعد ثورة سنة ١٨٣٠ ومات سنة ١٨٣٦

وطلب منه أن ينضم الى الجمعية تفاديا من استفحال الخطر. فدهش رئيس الأشراف من طلب الملك وقال له « ان هذا الأمر هو بمثابة اعلان من الملك بأن ساطة الجمعية الوطنية أصبحت فوق كل سلطة خصوصاً في الظروف الحاضرة التي أصبح فيها رأى العام على درجة عظيمة من القوة على أن الأشراف مستعدون لأن يفدوا الملك بأرواحهم » فأبى الملك أن يعدل عن أمره وقال « أتى لا أريد أن يموت أحد من أجلي »

وأخذت الجمعية تنعقد بنواب الطوائف الثلاث تحت رئاسة «باني» فكانت رأسته مظهرا لا تتصار الشعب

على أن الملك لم يثبت على سياسة واحدة أزاء الجمعية الوطنية . فقد كان فريق من حاشيته وعلى رأسهم الماسكة «مارى انطوانيت» يحرصونه على مقاومة عاصفة الشعب .

ففى ١١ يوليو عزل الوزير نيكرو ولا حظ الباريسيون حركة غير اعتيادية بين الجنود وزادت الحكومة عددهم حول باريس وفرساي واستحضرت جانبا من الجنود السويسريين والألمان ووزعهم على انحاء المدينة فاعتقد الناس ان الملك يريد القضاء على الجمعية الوطنية بقوة الجنود الاستيلاء على الباستيل ونتائج

فاضطربت المدينة وسادت فيها روح الثورة واشتد غضب الجماهير وهجموا على مخازن الاسلحة واستولوا على ما بها ثم اتجه تيارهم الى سجن الباستيل . ففى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ هجم الشعب على تلك القاعة القديمة التى كانت تمثل الاستبداد والظلم واستولوا عليها عنوة وأخرجوا من فيها من المسجونين

هذا هو اليوم الذى يعتبره الفرنسيون عيد حريتهم ويعتبره العالم بأسره عيداً عاماً للحرية لأن فيه هدم الشعب ذلك السجن الذى كان رمزاً لاستبداد الحكومات وكانت تفتل فيه حرية الفكر وحرية الافراد . كان هذا السجن شعاراً لمساوىء النظام القديم فكان هدمه تقويضاً لدعائم ذلك النظام وفتحة لعصر جديد أشرقت فيه شمس الحرية على الامم فشعر الفرد بأن له كرامة نصان وحقوقاً تحترم وشعرت الامم بأن أشعة الحرية تضىء لها طريق الرقى والعظمة

قويت الجمعية الوطنية بعد ١٤ يوليو وتضاءلت بجانبها سلطة الملك فاضطر الى التسليم بالواقع وذهب يوم ١٥ يوليو الى اجتماع الجمعية فى فرساي مصحوباً باخوته. وأعلن انه سحب الجنود من باريس واسترجع الوزير نيكر وطلب من الجمعية ان تكون سفير الصالح بينه وبين باريس وكان الملك متردداً فى الذهاب الى تلك المدينة الثائرة . فى ١٧ يوليو حضر الملك الى باريس بحماية باي رئيس الجمعية والنواب المحبوبين من الشعب وكان هذا اليوم مشهوداً فاجتمع مائة الف من السكان واحتشدوا فى الشوارع التى مر بها الملك ولما وصل الى سراي المدينة صدق على ماقرره الشعب فى ١٥ يوليو من تعيين باي محافظاً لباريس والجنرال لافايت الذى كان يؤيد الجمعية الوطنية رئيساً للحرس الوطنى . ومن ذلك الحين تم للشعب ما كان يريد فاصبحت السلطة التشريعية والقوة العسكرية فى يده كانت هذه الحوادث قد أثرت تأثيراً عظيماً فى سائر انحاء فرنسا وبدأ الشعب فى كل جهة يتور على الاشراف وأصبحت املاكهم وأملاك الاكليروس عرضة للنهب وكاد حبل النظام يضطرب فأخذت الجمعية

الوطنية تحارب الفوضى وتسن القواعد والأظمة التي تسير عليها البلاد
اجتمعت الجمعية يوم ٤ اغسطس في جاسة تاريخية استمرت الليل
كله وقررت الغاء نظام الاقطاعات وامتيازات الاشراف ففضت بذلك
في ليلة واحدة على نظام رزحت تحته الانسانية قرونا طويلة وكان مصدر
الشقاء والآلام للملايين من بنى الانسان وأصبح الناس بعد هذا القرار
متساوين في الحقوق والواجبات لافرق بين غنى وفقير وكبير وصغير

اعلان حقوق الانسان

تباحثت الجمعية في وضع « اعلان حقوق الانسان » وهي مجموعة
القواعد الأساسية لبناء المجتمع الانساني وعلاقة الافراد بالحكومات
كان المقترح لوضعها الجنرال الماركيز « لافاييت » زعيم النبلاء الاحرار
الذين أزرروا الثورة وجاهروا بتأييد مبادئ الحرية والمساواة . اشتهر
لافاييت ^(١) قبل حوادث الثورة بمحاربته في صفوف الامريكان في حرب

(١) ولد لافاييت سنة ١٧٥٧ من عائلة عريقة في النبيل وكان ميالا منذ نشأته
للحرية متعشقا لمبادئ الفلسفية جاهد في صفوف الامريكان كما يراه القارئ
مفصلا في الرسالة الخائسة من هذا الكتاب . ثم اشترك في حوادث الثورة
الفرنسية انتصارا لمبادئ الحرية والمساواة وانتخب عضواً بالجمعية الوطنية عن
الاشراف سنة ١٧٨٩ ثم انتخب قائداً للحرس الوطنى بعد الاستيلاء على الباستيل
واحبه الشعب محبة عظيمة ولكنه كان شديد الدفاع عن الملك فوقع فتور بينه
وبين الشعب لما اشتدت الفتنة وغضب الناس على الملك فاتهم لافاييت بانه كان
يسمى في هرب الملك ولما خلع الملك غادر لافاييت فرنسا مغضوبا عليه ووقع
سجينا في يد النمساويين وعاد الى فرنسا في عهد نابليون بوناپارت ولكنه بقي

استقلالهم مدفوعاً بعامل النبل والانتصار للحرية فلما بدأت الجمعية الوطنية في فرنسا تضع الانظمة الجديدة اقترح أن تقرر مبادئ عامة للحقوق الانسانية على مثال اعلان الامريكان حقوقهم في الاستقلال في مؤتمر فيلادافى سنة ١٧٧٦ وكان مشروع لافايت مؤسساً على المبادئ الآتية: «ان الناس جميعاً أحرار ومتساوون ولا تمييز بينهم الا فيما يفتضيه الصالح العام

» ان للناس جميعاً الحق في أن يقاوموا الاضطهاد
» ان كل سلطة أو سيادة مصدرها الشعب فلا يحق لأى فرد أن يأمر أو ينهى الا بوكالة من الشعب «

وقد تباحثت الجمعية طويلاً في تحرير اعلان كامل لحقوق الانسان وكان من رأى مرابو أن لا نقرر هذا الاعلان الا بعد وضع الدستور نهائياً ليكون هذا الاعلان بمثابة حلاصة للدستور . على أن الجمعية أخذت باقتراح الماركيز لافايت ورأت أن تقرر حقوق الانسان قبل وضع الدستور ليكون الاعلان بمثابة الأساس لهذا الدستور وليكون صكاً نحترمه الحكومات في علاقتها بالشعب

ففى ٢٦ أغسطس سنة ١٧٨٩ قررت الجمعية مبادئ حقوق الانسان فأتمت أكبر عمل قامت به فى تاريخها . فهذه المبادئ السامية تعتبر ثمرة

معتزلاً الحياة السياسية وبعد سقوط نابليون عاد لافايت الى العمل وكان فى كل ادوار حياته مؤيداً للمبادئ الحرة وفى ثورة سنة ١٨٣٠ انتخب رئيساً للحرس الوطنى ومات فى باريس سنة ١٨٣٤

القرائح الكبيرة وخلاصة الابحاث الفاسفية العظيمة الى وصل الها العقل
البشرى فى ذلك العهد . وهى الدعامه الى تركز عليها حياة الشعوب
السياسية منذ ان ابتثق فجر الثورة الفرنسية والمحور الذى تدور حوله
دساتير الأمم الحرة فى أوروبا وفى سائر أنحاء العالم . فلا غرو أن يعدها
المؤرخون ورجال القانون أكبر صحيفة فى تاريخ الجمعية الوطنية
الفرنسية الأولى

وهذا نص الأعلان الذى فررته الجمعية فى ذلك اليوم المشهود
« ان نواب الشعب الفرنسى المجتمعين فى هيئة جمعية وطنية لمارأوا
أن ما ينزل بالمجتمع الأنسانى من المصائب والشقاء وفساد الحكومات
يرجع الى سبب واحد وهو جهل حقوق الانسان أو تجاهلها أو العبث بها .
قد قرروا أن يصدروا اعلانا عاما ابيان حقوق الانسان الطبيعية المندسة
التى لا يصح أن تمتد اليها يد العبث والمساومة وذلك ليكون هذا الاعلان
راسخا فى أذهان بنى الانسان يذكرهم على الدوام بحقوقهم وواجباتهم .
واتحترم أعمال الساطة التنفيذية المنطبقة على الأغراض التى يصبو اليها
المجتمع الانسانى وتكون مطالبة الناس بحقوقهم ، مؤسسة من الآن
على مبادئ واضحة لا نزاع فيها ولا جدال . فيكون قواء هذه الحقوق
صيانة الدستور وضمان سعادة المجموع

لذلك تعلن الجمعية الوطنية بعناية الله العلى الاعلى الحقوق الآتية للانسان

١ — يولد الناس ويعيشون أحرارا متساوين فى الحقوق لا يميز ولا

نفاضل بينهم الا فيما تقتضيه المصاحبة العامة

٢ — الغاية من كل مجتمع انسانى صيانة الحقوق الطبيعية للانسان

نلك الحقوق التي لاتزول مهما تقادم عليها الزمان وتعاقب الجديد ان وهى الحرية . والملكية وطمأنينة النفس ومقاومة الاضطهاد

٣ - كل ساطة مصدرها الشعب وحده ولا يحق لأى فرد أو أى جماعة أن يأمر أو ينهى الا اذا استمدوا الساطة من الشعب

٤ - الحرية تنحصر فى امكان عمل كل مالا يضر بالغير فكل امرىء أن يتمتع بحقوقه الطبيعية فى الدائرة التى لاتؤذى تمتع الناس بتلك الحقوق وتحديد هذه الدائرة موكول الى القانون

٥ - ليس للقانون أن يحظر على الناس من الاعمال الا مايعود بالضرر على المجتمع . وكل مالا يمنعه القانون مباح . ولا يحق اكراه امرىء على عمل لا يحتمه القانون

٦ - ان القانون هو مظهر الارادة العامة الامة . ولأهل البلاد جميعا الحق فى ان يشتركوا فى وضعه بأنفسهم أو بواسطة نوابهم . والقانون واحد بالنسبة للجميع سواء أ كان مانحاً أم مانعاً . حامياً أم معذراً . والناس سواء امام المراتب والوظائف العامة . لا تفاضل بينهم الا فى اختلاف كفاءاتهم ولا تمييز الا فيما تقتضيه فضائلهم ومواهبهم

٧ - لا يصح اتهم انسان أو حبسه أو القبض عليه الا فى الاحوال المبينة فى القانون بشرط اتباع اجراءاته . وكل من ينفذ أمراً استبدادياً مخالفاً للقوانين أو يأمر به أو يوعز بتنفيذه يستحق العقاب . وعلى كل انسان يستدعى أو يقبض عليه طبقاً للقانون ان يطيع حالاً واذا عصى أو قاوم يستوجب العقاب

٨ - لا يصح أن يحتوى القانون الا العقوبات التى تستلزمها الحاجة

الاجتماعية ولا يصح عقاب انسان الامة قضى قانون صدر ونشر قبل ارتكاب العمل

٩ - مفروض ان كل انسان برىء حتى تثبت ادانته . واذا دعت الضرورة للقبض على امرىء قبل التحقق من ادانته فكل شدة تستعمل معه دون ان يدعو اليها التأكد من بقاءه رهن السلطة تستوجب العقاب الشديد

١٠ - لا يؤذى انسان بسبب آرائه ولو كانت دينية مادام التصريح بها لا يضر بالنظام العام الذى يقرره القانون

١١ - حرية الجهر بالآراء والافكار من حقوق الانسان المقدسة فلكل امرىء ان يتكلم ويكتب ويطلع بملء الحرية بشرط الا يسيء استعمال هذه الحرية فى الاحوال التى ينهى القانون

١٢ - أن ضمان تمتع الناس بحقوقهم يستوجب ايجاد سلطة عمومية . فهذه السلطة منشأة لمصاحبة المجموع لا لمصاحبة من يوكل اليهم ادارتها . ١٣ - لبقاء هذه السلطة العمومية ولادارة الحكومة عموما يجب جباية الضرائب العامة وهذه الضرائب يجب توزيعها بالسواء بين الافراد كل بحسب طاقته

١٤ - لاهل البلاد جميعا الحق فى ان يقرروا بأنفسهم أو بواسطة نوابهم الضرائب التى تستازمها المصلحة العامة وتقرر بها يكون بملء الحرية ولهم أن يحدوها ويحددوا قواعد ربطها وطريقة جبايتها ومدتها وطريقة انفاقها .

١٥ - للهيئة الاجتماعية ان تحاسب كل موظف عمومي وتراقبه في أعمال وظيفته

١٦ -- كل هيئة اجتماعية لاضمان فيها لحقوق الانسان ولا فصل فيها بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية تعتبر محرومة من الدستور

١٧ - من حيث ان الملاكية حق مقدس لا يصح العبث به فلا يحل حرمان أحد من ماله الا اذا اقتضت ذلك المصاحبة العامة طبقا لنصوص القوانين وفي هذه الحالة يجب تعويض المالك من ماله «

هذه هي القواعد الاساسية المعروفة بحقوق الانسان التي قررتها الجمعية الوطنية

أحزاب الجمعية

بعد ان قررت الجمعية اعلان حقوق الانسان أخذت تتباحث في وضع الدستور طبقا لتلك القواعد فقد سنتين في وضعه وكانت المباحثات في نصوصه مثارا للمناقشات الفلاسفية والابحاث القانونية التي دلت على علو كعب فريق كبير من اعضاء الجمعية في العلم والفلسفة والفانون وكانت كذلك مسرحا للمشادة والمدافعة بين الميول والمذاهب المختلفة في الجمعية فقد ظهر في الجمعية من أول نشأتها أحزاب ثلاثة

حزب اليمين وهو مكون من النواب الاشراف وكبار نواب الاكليروس وهذا الحزب هو حزب البلاط الذي لم يكن يرغب في تغيير النظام القديم وكان يرى في موافقة الملك على الدستور عملا باطلا وكان يعترض دائما على قرارات الجمعية الوطنية . على أن هذا الحزب أخذ يتضاءل

بسبب تغلب الأفكار الحرة ومهاجرة كثير من الاشراف من فرنسا وبسبب عناد اعضاء هذا الحزب ومعارضته للمبادئ الحرة معارضة غير معقولة وحزب الوسط وكان مؤلفا من نحو ثمانمائة عضو يؤيدون نظام الملكية مع الاصلاح .

كان هذا الحزب يرمى الى تطبيق قواعد الدستور الانجائزى وعلى الاخص ايجاد هيئتين نيابيتين وقد كان مؤلفا من الملكيين المعتدلين الذين يؤيدون سياسة « نيكور » الوزير الحر . على أن هذا الحزب ضعف منذ أن رفضت الجمعية الوطنية مبدأه القاضى بايجاد الهيئتين النيابيتين فقد قررت جعل الساطلة التشريعية فى يد هيئة واحدة

وحزب اليسار وهو مؤلف من فريقين فريق الحزب الوطنى الذى كان يرأسه ميرابو والاب « سيسى » وهو ارقى الفرق واكثرها نظاما وهو يميل الى الملكية الدستورية وقد حل محل حزب اليمين بعد ان ضعف شأنه . وفريق الحزب الحر الذى كان يميل الى النظام الجمهورى

ومهما تعددت الاحزاب فان أغلبية الاعضاء كانت تؤيد مبادئ الثورة أى مبادئ الحرية والمساواة فكانت هذه الاغلبية مؤلفة تقريبا من ثمانمائة عضو منهم ٥٠٠ من نواب الشعب و٢٥٠ من الاكايروس و٥٠ من الاشراف

مشاهير اعضاء الجمعية

وكان من أشهر اعضاء الجمعية الوطنية « ميرابو » أخطب الاعضاء وأرفعهم صوتا وكان ملكيا دستوريا فلم يكن من المندادين بألغاء الملكية

فهو من هذه الوجهة يمثل العنصر المعتدل من الأحرار . وقد اتهم في أخريات أيامه بالتواطؤ مع الملك والملكة وتبين أنه على اتصال بهما فضعفت الثقة فيه بسبب ذلك ومات غير حائز للثقة التي كانت له من قبل ومن اشتهر من الاعضاء الأب «سديس» الذي اشتهر باصالة الرأي وسعة العلم وتأييد مبادئ الحرية والمساواة تشهده بذلك مؤلفاته المشهورة ومناقشاته وخطبه العظيمة في الجمعية الوطنية .

ومن أعضائها المشهورين الماركيز « لافايت » الذي كان يجمع بين شرف أسرته وميله الى المبادئ الجديدة . وروبسبير ^(١) الذي كان يدين بالمبادئ الجمهورية والذي اشتهر في أيام الكونفانسيون والدوق دورليان نصير الاحرار

و « تاليران » الذي اشتهر بوضع مشروع تعميم التعليم وأيد مشروع تملك الامة لاملأك الكنيسة . وكان مشهودا له بطول الباع في العلم والسياسة فاختره نابليون وزيراً لخارجيته وناب عن فرنسا في مؤتمر فيينا

(١) روبسبير . هو ماكسيميليان روبسبير المشهور في تاريخ الثورة . ولد سنة ١٧٥٨ في « اراس » وأعدم سنة ١٧٩٤ في باريس . تعلم الحقوق واشتغل محاميا في اراس ثم انتخب عضوا بالجمعية الوطنية الاولى ولكن لم يشتهر فيها ولم تتجه اليه الانظار وكان المقترح فيها للنص الذي وضع في دستور سنة ١٧٩١ القاضي بعدم جواز انتخاب أعضاء الجمعية الوطنية أعضاء في الجمعية التشريعية ولما انتخبت الجمعية التشريعية كان روبسبير من أركان نادى اليقويين ومن الداعين الى التخلص من الملك . وانتخب عضوا بالجمعية الوطنية الكبرى وكان فيها من أكبر زعماء الارهاب كما سيراه القارىء مفصلا في الرسالة الثانية الى أن حكم عليه بالاعدام سنة ١٧٩٤

بعد سقوط نابليون فدافع عن مصالح فرنسا أحسن دفاع وتوصل
بدهائه الى تخفيف شروط الصلح عن فرنسا
و « باي » العالم الشهير الذي رأس اجتماع ساحة الكره وانتخب
رئيساً للجمعية الوطنية في عهدها الاول بسبب ما اشتهر عنه من العلم
والفضل والثبات والشجاعة وانتخبه الشعب محافظاً لباريس في بدء الثورة
و « فوانى » الكاتب والمؤرخ الشهير. وغيرهم من نخبة علماء فرنسا
في ذلك الحين مثل « بارناف »^(١) و « مونييه »^(٢) و « دييون نيمور »

(١) بارناف . عالم قانونى وسياسى ولد في سنة ١٧٦١ اشتغل محامياً في
جنوبل وكان له يد في تحضير حوادث الثورة وانتخب عضواً بالجمعية الوطنية
وبال فيها شهرة عظيمة لسعة عامه ومواهبه الخطابية . وكان في بعض المواقف
يتغلب على ميرابو الشهير وكان مؤيداً للمبادئ الديمقراطية ولكنه بقي مؤيداً
للملكة بالرغم من توازن الخواطر على الملك ولما خلع الملك اثم . بأنه كان على
اتصال به لمناوأة الثورة وأحيل في عهد الارهاب على محكمة الثورة فحكم عليه
بالاعدام سنة ١٧٩٣ وله مباحث قانونية عظيمة القيمة

(٢) مونييه — عالم متشرع وسياسى ولد في جنرول سنة ١٧٥٨ ومات في
باريس سنة ١٨٠٦ . كان محامياً سنة ١٧٩٩ ثم تفرغ لدراسة العلوم السياسية
وانتخب عضواً بالجمعية العمومية سنة ١٧٨٩ وكان من الاعضاء المشهورين
بالشجاعة وهو الذي اقترح على زملائه يوم ١٧ يونيو سنة ١٧٨٩ الاجتماع في
ساحة الكره بعد ان أقفلت الحكومة ابواب المسكان المعد لاجتماع الجمعية
واقترح ان لا ينفرط عقد الجمعية قبل ان تضع دستوراً لفرنسا . وانتخب عضواً
في لجنة الدستور ثم رئيساً للجمعية الوطنية واستقال بعد فتن اكتوبر سنة ١٧٨٩
ثم اضطر للهجرة من فرنسا سنة ١٨٩٠ والتجأ الى سويسرا حيث اشتغل بالتأليف
في العلوم القانونية ثم اشتغل في تدريس الفلسفة والقانون ورجع الى فرنسا
سنة ١٨٠١ وله عدة مؤلفات قانونية

و « توريث » و « لاميث » الذين كان لهم مباحثات سديدة وآراء عظيمة
في اثناء وضع الدستور

وضع الدستور

تم وضع الدستور في ٣ سبتمبر سنة ١٧٩١ وبعث الملك الى الجمعية
الوطنية برسالة في ١٣ سبتمبر يتعهد فيها بالمحافظة عليه ثم حضر في ١٤
سبتمبر الى الجمعية وأقسم المين أمامها « بأن يكون مخلصا للامة » والقانون
وأن يستعمل كل السلطة التي أسندت اليه في تأييد الدستور الذي قرره
الجمعية الوطنية وتنفيذ الفوانين »

وهذا الدستوري يؤيد النظام الملكي على المبادئ الدستورية وتناخص
قواعده الاساسية فيما يلي :

قواعد الدستور سنة ١٧٩١

(١) ضمان الحقوق الشخصية

دون اعلان حقوق الإنسان في مقدمة دستور سنة ١٧٩١ ليكون
ذلك بمثابة مرجع المشرع في الاحكام القانونية . ثم وضع الدستور في
الباب الاول قاعدة ضمان الحقوق الشخصية فجعل هذه الحقوق مضمونة
في الدستور ونص على أن الساطة التشريعية لا تملك وضع قانون يضر أو
يمس تلك الحقوق الطبيعية

هذه القاعدة من أهم قواعد دستور سنة ١٧٩١ فان ضمان الحقوق الشخصية بحكم الدستور يجعل الناس آمنين عليها ضامنين أن لاتعذب بها الحكومة ولا تعذب بها اغلبية النواب في الهيئة التشريعية
هذه الحقوق هي المعبر عنها في الاصطلاح الدستوري بالحقوق المدنية أو الحقوق الشخصية وهي الحقوق المعترف بها للانسان بوصف كونه فردا في المجتمع . بخلاف الحقوق السياسية فأنها وظيفة اجتماعية اشترك بها الفرد في ساطة الأمة كحق الانتخاب وحق العضوية للهيئات النيابية
فالحقوق المدنية التي ضمنها الدستور تنقسم الى نوعين

(١) الحرية الشخصية

(٢) المساواة المدنية

والحرية الشخصية تتناول حرية الألسان في نفسه واطمئنانه أن لا يحبس أو يحجز الا في الاحوال الميينة في القانون الاساسي . وحرية القول والكتابة والطبع والنشر دون رقابة أو تفتيش قبل النشر وحرمة الاديان . وحرية الاجتماع . وحرية الشكوى الى الجهات المختصة . وحرية التملك . وهذه الحرية تستلزم احترام الملكية الشخصية وحرمة المساكن . وحرية المعاملات المتبادلة في دائرة القانون

هذه هي حقوق الحرية الشخصية التي ضمنها دستور سنة ١٧٩١ الافراد أما حقوق المساواة التي ضمنها فهي المساواة أمام الوظائف بحيث لا يميز أحد على آخر في قبوله لها الا بحسب الكفاءات والفضائل . والمساواة في الضرائب بحيث توزع بين الافراد على حسب طاقتهم والمساواة امام القانون

وقد نص الدستور على إلغاء الأنظمة المنافسة للحرية والمساواة في
لحقوق فألقى نظام الإشراف وامتيازاتهم والقابهم الوراثة

(٢) السلطة التشريعية

وضع دستور سنة ١٧٩١ مبدأ سلطة الأمة فنص على أن السلطة
الشرعية ملك للأمة وإنها لا تقبل التجزئة ولا التصرف فيها أو العبث بها.
وهي أعظم قاعدة قررها لأنها الأساس الذي تركز عليه الحكومات الشرعية
ونص على أن السلطة التشريعية في يد هيئة نيابية واحدة تعرف
« بالجمعية التشريعية » مؤلفة من ٧٤٥ نائبا ينتخبون لمدة سنتين

قام خلاف هلى هذه القاعدة بين أنصار وحدة الهيئة التشريعية
وأنصار الهيئتين التشريعتين (مجلس النواب ومجلس الشيوخ) فكان فريق
من أعضاء الجمعية الوطنية يميلون الى جعل السلطة التشريعية من حق
مجالسين منفصلين أخذا بنظرية الدستور الذى كان متبعا فى ذلك الحين
والى الآن فى إنجلترا حيث يوجد مجلس العموم الذى يمثل الشعب ومجلس
اللوردات الذى يمثل طائفة الإشراف فالدستور الإنجليزى هو مصدر
نظرية المجالسين التشريعيين

نظرية المجالسين

هذه النظرية وإن كانت لا تركز على فكرة عامية لأن الأصل
فى المجتمعات الديمقراطية أن تمثل سلطة الأمة فى هيئة واحدة إلا أن
التطورات التاريخية فى إنجلترا قد أدت الى إيجاد مجالسين منفصلين تمزجها

على التعاقب مشروعات القوانين - فالتطور التاريخي هو أساس هذه النظرية وقد ظهر من التجارب أن تعاقب المسائل العامة والقوانين على ذينك المجلسين مما يزيد في تمحيص الحقائق وتحري الصواب ويؤمن معه التسرع والزلل قبل البت في شؤون البلاد . وظهر أيضاً ان انفراد هيئة نيابية واحدة بسلطة الامة قد ينزع بها في بعض المواطن الى الاستبداد بالامر وان وجود هئتين تشريعتين بحفظ التوازن بين السلطة الشرعية والسلطة التنفيذية

وهناك ميزة أخرى لنظرية إيجاد مجلسين تشريعيين وهي ان مجلس النواب يمثل عادة الطائفة الديمقراطية من الامة ويحرم طائفة كبيرة يجب أن بحسب لرأيها حساب في ادارة شؤون الدولة وهي طائفة الارستقراطية وليس المقصود بالارستقراطية هنا ما يسمونها بالاشراف بل المقصود منها كل فئة من الخواص كالشيوخ مثلاً أو أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في بعض البلاد فان الانتخابات لمجلس النواب قد تحرم الشيوخ في الغالب من أن يجاسوا في كراسى النيابة عن الشعب فتحرم الهيئة النيابية من تجاربهم ووزانهم

وسلطة الامة كما أنها في حاجة الى قوة الشباب وعزمه فهي أيضاً في حاجة الى رزانة الشيوخ واناتهم ولا شك أن التمثيل الصحيح للامة في الهيئات النيابية هو التمثيل الذي يكفل لكل طبقات الامة وطوائفها أن تمثل في مجموع تلك الهيئات . فإيجاد مجلسين يضمن تمثيل طوائف الخاصة الذين يصعب تمثيلهم في المجلس النيابي وحده .

أجلّس واحد أم مجلسان ؟

على أنه بالرغم من مزايا المجلسين وبالرغم من أن الفيلسوف مونتسكيو دافع عنها في كتابه روح الشرائع وهو الكتاب الذي انتشرت مبادئه في فرنسا قبل قيام الثورة وكان له أثر كبير في تطور الأفكار في ذلك الحين إلا أن الأغلبية العظمى في الجمعية الوطنية أخذت بنظرية حصر سلطة الأمة في مجلس واحد وهو الجمعية التشريعية

وفي اعتقادي أن هذه الأغلبية لم تخطئ بل أصابت في أخذها بهذا المبدأ لأنه مما لا يغيب عن البال أنه وإن كانت نظرية المجلسين أصح في الأحوال الاعتيادية فإن الحكمة تقضى بحصر سلطة الأمة في مجلس واحد إذا كان في أحوال البلاد وظروفها ما يدعو إلى الخوف على سلطة الأمة من وجود سلطة أخرى تناوئها وتعمل على هدمها. فهناك يجب أن لا توزع سلطة الأمة بين مجلسين منفصلين لأن توزيعها يؤدي حتماً إلى إضعافها وينقص من هيبتها ويمكن السلطة التنفيذية من دس الدسائس للقبض على زمام الأمر .

ففي الوقت الذي كانت الجمعية الوطنية تتناقش في الأخذ بأحدى النظريتين المتقدمتين كانت المسكبة قوية بأنصارها في الداخل والخارج قوية بدسائسها . قوية بما كانت تبذله من الجهود لاستعادة ساطتها المطلقة فرأت الجمعية أنها إذا جعلت سلطة الأمة - تلك السلطة الجديدة وليدة الانقلاب الذي تم بالأمس - موزعة بين مجلسين خيف عليها من بطش السلطة التنفيذية فأخذت بنظرية حصر السلطة القومية في هيئة واحدة تمثل سلطة الأمة

وحسناً صنعت فان كل أمة في مثل هذا المركز تحسن صنعاً اذا
أحاطت سلطة الامة بسياج من الحذر والحيطه وأول ما ندعو اليه الحيطه
جعل السلطة التشريعية محصورة في هيئة نيابية واحدة .
حقوق الجمعية التشريعية

تملك الجمعية التشريعية بمقتضى دستور سنة ١٧٩١ حق عرض القوانين
وسنها وتقريرها وتقرير الضرائب والميزانية ومراقبة أعمال الادارة ولها
كذلك حق اعلان الحرب والصالح بناء على طلب الملك وتنظيم الجيش ولها
ان تحاكم الوزراء وكبار الموظفين امام المحكمة العليا ولها ان تحاكم امامها
كل شخص متهم بالتآمر على سلامة المملكة أو على الدستور
ولها أن تنظم طريقة منح الرتب والالقباب على قاعدة مكافأة الافراد
على الخدمات التي يؤدونها للمجموع وان تكرم ذكرى العظماء ولها التصديق
على معاهدات الصالح والمحالمات والمعاهدات التجارية
(٣) نظام الانتخابات

جعل دستور سنة ١٧٩١ انتخاب أعضاء الجمعية التشريعية مقيداً
لأعاما وعلى درجتين . ففي الدرجة الاولى يجتمع الناخبون ويشترط في
الناخب أن يكون فرنسياً بالغاً من العمر ٢٥ سنة مقيماً في المركز منذ
سنة واحدة ومقيداً اسمه في جدول الحرس الوطنى ويدفع ضريبة تعادل
اجرة ثلاثة أيام عمل وقد حددت أجرة اليوم بما يساوى خمسة مليات
تقريباً . وان لا يكون من طائفة الخدم . وان يقسم اليمين الوطنية بأن
يكون مخلصاً للامة والقانون والملك وان يؤيد دستور المملكة المقرر في
الجمعية الوطنية المؤسسة

فيجتمع الناخبون في كل دائرة بهيئة «جمعية أولية» وينتخبون مندوبا عن كل مائة منهم وهؤلاء المندوبون في كل مقاطعة هم الذين ينتخبون النواب ولا يشترط فيهم الا ما يشترط في الناخبين وقد وزع الدستور عدد أعضاء الجمعية التشريعية (٧٤٥) على الثلاثة والثمانين مقاطعة التي تتألف منها المملكة بنسبة عدد المقاطعات وعدد سكانها ومقدار الضرائب التي تدفعها فوزع ٢٤٧ كرسيًا بنسبة عدد المقاطعات فنال كل مقاطعة ثلاثة نواب الا مقاطعة السين فقد نالها كرسي واحد و ٢٤٩ بنسبة عدد السكان و ٢٤٩ بالنسبة للضرائب فتنخب كل مقاطعة عدا الثلاثة المتقدم ذكرهم عددا من النواب يوازي نسبتها في السكان وفي مقدار ما تدفعه من الضرائب

والنواب يتمتعون بحق حرمة أشخاصهم فلا يصح القبض عليهم ولا إتهامهم أو محاكمتهم عن أقوالهم أو أعمالهم في دائرة وظيفتهم النيابية

اصلاح نظام الانتخاب

ولا شك أن من عيوب الدستور انه لم يجعل الانتخاب عاما غير مقيد كما طلب ذلك فريق من الاعضاء في الجمعية الوطنية لأن معظم أعضاء الجمعية كانوا من الحضريين (سكان المدن) الذين كانوا يدفعون شيئا من الضرائب فجعلوا الانتخاب مقيدا بهذا القيد الذي لم يكن متفقا مع مبدأ المساواة. ذلك المبدأ الذي أعلنته الجمعية الوطنية في حقوق الانسان. على أن الجمعية التشريعية نفسها قد أصلحت نظام الانتخاب فأصدرت قراراً في ١٤ أغسطس سنة ١٧٩٢ جعلت الانتخاب فيه شبه عام وذلك «ان

جميعيات الانتخاب الأولية « أصبحت بمقتضى هذا القرار تؤلف من كل فرنسى بالغ من العمر ٢١ سنة مقيم فى المركز منذ سنة يعيش من ايراده أو عمله وأن لا يكون من طائفة الخدم

وقد كان هذا القيد الاخير محلا للاعتراض أيضا لانه مناف لمبدأ المساواة وكانت حجة واضعى الدستور ان الخدم هم تحت تأثير مخدمهم فلا يستطيعون ابداء رأيهم باستقلال .

ولاجل أن يكون الشخص مندوبا أو نائبا يجب فوق ذلك أن يكون بالغا من العمر ٢٥ سنة . وعلى هذا النظام جرت انتخابات الجمعية الكبرى المعروفة بجمعية « الكونفانسيون » التى سنتكم عنها فيما يلى .

(٤) الساطة التنفيذية وحقوق الملك

الساطة التنفيذية موكولة الى الملك . وينتقل الملك بالوراثة فى ذريته وايس للملك حق عرض القوانين وله أن يختار وزراءه على شرط لا يكونوا من أعضاء الجمعية التشريعية أو من محكمة النقض والابرار والوزراء ليسوا مسؤولين فى المسائل السياسية الا أمام الملك الذى له تعيينهم وعزلهم ولكن للوزراء حق الدخول فى الجمعية وطالب سماع أقوالهم وايس للملك حق حل الجمعية التشريعية

والقوانين التى تسنها الجمعية لا تحوز قوة النفاذ الا اذا صدق عليها الملك واذا لم يصدق عليها لا تنفذ ولا يمكن تقديمها له مرة ثانية للتصديق الا بعد مضى سنتين أى ان للملك الحق المسمى « بالفيتو »

فاذا انقضت السنتان فللجمعية أن تطلب من جديد من الملك

التصديق عليها وله في هذه المرة أيضا رفض التصديق وإذا انقضت سنتان فلجمعية أن تطالب للمرة الثالثة بتصديق الملك وسواء أصدق أم لم يصدق فيكون القانون واجب النفاذ والاحترام

فحق الفيتو الذي اعترف به دستور سنة ١٧٩١ للملك يسمح له أن يوقف تنفيذ القانون مرتين ولكن في المرة الثالثة يكون الرأي النهائي للجمعية التشريعية . على أن هناك نوعا من القوانين لا تستلزم لنفاذها تصديق الملك كالقوانين المتعلقة بفرض الضرائب وقرارات اتهام الوزراء ومحاكمتهم

هذه القاعدة كانت موضع انتقاد علماء الدستور لأنها تنقض سلطة الأمة. فان مبدأ سلطة الأمة يقضى أن تكون للهيئة والهيئتين التشريعتين الفول الفصل والكلمة العليا في القوانين التي تسير عليها البلاد . ولقد كانت هذه المسألة محل مناقشات طويلة في الجمعية الوطنية ولكنها انتهت بتقرير حق الفيتو للملك مع القيود المتقدمة لجاء الدستور وفيه هذا العيب الكبير الذي أقل ما فيه أنه افتيات من السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية . على أن الدستور في مقابل هذا الحق العظيم الأهمية قد حرم الملك من حق حل الجمعية التشريعية هذا الحق المعروف به في كل الدساتير التي تقرر مبدأ المسؤولية الوزارية

عدم تقرير مبدأ المسؤولية الوزارية

أن دستور سنة ١٧٩١ في تنظيمه للسلطة التنفيذية لم يقرر مبدأ

المسؤولية السياسية للوزارة أمام الجمعية التشريعية . ويرجع ذلك الى التطبيق الحرفي لقاعدة « الفصل بين السلطات » تلك القاعدة التي كانت عقيدة راسخة في نظر فلاسفة الشرائع والاجتماع في فرنسا

قاعدة الفصل بين السلطات

الأصل في هذه القاعدة أنها وضعت لمنع الاستبداد . وحكمتها أن السلطة التشريعية لا يصح أن تكون منفذة وأن القضاء لا يصح أن يكون مشرعاً بل منفذا للقوانين التي تسنها الهيئة التشريعية وأن السلطة التنفيذية لا يصح أن تشريع ولا أن تفتت على السلطة التشريعية أو السلطة القضائية وأن الهيئة النائية عن الأمة في ساطتها الشرعية مهما كانت حسنة النية فهي تميل الى الاستبداد اذا كانت تجمع في يدها السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية . فمن أجل ذلك قالوا ان أكبر ضمانة لحرية الأفراد واحترام الدستور أن يكون أساس النظام الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية فينابط بالأولى سن القوانين وبالثانية تطبيقها

واختلف العلماء في عدد السلطات فقال بعضهم انها سلطتان اثنتان التشريعية والتنفيذية لان التنفيذية تشمل السلطة القضائية أو هي فرع عنها . ولكن الرأي الغالب المعول عليه ان السلطات ثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية لان السلطة القضائية ساطة قاعة بذاتها يجب ان تكون مستقلة عن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية وان كان القضاء هو في ذاته سلطة تنفيذية

فقالوا ان من نتائج تطبيق هذه القاعدة ان تكون السلطتان التشريعية

والتنفيذية منفصلتين تمام الانفصال فلا يكون ثمت اتصال بينهما أو تغلب لاحداهما على الاخرى الا فيما هو معترف به للسلطة التشريعية بانها هي التى تتولى سن القوانين والشرائع .

وقالوا ان من النتائج المنطقية لهذه القاعدة ان لا يكون رؤساء السلطة التنفيذية اعضاء فى الهيئة التشريعية واذا لم يكونوا اعضاء بها فليس للهيئة التشريعية ان تسقطهم الا اذا ارتكبوا جرائم يحق لها أن تعاقبهم عاينها وعلى ذلك ينتفى مبدأ المسئولية الوزارية فى المسائل السياسية امام مجلس النواب ويكون حق اسقاط الوزراء أو عزلهم للملك

وقد كان من أسباب اخذ الجمعية الوطنية بهذا النظام انها ارادت أن تقطع كل صلة بين الملك والجمعية التشريعية من وجهة اختيار وزرائه فارادت ابعاد نواب الامة عن وسائل الاغراء والتأثير بمنع اسناد الوزارات اليهم ولذلك حرمت على الملك ان يختار وزراءه منهم ومن محكمة النقض والابرار

أهمية مبدأ المسئولية الوزارية

على ان النظريات العامة والتجارب التاريخية قد أثبتت بصفة لا تقبل الآن شكاً ان خير نظام يحقق ساطة الامة هو جعل الوزارات مسؤولة امام مجلس النواب على الطريقة البرلمانية المتبعة الآن فى معظم البلاد الدستورية. بأن يجعل للمجلس رقابة على الوزراء تكون الوزارة بمقتضاها مقضيا عليها بالسقوط اذا لم تنل ثقة المجلس ولو لم ترتكب جريمة معاقبا عاينها فى القانون

وقالوا ان قاعدة الفصل بين السلطات لا يمكن ان تتعارض مع القاعدة

الامم وهي قاعدة سلطة الامة . فهذه القاعدة تقضى بأن تكون الوزارات تحت الرقابة البرلمانية الدائمة . ومهما كانت نظرية الفصل بين السلطات جديرة بالاحترام فيجب ان تكون مقيدة باعطاء السلطة التشريعية التي تمثل الامة الكلمة العليا في سياسة شئون البلاد باستعمالها حق الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية وهذه الرقابة لا تتحقق بحكمة الوزراء على ما يرتكبونه من الجرائم بل باسقاط الوزارة اذا فقدت ثقة مجلس النواب وقد بدأ مبدأ مسؤولية الوزارة في المسائل السياسية على الطريقة البرلمانية يدخل في نظام فرنسا الدستوري في سنة ١٨١٤ على أنه كان محلاً للمشك والتأويل في تنفيذه لعدم وضوح عبارته وكذلك كان شأنه في دستور سنة ١٨٣٠ ودستور سنة ١٨٤٨ . ثم تقرر بشكل صريح في دستور سنة ١٨٧٠ في آخر عهد الامبراطورية الثانية وبعد سقوطها وقيام الجمهورية الثالثة تقرر في دستور سنة ١٨٧٥ المعمول به الان

وقد كان من نتائج تطبيق مبدأ الفصل التام بين السلطتين التشريعية والتنفيذية أن دستور سنة ١٧٩١ لم يعط للسلطة التنفيذية أى اختصاص في وضع القوانين حتى ولا حق عرض القوانين لانه اعتبر مجرد العرض من خصائص السلطة التشريعية

أعمال الجمعية الوطنية

ومهما يكن من عيوب دستور سبتمبر سنة ١٧٩١ فان الجمعية المؤسسة قد قامت بعمل من أجل الاعمال الانسانية في ذلك الحين . ذلك انها قررت في هذا الدستور القواعد الجديدة لنظام المجتمع الانساني فأصبحت هذه

القواعد أساس الحياة والانظمة السياسية والاجتماعية في القرن التاسع عشر . فمن ذلك تقريرها مبدأ المساواة أمام القانون بين جميع الافراد وتقرير مبدأ الحرية الشخصية . ومبدأ سلطة الأمة . ومبدأ الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية . والغاءها حقوق الامتيازات الناشئة عن الوراثة . والغاءها حقوق الاشراف والقباهم وما كانوا يتمتعون به من الاعفاء من الضرائب وتقريرها حرية الصناعة وحرية التجارة بعد ان كانت محتكرة في يد بعض الافراد والطوائف . وجعلها أملاكاً لكليروس ملكاً للأمة تحت تصرف الحكومة

ومن أعمالها أيضاً انها اهتمت بأمر التعليم فوضع تاليران تقريراً عنه ليكون أساس سياسة الحكومة في التعليم وضمن التقرير مشروع قانون حالت الحوادث دون صدوره . على ان هذا القانون يعتبر أساساً للعناية بالحكومة بشؤون التعليم ويقضى هذا القانون بجعل التعليم العام مجانياً اجبارياً وحقق لكل الفرنسيين على اختلاف أعمارهم مع العناية بالتعليم النسوى وقد أنشأت الجمعية التقسيم الإدارى للبلاد فقسمتها بحسب الدستور الى ٨٣ مقاطعة وهو التقسيم الذى استمر للآن ونظمت البلديات فى المدن ونظمت ادارات الحكومة بعد ان كانت فوضى

ومن أعمالها انها نظمت الجيش والقضاء والاكليروس وأصلحت نظام الضرائب فجعلته قائماً على أساس المساواة والعدالة ونظمت مالية الحكومة ولا يغبين عن البال ان الجمعية الوطنية الفرنسية قامت بهذه الاعمال الجليلة وقررت تلك المبادئ السامية ووضعت دستوراً من أعظم الدساتير شأناً فى حين انها دعيت للانعقاد فى عصر كانت الانسانية لاتزال تترجح

فيه تحت نير العبودية وكانت الانظمة الحكومية مصطبغة بالصبغة الاستبدادية المطلقة وكانت سلطة الجمعية محدودة في دائرة ضيقة لا تتعدى حد ابداء الآراء والمشاورة والكنها بفضل وطنية أعضائها وصدق عزيمتهم واضطلاعهم بالمهمة التي أخذوها على عاتقهم قد حققت المطالب التي جاهرت بها الأمة في أثناء الانتخابات وأدت الأمانة التي احتملتها فنالت أعظم منزلة بين الجمعيات الوطنية المؤسسة واكتسبت من احترام الشعب وثقته والتفافه حولها ما لم تنله أية جمعية وطنية أخرى

ومما يذكر عن أعضاء الجمعية انهم قرروا عدم جواز انتخابهم أعضاء للجمعية التشريعية . وهذا القرار وان كان صادراً عن مبدأ سام وهو مبدأ التضحية الا انه أضر بكيان الجمعية التشريعية وهي الهيئة النيابية التي تألفت بمقتضى الدستور لانه حرّمها من كفاءة كثير من أكبر رجال فرنسا واكثرهم مراناً على الأعمال البرلمانية . ويعتبر هذا القرار أكبر خطأ ارتكبه الجمعية المؤسسة بسلامة نية وكان من نتائجه تسهيل انتشار الفوضى في الحياة البرلمانية بفرنسا

الجلسة الاخيرة للجمعية

وبعد ان انتهت أعمال الجمعية عقدت جاستها الاخيرة يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩١ وأعلنت انتهاء جلساتها وانعقدت الجمعية التشريعية في اليوم التالي أي في أول اكتوبر سنة ١٧٩١ وكان عمر الجمعية المؤسسة سنتين وخمسة أشهر اتمت في خلالها اعمالاً يذكرها التاريخ بالاعجاب العظيم لأنها اقامت النظام الجديد على امن القواعد وارق المبادئ وبذلت أكبر المجهودات في القيام بمهمتها بكل امانة واخلاص وانكار للذات

الرسالة الثانية الجمعية الوطنية الكبرى

في فرنسا سنة ١٧٩٢ - ١٧٩٥

من الجمعية التشريعية

الى الجمعية الوطنية الكبرى

لما انتهت أعمال الجمعية الوطنية المؤسسة أخذت الجمعية التشريعية المنتخبة بمقتضى احكام دستور سنة ١٧٩١ تقوم بوظيفتها التشريعية في وقت اضطربت فيه الاحوال اضطرابا كبيرا فكانت هذه الجمعية بمثابة فترة الانتقال بين الجمعية المؤسسة والجمعية الوطنية الكبرى (كونفانسيون) التي أخذت على عاتقها الدفاع عن سلامة الوطن في وجه أوروبا المتحالفة عاشت الجمعية التشريعية فترة قصيرة من الزمن ظهر في أثناءها ان أنصار الملكية لا يريدون النزول على حكم الشعب . فأخذوا يدسون الدسائس لاسقاط النظام الجديد واعادة سلطة الملكية الاستبدادية ووصل بهم التهور في تحقيق هذه الغاية الى مد يد لهم للعدو يستنجدون به ويستنفرونه لقتال بلادهم فازدادت هوة سوء التفاهم بين الامة والملك لويس السادس عشر اتساعا لانه قد ثبت بأدلة لا تقبل الريب ان الملك كان راضيا عن خطة الاشراف المهاجرين في استعانتهم بالدول الاجنبية لمحاربة فرنسا

ظهر ميل الامة الى النظام الجديد في الانتخابات فان أغلبية الاعضاء المنتخبين كانوا من انصار الثورة . ومع ان نظام الانتخاب كان يقضى بعدم جواز انتخاب اعضاء الجمعية الوطنية المؤسسة مما أدى الى حرمان الجمعية التشريعية من كثير من النواب الا كفاء فقد اسفرت نتيجة الانتخابات عن اختيار مجموعة من النواب الاحرار الذين رشحتهم الاندية السياسية فكان من بينهم ٤٠٠ من رجال القانون والباقيون من العلماء ورجال الادب وأواسط الضباط وبعض رجال الاكليروس انصار النظام الجديد والتحرار وأصحاب الاملاك

الاندية السياسية واحزاب الجمعية

على ان اعضاء الجمعية التشريعية كانوا في مجموعهم أقل كفاءة واقل شهرة من اعضاء الجمعية الوطنية الاولى وكانت الاندية السياسية هي التي تولى ارادتها على اعضاء الجمعية

كانت هذه الاندية موجودة في عهد الجمعية الاولى . وكانت منبعاً للهياب والثورة . ولكن شخصية اعضاء الجمعية المؤسسة كانت تحول دون تسلطها عليهم فكانت الاجتماعات التي تعقد فيها تدور حول انتقاد مسلك الجمعية في كثير من المواطن ورميها بالضعف ازاء النظام القديم أما في عهد الجمعية التشريعية فقد تعاظم نفوذ هذه الاندية لانها رشحت كثيراً من اعضائها وكانت تتصل بالاقاليم بواسطة الجمعيات المنتمية اليها وكان زعماء الثورة فيها يملون خططهم على اعضاء الجمعية التشريعية . فكان لتلك الاندية سلطان كبير عليهم ومن أشهر هذه الاندية نادى « اليعقوبيين » المشهور بالتطرف والحض على الثورة ومن أكبر زعمائه روبسير المشهور ببعدهائه

للملكية وشدة تمسكه بالمبادئ الجمهورية وقد فقدت الجمعية التشريعية ميزة الاستقلال بسبب تسلط الاندية السياسية عليها مما أدى الى ضعفها وتضعف هيبتها وعجزها عن مقاومة الحوادث وتصريف الشؤون بالحكمة والحزم

ظهر داخل الجمعية حزبان تختلف وجهة نظر كل منهما في السياسة فحزب الجبايين أو « اليقويين » (نسبة الى دير للرهبان اليقويين كانوا يجتمعون به في باريس) وهم المتطرفون دعاة الثورة والارهاب كانوا يرون سلامة الدولة في استعمال الارهاب والقسوة مع من يشتبه في اخلاصهم للنظام الجديد . والحزب الآخر هو الحزب المعروف بحزب « الجيرونديين » (نسبة الى مقاطعة جيروندي التي نشأ منها معظم زعمائهم) وهم المعتدلون الذين ينكرون وسائل الارهاب وسفك الدماء ويحترمون القواعد الدستورية كان امام الجمعية عقبات متعددة فمن دسائس البلاط الى كراهية أنصار الملكية للنظام الجديد الى تألب الحكومات الاوربية الى غير ذلك من المصاعب والاعطال على ان اعضاء الجمعية أخذوا على عاتقهم تأييد دستور البلاد والمحافظة على أحكامه

الخلاف بين الجمعية والملك

بدأ سوء التفاهم بين الجمعية والملك لما كان يظهر من معاملة الملك الاعضاء من دلائل عدم الاحترام وازداد تفاقماً بعد أن ثبت للجمعية ان بطانة الملك تتخابر مع الحكومات المعادية بواسطة الكونت دي بروفانس

أخى الملك لتغير بجنودها على أرض فرنسا . فقررت الجمعية سقوط حق السكونت في الوصاية على ولى العهد ثم قررت محاكمة بعض الامراء أقرباء الملك لتأمرهم على سلامة المملكة وصادرت أملاكهم وأموالهم ولم يستطع الملك أن يتظاهر بمعارضة هذه القرارات تفاديا من اتهامه بالانضمام الى أعداء فرنسا

على أن الحكومات الأوروبية قد أخذت تتحالف في ذلك الحين للقضاء على النظام الجديد وظهرت بوادر العدوان على الحدود فأخذت الجمعية التشريعية تتناقش في الخطر الذى أخذ يهدد البلاد بعد أن وصاتها أنباء محققة عن هذا التحالف وعن عزم ممالك النمسا والمانيا والسويد على غزو فرنسا ولا سيما بعد أن وصل الحكومة انذار من الحكومة النمساوية تطلب فيه بلهجة العداء إعادة أملاك أفينيون الى البابا وإعادة بعض الاملاك الى الأمراء الالمان وتغيير الدستور

فعوات الجمعية التشريعية على الاستعداد للحرب وأخذت الانظار تتجه الى ما سيتبعه الملك في هذا النزاع وبعد تردد كبير حضر الملك بنفسه الى الجمعية وطلب اعلان الحرب على ملك النمسا وفي المساء قررت الجمعية اعلان الحرب (٢٠ ابريل سنة ١٧٩٢)

على أنه قد ثبت بعد ذلك بالبيانات التاريخية أن الملك لم يكن مخلصاً في دعوته وأنه كان متفقاً مع الحلفاء في الخارج على الدخول في هذه الحرب وثبت أنه أرسل لهم تعليمات يتبعونها بعد اعلان الحرب وهى أن يعلنوا أنهم لا يحاربون فرنسا بل يحاربون فئة نائرة على الهيئة الاجتماعية وكانت الشكوك تزداد حول موقف الملك وزادهم شكاً أنه توقف عن التصديق

على بعض قرارات الجمعية التشريعية مستعملا حق الفيتو الذى خوله له الدستور واستعمل هذا الحق فى عدم التصديق على قرار « باعتبار جميع الذين هاجروا من فرنسا خائنين لبلادهم وطرد جميع من امتنعوا من رجال الدين عن حلف يمين الطاعة » فهجم الثأرون وهم يعدون بالألوف على قصر الملك فى ٢٠ يونيو سنة ١٧٩٢ فكان هذا اليوم من الأيام العصبية فقد دخل الثوار قصر الملك واقتحموا أبواب الغرف وهناك قابلهم الملك فأظهر رباطة جأش ووعدهم خيراً فانصرف الثوار من غير أن يسفكوا دماء واسكن مركز الملك تزعزع كثيراً بعد هذا اليوم المشهود

وأخذ تيار سوء الظن بالملك يزداد ويتعاضم فخطب فرنيو ^(١) فى الجمعية التشريعية يوم ٣ يوليو سنة ١٧٩٢ خطبة رنانة شديدة اللهجة ضد الملك اتهمه بالتواطؤ مع المهاجرين والدول المتحالفة وأشار الى أن الدستور يقضى باعتباره متنازلاً عن العرش اذا هو تواطأ مع دولة أجنبية على غزو البلاد أو لم يمنعها عن ذلك

(١) فرنيو هو من كبار زعماء الجيرونديين ولد فى ليوج سنة ١٧٥٣ وكان محامياً فى بوردو ثم جاءت حوادث الثورة فكان من اكبر انصارها ودعاتها . وانتخب عضواً بالجمعية التشريعية سنة ١٧٩١ وكان خصماً لاستبداد الملك وهو الذى اقترح حذف القاب « صاحب الجلالة ومولاي » فى مخاطبة الملك . وانتخب رئيساً للجمعية التشريعية فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٧٩١ . ثم انتخب عضواً بالجمعية الوطنية الكبرى وكان من المصوتين باعدام الملك فى محاكمته . ثم وقع الجفاء بينه وبين زعماء الارهاب مارات ودانتون وروبسبير بسبب اختلاف النزعة وبعد أن تغلب دعاة الارهاب نكلوا بالجيرونديين فكان فرنيو احد زعمائهم الذين حكم عليهم بالاعدام سنة ١٧٩٣

الوطن في خطر !

وكانت وقائع الحرب الأولى تنذر بالخطر فتباحث الجمعية التشريعية طويلاً في الحالة وقررت في ١١ يوليو اعلان أن «الوطن في خطر» فكان لهذا الاعلان رهيب هزة كبرى في البلاد وأشعل نار الحماسة في النفوس فأخذ الألوف يقبلون على التطوع في صفوف الجيش الوطنى حتى بلغ عدد من تطوعوا في يوم واحد ١٥٠٠٠ متطوع وانهقدت الجمعية التشريعية بصفة مستديعة لتنظيم الدفاع الوطنى

اسباب الدعوة

الى عقد الجمعية الوطنية الكبرى

بينما كانت الشكوك تزداد حول موقف الملك وبطائته جاء منشور الدوق «برونسويك» القائد العام لجيوش الحلفاء مثيراً لغضب الأمة على لويس السادس عشر ففد أعلن الدوق في منشوره للأمة عند ما اجتازت جنوده حدود فرنسا ان الحلفاء جاءوا « ليعاقبوا الذين قبلوا الحكومة الشرعية وأثاروا الاضطراب والفوضى » وانذر الأمة بالطاعة للملك وباحترامه واحترام الملكة وسائر أفراد الاسرة المالكة والاحل العقاب الصارم عن يشق عصا الطاعة !

نشر هذا المنشور في ٢٨ يوليو سنة ١٧٩٢ في الجرائد الموالية للملك فأثار غضب الأمة الفرنسية واعتقد الجميع ان الملك متواطىء مع الاعداء

بالرغم من أن الملك انكر هذا المنشور وما ورد به. واتفقت الهيئات والطوائف والاندية على وجوب خلعه وتقديم هذا الطلب الى الجمعية التشريعية . وقدم الطلب اليها في ٣ اغسطس على لسان محافظ باريس بناء على قرار الكومون في باريس فأجأت المناقشة فيه الى يوم ٨ اغسطس وفي غضون ذلك كان زعماء الثورة يعدون الوسائل للهجوم على قصر الملك وخالعه بقوة الشعب ودعا « دانتون » الخطيب الشهير الباريسيين الى حمل السلاح. ففي ١٠ اغسطس هجم الثوار على قصر التويلرى حيث يسكن الملك وعائلته فرأى الملك تفاديا من اصطدام قوة الثائرين العظيمة بقوة حرسه الضئيلة ان يلجأ الى دار الجمعية التشريعية التي لم يكن يفصلها عن القصر الا الحديقة فذهب اليها مصحوبا بعائلته فاستقبلته الجمعية كأسير لا كملك

وتباحثت الهيئة في أمر الخلع فأصدرت قرارها الشهر القاضى بايقاف الملك

وكانت الافكار متهجة بعد ما رأت من معاداة الملك للأمة الى ضرورة التخلص من نظام الملكية واقامة الحكم الجمهورى . ولكن الجمعية التشريعية وهى الهيئة المؤلفة حسب أحكام الدستور رأت أنها لا تملك تغيير الدستور ولا تغيير شكل الحكومة ونظام الدولة فقررت فى الوقت نفسه عقد جمعية وطنية كبرى تنوب عن الأمة فى سلطتها الشرعية ونقر الوسائل المؤيدة لتلك السلطة (وهى المعروفة بجمعية الكونفانسيون) وقررت أن يكون الانتخاب لهذه الجمعية حسب نظام الانتخاب المقرر فى دستور سنة ١٧٩١ ولاسكنها أطلقت الانتخاب من قيد المال، وخففت

قيد السن فجعلت حق الانتخاب لكل فرنسى يعيش من ايراده أو عمله بالغ من العمر احدى وعشرين سنة وله حق العضوية للجمعية الوطنية اذا بلغ خمسا وعشرين سنة

وأمرت الجمعية بحبس الملك وأسرتة الى أن تنعقد الجمعية الوطنية وتنظر فى شأنه وقررت اعتبار القوانين والقرارات التى سبق أن رفض الملك التصديق عليها نافذة المفعول

وقررت كذلك تأليف وزارة وطنية تدير شؤون الحكومة كان من أعضائها دانتون ^(١) الخطيب الشهير الذى أسندت اليه وزارة الحقانية وأخذت سلطة الجمعية التشريعية تتضاءل أمام سلطة الكومون ولجان الثورة فى باريس ونكل الثوار بمن اشتبهوا فى أنهم من أنصار الملكية حتى بلغ عدد من ذبحوهم فى السجون أو خارجا عنها نحو الف وساد الرعب والفرع فى المدينة

(١) دانتون - هو النائب والوزير والخطيب العظيم ولد سنة ١٧٥٩ واشتغل محاميا فى باريس ثم اشترك فى حوادث الثورة وكان من اركان لجان الثورة وفى مقدمة المطالبين بخلع الملك لويس السادس عشر واشتهر بتنظيم هجوم الجماهير على قصر الملك فى يوم ١٠ اغسطس سنة ١٧٩٢ . وكان عضوا فى الجمعية التشريعية ومن اقواله المأثورة بها « لاجل ان نهزم اعداءنا يجب ان يكون شعارنا الى الامام ثم الى الامام ودأبنا الى الامام وبذلك ننقذ فرنسا » وكان له تأثير كبير فى الشعب بخطبه الرنانة وشجاعته واقدامه وانتخب عضوا بالجمعية الوطنية الكبرى وكان فيها من زعماء الارهاب الى ان وقع الخلاف بينه وبين روبسبير كما يرى القارىء ذلك مفصلا فيما يلى . واعدم فى باريس سنة ١٧٩٤

الغرض من انتخاب الجمعية

كان الغرض من دعوة الأمة الى انتخاب الجمعية الوطنية الكبرى أن تكون هذه الجمعية ممثلة لسلطة الشعب الشرعية فتقرر مصير البلاد ونظاماتها وشكل حكومتها فهي أوسع سلطة من الجمعية الوطنية الأولى ذلك أن الجمعية الأولى أخذت على عاتقها وضع دستور للبلاد وقد وضعتة فعلا وانتهى بذلك عملها . أما جمعية « الكونفانسيون » فقد كانت مهمتها أن تنوب عن الشعب في كافة مظاهر سلطاته الشرعية في وقت خلت البلاد فيه من حكومة واتحمت البلاد من غارة الاعداء في الخارج والداخل واتحاكم الملك وكل المتآمرين على سلامة الدولة . ثم لتقرر شكل الحكومة النهائى ونظام الدولة . أى ان الشعب أودعها سلطته التامة لتصرفها وتديرها وتنظيمها . لذلك أخذت الجمعية الجديدة تحكم البلاد وتدفع عنها غارة الأعداء وتشتغل في الوقت نفسه في إيجاد الحكومة الجديدة ووضع نظاماتها الدستورية

نتيجة الانتخابات

جرت الانتخابات للجمعية الوطنية الكبرى في الوقت الذى كانت فيه نار الحرب مشتعلة بين فرنسا والدول المتحاففة . والملك وعائلته رهن الحبس . وأنصار الملكية ينكل بهم في كل مكان . ولجان الثورة والاندية متسلطة على الأذهان . فلا غرابة ان تتأثر حالة الشعب النفسية بهذه العوامل وان تسفر الانتخابات عن اختيار الأغلبية الهائلة من النواب من أنصار الجمهورية

بالغ عدد الاعضاء ٧٤٩ نائباً من حملة القانون والعلم ورجال السيف والقلم والأطباء ورجال الدين والملوك والزراع . وكان من بين المنتخبين الاعضاء الذين اشتهروا في الجمعية الوطنية الاولى أو في الجمعية التشريعية . نذكر من بينهم الاب « سيس » والاب « جريجوار »^(١) و « كوندورسيه » و « فرنيو » و « بريسو » « كارنو » و « دانتون » الخطيب الشهير و روبسبير و « مارات »^(٢) . وكاميل ديمولان^(٣) الصحفي الكبير

(١) كان جريجوار من نواب الاكليس في الجمعية العمومية وكان من الداعين الى اتحاد نواب الاكليس بنواب الشعب وكان من ذوى المبادئ الحرة وانتخب عضواً بالجمعية الوطنية الكبرى واقترح اعلان الجمهورية وكان من اكبر الاعضاء شأناً - ولد سنة ١٧٥٠ ومات سنة ١٨٣١

(٢) مارات . ولد سنة ١٧٤٣ وتعلم الطب ونال لقب دكتور سنة ١٧٧٥ وكان له ولم بالابحاث العلمية وله فيها عدة مؤلفات ولما اقتربت حوادث الثورة الفرنسية كان من أشد دعايتها حماسة واكثرهم تطرفاً . اشتغل بالصحافة وانشأ جريدة « صديق الشعب » في ايام الثورة وكان يكتب فيها باهجة شديدة ويحمل الحملات الشعواء على كل من يشتبه في اخلاصه ويدعو الى القسوة وسفك الدماء وتأييد الثورة كان من اكبر اعضاء الجمعية الوطنية الكبرى وكان فيها من أعداء الجيرونديين ومن أكبر زعماء الارهاب وقتل سنة ١٧٩٣ وهو يعمد روح التطرف والارهاب في الثورة

(٣) كاميل ديمولان - ولد سنة ١٧٦٩ وكان في المدرسة زميلاً وصديقاً لروبسبير واشتغل محامياً في باريس ولكن القدرة على الخطابة كانت تنقصه فنبغ في التأليف والكتابة وتنبأ بوقوع الثورة الفرنسية في كتابه « فلسفة الشعب الفرنسي » سنة ١٧٨٨ وهو الذي دعا الشعب الى حمل السلاح قبيل الهجوم على

ويتون محافظ باريس الذى اشهر بتأييده الشعب وعدائه للملك وغيرهم
من لا يتسع المجال لذكرهم

انعقاد الجمعية وقراراتها

اعلان الجمهورية

وفى ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ انعقدت الجمعية فى سراى التويلرى
وانتخب « يتون » رئيسا لها وأودعت الجمعية التشريعية فى يدها سلطة
الشعب

وفى اليوم التالى قررت الغاء الملكية واعلان الجمهورية • وفى ٢٢
سبتمبر قررت اعتبار هذه السنة أول سنة للجمهورية الفرنسية ففعل
هذا انقرار من الأمة بأسرها بهزة الفرح والحماسة وانها لت رسائل التهئة
على الجمعية من سائر انحاء فرنسا

الباستيل وكان لكتاباتة ومؤلفاته فى أيام الثورة أثر عظيم فى النفوس . كان
سكرتيراً لدانتون وانتخب عضواً بالجمعية الوطنية الكبرى نائباً عن باريس
واشتغل بالصحافة ونبغ فيها وكان خصماً شديداً للجير وندبين ومؤيداً لروسيير
ثم أنكر عليه امرافه فى الارهاب فاقاب عابه روسيير واتهمه مع دانتون
وأبصاره بالتآمر على سلامة الجمهورية فحكم عابه بالاعدام وأعدم يوم ٥ ابريل
سنة ١٧٩٤ . ولما قضى عليه عند المحاكمة كتبت زوجته « لوسى ديولان »
خطاب احتجاج على روسيير فاتهمت هى أيضاً بالاشتراك فى المؤامرة وحكم
عليها بالاعدام وأعدت فى ١٢ ابريل سنة ١٧٩٤

وقد شادت الاقدار أن يصدر هذا القرار العظيم الشأن بعد انتصار جنود الثورة في معركة فالمي (٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢) فجاء هذا التوافق مؤيداً لقرار الجمعية الوطنية . وقد أتمت الجمعية بهذا القرار عمل الجمعية الوطنية المؤسسة فان عهد هذه الجمعية كان عهد نشوء المبادئ الجديدة وتكوينها ثم جاءت الجمعية الكبرى فكان عهدا عهد تنظيم هذه المبادئ وحمايتها من نآمر اعدائها

لجان الجمعية

لم تكد الجمعية الوطنية ناتمً حتى أخذت تباشر أعمالها بهمة فلما عرف التاريخ منها . فقد كان مطلوباً منها أن ننظم الدفاع عن فرنسا وفي الوقت نفسه أن تضع النظام الجديد الذي تسير عليه الحكومة والبلاد مع ادارة شؤون الحكومة الوفئية فألفت من بين أعضائها عدة لجان اختصت كل لجنة بمس من العمل فاجنة للتشريع . ولجنة للمالية . ولجنة للحرية ولجنة للشؤون الخارجية . وشكلت لجنة لوضع الدستور مؤلفة من تسعة من الأعضاء منهم الاب «سييس» والعلامة «كروندورسيه» (١)

(١) هو العلامة الرياضي والفيلسوف والمشرع كوندورسيه . ولد سنة ١٧٤٣ وظهرت مواهبه العامة في حداثة سنه ووضع عدة مؤلفات في الرياضة ثم انتخب عضواً في اكاديمية العلوم سنة ١٧٦٩ ثم اشتغل بالاقتصاد السياسي وله فيه اجاث قيمة وانتخب عضواً في اكاديمية الآداب سنة ١٧٨٢ ثم اشتغل بالادب والفلسفة وكان من مؤيدي فلسفة فولتير واشتغل بالسياسة وكتب فيها وانتخب عضواً بالجمعية التشريعية سنة ١٧٩١ ثم رئيساً لها سنة ١٧٩٢ ووضع تقريراً عظيم الأهمية عن التعليم وكتب منشوراً الى أوروبا عن الاسباب التي دعت الجمعية الى ايقاف

و « فرينو » و « ييتون » و « بريسو » و « دانتون »
وآلفت وزارة باسم مجلس التنفيذ تعمل تحت اشراف اللجان المتقدمة

احزاب الجمعية

كان الجيرونديون (المعتدلون) واليعقوبيون (دعاة الارهاب)
يتنازعون النفوذ في الجمعية وبينهم حزب وسط يسمى حزب « السهل »
أعضاؤه لا يدينون بنظرية خاصة بل هم مستقلون يؤيدون تارة الجيرونديين
وتارة اليعقوبيين بحسب الظروف فكان انضمامهم الى أى حزب يرجح
جانبه . على أن الغلبة في مبدأ عهد الجمعية كانت للجيرونديين لأن الأفكار
كانت متأثرة من الفظائع التي ارتكبها الثوار مستنكرة اسرافهم في
سفك الدماء وكان « روبسبير » و « مارات » — وهما من أعضاء الجمعية —
ممن اتهموا بالاشتراك في هذه الفظائع أو الاقرار عليها فاستنكرت
الجمعية مسألتهم واتهمها بعض الأعضاء بمحاولة القبض على زمام السلطة
واستخدام سلاح الارهاب للفضاء على ساطان القانون . وطلبوا من الجمعية

الملك لويس السادس عشر وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية الكبرى وكان أحد
أعضاء لجنة وضع الدستور ولكنه بدأ يفقد مركزه العظيم بعد ان قام الزاع
بين الجيرونديين واليعقوبيين لانه كان من الفريق الاول وظهرت مبادئه الجيروندية
في مقدمة مشروع الدستور فاتهمه اليعقوبيون وامروا بالقبض عليه ولكن
بعض المعجبين بمواهبه وأخلاقه العالية آووه وبقي في حمايتهم ثمانية أشهر ولكنه
لما علم أنه يعرضهم للخطر ترك مأواه والقي القبض عايه ووضع وهو مطارداً
أعظم مؤلف له وهو تاريخ « تقدم الفكر الانساني » وانتحر في السجن سنة ١٧٩٤
وقد اتفق المؤرخون على انه من أكبر علماء وفلاسفة القرن الثامن عشر

النظر في هذه التهمة . وكانت الحملة موجهة على الأخص ضد روبسبير
واسكن الجمعية لم تر من الأدلة ما يكفي لادانته فصرفت نظراً عن
إتهامه وكان هذا القرار من عوامل ارتفاع شأن هذا الزعيم واعداده للقيام
بالدور الكبير الذى لعبه بعد ذلك . واشتد الجفاء والعداء بين الجبرونديين
واليعقوبيين من ذلك الحين

على انه بالرغم من تعدد الاحزاب واشتداد الجفاء بينها فان الجمعية
كانت متحدة الكلمة فى الدفاع عن فرنسا فاخذت تبذل قصارى جهدها
لنفوية الدفاع الوطنى

الجمعية الوطنية وحرية الشعوب

وأخذت جيوش الثورة تطارد الحلفاء فهزمهم فى معركة جيبان
(٦ نوفمبر سنة ١٧٩٢) واستولت على « البلاد المنخفضة » التى كانت
تابعة للنمسا وطلب الباجبكيون ان تنضم بلادهم الى الجمهورية الفرنسية
فقررت الجمعية الوطنية هذا الانضمام بآء على طلب أهل تلك البلاد
لا لاستعبادهم بل لمعاونتهم فى الدفاع عن حريتهم كما قررت أيضا انضمام
السافواى بناء على طلب أهلها ومما قاله النائب جريجوار فى ذلك الصدد
بالجمعية : « ان النزاهة السياسية واجب مقدس يجب ان تتمسك به كما
تتمسك بالنزاهة الشخصية »

وكانت جيوش الثورة تستقبل فى كل مكان بابتهاج الجماهير لانها
كانت تعلن فى كل مكان تحمل به انها لا تبغى الاعتداء على حرية الشعوب

بل تعمل على نشر هذه الحرية وأصدرت الجمعية قرارا عظيم الشأن يتضمن هذا المبدأ وهو

« أن الجمعية الوطنية الكبرى نعلن باسم الأمة الفرنسية انها »
« تؤاخي وتساعد كل الشعوب الى تريد حريتها وتكلف قواد الجيش »
« الفرنسي بأن يدوموا يد المساعدة الى كل ابناء البلاد المضطهدة الذين ينالهم »
« اذى بسبب دفاعهم عن الحرية » وفرت كذلك نشر هذا الاعلان في كل بلد تحتله جيوشها

محاكمة الملك

وفي ٦ نوفمبر سنة ١٧٩٢ بدأت الجمعية في سماع تقرير اللجنة التي كان منوطا بها اتهم الملك وأخذت الجمعية منذ ٣ ديسمبر تنظر الدعوى . فكان لهذه المحاكمة تأثير كبير جدا في فرنسا وفي أوروبا بأسرها لان هذه القضية لم تكن قضية الملك لويس السادس عشر بل قضية النظام القديم بأكمله . وأخذت الانظار تتجه نحو الجمعية الوطنية التي كانت أكبر محكمة عرفها التاريخ تمثل سلطة الأمة أتم تمثيل . وحضر الملك في ١١ ديسمبر أمام الجمعية وأخذ يجيب على الاسئلة التي كان يوجهها اليه الرئيس . ولوحظ انه كان ينكر كل ما عزي اليه حتى ما كان ثابتا بالادلة الكتابية فاففده هذا الموقف عطف الاغلبية

وكانت التهم الموجهة اليه هي انه حنث في اليمين التي أقسمها باحترام الدستور وانه تخاير مع الاعداء بواسطة الرسائل وبواسطة أعوانه ورجاله وتأمر على سلامة الدولة واستعان بالاغارة الاجنبية على البلاد ودعا

اليها . وقد حضر للدفاع عن الملك ثلاثة من المحامين أحدهم المسيو ملهرب أحد وزرائه القدماء وبعد ان تمت المرافعة أخذت الجمعية تتداول في الحكم فعرض عليها الرئيس ان تصدر قرارها في المسائل الآتية :

أولاً - هل ارتكب لويس السادس عشر جريمة التآمر على حرية الأمة وسلامة الدولة فقررت الجمعية بالاجماع تقريرا ثبوت التهمة ثانياً -- هل يجب أن يعرض حكم الجمعية على الشعب ليصدق عليه فكان قرارها رفض هذا الطلب بأغلبية ٤٢٣ صوتا ضد ٢٨١

ثالثاً - أى حكم تحكم به الجمعية على المنهم فأصدرت الحكم بالاعدام بأغلبية ٣٨٧ صوتا ضد ٣٣٤ صوتا كانت في جانب الحكم بالنفي أو بالاشغال الشاقة أو السجن أو الاعدام مع ايقاف التنفيذ . وكان أخذ الاصوات في نوع الحكم من الحوادث الرهيبة في تاريخ الجمعية . فقد كان اليعقوبيون يبذلون كل جهد لجعل الحكم بالاعدام واستولى على الجمهور في باريس اعتقاد راسخ في أن حياة الجمهورية معلقة على اعدام الملك على أن كثيرا من النواب كانوا في ضمائرهم يستنكرون الاعدام بالنسبة لهذا الملك الذى لم يعد له حول ولا قوة . ولكن الجمهور مدفوعا بدعوة اليعقوبيين كان ينادى بضرورة الاعدام . وخشى كثير من النواب اذا لم نقرر الجمعية الاعدام ان تقوم ثورة في البلاد يكون ضررها اكبر من اعدام الملك فقدموا مصالحة الدولة على دواعى العدل والرحمة ولذلك غير الكثيرون منهم رأيهم عند أخذ الاصوات . وكانت الاصوات تؤخذ عانا أمام الجمهور النائر وتحت تأثيره واستغرقت هذه العملية الرهيبة طول ليلة ويوم ١٧ يناير لغاية الساعة سبعة مساء . وأعطى كثير من النواب

رأيهم بالاعدام تحت تأثير الارهاب والخوف من اليعقوبيين وكان الجمهور محتشداً حول الجمعية وفي الشوارع المؤدية لها يراقب أخذ الاصوات وبنظر نتيجة الحكم فكان من المناظر المؤثرة اثناء أخذ الاصوات أن النائب الكبير « فرنيو » الذي كان ينادى دائماً بأنه يستحيل أن يوافق على اعدام لويس التمس الحظ أعطى صوته بالاعدام وكان شديد التأثر وهو يعان صوته وان الدوق دورليان أعطى كذلك صوته باعدام قريبه الملك خوفاً من ان يستهدف لا تتقام اليعقوبيين

ولما انتهى فرز الاصوات وظهر ان الاغلبية في جانب الاعدام أعلن الرئيس متأثراً بأسم الجمعية الوطنية ان لويس حكم عليه بالاعدام. وفي ٢٠ يناير كلف وزير الحفانية بابلاغ الملك وهو في السجن نص الحكم فاستقبله بكل ثبات وهدوء . وفي اليوم التالي (٢١ يناير سنة ١٧٩٣) نفذ الحكم في ساحة الثورة أمام الجماهير المحتشدة وأظهر الملك شجاعة كبيرة في استقبال الموت وقبل أن يقدم تقدم الى الجماهير وقال كلمته الاخيرة: « أيها الفرنسيون ! اني أموت بريثاً من التهم المنسوبة الى . واني أسامح من تسببوا في موتي وأرجو ان يكون دني مباركا على فرنسا »

نتائج الحكم على الملك

كانت محاکمة الملك انتصاراً لحزب اليعقوبيين الذين كانوا ياحون في أن يكون الحكم بالاعدام وبدأ نفوذ الجيرونديين يتضاءل في الحكومة والبلاد لانهم كانوا يميلون الى تخفيف الحكم أو عرض حكم الجمعية على البلاد فكان من نتائج المحاکمة انتشار مبادئ الارهاب في فرنسا واستحوذ

الرب على كل من كان يشتبه في انتصاره للملك أو تأييده لنظام الماسكية وازدادت الحكومات الأوروبية عداًاً لفرنسا بعد الحكم على لويس السادس عشر وأخذت تجدد العهد وتحشد الجنود لمحاربتها

الجمعية الوطنية والدفاع عن الوطن

وتحفظت الجمعية الوطنية ان البلاد في خطر اذا لم تجتمع كل قواها لرد عدوان الحلفاء فضاءت جهودها في سبيل تنظيم الدفاع عن البلاد وبادرت الى علان الحرب على انجلترا ثم على هولندا ثم على اسبانيا بعد ان رأت من تلك الدول التحفز لمهاجمة البلاد وتمكنت انجلترا بفضل سياسة الوزير « ويليام بيت » الشهير من عقد تحالف بين هولندا والروسيا واسبانيا والبرتغال وبروسيا والنمسا وسردينيا لمحاربة الجمهورية الفرنسية فازداد موقف فرنسا خطورة امام هذه الممالك الكبرى واسكن الجمعية الوطنية لم تنزعزع امام هذا الخطر . ففررت التعبئة العامة في البلاد وأقبل الناس أفواجا أفواجا تلبية لنداء الوطن . فبلغ عدد الجيش المحارب مليوناً و٣٦٠ ألف جندي في سبتمبر سنة ١٧٩٢ بعد ان كان لا يتجاوز ٢٢٨ ألفاً في فبراير سنة ١٧٩٣

وأخذ كل رجل في فرنسا يد الجمعية بما لديه من قوة وعلم وكفاءة فظهرت الأمة في تلك الأوقات العصيبة كتلة واحدة للدفاع عن سلامة أرضها . وقد أظهرت هذه الأيام الكبيرة عدداً كبيراً من القواد والعمال والمخترعين الذين وجهوا قرائحهم نحو الغاية المشتركة وهي الدفاع عن الوطن فكان لهذه الجهود أكبر أثر في انتصار جيوش الثورة بعد أن كاد الحلفاء

يغلبونها على امرها وكانت انتصارات الجنود تعان في الجمعية الوطنية فتزيد النفوس حماسة وتملؤها قوة وبسالة

وقد أجمع المؤرخون على ان المفضل في انقاذ فرنسا في ذلك الحين من تأمر أعدائها يرجع الى اخلاص أعضاء الجمعية وشجاعتهم وصدق عزيمتهم ومواصاتهم الليل بالنهار في سبيل العمل لتعزيز الدفاع عن البلاد فكانوا خير قدوة لمجموع الامة في القيام بالواجب المقدس

عهد الارهاب

انشاء محكمة الثورة

ولجنة السلام العام

فويت شوكة اليقويين في تلك الايام العصبية وتغابت نظريتهم بسبب ما كان يدسه أنصار الماكية من الدسائس لاشعال نار الثورة في البلاد لاسقاط الجمهورية وفعلا شبت الثورة في اقليم « الفانديه » في مارس سنة ١٧٩٣ فرجحت نظريه الارهاب مؤقتا لحماية الجمهورية وقررت الجمعية في ١٠ مارس سنة ١٧٩٣ تأليف محكمة غير اعتيادية تسمى بمحكمة الثورة لمحاكمة المتآمرين على سلامة الجمهورية فكانت هذه المحكمة بمثابة سلاح الارهاب المعلق فوق الرؤوس لانها أودعت بمقتضى قرار الجمعية الوطنية سلطة لاحد لها في محاكمة كل من يتهم بتضليل الشعب أو مقاومة الجمهورية أو الميل الى النظام القديم وقد أدرك الجيرونديون

ان هذه المحكمة ستتخذ سلاحا للتمكيد بـ: خصوصاً لليعقوبيين وفي مقدمتهم الجبرونديون انفسهم

وألقت في ٦ ابريل سنة ١٧٩٣ لجنة عرفت بلجنة السلام العام مؤلفة من تسعة أعضاء من الجمعية الوطنية قواتها سلطة مطلقة لتدير حركة الدفاع عن البلاد في الخارج والداخل فأصبحت لجنة « السلام العام » هي الحاكمة المطلقة التصرف في البلاد وأصبح مجلس التنفيذ او مجلس الوزراء تحت اشرافها وتضاءلت بجانبها سلطة الجمعية الوطنية . وكانت اللجنة مؤلفة من اليعقوبيين انصار الارهاب فأخذت تصدر قوانين استثنائية منطوية على الشدة والصرامة في معاملة اعداء الجمهورية . وسيق ألوف من الناس الى السجون ثم الى الاعدام وهذا العهد هو المعروف بعهد الارهاب وكان اكبر زعمائه الطيب « مارات » والمحامي الخطيب « دانتون » و « روبسيير » الشهير و « هيرت » زعيم الماخذين

وكانت أندية اليعقوبيين المنتشرة في باريس وفي الاقاليم تنادى بالتنكيل بكل انصار النظام القديم وتلاشت سلطة الجمعية أمام نفوذها وأمام الارهاب الذي كانت تنشره . وتمادى اليعقوبيون في الظلم وأسرفوا في الارهاب وخرجوا عن جادة الحكمة والصواب . وأخذوا الارهاب سلاحا للاستبداد بالامرواخذ أنفاس كل من يعارضونهم أو يستنكرون فظائعهم فأخذوا يتعقبون الجبرونديين وقبضوا على الكثيرين منهم ونسبت بسبب ذلك حرب أهلية كادت تودى بحياة الجمهورية . فقامت مرسيليا وليون وبوردو وطولون والفانديه في وجه ديكتاتورية لجنة السلام العام واشتد سخط الناس على دعاة اليعقوبيين

« مقتل مارات »

وفي غضون ذلك أقدمت فتاة تدعى « شارلوت كوردای » على قتل « مارات » مدفوعة بعامل انتقاذ البلاد من حكم الارهاب . وكان مارات يمثل الارهاب والفوضى معا فطعنته الفتاة بخنجر طعنة أودت بحياته . فاهتزت نواحي البلاد لهذه الحادثة لان اقدام فتاة جميلة ونبيلة مثل شارلوت كوردای على قتل أحد زعماء الارهاب دليل على ان الناس قد عانوا الاهیوال من الحكم الارهابی ولم يطيقوا صبرا على احتماله . وقد قبض على الفتاة فاعترفت بذنبها وبررت عملها بأنها كانت تريد تخليص الناس من فظائع « مارات » وحكمت عليها محكمة الثورة بالاعدام فاستقبلت الموت بشجاعه نادرة وثبات عظیم

محكمة الملكة ماری انطوانيت

وفي اكتوبر سنة ١٧٩٣ حوكت الملكة ماری انطوانيت زوجة لويس السادس عشر أمام محكمة الثورة فحكم عاها بالاعدام ونفذ فيها الحكم بلا شفقة ولا رحمة في ساحة الثورة التي أعدم فيها زوجها الملك من قبل عشرة أشهر .

محكمة زعماء الجير وندیين

ثم سيق زعماء الجير وندیين الى المحكمة بتهمة الاشتراك في الثورة التي قامت في الفانديه والجنوب . وكان عددهم ٢١ متهما وكلهم من اقطاب

فرنسا المشهود لهم بالعلم والفضائل والمواهب العالية وممن كان لهم يد
طولى فى انجاح الثورة الفرنسية ومع أنه لم يقيم عليهم من الأدلة الا مجرد
آرائهم المعتدلة وانكارهم لفظائع الارهاب فقد حكمت عليهم محكمة
الثورة بالاعدام وأعدموا جميعا بعد أن أظهروا من الثبات ورباطة الجأش
فى استقبال الموت ما جعلهم مثلاً سائراً فى الشجاعة وعلو النفس
وممن حكم عليهم بالاعدام فى ذلك العهد الرهيب الدوق دورليان
نصير الحرية ^(١) ومدام رولان زوجة الوزير رولان المشهورة بعلمها
وذكائها والعالم الكبير باني الذي كان رئيساً للجمعية الوطنية الاولى والنائب
« بارناف » والوزير القديم « ماهر ب » والمارشال « دى نواى » « ولا فوازيه »
العالم الكيمياء العظيم واندريه شينيه الشاعر الشهير وغيرهم فخرمت
البلاد نخبة رجالها وعلمائها واستولى الفرع على النفوس

(١) الدوق دورليان كان من أكبر أنصار الثورة. ولد سنة ١٧٤٧ وتعلم تعلماً
راقياً فنشأ ميالاً للحرية والمساواة واشتهر بذلك في أيام الثورة فاحبه الشعب
كان عضواً بالجمعية الوطنية الأولى ومع أنه من نواب الاشراف فقد دافع فيها
عن حقوق نواب الشعب وكان يؤيد كل مشروع للأصلاح ولذلك كان مغضوباً
عليه في البلاط لا سيما من الملكة ماري انطوانيت . وكانت شهرته في الايام
الأولى للثورة تعادل شهرة الماركز لافاييت وفي يوم الاستيلاء على الباستيل كان
الثوار مجتمعين في حديقته ومن هناك اتجهوا الى الباستيل واستولوا عليه وكان
خصماً ظاهراً للأسرة المالكة واعلن تنازله عن كل مطمع في الملك. ثم انتخب
عضواً بالجمعية الوطنية الكبرى وطلب أن يسمى باسم خال عن القاب الشرف
فسموه « فيليب المساواة » على أن اليعقوبيين في عهد الارهاب قلبوا به ظهر
الجن وشكوا في اخلاصه واحيل على محكمة الثورة التي حكمت عليه بالاعدام
وتلقى الموت بشجاعة عظيمة « ٦ نوفمبر سنة ١٧٩٣ »

وفي هذه الاثناء كانت نار الحرب الخارجية مشتعلة فقاومت لجنة السلام العام عواصف الحرب كما قاومت عواصف الثورة الداخلية التي عمت ستين مقاطعة وتمكنت من اخضاع الثائرين . صد هجمات المغيرين بعد أن بذلت من الجهود مايندر مثله في تاريخ الشعوب

التنازع على الزعامة

بين اليعقوبيين

على ان اليعقوبيين الذين كانوا مستأثرين بالنفوذ في الجمعية الوطنية بدأوا يتنازعون أمرهم بعد أن تخلصوا من خصومهم وأخذوا يتنافسون على الزعامة . فبدأ « روبسبير » بآتهام « هيرت » بأنه يساعد الاجنبى بنشر مبادئ الفوضى ويضلل الشعب بنشر مبادئ الاتحاد . وأراد هيرت أن يقاوم هذا الاتهام فسعى في تدبير فتنة انتهت بالفشل فقررت الجمعية الوطنية القبض عليه واحالته على محكمة الثورة التي حكمت عليه وعلى جماعة من أنصاره بالاعدام ونفذ الحكم في ٢٤ مارس سنة ١٧٩٤

ثم أخذ روبسبير يسعى في التخلص من دانتون العظيم (منافسه في الشهرة) وأنصاره وكان دانتون يرى أن قدم الجمهورية قد رسخت بانتصارها على الحلفاء فلم يعد ثمة داع الى الاستمرار في الأرهاط وارتكاب الفظائع في الداخل . كما أنه استنكر محاكمة زعماء الجير ونديين فنقم روبسبير منه هذا الموقف واشتد الحلفاء بين الزعيمين . وكان روبسبير حازماً لثقة أعضاء الجمعية وثمة الجمهور لما اشتهر عنه من الفضائل الشخصية والنزاهة

فتمكن بنفوذه الكبير في الجمعية الوطنية من اتهام دانتون وأربعة من أصدقائه منهم كاميل ديمولان الصحفي الوطنى الشهير بالتآمر على الجمهورية والتواطؤ على إعادة الملكية. وهى التهمة التى كانت توجه لكل من يريدون التنكيل بهم فسيقوا الى المحاكمة وحكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم فى ٥ ابريل سنة ١٧٩٤

عبرة التاريخ

فقدت فرنسا فى عهد الأرهاب نخبة من عظماء رجالها الذين كانت لهم اليد الطولى فى انقاذها من نير الاستعباد الماسكى

وهكذا مثلت فيها من جديد مأساة انكار الشعوب جميل خدامها الأئمناء وأبنائها الأوفياء ، فنسيت فى ساعة الغضب والفتنة اخلاصهم وجيل أعمالهم وقابلات حسناتهم بالجحود والانكار وجازتهم عليها شر الجزاء فن ذا الذى ينكر مواقف « دانتون » الخطيب العظيم وحملاته على الاستبداد وكفاءته النادرة وشجاعته فى أشد أوقات الخطر ومساعيه العظيمة فى تثبيت دعائم النظام الجديد ونفانيه فى تأييده واخلاصه فى سبيل الوطن ؟

ومن ينكر فضل « كاميل ديمولان » الذى يعده التاريخ كبر كتاب الثورة الفرنسية وأكثر الذين أشعلوا فى القلوب نار الحماسة والأقدام وكان فى مقدمة من دفعوا الشعب الى الهجوم على الباستيل والاستيلاء عليه . فى ذلك اليوم المشهود الذى تقوضت فيه دعائم الاستبداد والذى

نحتفل به فرنسا بل الأهم كلها كل عام اعلانا بأنه عيد الحرية. عيد الثورة. عيد الأخاء والمساواة.

ومن ينسى مواقف العالم « باني » وشجاعته في رئاسة الجمعية الوطنية وما اتصف به من الفضائل الشخصية وما تحلى به من سعة العلم ومكارم الأخلاق . من ينسى شجاعته يوم أن رأس اجتماع الجمعية الوطنية الأولى في ساحة الكرة يوم ٢٠ يونيو سنة ١٧٨٩ بعد أن أقفلت الحكومة أبواب المكان المعد للاجتماع ودعوته النواب أن يقسموا اليمين التاريخية بين يديه « أن يجتمعوا في أى مكان وألا ينفرط عقدهم حتى يضعوا دستوراً لفرنسا . » من ينسى موقفه في ذلك اليوم الذى انبثق منه فجر الثورة الفرنسية .

ومن ينسى كذلك فضل زعماء الجيرونديين الذين حاربوا الاستبداد وعرضوا انفسهم لخطر الموت ايام كان صرح الملكية المطلقة ثابت الدعائم قوى الاركان ؟

ومع ذلك كان جزاء هؤلاء جميعا ان حكم عليهم بالاعدام باسم الشعب الذى بذلوا فى سبيله ما بذلوا من النفس والمال والراحة وهدوء البال . ومع انهم ذهبوا ضحايا الظلم الذى وقع عليهم من مواطنيهم فقد أظهروا وطنية نادرة وشجاعة كبرى وهم يستقبلون الموت . فما يذكر عن زعماء الجيرونديين انهم بعد أن حكم عليهم بالاعدام كانوا يسيرون الى ساحة الموت وهم ينشدون نشيد المرسيز وكانوا ينظرون الى الشعب الهائج نظرات العطف والاشفاق لانظرات الحقد والغضب لانهم كانوا موقنين ان الجمهور مخدوع مضال الفكر

وذهبت مادام رولان الى المقصلة وهى ثابتة ثبات الابطال ولما مرت أمام تمثال الحرية قالت كلمتها الشهيرة التى سارت بها الركبان وتناقلها الجديدان « إيه أيتها الحرية ! كم من الجرائم ترتكب باسمك الكريم ! » ومما يذكر عن العالم « باي » ان الغوغاء مثلوا به تمثيلا وحشيا قبل أن يعدم ومع ذلك قابل اساءتهم بالصبر والثبات والهدوء التام . ولما صعد على المقصلة واصابته هزة ظنها الجلاد انها رعدة الخوف التفت له باي وقال له « ان هذه هزة البرد لا رعدة الخوف ! »

أما دانتون فكان أمام الموت منال البطولة والعظمة ومما يؤثر عنه انه قال للجلاد « اذا أنفذت سهمك فأظهر للشعب رأسى عاليا فانه جدير بذلك » ذهب أولئك الشهداء العظماء ضحية ظلم مواطنيهم . ولم يعرف الشعب خطأه الا بعد أن أنفذ فيهم سهمه . فادرك انه أساء الى من احسنوا اليه وقابل بالجهود جميل من وقفوا حياتهم على خدمته واعلاء كلمته فسمع فيهم أقوال الوشاة والكذابين . وأخذهم بسعايات الدسائين والمرجفين . وهكذا

يقضى على المرء فى ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

سقوط روبسبير

خلا الجو لروبسبير بعد ان نكل بدانتون وأنصاره . واستولى
العرب على أعضاء الجمعية الوطنية فتلاشت ارادتهم امام نفوذه المرهوب
وفقدت الجمعية البقية الباقية من استقلالها امام شخصه . وأصبحت نأتمر
بأوامره . وعظم نفوذه في لجنة السلام العام حتى أصبح هو الآخر فيها المتسلط
عليها فخضعت له النفوس وطأ طأت الرؤوس وتلاشى المعارضون له في الجمعية
الوطنية فأصبحت آلة في يده يستصدر منها بسلاح الارهاب ما يريد
من القوانين والقرارات . وسرى العرب الى خصومه جميعاً فاختفوا خوفاً
من فتكه أو تظاهروا بالتقرب منه وتليقه حتى كان أشد أعضاء الجمعية
مودة لدانتون يخطب علناً في مدح روبسبير والتنصل من مشايعة
دانتون وأصدقائه

وأخذ نفوذ روبسبير يعلو بين الشعب حتى عده فريق من الناس
نبياً ووصل في نظرهم الى درجة العبادة فاشتدت وطأته على الناس ومحيت
أمامه كل ارادة . وازداد كابوس الأرباب فكان الناس يساقون زرافات
الى المحاکمة ويحكم عليهم بالاعدام لمجرد كونهم من الاشراف أو المياليين
الى النظام الملكي دون أن تثبت عليهم تهمة ما

على ان دكتانورية روبسبير لم تدم طويلاً فقد أخذ نجمه في الافول
بعد أن باغ أوج قوته وسلطانه . وذلك أنه طغى في حكمه وبغى وازداد
كبرياؤه وعجرفته حتى لم يطق ان يحتل بجانبه أعضاء لجنة السلام العام

يشاركونه في الرأي والسلطة . فبدأ بعامامهم بقسوة وغلظة . وخشوا على حياتهم من فتكه وغدره لأنه لم يكن هناك ضمانات تحميهم اذا ما طلب من الجمعية الوطنية اتهامهم فقد كانت الجمعية طوع بنانه ورهن ارهابه فشعروا ان حياتهم في خطر وسرى هذا الشعور الى فريق من أعضاء الجمعية الوطنية ممن كانوا يتذمرون من استمرار فظائع الارهاب ولا يجرؤون أن يعارضوا روبسبير خوفا على حياتهم

فبدأ الفريقان يعملان على التخلص من دكتاتورية هذا الرجل . وساعدهم على ذلك ان انتصارات جيوش الثورة في الخارج لم تدع مجالا لتبرير الاضطهاد والظلم . لان المبرر الوحيد الارهاب في نظر روبسبير كان الدفاع عن سلامة الجمهورية ودرء خطر الحلفاء الذين كانوا يهددون الوطن

وقد شعر روبسبير بهذه المؤامرة التي كانت تدبر ضده فأخذ يعمل على احباطها . فأسرف في الارهاب ليملاً نفوس الناس فزعا وخوفا . وامتلات السجون بالألوف المؤلفة من المشتبه فيهم حتى ضاقت بمن فيها ونشر الجواسيس في كل مكان ليأتوه بأخبار الأعضاء المعارضين له وزاد في نفوذه وقوع اعتداء على حياته نجا منه فاتخذ هذا الاعتداء وسيلة للامعان في الظلم والقسوة وزاد هذا الحادث في التفاف الجمهور حوله لما سرى اليهم من الظن بأن أنصار الملكية هم الدين دبوا الاعتداء على حياته لتفانيه في الاخلاص للجمهورية

على ان السخط على روبسبير أخذ يزداد بين زعماء الناقين عليه من أعضاء لجنة السلام العام والجمعية الوطنية وضاقت ذراعاً بكبريائه وطفغائه

وأخذ هو من جهته يولى وجهه شطر جمعية اليعقوبيين ليهدد بهم اللجنة والجمعية ويتخذ منهم جنوده للقضاء على تينك الهيئتين اذا تمردتا عليه وكانت هذه الجمعية النورية منبع الارهاب فعاهدته على أن تؤازره في ساعة الشدة . فامتنع روبسبير عن حضور جلسات لجنة السلام العام وأخذ يخطب صندھا في نادى اليعقوبيين

على ان اللجنة استمرت تقوم بواجبھا في تنظيم الدفاع الوطنى وانتصرت جيوش الثورة على الحلفاء فساء ذلك روبسبير ولم يكتف حسده وحقدہ على هذه الانتصارات وأخذ يحط من قدرھا فبدأ مركزه الأدبى يتزعزع بين الناس

على ان خصومه من جهتهم كانوا مترددين فى بدء الحرب عليه خوفا من بطشه ونفوذه فى جمعية اليعقوبيين وامكانه اثاره الشعب على الجمعية الوطنية . على ان الفرصة سنحت لهم بعمل روبسبير نفسه فقد حضر الى الجمعية الوطنية فى ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٤ والقي بها خطبة كبرى هاجم فيها خصومه مهاجمة شديدة . فتشجعوا هذه المرة على مناوآته وبدأ بعضهم ينهمه عانا بالعمل على شل ارادة الجمعية ومحو كل سلطة بجانب ارادته الشخصية وبعد ان كان من عادة الجمعية ان تقر كل كلمة يقولھا فى خطبه قابلت خطبته الأخيرة بالصمت التام وقررت احاطھا على اللجان المختصة للنظر فيها

كانت هذه الجلسة فاتحة سقوط سلطته المرهوبة . وأخذت الشجاعة الادبية تعود الى بقية الأعضاء وتستفزهم الى الاتحاد لمناوأة الرجل . وشعر روبسبير فى تلك الجلسة ان كلماته لم يعد لها ذلك التأثير السحرى

الذى كان لها فى نفوس سامعيه وان الجمعية أخذت تتخلص من سلطان رهبته فأدرك ان ساعته قد اقتربت

وعندئذ أسرع الى نادى اليعقوبيين حيث يجتمع المخلصون له فقابلوه بحماسة عظيمة وهناك فى مساء ذلك اليوم التى عليهم خطبته التى القاها فى الجمعية فقابلها اليعقوبيون بالتصفيق العظيم وأخذت الجمعية تدبر الثورة على الجمعية الوطنية لتعيد الى روبسبير سلطانه المطلق

فى جاسة الجمعية التالية (٢٧ يوليو) كانت فكرة اسقاط روبسبير قد اختمرت فى الأذهان فبدأ النائب « تاليان » بالحلمة عليه وقوبلت خطبته بالتصفيق العظيم . وأعقبه النائب فارين فاتهم روبسبير بالعمل على قتل الجمعية . فلم يطق روبسبير صبرا على هذه الحلمة وخشى اذا تركها تستمر أن يتجرأ بقية الأعضاء عليه وتسقط هيئته فى نفوسهم فقام غاضباً وطلب الكلام

ولكنه لم يكذب يظهر على درجات منبر الخطابة حتى صاح الاعضاء جميعاً فى وجهه « ليسقط الظالم ، ليسقط الطاغية ! » فاهتزت جوانب المكان لهذا النداء المهيّب وارتجف روبسبير من هول الموقف . ولكنه ثبت فى مكانه وطلب الكلام بالحاح مصمماً على مقاومة هذه العاصفة . فاشتد الهياج فى الجمعية لان خصومه صمموا على منعه من الكلام . وتكررت صيحات « ليسقط الظالم ! » ودوت بها أرجاء المكان واستمر الهياج طويلاً فى تلك الجلسة التى يعدها التاريخ من أعظم الجلسات التاريخية شأنًا

ثم طلب النائب « لوشيه » القبض على روبسبير فصاح الاعضاء

« نعم نعم الى السجن ! الى السجن ! » فكانت هذه الكلمة بمثابة ورقة الاتهام أو حكم الاعدام على من كان حتى اليوم يسوق الناس زرافات الى المقصلة . وحاول هو أن يتكلم فاختنق صوته وسط تلك الضجة الهائلة وتقدم اليه النائب « جارنييه » وقال له تلك الكلمة الخطيرة « ان دم دانتون يخنقك ! » ثم قررت الجمعية في تلك اللحظة العصبية القبض على روبسبير وايداعه السجن لحاكمته هو وأربعة من أعوانه من أعضاء الجمعية فبهت روبسبير من هذا القرار ونزل عن كرسيه في الجمعية وتقدم الى مكان الاتهام ذلك المكان الذي وقف فيه من قبل دانتون وكاميل ديمولان وفرينو وبريسو وغيرهم من الشهداء العظماء . فكان هذا الموقف الرهيب أكبر عظة وعبرة لمن ترفعهم الأقدار وتضع في يدهم الجاه والنفوذ والسطان فيتخذوها سلاحاً للبغى والعدوان

اعدام روبسبير

رفعت الجلسة في الساعة الخامسة مساء بعد ان ظلت منعقدة أكثر من ست ساعات متواليات وسبق روبسبير الى السجن فاهتزت باريس لهذا النبأ العظيم. وأخذت جمعية اليقويين باتحادها مع الكومون^(١) تعمل

(١) الكومون هي هيئة البلديات في باريس وقد تطور نظامها في عهد الثورة وصارت هيئة ثورية قوية النفوذ وفي اغسطس سنة ١٧٩٢ أصبحت تمثل الاقسام البلدية في باريس (وعدد هذه الاقسام ٤٨ قسماً) بنسبة ستة مندوبين عن كل قسم فصار عدد المندوبين في الكومون ٢٨٨ عضواً ومعظمهم من المتطرفين في الثورة . وقد اتسعت سلطة الكومون الثورية حتى زاحمت الجمعية التشريعية

على تنفيذ وعيدها فدبرت هجوماً ثورياً على الجمعية في ذلك المساء .
ووصل الثائرون مسلحين بالبنادق والمدافع الى دار الجمعية بعد ان أخرجوا
روبسبير ومن معه من السجن وكانت الجمعية منعقدة فأظهر الأعضاء
جميعاً شجاعة كبرى وصحت عزيمتهم على الثبات أمام الثائرين ولو قتلوا في
مراكزهم . فقررت الجمعية في هذه الساعة الخطرة اعتبار روبسبير وزملائه
وزعماء الفتنة خارجين على القانون . وأعان هذا القرار للثائرين فكان له
تأثير هائل في نفوسهم لما كانوا يشعرون به من هيبة قرارات الجمعية
الوطنية فراجعوا عنها . وكان زعماء الفتنة مجتمعين في دار البلدية ومعهم
روبسبير فأخذوا يتداولون في الأمر فرأى روبسبير ان لا سبيل الى
المقاومة وان الجمهور قد تخلى عنه بعد قرار الجمعية الوطنية لخاول الانتحار
وأطلق على نفسه مسدساً أصابه في فكه^(١) دون أن يقتله ودخل جنود الجمعية

وتغلبت عليها بقوة الارهاب وكادت الحرب الاهلية تنشب بسبب هذا التراحم
ثم لما انعقدت الجمعية الوطنية الكبرى (الكوفاناسيون) كانت هيئة الكومون
تزاحم في النفوذ والسيادة وكانت هي ولجان الثورة عماد زعماء الارهاب في فرنسا
الى ان تغلبت عليها الجمعية الوطنية سنة ١٧٩٥

(١) وهناك رواية ثانية لاصابة روبسبير وهي انه اصيب من طلقة مسدس
احد الجنود الذين جاؤا لاقبض عليه وهو الجندي مردا ولكن الرواية الأولى هي
الارجح وقد دونها « تيرس » في كتابه تاريخ الثورة الفرنسية وهو أكبر حجة
في هذا الموضوع . والظاهر ان روبسبير اطلق على نفسه المسدس في اللحظة التي
دخل فيها الجنود فزعم مردا انه هو الذي اصاب روبسبير واعلن ذلك للجمعية
الوطنية حينما جيء بروبسبير ومن معه أمام الجمعية لمحاكمتهم فصدقته الجمعية
وكافأته بعد ذلك بترقيته الى رتبة ملازم

الوطنية فقبضوا على روبسبير وهو جريح ونقلوه ومن معه الى دار الجمعية اذ كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فهتف الأعضاء جميعاً « لتحي الحرية ، اتحي الجمعية الوطنية » واطمأنت نفوسهم لانتصار القانون وسقوط الطاغية . وفي الصباح (٢٨ يوليو سنة ١٧٩٤) مثل روبسبير ومن معه (وكان عددهم واحداً وعشرين متهماً) أمام محكمة الثورة وحكم عليهم جميعاً بالاعدام وأعدموا في نفس ذلك اليوم في ساحة الثورة فابتهج سكان باريس جميعاً لانتهاء حياة ذلك الطاغية الذي انقضى بموته عهد الارهاب في فرنسا

اصلاحات الجمعية الوطنية

تخلص الناس بعد اعدام روبسبير من كابوس الارهاب الفظيع وبدأوا يتنفسون في جو الحرية اذ قررت الجمعية الوطنية ايفاء محكمة الثورة . وأخذت الطمأنينة تعود الى النفوس وعاد النفوذ في الجمعية الى جماعة الجيرونديين فأخذت تعمل على اعادة الامن والطمأنينة وأعلنت حرية الصحافة وأفرجت عن معظم المسجونين . وقررت الغاء جمعية اليعقوبيين لاعتبارها منبعاً للفتن والقلاقل وطهرت دوائر الحكومة من الموظفين الذين كانوا أعوان الارهاب في عهد روبسبير وساد الامن ورجعت السكينة الى النفوس . وأخذت الجمعية تقوم باصلاح ما أفسدته يد الفوضى والارهاب وتنظيم شؤون الحكومة

فقررت تعميم المدارس الاولى في البلاد بانشاء مدرسة لكل الف من السكان وانشاء المدارس الثانوية بنسبة مدرسة لكل ثمانية الف نسمة ومدرسة لتخريج المعلمين وعدة مدارس للطب والحقوق والطب البيطرى . وقررت كذلك احياء الصناعة بانشاء عدة مصانع ومعامل وتنشيط التجارة والزراعة فقررت تعيين لجان لوضع مشاريع حفر الترع وانشاء البنوك الوطنية

على ان اليعقوبيين بعد ان الغيت جمعيتهم أخذوا يبنون فى الاندية والقهوات وضواحي المدينة لاهاجة الخواطر وتدير ثورة جديدة على الجمعية . وقد ساعدهم على نشر الهياج سوء الحالة الاقتصادية فى البلاد وشكوى الجمهور من الضيق وقلة الاقوات . فظهرت بوادر الاضطراب بين العمال والغوغاء وأخذوا يعقدون الاجتماعات بقصد تقديم مطالبهم الى الجمعية الوطنية وكان أول طلباتهم تنفيذ دستور سنة ١٧٩٣ الذى وضع فى عهد الارهاب والذى أسس على قواعد أقرب الى الفوضى منها الى النظمات الدستورية الصحيحة . وطلبوا كذلك وضع حد للضيق والغلاء اللذين استحكمت حلقاتهما

دستور سنة ١٧٩٣

أما الدستور الذى طالب اليعقوبيون تنفيذه فهو المعروف بدستور ٢٠ يونيو سنة ١٧٩٣ الذى أقرنه الجمعية الوطنية فى عهد الارهاب وقررت ارجاء تنفيذه الى ان تنتهى الحرب بين فرنسا والحلفاء . وتتلخص قواعده فيما يأتى

أولاً — انه قرر حق الانتخاب العام المباشر (أى على درجة واحدة) وهو ما لم يكن مقررأ فى دستور سنة ١٧٩١ فجعل الانتخاب حقأ لكل فرنسى بالغ من العمر ٢١ سنة مقيم منذ ستة أشهر فى دائرة الانتخاب ثانياً — انه جعل السلطة التشريعية فى يد مجلس تشريعى واحد ينتخب أعضاؤه بالاقتراع العام لمدة سنة واحدة ونسبة نائب عن كل أربعين ألف نسمة ثالثاً — تنقسم أعمال المجلس التشريعى الى نوعين : الدكرىات والقوانين . فالدكرىات وهى المتعلقة بالمسائل الثانوية فى القيمة التشريعية هى من حق المجلس وقراراته فيها نافذة المفعول بمجرد صدورها . أما القوانين فلا تكون قراراته فيها نافذة الا بعد استفتاء الشعب فيها . وذلك المجلس التشريعى يعرضها على الكومون فى فرنسا فاذا انقضى أربعون يوما بعد العرض ولم يعترض على القانون عشر « الجمعيات الاولى » الانتخاب — وهى جماعات الناخبين — فى أكثر من نصف مقاطعات فرنسا أصبح نهائيا نافذ المفعول أما اذا حصل هذا الاعتراض فتدعى « الجمعيات الاولى » كلها الانعقاد فتقرر قبول القانون كما هو معروض أو رفضه . ومعنى ذلك ان دستور سنة ١٧٩٣ قرر نوعان أنواع « الحكومة المباشرة » أى التى يباشر فيها الشعب بنفسه السلطة التشريعية دون ان ينب عنه فيها هيئة تمثله رابعاً — السلطة التنفيذية فى يد مجلس مؤلف من ٢٤ عضوا ينتخبون بالطريقة الآتية تعين « الجمعيات الاولى » المتقدم ذكرها الاعضاء الناخبين وهؤلاء الاعضاء يعينون المرشحين ويختار منهم المجلس التشريعى ٢٤ عضوا المجلس التنفيذ ويتجدد انتخاب نصف اعضائه كل سنة

وغنى عن البيان ان هذا النظام كان معقدا ومؤدبا الى الارتباك والفوضى لانه يستلزم استفتاء الشعب فى كل القوانين وقد دلت التجارب على ان نظام الحكومة المباشرة يؤدى فى الغالب الى انتشار الفوضى وتعطيل شؤون البلاد. وكذلك كان من بواعث الفوضى أن يكون انتخاب المجلس النيابى لمدة سنة واحدة لان هذه الفترة القصيرة لا تسمح له بأن يعمل عملا مستديماً ويجعل البلاد مشغولة على الدوام بالانتخابات

على ان الجمعية الوطنية عند ما قررت هذا الدستور لم تخصصه تحديدا كافيا يظهر منه عيوبه فان مشروعه عرض على الجمعية فى ١٠ يونيو وأقر فى ٢٤ يونيو دون أن تحدث فيه مناقشة جدية لان سيف الارهاب كان فى ذلك الحين مسلولا فوق الاعناق ومن خصائص هذا الدستور انه بعد تقريره فى الجمعية عرض على الجمعيات الاولية الانتخاب لتقره أو ترفضه حتى يكون بمثابة دستور أقره الشعب مباشرة فأقرته الجمعيات الاولية. على أن بقى معطلا طول عهد الارهاب وبعد انتهائه رأت الجمعية أن فيه من العيوب ما يجب تلافيه والا أصبح الدستور مصدرا للفوضى فى البلاد ولكن اليعقوبيين جعلوا تنفيذ هذا الدستور فى مقدمة مطالبهم لانه يجعل الحكم للشعب مباشرة وهم يعتقدون ان جمهور الشعب فى يدهم

فأوجست الجمعية الوطنية خيفة من هذه الحركة التى أخذت صبغة ثورية لما اقترن بها من مظاهر التهديد والوعيد والتمرد والعصيان فقررت تأليف لجنة من أحد عشر عضوا لتضع القوانين الاساسية التى يجب أن تكمل دستور سنة ١٧٩٣ ومعنى ذلك ارجاء تنفيذ الدستور حتى يتم وضع تلك القوانين التى قد تهدم بعض أحكام ذلك الدستور . فأحدث ذلك

القرار تدمراً شديداً بين الجمهور وابتدأ انصار الليعقويين واتباعهم يتجمعون في الشوارع المؤدية الى الجمعية وزاد في تيار الاستياء اصدار الجمعية قانوناً شديداً على كل حركات الهياج والتجمع يقضى بفض كل اجتماع يقصد منه العبث بالنظام العام وبنفي كل من يتعرض لاحد أعضاء الجمعية وباعداد كل من يقرن التعرض بالعنف والقسوة واشتد الهياج داخل الجمعية عدة ايام بين الاغلبية التي انحازت الى الجيرونديين والاقالية الباقية على ولائها لليعقويين وأخذت الثورة تحتتمرو ظهرت بوادرها في باريس الى ان انفجر بركانها في اول ابريل سنة ١٧٩٥

هجوم الغوغاء على الجمعية الهجوم الأول

كان يوم أول ابريل سنة ١٧٩٥ يوماً عصيباً ففيه هجمت الجموع الثائرة على سراى التويارى حيث تنعقد الجمعية الوطنية وكان نداؤهم «الخبز ودستور سنة ١٧٩٣» واقتحمت الجموع أبواب الجمعية حتى وصلت الى مكان الاجتماع فاشتد صياحهم وانتشر الغوغاء في ارجاء المكان واضطرب حبل النظام . ولكن الأعضاء اظهروا ثباتاً وشجاعة نادرين يذكران بشجاعة أعضاء الجمعية الوطنية الأولى لما حاول أعوان الملك فض اجتماعهم بالقوة . ثبت الأعضاء في مقاعدهم وحاول أحدهم أن يتكلم فصاح الغوغاء في وجهه وأسكتوه . وجاء فوج جديد من الغوغاء فاقتحموا الأبواب وانضموا الى اخوانهم الذين اكتظت بهم قاعة الاجتماع واختلط الحابل بالنابل عدة ساعات دون أن ينال الثأرون مأرباً من الأعضاء لثباتهم وورباطة

جأشهم . وفي غضون ذلك أخذت الجنود تتجمع لانقاذ الجمعية من فتنة الغوغاء وكان الغوغاء يريدون بقوة الارهاب أن يحملوا الجمعية على اصدار القرارات التي يطلبونها قبل أن تصل قوة الجنود ولكن ثبات الأعضاء وازدحام مكان الاجتماع واشتداد الجلبة والصياح جعل كل كلام وكل مناقشة مستحيلة . وأخيراً رأى النواب اليعقوبيون أن لا سبيل الى نجاح تدبيرهم فنصحوا الثأرين بالانصراف وبعد جهد عظيم تفرق الثأرون . وانسحبوا من دار الندوة

كان هذا اليوم من الايام المشهودة في تاريخ الجمعيات الوطنية ولو نجحت هذه الفتنة لكان فيها القضاء على الجمعية وعلى النظام والقانون ولا طاق يد الغوغاء بزعامة اليعقوبيين في شؤون البلاد ففسد الفوضى في انحاءها . ولكن مؤامرتهم فشلت وأخذت الجمعية تتداول في رد النظام الى نصابه . فقررت (أولاً) أن حرية مداولات الجمعية الوطنية قد اعتدى عليها في ذلك اليوم العصيب و (ثانياً) اجراء تحقيق عن هذه الفتنة تمهيداً لتوقيع العقاب على زعمائها والمشاركين فيها . وقررت الجمعية في نفس هذه الجلسة نفى أربعة من زعماء اليعقوبيين واقصائهم عن الاراضى الفرنسية واعلان الأحكام العرفية في باريس وتعيين الجنرال « يشجرو » حاكماً عسكرياً للمدينة حتى يزول خطر الفتنة ويعاقب مدبروها . وقد قوبل هذا التعيين بالاطمئنان والابتهاج لأن الجنرال « يشجرو » كان قد نال شهرة عظيمة بين الجمهور بفضل ما تم على يده من انتصار جيوش الثورة وفتحه بلاد هولاندا وانتهت هذه الجلسة التاريخية في الساعة السادسة من صباح يوم ٢ ابريل بعد أن ظلت سواد الليل منعقدة بلا انقطاع

استئناف الفتنة

وقد استأنف الثأرون فتنهم في الايام التالية وامتد الهياج الى بعض المدن في الأقاليم ولكن الحكومة تمكنت من قمع الفتنة واعادة النظام وقررت الجمعية بعد توكيد السكينة نزع السلاح من جميع أنصار اليعقوبيين وقررت القبض على نحو عشرين نائبا ممن ثبت أن لهم ضلعا في الفتنة فحكم عليهم بالنفى أو بالسجن وانتهت بذلك حركة خطيرة أثارها حزب الارهاب لاستعادة نفوذه في البلاد

ثم تداولت الجمعية ثمانية في مسألة الدستور بعد أن قدمت اللجنة التي سبق أن شكلتها لوضع القوانين الاساسية تقريرها المتضمن وجوب اعادة النظر في دستور سنة ١٧٩٣ فقررت الجمعية تأليف لجنة لوضع مشروع دستور جديد

ولم يقف النزاع بين اليعقوبيين والجيرونديين عند هذا الحد. بل أخذ اليعقوبيون يضمون صفوفهم في باريس والأقاليم لاعادة الكرة واستئناف الثورة. وتأصل العداء في نفوس الفريقين فكان كل منهما يسعى في ابادة الآخر وكان اليعقوبيون يرون في تجريد همهم وأنصارهم من السلاح ضياعا لسلطتهم ونفوذهم فمقدوا العزم على أن يضربوا ضربتهم النهائية وفي هذه الاثناء تشجع المكيون الذين كانوا الى ذلك الحين محتفين وأخذوا يتظاهرون بالشماتة في اليعقوبيين فاثاروا حماسهم والنفوس لجانة مركزية للثورة حتى تكون الحركة منظمة ولا يقعوا في خطأ فتنة أول ابريل التي كانت غير منظمة. وحلوا مقر هذه اللجنة في احياء سان دينيس ومونتارتر

وهى الأحياء التى كانت منبع الهياج والاضطراب وكانت خطتهم تسير
جموع التأثرين وفى مقدمتهم النساء الى دار الندوة واضطراب الجمعية بقوة
السلاح الى اجابة مطالبهم وأهمها الافراج عن زعماء اليعقوبيين واعادة
دستور سنة ١٧٩٣ ونشر وامنشوراً ثوريا بهذه المطالب فى مساء ١٩ مايو
سنة ١٧٩٥

الهجوم الثانى

وفى صباح اليوم التالى (٢٠ مايو) نفذوا عزمهم فسيروا الجموع الى
دار الجمعية وكان معظمهم من أخط طبقات الغوغاء والاشرار وأرباب
السوابق المسلحين بأنواع الاسلحة كافة فحاصروا الجمعية وكسروا الابواب
وهجموا على قاعة الاجتماع وأعينهم تقدح شرراً ونداءهم يذم الآذان.
وكان هجومهم هذه المرة عنيفاً وشرهم مستطيراً فقد دخلوا وفى أيديهم
الاسلحة المشهورة والرماح المشروعة وأحاط الغوغاء برئيس الجمعية (العلامة
بواسى دانجلاس^(١)) ليحملوه على النزول على ارادتهم واستصدار القرارات

(١) هو العلامة القانونى « بواسى دانجلاس » ولد سنة ١٧٥٦ واشتغل
محامياً فى باريس واشتهر بالأدب والبلاغة وانتخب عضواً بالجمعية الوطنية
الأولى وكان فيها من الملكيين الدستوريين ثم انتخب عضواً بالجمعية الوطنية
الكبرى وكان فى محاكمة الملك لويس السادس عشر من المصوتين ضد الاعدام
وانتخب عضواً فى لجنة السلام العام فى ديسمبر سنة ١٧٩٤ بعد سقوط روبروسبير
ثم انتخب رئيساً للجمعية الوطنية وظهرت عظمتة النفسية يوم ٢٠ مايو سنة
١٧٩٥ اذ قابل تهديد الغوغاء بالثبات ورباطة الجأش ويقال انهم لما قطعوا رأس

التي جاؤا يطلبونها ولكن الرئيس أظهر ثباتا وعظمة نادرين فقد ظل في مكانه صامتا رابط الجأش لا يتزعزع ولا يتحرك .

مقتل النائب فيرو

وحاول النائب « فيرو » أن يبعد الغوغاء عن الرئيس فقتلوه رميا بالرصاص وأخرجوا جثته من دار الندوة فقتل بها الاوباش وقطعوا رأسه ودخلوا به الى مكان الاجتماع محمولاً على رمح . فكان لهذه الفظاعة والوحشية وقع هائل في نفوس الاعضاء لان كرامة الجمعية الوطنية لم تصب في يوم من الايام بمثل ما أصيبت به في ذلك اليوم العصيب . واستمر هجوم الغوغاء من الساعة العاشرة صباحا الى الساعة السابعة مساء والفوضى سائدة في هذا المكان المقدس . وكان تدخل الجنود خطيرا لان الاعضاء المجردين من السلاح كانوا يقعون فريسة فتك الغوغاء الذين اختلطوا بهم اذا هاجمهم الجنود . فاستمرت الحالة فوضى الى أن تمكنت قوة الجنود من اخراج الغوغاء من دار الجمعية اذ كان الليل قد تنصف وانتهى في تلك اللحظة هذا الهجوم الفظيع الذي لم يسبق له نظير في تاريخ الثورة

فلما أنقذت الجمعية من خطر الغوغاء استراحت قايلاتم عاودت الاجتماع طول الليل وأخذت تتداول في انزال القصاص بمحركى هذه

النائب فيرو وجاؤا به أمامه حي زميله المقتول تحية الاحترام الديني فرفعت هذه الحادثة من شأنه وزادت من قدره . وكان المقرر للجنة دستور سنة ١٧٩٥ واليه ينسب مشروع هذا الدستور . توفي في باريس سنة ١٨٢٦

الفتنة الفظيعة وقررت استعمال الشدة المتناهية في التكنيل بزعماء اليعقوبيين وأنصارهم فقررت القبض على جميع الزعماء ومحاكمتهم وتجريد كل من يشتبه في انتمائه لليعقوبيين من السلاح وانتهت الجلسة الساعة الثالثة صباحا

اخماد الفتنة

كان هذا اليوم من أشد أيام الثورة هولوا كثيرا فزعالان استهانة الغوغاء بهيئة نواب الشعب بلغت منتهاها وزادت فظاعة بقتل أحد النواب وجرح بعضهم . فلا غرو ان صممت الجمعية على أن تقضى القضاء المبرم على البقية الباقية من ساطة اليعقوبيين فسيرت حملة عسكرية على معقل الفتنة في شارع سانت انتوان فاستولت الجنود على النافرين واساحتهم ومدافعهم وانتهت بذلك من اخضاعهم وحكم على الكثير منهم بالاعدام وفي مقدمتهم زعمائهم

وبعد أن هدأت الاجوال أخذت الجمعية تتناقش في مشروع الدستور الذى قدمته لها اللجنة التى عينتها فى ابريل فاستمرت ثلاثة أشهر فى درسه ثم قررته وهو المعروف بدستور ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٥

دستور سنة ١٨٩٥

يمتاز هذا الدستور :

أولا بأنه أوفى الدساتير الفرنسية احكاما

ثانيا — بأنه وضع لأول مرة فى فرنسا قاعدة وجود هيئتين نيابيتين

تتولى السلطة التشريعية فالمجلس الأول يسمى مجلس الخمسمائة وهو يشبه المجلس النيابي في الدساتير الحديثة . ينتخب أعضاؤه لمدة ثلاث سنوات ويشترط لا انتخاب أعضائه أن يكون العضو بالغاً من السن ثلاثين سنة كاملة . وقد أعفى الدستور الاعضاء من قيد السن في السنوات السبع الاولى لاعلان الجمهورية وأجاز في هذه الفترة انتخاب البالغ ٢٥ سنة فقط . والمجلس الثاني هو مجلس الشيوخ وهو مؤلف من ٢٥٠ عضوا لا تقل سن الواحد منهم عن اربعين سنة وأن يكون متزوجاً أو سبق له الزواج ويتجدد انتخاب ثلث أعضاء المجلسين كل سنة

وللمجلس الخمسمائة وحده حق تقديم مشاريع القوانين وهو الذى يتناقش فيها وتقرأ فيه ثلاث مرات بين كل مرة وأخرى عشرة أيام على الأقل وقد وضع هذا النص تفادياً من تعجل المجلس في سن القوانين كما كانت تفعل الجمعية الوطنية الكبرى في أيام الارهاب فاذا أقر المجلس القوانين بهذه الطريقة تعرض على مجلس الشيوخ وله حق اقرارها كماهى أو رفضها وللمجلس الشيوخ وحده الحق في أن يعرض تعديل الدستور وله أن يقرر تغيير مكان انعقاد المجلسين

ثالثاً - أما السلطة التنفيذية فقد جعلها الدستور في يد مجلس يسمى مجلس الادارة (ديركتوار) مؤلف من خمسة أعضاء ينتخبهم مجلس الشيوخ من بين أعضاء يرشحهم مجلس الخمسمائة ويجب أن يكون عدد المرشحين عشرة أمثال المطلوب اختيارهم حتى تترك حرية الانتخاب لمجلس الشيوخ . ويجب ألا تقل سن عضو مجلس الادارة عن اربعين سنة ويسقط كل سنة

عضو واحد ولا يجوز إعادة انتخاب العضو نفسه إلا بعد خمس سنوات ويختص المجلس بتعيين الوزراء وكبار الموظفين وله إدارة الجيش وليس للوزراء ولا لأعضاء مجلس الإدارة أن يكونوا أعضاء في الهيئتين التشريعتين ولا أن يحضروا جلسائهما

رابعا - أما الانتخاب بحسب أحكام هذا الدستور فقد أصبح على درجتين ومقيدا تقريبا وفاقا للدستور الذي وضعته الجمعية الوطنية الاولى المؤسسة. فالناخبون يعينون في كل دائرة بمعرفة «الجمعيات الاولية» وهي تشمل مجموع الناخبين في كل دائرة ويشترط فيهم ان يكونوا فرنسيين بالغين من السن ٢١ سنة ويدفعون ضريبة أو عوائدهما قات قيمتها وقيمون منذ سنة في فرنسا ولا يعفى من الضريبة الا من حارب مرة أو أكثر من مرة دفاعا عن الجمهورية. فهذه «الجمعيات الاولية» تعين المنتخبين بنسبة واحد عن كل ٢٠٠ ناخب ويشترط فيهم أن يكونوا بالغين من السن ٢٥ سنة على الاقل. والمنتخبون هم الذين ينتخبون أعضاء الهيئتين التشريعتين فتنتخب كل مقاطعة عدد نوابها في الهيئتين بنسبة عدد سكانها

وقد قررت الجمعية الوطنية عرض الدستور الجديد على «الجمعيات الاولية» الانتخاب في جميع أرجاء فرنسا أى على مجموع الناخبين لاقاره أو رفضه حتى يكون الدستور معبرا تمام التعبير عن ارادة الامة مباشرة فأقرته الجمعيات في جميع الارحاء بالاجماع تقريبا وأعلنت نتيجة القرار في ٢٣ سبتمبر سنة ١٧٩٥

مذشآت الجمعية الوطنية

قامت الجمعية فضلا عن وضع الدستور بأعمال واصلاحات هامة في فرنسا . فن منشآتها التي تذكر لها بالاعجاب انشاء مدرسة الهندسة العالية ومدرسة اللغات الشرقية في باريس لتعليم العربية والتركية والتتارية والفارسية ومدرسة البحرية ومدرسة أركان الحرب ومدرسة المناجم ومدرسة تقويم البلدان ونظمت التعليم الصناعي والفنى وأنشأت معهد الموسيقى ومعهد الفنون والصنائع وعينت بجمع الآثار والصور التاريخية وشرعت في انشاء المجمع العلمى الذى تفخر به فرنسا الآن وشجعت الاخرعات العلمية بما كانت تقرره من المكافآت للعلماء الباحثين والمخترعين ووضعت النظام الجديد للمكايل والموازين

ومن أعمالها العظيمة انها بدأت في وضع القانون المدنى فاشترك في كتابة مواده أعظم رجال القانون من أعضائها واستغرقت المباحنة في أحكامه العامة وفي فصوله المهمة ستين جلسة وكانت تشتغل بذلك حتى في الاوقات العصيبة التى كان الوطن فيها مهددا من الخارج والداخل . وقد كانت همتها في وضع القوانين والأوامر واللوائح لانظير لها وحسبك دليلا على ذلك أن مجموع مآقررته منها في خلال الثلاث السنوات بلغ ١٣٠٠ قانون أو أمر

انتهاء جلسات الجمعية

انتهت جلسات الجمعية في ٢٦ اكتوبر سنة ١٧٩٥ في منتصف الساعة

الثالثة بعد الظهر. وختمت بانتهاء صحيفة مجيدة من تاريخ فرنسا. ذلك أنه بالرغم من حوادث الارهاب التي تخللت أعمالها فالتاريخ يذكر لها أنها هي التي حافظت على مبادئ الحرية والمساواة والاخاء التي قررتها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وهي التي حافظت على وحدة فرنسا وسلامتها فالعمل الذي قامت به أكبر وأعظم من العمل الذي تم على يد الجمعية الوطنية الأولى. ذلك أن الجمعية الأولى قررت مبادئ الثورة في وجه الملكية المضعضة هي وأنصارها. أما الجمعية الوطنية الكبرى فقد حافظت على تلك المبادئ في وجه أوروبا المتحاففة عليها وتغابت عليها بفضل ما بذلته من المجهودات العظيمة والاخلاص المتناهي. وكانت تبث في الشعب روح البطولة والنشاط فكان جنود الثورة يعقدون لبلادهم لواء النصر في كل مكان. ولولا الجمعية الوطنية ولجنة السلام العام لفشلت مبادئ الثورة الفرنسية ولكان مصير فرنسا في ذلك العهد كمصير بولونيا التي فقدت استقلالها ووحدتها في ذلك الحين أمام تحالف الروسي والنمسا وبروسيا. فيكفي الجمعية الوطنية فخراً أنها أنقذت فرنسا من أعظم الاخطار التي هددتها ووضعت دستوراً من أرقى الدساتير وأوفاهها أحكاماً. كل هذا فضلاً عن الاصلاحات والمنشآت العظيمة التي تمت على يدها



ولا يغيب عن البال أن الضعف الذي أصاب البلاد بسبب الصراع الطويل بين الجيرونديين واليعقوبيين على النحو الذي بيناه قد كان له أسوأ الأثر. فان الفتن والحروب الداخلية قد أضعفت الروح البرلمانية في الشعب

وجعلته يتطلع الى يد قوية تنقذه من الاضطرابات التي تعاقبت على البلاد فانتهم هذه الفرصة القانء الكثر المطامع « نابليون بونابرت » ومازال يرقب الحالة السنين الطوال ويمهد لنفسه الطريق بانتصاراته العظيمة فى ميادين القتال حتى تمكن من حل مجلس الخمسمائة فى ٩ نوفمبر سنة ١٧٩٩ وكان الشعب قد سئم النزاع ومل الاضطرابات فلم يعارض نابليون فى تحقيق مطامعه وتركه يتسهم غارب السلطة الى أن نادى به امبراطورا سنة ١٨٠٤ وهكذا بنى نابليون امبراطوريته على انقاض الحرية التى نالتها الامة من الثورة الفرنسية واستأثر بالسلطة بعد أن استولى عليها من بين المنازعات الحزبية والحروب الداخلية

(الرسالة الثالثة)

الجمعية الوطنية الفرنسية

سنة ١٨٤٨ - ١٨٤٩

مقدمات الجمعية

ثورة سنة ١٨٤٨

ان الجمعية الوطنية التي انعقدت في فرنسا سنة ١٨٤٨ كانت وليدة الثورة التي شبت في تلك السنة. لذلك يجب أن نقول كلمة عن تلك الثورة وكيف تأدت الى عقد الجمعية الوطنية

عادت الملكية الى فرنسا بعد سقوط نابليون سنة ١٨١٥ فتولى الملك لويس الثامن عشر ثم شارل العاشر. وسار هذا الاخير سيرة الملك المستبد فخامه الشعب في ثورة سنة ١٨٣٠ ونادى بلويس فيليب خلفا له فتولى الملك بارادة الامة فسار في مبدأ حكمه سيرة عادلة محترما ارادة الامة على انه مالبث ان قلب لها ظهر المجن وجنحت حكومته الى الاستبداد والعبث بحقوق الشعب . وقد كانت وزارة « جيزو » تتولى الحكم من سنة ١٨٤٠ فسعت في مجلس النواب لاتخاذ آلة في يدها يقرها على تصرفاتها وأعمالها المخالفة للقانون ولللمصلحة العامة

افساد النظام النيابي

اتبع « جيزو » طريقة معوجة يضمن بها خضوع مجلس النواب . وذلك أنه رشح كثيراً من موظفي الحكومة للانتخابات النيابية وكانت الحكومة تدفع لهم رواتبهم بعد الانتخاب فكانوا بطبيعة الحال ينحازون الى جانب الحكومة في اشكالاتها مع المجلس وقد زاد عددهم حتى بلغوا ١٨٤ موظفاً في المجلس وكانت الحكومة تستعمل نفوذها السياسي في الانتخابات لتحقيق انتخاب موظفيها وأنصارها في مجلس النواب . فهذا العدد الكبير من الموظفين كان يكفي لو ضمت الحكومة اليهم بضعة عشر نائباً آخرين لتضمن لنفسها الاغلبية في المجلس . وكانت الحكومة من جهة أخرى تفرى بعض النواب بالمنافع المادية لتضمن انحيازهم الى صفها وبهذه الوسائل غير الشريفة استطاعت الحكومة أن تفسد النظام النيابي وقد ضمنت بها الاغلبية في المجلس عدة سنوات

على أن الشعب لم يطق الصبر على هذه الطريقة المفسدة للاخلاق . وأخذ التذمر يشتد بين الطبقات المفكرة من ارباب هذه السياسة المنافية للذمة والفضيلة . على ان هذه السياسة التي استفادت منها الحكومة ردحا من الزمن كانت السبب لثورة سنة ١٨٤٨ التي ثل فيها عرش لويس فيليب وفضى فيها على الملكية في فرنسا قضاء نهائياً . وهكذا تنقلب الوسائل السياسية غير الشريفة على متبعيها وتعود عليهم بالوبال ولو بعد حين

حركة التذمر والاصلاح

كان في المجلس بعض أعضاء من ذوى النزعات الجمهورية فانضم اليهم

النواب المعارضون لهذه الاساليب المفسدة للنظام النيابي للقيام بحركة اصلاحية يقصد منها اصلاح هذا النظام بحيث يصبح المجلس ممثلا للامة تمثيلا صحيحا . وكان فى مقدمة هذه الحركة النواب الجمهوريون والنواب الاشتراكيون فى المجلس فاتحدوا واياها فى سنة ١٨٤٣ لانشاء جريدة كبرى تكون لسان حال المعارضة تدعى « الاصلاح » وكان قوام هذه الجريدة بعض مشهورى الاعضاء من رجال العلم والادب مثل « لويس بلان » المؤرخ الشهير صاحب المؤلفات العظيمة فى تاريخ الثورة الفرنسية وتاريخ حكم لويس فيليب الذى كان له أثر كبير فى اثاره الافكار على الملكية . و « لدورولان » المحامى الكبير والنائب الخطيب « جودفر كافنيك » القانونى الاديب الذى اشتهر بتمسكه بالمبادئ الجمهورية والذى كانت له يد فى ثورة سنة ١٨٣٠ وعين رئيسا لجمعية حقوق الانسان سنة ١٨٤٣ اعترافا بخدمه للمبادئ الحرة . والعالم المؤلف « اتين اراجو » و « فلوكون » الصحفى الجمهورى وغيرهم

كان شعار القائمين بالحركة أن البلاد لا يصح أن تحكم الا بحكومة ديموقراطية ترتكز على مبدأ سلطة الشعب ومصدر هذه السلطة الانتخاب العام

بدأوا حملتهم بالمطالبة باصلاح النظام البرلمانى وكان أول مطالبهم عدم جواز انتخاب الموظفين أعضاء بمجلس النواب وأن ينقص الشرط المالى للناخبين الى مئة فرنك يعنى من لديهم كفاءة علمية من هذا القيد . وكان قانون ١٩ ابريل سنة ١٨٣١ الذى كان معمولابه فى ذلك الحين ثقيلا وطأة القيود

الانتخابية ذلك أنه كان يشترط في الناخب دفع ٢٠٠ فرنك ضريبة سنوية فكانت دائرة الانتخاب في غاية الضيق وعلى أن مطالب الأحرار كانت غاية في الاعتدال فقد قابلتها وزارة جيزو بالجود والاعراض

حملة المآدب

وظلت الحكومة قوية وحركة الإصلاح ضعيفة الاثر حتى سنة ١٨٤٧ . ففي هذه السنة بدأت الحركة تقوى وتعضم وتنتسح دأرتها وتكسب الأعران والأنصار . وبدأت تتبع طريقة قوية في المطالبة بالإصلاح وذلك بإقامة مآدب كبيرة يدعى اليها رجال العلم والادب والسياسة وتلقى فيها الخطب السياسية لتأييد مطالب الأحرار . وقد سميت هذه الحركة « حملة المآدب » إشارة الى قوامها وأساسها . وقد انضم الى الحركة بعض أنصار الملكية الراغبين في اصلاح النظام البرلماني فقباهم الجمهوريون في صفوفهم على اختلافهم عنهم في الابداء السياسية وذلك توسيعا لحركة المعارضة أقيمت أول مأدبة في باريس يوم ١٠ يوليو سنة ١٨٤٧ ثم تعددت المآدب فيها وفي البلدان الأخرى وكان من أكبر خطباء هذه المآدب الشاعر المشهور « لامارتين ^(١) » الذي كان من كبار زعماء هذه الحركة وكانت

(١) هو الشاعر الكبير «الفونس دولامارتين» ولد بماكون سنة ١٧٩٠ وبعد ان اتم دراسته في كلية اليسوعيين خرج من بلده سائحا فتجول في ايطاليا وسويسرا وعاد الى فرنسا . بعد سقوط نابليون وانتظم في سلك الحرس ثم

بلاغته تتدفق في خطبه العظيمة فتثير الحماسة في النفوس . خطب مرة في مأدبة أقامها الأحرار في « ما كون » فختم خطبته بقوله « اذا كانت الملكية قد استطاعت أن تستعين بارستقراطية انتخابية بدلا من أن تركز على الشعب واذا كانت تسير الامة الى هوة الفساد الاخلاقي والرشوة فتلوث الامة بمخازيها وفضائحها . اذا كانت تستطيع أن تجعل من أفراد الامة مجموعة من طلاب المصالح المادية لم ينالوا حريتهم بفضل ما بذله آباؤهم وأجدادهم من الضحايا الا ليعضوا تلك الحرية في سوف المساومة ويبيعوها بأبخس الأثمان . اذا كانت نصل بفرنسا الى أن تتوارى

ترك الخدمة وتفرغ للشعر وفي سنة ١٨٢٠ وضع كتاب (تأملات الشعر الاولى) فاز شهرة كبيرة وارتفع الى مصاف فحول الشعراء ونشر بعده بثلاث سنين (التأملات الجديدة) ثم (موت سقراط) ثم (آخر غناء الحج) وفي سنة ١٨٢٩ ظهر مؤلفه (الانسجام الشعري والديني) وانتخب في السنة التالية عضوا في المجمع العلمي الفرنسي (الاكاديمية) وبعد ما ساح في الشرق انتخب عضوا في مجلس النواب فكان لشعره وبلاغته في الخطابة وسمو افكاره يد في ارتفاع منزلته في المجلس ثم وضع تباعا (رحلة الشرق) و (جوسلين) و (هبوط ملك) و (التفرغ للشعر) ووضع مؤلفا تاريخيا عظيم القيمة - سنة ١٨٤٦ وهو كتاب (الجيرونديين) فنال منزلة كبيرة ثم اصبح من رعماء ثورة سنة ١٨٤٨ وكان رز الحركة التي انتهت باعلان الجمهورية كما تراه مفصلا فيما يلي وصار عضوا في الحكومة المؤقتة ووزيرا للخارجية فيها ولما قلب لويس بوناپارت الجمهورية سنة ١٨٥٢ بعده الاستبداد نهائيا عن السياسة واشهر مؤلفاته بعد سنة ١٨٤٨ (المسارات) (وجنيفيف) و (جرازيل) و (دروس علوم الادب) وكانت أواخر ايامه بؤسا وفقرا ومات سنة ١٨٦٩ وهو معدود من اكبر الشعراء بلاغة ورقة وخيالا

خجلا من عيوب حكومتها . اذا كانت الملكية تفعل كل ذلك فستسقط هذه الملكية ! نعم تأكدوا أنها ستسقط ! أنها ستسقط لا في ثورة الدماء التي سفكت سنة ١٧٨٩ بل تسقط في الفخ الذي تنصبه للأمة . فكجارات فرنسا ثورة الدماء فسترون عن قريب ثورة السخط العام . ثورة الاحتقار والازدراء »

وقد اتسعت الحركة حتى أصبح بعض امراء العائلة المالكة يشاركون المعارضين في استيائهم من الحكومة على أن الحكومة كانت تشعر بأنها تقوى على مقاومة الحركة فظلت على جمودها أمام مطالب الاحرار . ولما بدأ مجاس النواب جلساته في يناير سنة ١٨٤٨ قامت مناقشة كبيرة حول نص الرد على خطاب الملك ولكن الحكومة تغلبت على المعارضة بعد أن صرحت بأنها لا تنزل عن خطها

مصادرة المآدب

فاستمر الاحرار في حملة المآدب . وأعدوا مأدبة في باريس ليوم ٢٢ فبراير . ولكن الحكومة منعت اقامتها وصادرت حرية الاجتماع مصادرة علانية . فاشتد الاستياء العام وتظاهر في ذلك اليوم بميدان الكونكورد جمهور عظيم جداً من العمال والطلبة منشدين نشيد المرسيز منادين « ليحي الاصلاح » ولكن لم يحدث في ذلك اليوم حوادث خطيرة وفي صباح اليوم التالى (٢٣ فبراير سنة ١٨٤٨) بدأت الحركة تدخل في دور الثورة . فأقيمت المتاريس في الاحياء الشرقية من المدينة حول

شوارع سان مارتان وسان دنيس فادركت الحكومة خطورة الحالة واستدعت جنود الحرس الوطنى ولكن فريقاً كبيراً منهم ابى حمل السلاح والاشتراك فى قمع الثورة. وسارت جماعات منهم فى الاحياء النائرة تنادى « ليسقط جيزو وليجى الاصلاح » ثم امتدت حركة الثورة الى غرب المدينة فرأى الملك أن لا سبيل الى مفاومة الحركة فرضى باستقالة وزارة « جيزو » ووعد بتأليف وزارة جديدة تؤيد مطالب الاحرار فكان هذا انتصارا لحزب الاصلاح واعتقد الناس ان الحركة لا تزيد على هذا الحد

اشتعال نار الثورة

ولكن فى مساء ٢٣ فبراير حدث حادث لم يكن فى الحسبان. ذلك ان جماعة من المتظاهرين مروا فى شارع الكابوسين أمام وزارة الخارجية التى كانت تحرسها الجنود وكان المتظاهرون ينادون بسقوط « جيزو » فأطلق مسدس من أحد الناس فأمر الجنود فاندفعوا باطلاق النار على المتظاهرين فسقط منهم ٢٣ قتيلا و ٣٠ جريحاً

فانفجر بركان الغضب العام بسبب هذه المذبحة وجاء الناس من كل صوب يرفعون جثث القتلى والجرحى وساروا بها فى شوارع المدينة كلها يطوفون بها على أنوار المشاعل الليل كله ينادون « لتجى الجمهورية »

كان هذا النداء بمثابة انفجار الروح الجديد ضد الملكية . ولم يعد يسكن الخواطر استقالة وزارة أو قيام وزارة أخرى. بل اتجه التيار ضد الملكية . ففى صباح ٢٤ فبراير امتلأت شوارع باريس كلها بالمتاريس

فأعلن الملك تكليف تيرس^(١) تأليف الوزارة وأعلن كذلك حل مجلس النواب

(١) تيرس هو السياسي المؤرخ الكبير الذي انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية سنة ١٨٧١ . ولد في مرسيليا سنة ١٧٩٧ وتعلم الحقوق في (اكس) واشتغل بالمحاماة سنة ١٨١٩ وانتقل الى باريس سنة ١٨٢١ واتصل بكبار رجال السياسة وكان على جانب عظيم من الكفاءة والذكاء فنال منزلة سامية وانضم الى المعارضة وكتب كثيرا في جريدة (الدستور) ثم وضع مؤلفه الشهير (تاريخ الثورة الفرنسية) في عشرة مجلدات واشتغل ثلاث سنوات في وضعه فنال الكتاب شهرة كبيرة في عالم التاريخ وهو اكبر حجة في تاريخ الثورة ثم انشأ جريدة (الناسيونال) سنة ١٨٣٠ وكان يحارب فيها استبداد حكومة شارل العاشر وبعد ان خلع الملك في ثورة سنة ١٨٣٠ وانتخب لويس فيليب ملكا كان لتيرس المقام الرفيع في عالم السياسة وانتخب نائبا في مجلس النواب ثم اسندت اليه وزارة الداخلية في عهد وزارة (سول) سنة ١٨٣٢ — ١٨٣٤ واطهر كفاءة كبيرة في ادارة الحكومة ولما سقطت وزارة «سول» بقي وزيرا للداخلية ثم الف الوزارة سنة ١٨٣٦ فكان رئيس الوزارة ووزير الخارجية ولكن وزارته لم تدم اكثر من شهرين . ثم الف الوزارة ثانية سنة ١٨٤٠ وحفظ لنفسه ايضا وزارة الخارجية واشتهر في اثنائها بشد أزr محمد علي باشا والى مصر في الازمة المصرية التركية وقاوم سياسة انجلترا والدول الاوروبية في هذه الازمة مقاومة شديدة كادت تؤدي الى اشتباك فرنسا في حرب اوروبية ولكن الملك لويس فيليب كان ميالا الى السلم فسقطت وزارة تيرس وخلفه منافسه (جيزو) وعاد تيرس الى صفوف المعارضة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٨ وفي ثورة سنة ١٨٤٨ كلفه لويس فيليب تأليف الوزارة ولكن الثورة انتهت بنخلع الملك واعلان الجمهورية فانتخب تيرس عضوا بالجمعية الوطنية في تلك السنة وكان فيها زعيم (حزب النظام) الذي كان يقاوم فوضى الاشتراكيين . وقد التقى القبض عليه في ديسمبر

الذى كان موضع استياء الرأى العام والدعوة الى انتخابات جديدة. ولكن هذه القرارات لم تقف تيار الثورة وحاصر الشعب سراى التويلرى حيث يسكن الملك فاضطر الى النزول عن العرش لحفيده « كونت باريس » وغادر السراى فى عربة مقفلة حتى لا يراه الناس . ودخل الشعب الثائر السراى وحطم العرش . وذهبت دوقه أورليان ومعها ابنا « كونت باريس » الى سراى مجلس النواب فنادى به النواب ملكا ولكن الجماهير هجمت على المجلس ونادت بسقوط الملكية . فاقترح النواب الجمهوريون تشكيل حكومة مؤقتة الى أن تدعى جمعية وطنية لوضع نظام الحكومة . واستولى الجمهور كذلك على سراى البلدية وأقام بها بعض زعماء الحزب الجمهورى وانضم زعماء الجمهوريين الذين كانوا فى مجلس النواب الى الزعماء الذين فى سراى المدينة وهناك تلاقى الجميع وأعلنوا الجمهورية بين هتاف الجمع المحتشدة من سكان باريس

هذه هى ثورة سنة ١٨٤٨ التى قضت على النظام الملكى فى فرنسا

سنة ١٨٥٢ حينما قلب لويس بونا بارت نظام الجمهورية وابتعد عن فرنسا مدة وجيزة ولما عاد اليها اعتزل السياسة وتفرغ لتأليف كتابه الشهر (تاريخ القنصلية والامبراطورية) فى تسعة عشر مجلدا وهو يتضمن تاريخ فرنسا فى عهد نابليون ويعتبر مكملا لتاريخ الثورة الفرنسية . ثم انتخب نائبا سنة ١٨٦٣ وكان من اكبر انصار الحرية وكان يعارض لويس بونا بارت فى سياسته وحذره وحذر مجلس النواب التورط فى حرب بروسيا سنة ١٨٧٠ فلم يلتفت الى نصيحته . ولما انتهت هذه الحرب بهزيمة فرنسا كما ستراه فى الرسالة الرابعة اتجهت الانظار الى تييرس لانقاذ البلاد من النكبة التى وقعت فيها . وتجد تفصيل ذلك فى الرسالة الرابعة . وكانت وفاته سنة ١٨٧٧ وهو معدود فى مقدمة رجال السياسة والعلم فى فرنسا

واهتزت لها العروش وتزعزعت بسببها أركان الملكية المطلقة في سائر
عواصم أوروبا

الدعوة الى انتخاب الجمعية الوطنية

تألفت الحكومة المؤقتة من أنصار الجمهورية وكان من أعضائها
«لامارتيز» الشاعر الكبير الذي يعده التاريخ عنوان الحكومة الجديدة
و«لدرورولان» و«كرميو» و«ماري» و«أراجو» و«لوبس بلان» و«فلوكون»
وانتقلوا يحيط بهم الشعب الى سراى البلدية وهناك أعلن «ليدرورولان»^(١)

(١) لدرورولان — ولد في باريس سنة ١٨٠٧ وهو ابن الدكتور لدرور
العضو باكاديمية الطب . تعلم الحقوق واشتغل بالمحاماة فنبغ فيها وانتخب
عضوا بمجلس النواب سنة ١٨٤١ وكان من اكبر زعماء حركة الإصلاح ولما
سبت ثورة سنة ١٨٤٨ كان من اكبر رجالها وفي يوم ٢٤ فبراير سنة ١٨٤٨
بعد تنزل لويس فيليب عن العرش كانت دوقه اورليان تسعى في حمل مجاس
النواب على المناذاة بابنها ملكا فعارض لدرورولان في هذه الحركة وطلب تشكيل
حكومة مؤقتة وايده النواب الجمهوريون وانتخب لدرورولان وزير للداخلية
في الحكومة المؤقتة ثم انتخب عضوا في الجمعية الوطنية سنة ١٨٤٨ وكان من
اعظم الاعضاء شأنا وارفهم صوتا ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية ولكنه فشل
وفاز قرنه لويس بونابارت كما سيجيء تفصيل ذلك وانتخب عضوا في الجمعية
التشريعية وكان خصما للويس بونابارت واستبداده وكانت له ميول الى
الاشتراكية فاتهم سنة ١٨٤٩ باثارة العمال وحكم عليه غيايبا بالسجن اذ كان قد
غادر فرنسا فاتصل في منفاه بمازيني الزعيم الوطني الايطالي واشتغل معه في تعميم
نظام الجمهورية ثم اتهم سنة ١٨٥٧ بالاشتراك في مؤامرة بلويس بونابارت وحكم
عليه بالسجن وعفى عنه سنة ١٨٧٠ وانتخب عضوا بالجمعية الوطنية التي انمقدت
عقب الحرب السبعينية ومات سنة ١٩٧٤ واقيم له تمثال في باريس بعد وفاته

تأليف الحكومة المؤقتة وأعلن أسماء أعضائها فقبل الاعلان بالهتاف العظيم وأصدرت الحكومة منشورا الى الامة - كتبه لامارتين - جاء فيه « ان الحكومة المؤقتة تريد الجمهورية وستدعى الامة الى اعلان ارادتها بيواسطة جمعية وطنية لها الرأى الأعلى »

أعلنت الحكومة المؤقتة حرية الصحافة وحرية الاجتماع. وأعلنت حق كل فرد أن ينتظم في سلك الحرس الوطنى. ودعت الامة بمقتضى دكريتو ٥ مارس سنة ١٨٤٨ الى انتخاب أعضاء الجمعية الوطنية على أساس الانتخاب العام على درجة واحدة بغير أى قيد مالى . وهذه أول مرة في فرنسا جرى فيها الانتخاب على هذه القاعدة المطلقة

فاهتم الجمهور اهتماماً عظيماً بأمر الانتخابات وبالشؤون السياسية عامة . وانتشرت الصحف والاندية السياسية . وازداد اقبال الناس على الانضمام في سلك الحرس الوطنى فزاد عدده من ٥٠ ألفاً الى مائتى الف . وبدأت الامة تشعر بنعمة الحرية والكرامة الوطنية . وأخذت الاندية السياسية تتنافس في ترشيح نواب الجمعية في باريس والاقاليم

تمت الانتخابات بنظام تام واسفرت عن انتخاب معظم النواب من المنادين بالجمهورية ونال الشاعر « لامارتين » اكثر الاصوات عدداً فانه حاز مليونين من الاصوات في باريس وفي تسع مقاطعات أخرى . على أن فريقاً من المرشحين الجمهوريين كان ينادى بالجمهورية بمجارات لتيار الشعب ولذلك لم يثبتوا على هذا المبدأ حتى النهاية وقلبوا لها ظهر المجن بعد أن نالوا بغيتهم من الانتخاب

الانقسام وعواقبه

كان كيان الجمهورية قويا لولا أن بدأ الانقسام يسرى اليه بسبب النزعة الاشتراكية التي مال اليها فريق من النواب وكان يؤيدها بعض أعضاء الحكومة المؤقتة .

كان هناك تياران يتنازعان الحكومة المؤقتة بفريق منهم كانوا جمهوريين بالمعنى السياسى للكلمة فكان برنامجهم مقصوداً على اصلاح النظام السياسى واقامة الجمهورية السياسية . والفريق الآخر كانوا يريدون اقامة الجمهورية الاجتماعية وذلك باحداث انقلاب اجتماعى يرفع أصحاب الايدى العاملة الى مرتبة شركاء اصحاب المال . كان الفريقان مختلفين في المبادئ وتجسم الاختلاف حتى انهم اختلفوا في راية الجمهورية الجديدة . فالفريق الاول كانوا يرون في العلم المثلث الالوان شعارهم وشعار فرنسا الوطنى والفريق الثانى كانوا يتخذون العلم الاحمر شعارهم وهو علم الثورة الاجتماعية

لم يكن النظام الجديد وهو في نشأته الاولى ليحتمل هذا الانقسام بن رجاله . ففقدت الجمهورية وحدتها ومصدر قوتها وانتهز خصومها السياسيون هذا الضعف الذى ولده الانقسام واستطاعوا أن يحاربوها بالدسائس والفتن فلم تقو على مقاومتها . ولم يكذبى ثلاثة أعوام على اعلانها حتى اسقطها لويس نابليون بونابارت بعد ان انتخب رئيسا لهذه الجمهورية

والحقيقة التي يذكرها التاريخ أن الانقسام بين أنصار الجمهورية كان من أكبر أسباب سقوطها وانحلالها

لا ينكر التاريخ أن العمال كانوا من أكبر أعوان الثورة التي نشبت في سنة ١٨٤٨ وأفضت الى سقوط الملكية الاستبدادية فقد كانوا هم والطبقة دعامة هذه الثورة ولعل هذه الصبغة هي التي حدت بالزعماء الاشتراكيين الى السعي في احداث الانقلاب الاجتماعي بعد أن تم الانقلاب السياسي . ولكن هؤلاء الزعماء تسرعوا في السعي لتحقيق مبادئهم لان الجمهورية السياسية لم تكن قد رسخت قواعدها حتى تحتل الانقسام في المقاصد والمناهج بين أعوانها وأنصارها . فتسرع الزعماء الاشتراكيين كان من العوامل التي أفضت الى ضعف الجمهورية وانحلالها

أرادت الحكومة المؤقتة بتأثير أعضائها الاشتراكيين ارضاء العمال فقررت انشاء « المصانع الاهلية » وهي مصانع تنشئها الحكومة وتضمن للعمال والصناع أن يجدوا فيها عملا . على أن هذه المصانع قد كلفت الحكومة نفقات باهظة دون أن تجني منها من الارباح ما يسد هذه النفقات . كان نظامها مختلا فاضطرت الحكومة الى تقرير زيادة الضرائب فتذمر الفلاحون من هذه الزيادة التي تنقل كاهلهم وابتدأوا يتبرمون بالعمال وبالجمهورية نفسها لما رأوها تنساق الى محاباتهم

انعقاد الجمعية الوطنية

اجتمعت الجمعية الوطنية في ٤ مايو سنة ١٨٤٨ وكان عدد أعضائها ٩٠٠ نائب منهم ثمانمائة من الجمهوريين أي ان لهم الاغلبية العظمى . وكان معظمهم

من الجمهوريين السياسيين لامن الاشتراكيين وحضر أعضاء الحكومة المؤقتة فأودعوا بين يديها السلطة التي تلقوها من الشعب . وبعد ذلك اقترح نواب مقاطعة السين اعلان الجمهورية رسميا فوافقت الجمعية بالاجماع على هذا الاقتراح واعلن الجميع الجمهورية^(١) في هذا اليوم المشهود وفي ١٠ مايو انتخبت الجمعية لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء وهم : «لامارتين» و«أراجو» و«جارنييه باجيس» و«مارى» و«لدور ورولان» لتكون في يدهم السلطة التنفيذية في البلاد الى ان يتم وضع الدستور . ولم يمثل الاشتراكيون في هذه اللجنة

فساء الاشتراكيين والعمال هذا الانتخاب ودبروا فتنة لاسقاط اللجنة ففي ١٥ مايو هجم جمهور عظيم منهم على سراى الجمعية الوطنية وأعلنوا انحلال الجمعية وتأييف حكومة مؤقتة اعضاءها من الاشتراكيين . على ان الحرس الوطنى جاء لنجدة الجمعية فقمع الفتنة وألقى القبض على زعمائها وقررت الحكومة الغاء «المصانع الاهلية» ودعت العمال الذين كانوا بها الى الانتظام فى سلك الجيش أو العمل فى احياء الاراضى الموات فى سولونيا

كان هذا العمل من الجمعية خاليا من الحكمة والتريث لان الغاء المصانع الاهلية دفعة واحدة بعد ان كانت تحوى أكثر من مائة الف عامل يجعل هذا الجيش عاطلا من العمل ناقما من الحكومة هذا العطل مستعداً

(١) هذه هى الجمهورية الفرنسية الثانية . والجمهورية الأولى هى التى اعلنت فى عصر الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٩٢ . والجمهورية الثالثة هى التى اعلنت سنة ١٨٧٠ وهى الباقية للآن

للانتفاض عليها. فثار العمال في ٢٤ يونيو وبدأت الحرب الاهلية في باريس فتداعت أركان الوحدة القومية

اضطرت الجمعية الى مقابلة هذه الثورة بقوة السلاح فوكلت الى الجنرال « كافيناك » وزير الحرية اخادها وخولته سلطة مطلقة في اعادة النظام الى نصابه واستقالت اللجنة التنفيذية لتطلق يد الجنرال في العمل أخذ الجنرال هذه الثورة وأعلن في باريس الاحكام العرفية التي استمرت الى آخر اكتوبر من تلك السنة وعاد جوا الاستبداد الى المدينة العظيمة واحتجبت كثير من الصحف . وكان من نتائج هذه الثورة ان باعدت بين الجمهورية وطبقة العمال خصوصا بعد ان عاملتهم بشيء من القسوة بعد اخاد الثورة

فمن ذلك انها نفت الى المستعمرات نحو أربعة آلاف عامل بدون محاکمة . وقد كان ذلك من أغلاطها السياسية لانها لو عاملتهم بشيء من الرحمة بعد اخاد الفتنة لما أوغرت صدورهم وجعلتهم حرا بعليلها وعلى الحكومة الجمهورية

دستور سنة ١٨٤٨

انتهت الجمعية الوطنية من وضع الدستور في نوفمبر وهو المعروف بدستور ٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ وأعلن في حفلة عامة يوم ١٢ نوفمبر فقرر المبادئ الآتية .

(أولا) اتخاذ الشكل الجمهورى للدولة

(ثانياً) تقرير حق الانتخاب العام المباشر « على درجة واحدة »

بعد أن كان مقيداً بقيود ثقيلة بحسب قانون سنة ١٨٣١ الذى كان يشترط

في الناخب أن يدفع ضريبة سنوية قدرها مائتا فرنك وأن يكون بالغاً من السن ٢٥ سنة ويشترط للعضوية دفع ضريبة خمسمئة فرنك. فأطلق الدستور الجديد الانتخابات من هذه القيود وبذلك زاد عدد الناخبين زيادة كبرى من ٢٤٠.٠٠٠ ناخب الى سبعة ملايين. فلم يشترط للانتخاب الا أن يكون الناخب فرنسياً بالغاً من السن ٢١ سنة

(ثالثاً) تكون السلطة التشريعية في يد مجلس واحد وهو « الجمعية الوطنية التشريعية » وينتخب أعضاؤها لمدة ثلاث سنوات ولا يشترط لعضويتها الا أن يكون العضو بالغاً من السن ٢٥ سنة والجمعية تنتخب أعضاء مجلس شورى الحكومة لتحضير القوانين

(رابعاً) السلطة التنفيذية في يد رئيس الجمهورية الذي تنتخبه الامة مباشرة بواسطة الانتخاب العام لمدة أربع سنوات ولا يجوز اعادة انتخابه والرئيس يعين وزراءه

عيب الدستور في انتخاب رئيس الجمهورية

كانت هذه القاعدة في انتخاب رئيس الجمهورية من غلطات الجمعية الوطنية سنة ١٨٤٨ . لان في جمل انتخاب الرئيس في يد الامة مباشرة زيادة لسلطته. المعنوية بجعله ندا للجمعية التشريعية لانه يمثل الامة كإمتثلها الجمعية سواء بسواء . ولقد كان هذا من العوامل التي أطمعت لويس نابليون بونابرت الذي انتخب رئيساً للجمهورية في أن يناوئ الجمعية التشريعية وقد فعل حتى تمكن من حلها والاستبداد بالامر كما سيجيء فيما يلي

وقد اقترح النائب « جول جريفي » ^(١) في الجمعية الوطنية أن تسند رئاسة السلطة التنفيذية الى رئيس مجلس الوزراء وأن يكون انتخاب الرئيس في يد الجمعية التشريعية حتى يشعر على الدوام بنفوذها الادبي وسلطانها واقترح أن يكون لها حق عزله ولكن هذا الاقتراح لم يصادف قبولا من الجمعية الوطنية . واقترح النائب « توريت » أن ينص في الدستور على عدم جواز انتخاب أحد أفراد الاسرات المالكة القديمة في فرنسا

(١) جول جريفي — رئيس الجمهورية الفرنسية سنة ١٨٧٩ — ولد سنة ١٨٠٧ واشتغل بالمحاماة في باريس وانتخب عضوا بالجمعية الوطنية سنة ١٨٤٨ بعد الثورة التي نشبت تلك السنة واشتهر بالبلاغة والشدة في المنطق وانتخب وكيلا لهذه الجمعية وكان من اشد الاعضاء تعلقا بالحرية السياسية يدل على ذلك اقتراحه المتقدم .

وانتخب عضوا في الجمعية التشريعية الوطنية سنة ١٨٤٩ وكان خصما لسياسة لويس نابليون بونابارت واحتج على جريمة ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٢ التي قلب فيها لويس نظام الجمهورية وقبض عليه في ذلك الحين وبعد الافراج عنه عاد للاشتغال بالمحاماة وانتخب نائبا ثم عضوا بالجمعية الوطنية التي انعقدت عقب الحرب السبعينية وانتخب رئيسا لها كما يراه القارئ مفصلا في الرسالة الرابعة . وبعد ان استقال تييرس من رئاسة الجمهورية كان جول جريفي خصما شديدا للدوق دي بروجلي وللرئيس ماكMahon . ثم انتخب سنة ١٨٧٦ نائبا فريسا لمجلس النواب وهو مركز لا يناله الا العظماء في فرنسا وبعد ان استقال المارشال ماكMahon من رئاسة الجمهورية انتخب خلفا له في ٣٠ يناير سنة ١٨٧٩ واعيد انتخابه في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٥ واستقال من الرئاسة سنة ١٨٨٧ ومات سنة ١٨٩١ وله خطب وكتابات وآراء عظيمة القيمة

رئيساً للجمهورية فرفض هذا الاقتراح أيضاً. وكانت حجة الرافضين جعل حق الأمة في انتخاب الرئيس عاما ومطلقا من كل قيد على أن هذا الإطلاق قد أضر بالجمهورية لأن سلطة الشعب قد أصبحت ممثلة في هيئتين مستقلتين وهما الجمعية التشريعية ورئيس الجمهورية فسلطة الهيئة التشريعية كانت موزعة بين سبعائة وخمسين نائبا من أحزاب مختلفة في حين أن رئاسة الجمهورية مركزة في يد شخص واحد يستمد سلطته من الأمة مباشرة وهو في الوقت نفسه رئيس الحكومة ورئيس الجيش وفي يده من السلطة الشرعية والفعالية ما يجعله قويا أمام الجمعية التشريعية. وقد فطنت الجمعية الوطنية التي انعقدت بعد حرب السبعين الى هذا الخطأ فجعلت انتخاب رئيس الجمهورية في يد أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ مجتمعين بصفة جمعية وطنية تجلى هذا الخطر حينما دعت الأمة الى انتخاب رئيس الجمهورية فان لويس نابليون بونابرت قد رشح نفسه للرئاسة مزاحما الجنرال «كافيناك» الذي كان مرشح الجمعية الوطنية والحكومة المؤقتة

المخداع الشعب

في لويس بونابرت

انهز لويس بونابرت فرصة الانقسام الذي وقع في صفوف أعوان الجمهورية بين الجمهوريين والاشتراكيين فتظاهر بتأييد العمال في مقاصدهم وكانت له صحف تؤيد دعواته وتلهج بمدحه وتذكر عنه مقاصده الحسنة وكان قبل أن تحدث ثورة سنة ١٨٤٨ يطمع في أن يستأثر بالسلطة وحديثه

نفسه المملوءة غروراً انه قادر على أن يعيد مجد عمه نابليون الكبير فاخذ يتحين الفرص ليتبوأ عرش فرنسا

وقد انخدع فيه الشعب بسبب ما كان يتظاهر به من الميول الحسنة والمقاصد الشريفة . والشعب في اثناء الانقلابات والثورات لا يمكنه دائماً أن يحص الامور أو يميزها بميزان التبصر والأناة بل كثيراً ما ينخدع في الحوادث والاشخاص ويتيه في بيداء الاوهام متخبطاً في دياجير الظلام فلويس نابليون بونابارت كان يتظاهر منذ أن حدثت ثورة سنة ١٨٤٨ وقبلها أنه نصير الجمهورية ومؤيد الحرية والمبادئ الديموقراطية . وبالرغم من أن أعضاء الحكومة المؤقتة كانوا يعرفون حقيقة ما انطوت عليه نفسه من النزعات الشخصية فانه استطاع بفضل أعوانه وأنصاره وصحفه أن يخلق له جوامن الشهرة . فنجح أولاً في انتخابات العضوية للجمعية الوطنية . وقد طعن « لامارين » في صحة انتخابه لعضوية الجمعية ولكن الجمعية كانت منساققة وراء الشهرة التي نالها فأقرت صحة انتخابه

ومن ذلك الحين أخذ يسعى في تحقيق اطماعه الشخصية . فكان لاعوانه يد في اثارة العمال في يونيو سنة ١٨٤٨ وكان يرمى بهذه الفتنة الى اضعاف هيبة الحكومة أمام الشعب ليتسنى له ان يظهر بمظهر الرئيس القادر على اعادة النظام فياتف حوله الناس وينظر اليه الشعب كمنقذ للبلاد من الفتن وقد خفيت هذه المقاصد الخبيثة عن أغلبية الأمة الفرنسية بالرغم مما وصلت اليه من الرقي والرفان لأن الجماهير في الاوقات العصيبة كثيراً ماتخطى في أحكامها وتقديرها للرجال . على ان الجماهير غير المفكرة لم تخطى وحدها في الثقة بلويس بونابارت بل انخدع فيه

معظم زعماء الاحزاب وقادة الرأى فى فرنسا وأحسنوا به الظن فأيدوه فى الانتخابات العامة التى جرت لرأسه الجمهورية . وقد ساعده فى نجاحه فى هذه الانتخابات انه يحمل اسم نابليون بونابرت الرجل العظيم الذى تمجد فرنسا ذكره فاجتمعت كل هذه الظروف ومهدت له طريق النجاح

نتيجة الانتخابات

فأسفرت الانتخابات التى تمت فى ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٨ عن انتخاب لويس بونابرت رئيساً للجمهورية بأغلبية ٥٥٤٣٤١٢٢٦ صوتاً ضد الجنرال كافيناك (مرشح الحكومة المؤقتة) الذى نال ١٥٢٩٨٦٠٠٠ صوتاً ولدرورولان الذى نال ٣٧٠٠٠٠٠ صوتاً ولامارتين الذى لم ينل سوى ٨٠٠٠ صوت

فكانت النتيجة أن رئيس الجمهورية كان فى الواقع خصماً للجمعية الوطنية ثم للجمعية التشريعية على أنه أقسم فى الجمعية الوطنية بين الأمانة للجمهورية والمحافظة على دستور البلاد فقد أخذ يتحين الفرص ليغتصب السلطة ويقاب نظام الحكومة ويستبد بالامر

وقد بدأت نزعاته الاستبدادية ومقاصده الحقيقية تنكشف بعد انتخابه رئيساً للجمهورية . فانه أخذ يعيث بقرارات الجمعية الوطنية ثم بالجمعية التشريعية التى انتخبت وفاقا لدستور ١٢ نوفمبر سنة ١٨٤٨ . وقد اقترح النائب الكبير « لدرورولان » فى الجمعية التشريعية محاكمة الرئيس لعبثه بالدستور لانه جرد حملة عسكرية لاسقاط الجمهورية الجديدة التى أعلنت حديثا فى روما وهذا العمل مخالف لنص المادة ٥ من الدستور التى

تقضى « بأن الجمهورية الفرنسية تحرم الجنسيات الأجنبية ولا تستخدم »
« البتة قواتها العسكرية ضد حرية أى شعب من الشعوب » ولكن
نفوذ لويس بونابرت فى الجمعية وفى البلاد كان قويا ففشل هذا الاقتراح

مساعى لويس بونابرت

فى قتل الجمهورية

اختار لويس بونابرت وزراءه من بطائنه فكانوا طوعا وراثة ورهن
اشارته . وأخذت الحكومة تحت تأثير الرئيس وبطائنه تعذب شينا
فشيئا بالصيغة الاستبدادية بعد ان ملأ الوظائف بأعداء الجمهورية
ونصراء الاستبداد

وتكرر الاعتداء على حرية الاجتماع وحرية الصحافة . فأدرك
المفكرون انهم أخطأوا فى الثقة بلويس بونابرت وانتخابه رئيسا للجمهورية
وبدأوا يشعرون ان الجمعية أصبحت اسما لا مسمى له وانهم صأرون الى
استبداد مخيف

وكان هو من جهته يعمل على قتل الجمهورية تمهيدا للمناداة بنفسه
« امبراطورا » فأخذ يتجول فى البلاد محاطا بالابهة والعظمة ويبقى الخطب
الرائنة معلنا فيها للشعب انه وكيله الأمين الساهر على سعادته العامل على
رفع شأنه . وكان يعرض الجنود فى غدواته وروحاته ويوعز اليهم بالهتاف
« ايحي الامبراطور » فكان هذا الهتاف يملأ الجو ويعتاد الناس سماعه
فيسرى الى القلوب وتقبله النفوس لكثرة ما يتردد فى الآذان

ولما شعر النواب أعضاء الجمعية التشريعية بمناورات الرئيس أدركوا ان خطر الاستبداد بات قريبا فبدأوا يناوئون الحكومة واستقالت الوزارة في يناير سنة ١٨٥١ . فلجأ لويس نابليون بونابارت الى الجمهور ليستعين به على الجمعية . فاستأنف جولاته وزياراته للبلاد وأخذ يخطب ويشكك الجمعية للشعب متهما اياها بأنها تغل يده عن العمل لمافيه صلاح الامة والوطن ! وانه مستعد لان يسير حسب ارادة الامة ! فكان بهذه الخطوة يمهّد السبيل ليقتل الجمعية بسلاح « ارادة الامة » تلك الارادة التي تتشكل في أيدي المستبدين كما تشاء أهواؤهم ومطامعهم فاستطاع لويس بونابرت بهذه الوسائل وبما كان ينفقه من الاموال الاستكثار من الانصار والاعوان ان يفوق مركزه أمام الجماهير ويضعف من نفوذ الجمعية الوطنية

يوم الحرب

وما زال يعمل على تحقيق أطماعه حتى تم له ما أراد في ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ ففي صباح هذا اليوم المشهود استيقظ الباريسيون واذا بالشوارع منشورة بها البلاغات المتضمنة قرار رئيس الجمهورية العاضى بحل الجمعية وحل مجلس شورى الحكومة واعلان الاحكام العرفية في باريس ودعوة الرئيس للامة الى ابداء رأيها بعد ذلك في هذا الانقلاب بواسطة الاستفتاء العام !

وقبل أن تنشر الحكومة هذه البلاغات مهدت السبل لارهاب الناس ليسلموا بالامر الواقع ففي ليلة ٢ سبتمبر سنة ١٨٥١ ألقت القبض على

٧٠ من الاحرار الذين خشى لويس بونا بارت ان ينظموا المقاومة في المدينة

القبض على زعماء الجمعية الوطنية

وقبضت أيضا على ستة عشر نائبا من كبار زعماء المعارضة في الجمعية. منهم «تيرس» والكيلولونل «شاراس» والجنرال «شانجارنييه» والجنرال «كافيناك» والمسيو «فالتين» والجنرال «لامورسيير» والجنرال «ليفلو» وغيرهم. ولم يكثر لويس بونا بارت بالقبض على اولئك العظماء بما كان لهم من المقام الرفيع وبما يقضى به الدستور من تقديس حرمة أشخاص النواب. على أن بعضهم كانوا من أشد أنصاره في أول عهده بالرأسة. فتيرس كان من أكبر المؤيدين له في انتخابات رأسة الجمهورية وهو العالم المؤرخ الكبير والسياسى الخطير الذى انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية بعد خلع بونا بارت عقب الحرب السبعينية (سنة ١٨٧١). والجنرال «شانجارنييه» كان قائد الحرس الوطنى وقومندان القوات العسكرية فى باريس. و«شاراس» كان من أكبر الفواد كفاءة وعلماء وله باع طويل فى المؤلفات الحرية وكان وكيلًا لوزارة الحرية سنة ١٨٤٨. وكافيناك هو الذى أخذ فتنة العمال وأنقذ الجمهورية من الفوضى فى سنة ١٨٤٨ وكان مرشح الجمعية الوطنية المؤسسة لرأسة الجمهورية والمنافس للويس بونا بارت فى الانتخابات والجنرال «لامورسيير» كان وزير الحرية فى الحكومة المؤقتة سنة ١٨٤٨ والمسيو فالتين كان من كبار العلماء فى الفنون الحرية وبلغت شهرته العملية انه بعد

ان نفي من فرنسا عقب حوادث ديسمبر سنة ١٨٥١ عين في إنجلترا استاذاً
للفنون الحربية في مدرسة « ولويتش »

وفضلاً عن القبض على أولئك الزعماء احتلت الجنود معظم الميادين
والشوارع في باريس ومعهم الأسلحة والمدافع فكان منظر المدينة في
صباح ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ يدعو للدهشة والرعبة

مقاومة النواب

وقرارات الجمعية الوطنية

على أنه بالرغم من وسائل الارهاب التي استخدمها لويس بونابرت
لإنجاح الانقلاب فقد اجتمع ستون نائباً من الاحرار في سراى الجمعية
الوطنية يوم ٢ ديسمبر لاعلان قرارهم للشعب . ولكن الجنود دخلت
قاعة الاجتماع وأخرجت النواب بالقوة واحتلت فناء الجمعية والشوارع
المؤدية لها وسلطت المدافع على مكان الاجتماع

واجتمع مائة نائب آخرون في منزل الكونت دارو وكيل الجمعية
الوطنية . وهناك تداولوا في اعتبار اجتماعهم اجتماعاً قانونياً وفي خلع لويس
بونابارت من رئاسة الجمهورية طبقاً للمادة ٦٨ من الدستور التي تنص على
« اعتبار رئيس الجمهورية مرتكباً للخيانة العظمى اذا حل الجمعية الوطنية »
« أو وضع العقبات أمام سلطتها الشرعية وبهذه الخيانة يعتبر رئيس الجمهورية »
« مخلوعاً وتنتقل السطة التنفيذية الى الجمعية الوطنية . وعلى المحكمة العليا »

« أن تمنع في الحال وتدعو هيئة المحلفين للانمقاد وتعين من يقوم »
« بوظيفة المدعى العمومي لمحاكمة الرئيس »

ولكن الحكومة لما علمت بالاجتماع أطبقت بجنودها على سراى الكونت فخرج النواب قبل أن يدخل الجنود وقصدوا الى مركز القسم العاشر من المدينة واتى القبض على الكونت « دارو » وحجز في منزله

قرار المحكمة العليا

وفي غضون ذلك اجتمع قضاة المحكمة العليا بناء على المادة ٢٨ المتقدمة لمحاكمة لويس بونا بارت في جاسة عانية وقررت المحكمة انتداب أحد قضاة محكمة النقض والابرار ليقوم بوظيفة المدعى العمومي لادامة الدعوى العمومية على لويس. ولكن الجنود دخلت قاعة الجلسة وأخرجت القضاة بالقوة من المحكمة. فاثبتت المحكمة الاعتداء واحتجاجها على هذا الاعتداء في محضر الجلسة فكان ذلك تسجيلا لقيام القضاة بالواجب الذي يفرضه عليهم الدستور

ثم تلاقى النواب المطرودون من سراى الكونت دارو بالنواب المطرودين من سراى الجمعية وساروا معا في الشوارع وقصدوا الى مركز القسم العاشر من المدينة وهناك اجتمعوا الساعة ١١ صباحا للمداولة في خلع رئيس الجمهورية. وكان عددهم نحو ٢٥٠ نائبا فاصدروا بالاجماع القرار الآتي:

« الجمعية الوطنية المنعقدة بجلاسة غير اعتيادية في مركز القسم العاشر »

« تطبيقاً للمادة ٦٨ من الدستور وناء على أن الجمعية قد منعت بالقوة من »
« القيام بمهمتها الوطنية قد قررت خلع لويس نابليون بونابارت من رئاسة »
« الجمهورية وانتقال الساطة التنفيذية الى الجمعية الوطنية . وعلى أبناء البلاد »
« أن يخضعوا طاعته وعلى قضاة المحكمة العليا أن يجتمعوا في الحال لمحكمة »
« رئيس الجمهورية وشركائه . وعلى موظفي الحكومة جميعاً أن يطيعوا »
« الأوامر الصادرة من الجمعية »

ولكن القوة الغشوم تغلبت على الحق فان لويس بونابارت ارسل جنوده المسلحين بالبنادق والمتراليوزات الى مركز القسم العاشر فانذر ضابط القوة النواب بالتفرق والا القى القبض عليهم جميعاً طبقاً للأوامر الصادرة اليه . فأبى النواب أن يتفرقوا وثبتوا في مراكزهم ثبات الابطال افسيقوا جميعاً الى السجن وهم يهتفون « انتحى الجمهورية ! » وكان عدد لمقبوض عليهم ٢٣٠ نائباً

لجنة المقاومة

على ان هذا الارهاب لم يثن عزيمة النواب الآخرين الذي لم يقبض عليهم والذين كانوا يبحثون عن اخوانهم ليجتمعوا معاً . فاجتمع ستون نائباً من حزب الشمال في منزل بشارع بلانشي ومعهم عدد كبير من الاحرار والصحفيين الجمهوريين . ولما علموا بالقرار الذي أصدره اخوانهم قرروا دعوة الامة الى حمل السلاح للدفاع عن الدستور تحت لواء النواب الجمهوريين . وكتبوا القرار ووقعه النواب المجتمون جميعاً فكان هذا القرار الصريح دعوة الى الثورة المسلحة ضد لويس بونابارت الذي كانت جنوده وأساحته

تملاً المدينة وكان في عمل النواب مخاطرة بأرواحهم دفاعاً عن الحق
الاعزل من السلاح

وأخذ النواب الستون يوالون الاجتماع والانتقال سران من منزل لآخر
مخافة ان يعرف مكان اجتماعهم فتحصره الجنود . وانتقلوا على هذه الطريقة
فيما بين ٢ و ٥ ديسمبر الى ٢٧ منزلاً مختلفاً . وأخذوا ينشرون البلاغات
للشعب لحثه على استمرار القتال بعد أن ألقى اللجنة من بينهم لتنظيم المقاومة
أعضاؤها هم :

« فيكتور هيجو » ^(١) الشاعر العظيم الذي كان خصماً لدوداً للويس

(١) فيكتور هيجو — هو أكبر شعراء الغرب قاطبة واسمه يغنى عن
التعريف . ولد في بيزانسون سنة ١٨٠٢ وهو ابن الجنرال هيجو فكان يرافقه أباه في
الاسفار والحروب أيام نابليون خصوصاً في إيطاليا وإسبانيا ولعل ما كان يشاهده
من آثار العرب في إسبانيا وآثار حضارة الرومان والمناسظر الطبيعية الرائعة في
إيطاليا قد قوى فيه ملكة الشعر . وبدأت قريحته تجود بالشعر وهو في الخامسة
عشرة من عمره وبدأ ينشر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٨٢٢ وهو المسمى
(اود - وبلاد) فادهش الناس بقوة خياله وروحه الشعرية ثم عظمت فيه صفات
الشعر وظهرت فيما نشره بعد ذلك في (الشرقيات) و (اوراق الخريف) و (اناشيد
الشفق) و (صوت الضمير) و (النور والظلمات) . ومن مشاهير رواياته
التمثيلية الخالدة (ايرناني) و (ماريون دولورم) و (الملك يلهو) و (روى بلاس)
و (البورجراف) . وكتب ايضاً من القصص (نوتردام دي باريس) و (ماري
تودور) و (انجيلو)

وقد انتخب عضواً في المجمع العلمي (الاكاديمي) سنة ١٨٤١ ثم خاض غمار
السياسة وصار بعد ثورة سنة ١٨٤٨ رئيس حزب الشمال الديمقراطي وخطبه

بونابارت يشهر باستبداده ويحمل عليه الحملات الكبيرة . وقد نفى في

الكبير وكان خصما لدودا لاستبداد لويس بونابارت ولما حدث انقلاب سنة ١٨٥١ وضعه لويس بونابارت في رأس قائمة المقبوض عليهم على انه غادر فرنسا دون ان يتمكنوا من القبض عليه ومكث ثمانية عشر عاما في منفاه فاقام أولا في بروكسل حيث وضع كتاب (نابليون الصغير) وكتاب (القصاص) سنة ١٨٥٣ وهما من ابلغ واشدد ما كتب ضد لويس بونابارت ثم انتقل الى جزيرة جرسى بفرنسى بالبحر وترا وكانت الحكومة الفرنسية تطارده في كل جهة وتطالب من الحكومات الأجنبية ابعاده

ثم وضع (التأملات) سنة ١٨٥٦ ثم (سير القرون) سنة ١٨٥٩ وهو أعظم ما خطه بنان الشاعر ضمنه تدرج الانسانية من قرن الى قرن وفي سنة ١٨٦٢ اخرج للناس كتابه المشهور « البؤساء » ثم (عمال البحر) سنة ١٨٦٦ ثم (الرجل الضاحك) ثم كتاب (سنة ٩٣) وفيه يصف الثورة الفرنسية الكبرى ولما سقطت الامبراطورية وخلع نابليون الثالث عاد الى فرنسا فوضع كتاب (السنة الرهيبة) سنة ١٨٧٢ وصف فيه فظائع الحرب السبعينية ونشر كتاب (تاريخ جريمة) الذي وضعه اثناء مقامه في بروكسل عن جريمة نابليون الثالث وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية التي انعقدت عقب الحرب السبعينية وكان من زعماء الحزب الجمهورى وامتاز من هذه الوجهة بالخطبة الادبية الشائقة ولكنه لم يكن من الوجهة السياسية بكفاءة زعماء الحزب السياسيين مثل تيرس او جامبتا . ووصل في شيخوخته الى اسمى مقام وحاز ثروة عظيمة ولما بلغ الثمانين احتفل به الشعب احتفالا عظيما وزينت له المدينة ووفد عليه المهنتون من كل صوب . وتوفي سنة ١٨٨٥ فلبست فرنسا عليه ثوب الحداد وفي سنة ١٩٠٢ احتفلوا بتذكاري مرور مائة سنة على مولده ومما يذكر عن منزله في الشعر

حوادث ديسمبر سنة ١٨٥١ وبقي ثمانية عشر عام في منفاه ينص الحرية في صحائف خالدة هي آيات بينات في البلاغة. وله في سيرة لويس بونا بارت كتاب « نابليون الصغير » و « تاريخ جريمة » وهما من أبلغ ما كتب في رثاء الحرية ومحاربة الاستبداد وبث روح اليقين في انتصار الحق على الباطل ولو بعد حين

و « كارنو » العالم والسياسي الكبير الذي كان وزيراً للمعارف في الحكومة المؤقتة سنة ١٨٤٨ وله أثر بين في اعداد مشاريع تعميم التعليم المجاني في فرنسا وهو والد سادي كارنو الذي انتخب رئيساً للجمهورية سنة ١٨٨٧ و « جول فافر » المحامي الكبير والنائب الشهير في الجمعية الوطنية . كان من أكبر أركان الحزب الجمهوري في فرنسا ونال مركزاً كبيراً في المحاماة فانتخب نقيباً للمحامين سنة ١٨٦٠ واختاره الشعب وكيلاً للحكومة المؤقتة ووزير الخارجية فيها بعد هزيمة فرنسا في الحرب السبعينية و « ميشل دي بورج » و « مونتاجو » و « شاشر » و « ليفلوت » من زعماء الحزب الجمهوري في الجمعية الوطنية

ان احدى المجالات الفرنسية كتبت سنة ١٩٠٨ الى مشاهير النوابغ في العلوم والآداب والفنون في جميع اقطار اوربا عن رأيهم فيمن يعدونه اكبرائمة الشعر والموسيقى والمعلوم وفن الروايات فانتخب باغلبية الاصوات فيكتور هيجو في الشعر وبتهوفن الألمانى في الموسيقى وباكون في العلوم وبلزاك في الرويات وقد اقيمت لفىكتور هيجو التماثيل وسميت باسمه الشوارع والميادين في كثير من انحاء فرنسا

هؤلاء هم الاقطاب الذين تألفت منهم لجنة المقاومة لتنظيم الثورة ضد
لويس بونابارت، فخطروا بحياتهم وأرواحهم مخاطرة نادرة المثال في تاريخ
الانقلاب والثورات

مقتل النائب بودان

وقد تطوع كثير من النواب للاشتراك في اقامة المتاريس في أنحاء
المدينة لمقاومة لويس بونابارت وكانوا يحنون الباريسييز على الثورة والمقاومة
ويعرضون أنفسهم في سبيل ذلك لاعظم الاخطار. وقتل أحدهم «النائب
بودان» في أحد المتاريس وهو يقاوم الجنود وكان لا يتجاوز من العمر ٣٣ سنة
ولكن المقاومة ضعفت ثم تلاشت أمام القوة المسلحة التي أعدها
لويس بونابارت لان لويس بما كان له من النفوذ القديم كان مستوثقا من
ولاء الجيش والبوليس له

وقد انتهت المقاومة بعد ان سفكت دماء المئات من الناس في الشوارع
والميادين والازقة فكانت هذه المذابح سلاح لويس نابليون في تثبيت
مركزه. وبعد أن أخذت ثورة المقاومة استمرت الحكومة في استخدام
سلاح الارهاب تمهيداً لاستفتاء الشعب. فقررت نفى ٨٠ نائباً من أعضاء
الجمعية الوطنية واخراجهم من الاراضى الفرنسية

وأعلنت الأحكام العرفية في ٣٢ مقاطعة من مقاطعات فرنسا وألقت
القبض على مائة ألف من الاهالى وناطت بلجان ادارية تسمى «اللجان
المختلطة» محاكمة هؤلاء المقبوض عليهم فحكم على ١٥٤٥ بالنفى و ٢٨٠٠
بالسجن و ٩٥٣٦ بالسجن في المنفى المعروف بلامبسا بالجزار و ٢٣٩ بالسجن
في «كاين» عاصمة مستعمرة الجويان في أمريكا

الاذعان للامر الواقع

وفي هذا الجو القاتل جو الارهاب والفرع جرى استفتاء الشعب في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٥١ فوافقت الأغلبية العظمى على « الأمر الواقع » الذي أرادته لويس بونا بارت وتقرر بأغلبية ٢١٦،٤٣٩،٧ صواتا مقابل ٦٥٠،٠٠٠ صوت وتتلخص قواعد النظام الذي تم فيه الاستفتاء فيما يلي (١) أن يكون لويس بونا بارت رئيساً للجمهورية لمدة عشر سنوات وله سلطة تنفيذية مطلقة

(٢) السلطة التشريعية في يد مجلسين مجلس النواب ويتألف من ٢٥٠ عضواً بالانتخاب ولكن لرئيس الجمهورية أن يختار مرشحين رسميين ومجلس الشيوخ ويتألف من ١٥٠ عضواً يعينهم الرئيس نفسه (٣) الوزراء ليسوا مسؤولين إلا أمام الرئيس والرئيس مسؤول أمام الشعب ولكن من غير وسيلة عملية لتحقيق هذه المسؤولية ومعنى هذا النظام أنه يجعل في يد لويس بونا بارت سلطة مطلقة لا حد لها

على أن لويس بونا بارت لم يقنع بهذا النظام بل حدثته نفسه بأن يلقب بالامبراطور فأخذ من جديد يتجول في البلاد ويستكثر من وسائل الابهة والعظمة . وأعد لنفسه عند عودته الى باريس يوم ١٦ اكتوبر سنة ١٨٥٢ استقبالا مهيبا فدخل عاصمة البلاد دخول الفاتحين واجتاز أهم شوارع المدينة العظيمة وهي مزدانة بأقواس النصر مكتوباً عليها « ليحيى الامبراطور ! الى نابليون الثالث منقذ المدينة الحديثة ! »

وتحت تأثير هذا الاستقبال الكبير استفتى الشعب في المناداة بلويس بوناپارت « امبراطوراً » فكانت نتيجة الاستفتاء (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٢) ان الشعب وافق على انشاء الامبراطورية والمناداة بلويس بوناپارت « امبراطورا » بأغلبية ٧٨٣٩٠٠٠ صوت تقابل ٢٥٣٠٠٠ صوت على أن السلطة التي اغتصبها لويس بوناپارت (الامبراطور نابليون الثالث) وحمل الامة على اعطائها الصبغة الشرعية قد عادت على البلاد بالوبال . فان سياسته قد أضعفت فرنسا وساقها من حرب الى أخرى الى أن تورطت في الحرب السبعينية التي انتهت سنة ١٨٧١ بهزيمة فرنسا وسقوط الامبراطورية

(الرسالة الرابعة)

الجمعية الى طنية الفرنسية

سنة ١٨٧١ - ١٨٧٥

مقدمات الجمعية

الحرب الفرنسية الالمانية سنة ١٨٧٠

كانت حرب السبعين سلسلة هزائم للجيش الفرنسية. وكان أنصار الجمهورية يعتقدون ان المسئول عن هذه الهزائم هو الحكومة الامبراطورية - حكومة نابليون الثالث - فأخذت الامة تتساءل هل يبقى النظام الامبراطورى بعد هذه الهزائم المتعاقبة أم تتداعى أركانه تحت تأثير المصائب والرزايا التى جرتها سياسته

وقعت كارثة « سيدان » فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٠ ووصل نبأها الرسمى الى باريس فى ٣ سبتمبر وعلم الجمهور بأن الامبراطور نابليون الثالث قد سلم سيفه وحيشه البالغ قدره ٨٢ الف مقاتل الى الالمان . فاهتزت باريس لهذه الفاجعة وأسرع كثير من النواب الى سراى المحاس ليطلبوا عقد جلسة مستعجلة فى مساء ذلك اليوم

انعقاد مجلس النواب

واقترح خلع نابليون الثالث

انعقدت الجلسة فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. فاعلن رئيس

الوزارة - الجنرال باليكو - ان الجيش الفرنسى قد سلم فى سيدان وان الامبراطور أسرفقوبل هذا النبأ بالسكوت الحزن وقدم « جول فافر » احد النواب الجمهوريين اقتراحا باسم حزب اليسار يقضى بالمناداة بخلع الامبرطور نابليون الثالث وسقوط حقه وحق أسرته فى العرش وتأليف حكومة للدفاع الوطنى. ثم تأجل المجلس الى الساعة ١٢ للنظر فى هذا الاقتراح فانهقد فى الميعاد (ظهر يوم ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠) واقترح رئيس الوزارة تأليف مجلس للوصاية والدفاع الوطنى وكان يرى بذلك الى اجتناب خلع الامبراطور. وقدم تييرس (الذى انتخب فيما بعد رئيسا للجمهورية) اقتراحا موقعا عليه من سبعة وأربعين نائبا من جميع الاحزاب طلب فيه تأليف مجلس لإدارة الحكومة وللدفاع الوطنى وانتخاب جمعية وطنية حينما تسمح الظروف بذلك

فعرضت الاقتراحات الثلاثة المتقدمة ثم رفعت الجلسة ليلبحثها الاعضاء وأعيدت فى الساعة الثانية بعد الظهر، وكانت الجماهير محتشدة حول المجلس فافتحمت الابواب ودخلت الى مكان الاجتماع منادية بالجمهورية وسقوط نابليون الثالث . وكاد حبل النظام يضطرب لولا أن « جامبتا ^(١) النائب

(١) جامبتا - من اكبر مؤسسى الجمهورية الفرنسية - ولد سنة ١٨٣٨ وكان والده من اصل ايطالى . درس الحقوق فى باريس واشتغل محاميا بها سنة ١٨٦٠ وانضم الى المعارضة ضد نابليون الثالث وكان شديد التعلق بالجمهورية ونال مركزا كبيرا فى المحاماة لمواهبه الخطابية وقدرته العلمية وانتخب نائبا سنة ١٨٦٩ وكان فى مجلس النواب على رأس المتطرفين ولما اعلنت الحرب السبعينية

الجمهورى الكبير دعا الشعب الى التمسك باهداب السكينة والنظام حرصاً على سلامة الوطن. وخطب فيهم رئيس المجلس وجامبتا وجول فافرطالين

وحلت الهزيمة بالجيش الفرنسى كان في مقدمة المنادين باعلان الجمهورية وانتخب وزيراً للداخلية في حكومة الدفاع الوطنى كما تراه مفصلاً فيما يلى

ر بعد ان انقرط عقد الجمعية الوطنية بعد وضع دستور سنة ١٨٧٥ انتخب جامبتا نائباً في مجلس النواب الجديد سنة ١٨٧٦ عن اربع مقاطعات وكانت شهرته الجمهورية قد عظمت فصار رئيس الاغلبية الجمهورية في المجلس ورئيس لجنة الميزانية وكان عماد المقاومة الجمهورية ضد المارشال ماكاهون رئيس الجمهورية المشهور بنزاعاته الملكية ولما حل المارشال مجلس النواب سنة ١٨٧٧ اعيد انتخاب جامبتا في مجلس النواب ونظم المقاومة ضد المارشال ماكاهون الى ان استقال من رئاسة الجمهورية سنة ١٨٧٩ وانتخب جول جرينى خلفاً له وانتخب جامبتا رئيساً لمجلس النواب وكان له تأثير كبير في الحياة البرلمانية فاتهمه بعض خصومه بأنه يسعى في ان يكون ديكتاتورا . والف الوزارة سنة ١٨٨١ فكان فيها رئيس المجلس ووزير الخارجية واشتهر في هذه الوزارة بمعارضته لانفراد إنجلترا بقمع الثورة العرابية وكان يتمسك بضرورة اشتراك فرنسا معها ولكن وزارته لم تدم بسبب تألب خصومه عليه فسقطت سنة ١٨٨٢ وعاد جامبتا نائباً واستأنف العمل في جريدة (الربوبليك فرانسيز) التى انشأها منذ سنة ١٨٧١ الى ان عاجلته المنية في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ فكانت لوفاته رنة اسف وحزن في جميع انحاء فرنسا وهو من اكبر خطباء فرنسا ومن اعظم رجالها السياسيين كفاءة ووطنية . واقيم له تمثال كبير في باريس في ميدان (كاروسيل) وقد الفت عدة كتب في تاريخ حياته آخرها كتاب (جامبتا) للمسيو بول دوشانيل رئيس الجمهورية السابق وضعه سنة ١٩١٩ حينما كان رئيساً للمجلس النواب

منهم المحافظة على النظام . ولما كان لا سبيل الى انعقاد الجلسة مع هجوم الجماهير على مكان الاجتماع نادى جامبتا مواطنيه بأن يذهبوا الى سراى البلدية (أوتيل ديفيل) لاعلان الجمهورية هناك . فذهب النواب الى تلك الدار يحيط بهم الشعب المتدفق من كل مكان ووصلوا الى مكان الاجتماع فى الساعة الرابعة بعد الظهر

اعلان الجمهورية

وهناك نادى الجميع باعلان الجمهورية فى ذلك اليوم التاريخى فاعتبرت الجمهورية الفرنسية الحالية قائمة من ذلك الحين (٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠) وألفت حكومة للدفاع الوطنى انتخبت من نواب باريس عدا « تيمرس » الذى اعتذر من قبول العضوية مؤثراً أن يبقى بعيداً لتنتفع البلاد فى المستقبل بمسعاها السياسى . وأسندت رئاسة الحكومة المؤقتة الى الجنرال « تروشو » حاكم باريس العسكرى ووزارة الداخلية الى جامبتا والحقانية الى « كريمو » والمعارف الى « جول سيمون » والمالية الى « أرنست بيكار » والخارجية الى « جول فافر » والحربية الى « الجنرال ايفلو » وكان اعلان الجمهورية بمثابة انحلال النظام الامبراطورى القديم بكافة هيئاته فاعتبر مجلس النواب منحلاً ابتداء من يوم ٤ سبتمبر

حكومة الدفاع الوطنى

نسamt حكومة الدفاع الوطنى زمام الحكم . وكانت البلاد فى حالة سيئة من الاضطراب والفرع الذى استولى على النفوس بسبب تقدم

الجيش الألمانية . فأخذت الحكومة الجديدة تنظم وسائل المقاومة والدفاع جهد الطاقة ورأت أن باريس مهددة بالحصار فقررت في ٩ سبتمبر انتقال هيئة من الحكومة الى « تور » ثم الى « بوردو » لتنظيم وسائل الدفاع في الاقاليم وعولت حكومة الافع على أن تدعو الأمة الى انتخابات جديدة لجمعية وطنية تقرر الشكل النهائي للدولة والحكومة ولكن حالة الحرب وتوغل الجيوش الألمانية في البلاد وانضمام معظم الرجال الى صفوف الجيش دعا الحكومة الى ارجاء الانتخابات

بذات الحكومة جهوداً عظيماً في سبيل الدفاع عن الوطن ولكن سبيل الجرش الألمانية كان يتدفق في البلاد حتى وصلت الى مقربة من باريس وابتداءً حصارها في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وظهرت علام الضعف في رجال الحكومة في « تور » في ٨ اكتوبر سافر جامبتا من باريس الى « تور » الى منطاد الانضمام الى لجنة الحكومة هناك فكان وجوده شديداً للعزائم وباعثاً على الأمل في استمرار الدفاع والحقيقة التي يذكرها التاريخ ان جامبتا كان عنوان المقاومة الوطنية في تلك الأوقات العصيبة

على أن سوء الحظ مع تلك المقاومة العظيمة لم يفارق فرنسا فقد سقطت أورايان فشانودان فتول فستراسبورج ففردون . ثم سقطت متر حصن فردا الحصين العظيم في الشرق وسلم فيها الجنرال بازين في ٢٧ اكتوبر وسلم معه ١٧٣.٠٠٠ جندي من خيرة الجنود الفرنسية

حصار باريس

واشتد الحصار على باريس ولاقى أهلها في خلاله الشدائد والاهوال وصبروا على الأذى صبر الكرام فقد ثبتت أمام الحصار أكثر من

أربعة أشهر واحتمل الناس فيها آلام الجوع والبرد القارس ونفدت المؤونة فلم يبق فيها من ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٧٠ أثر من لحم الضأن وأكل أهلها لحوم الخيل واضطروا الى الاكتفاء بأردأ أنواع الخبز المصنوع من الشعير أو الأرز أو التبغ . وأخيراً نفذ الزاد نفاداً تاماً من ١٣ يناير وكانت مدافع الالمان تطلق على المدينة ابتداء من ٢٧ ديسمبر فاجتمعت أهوال النار والجوع والبرد ولم تستطع تلك المدينة العظيمة الصبر على تلك الأهوال أكثر مما صبرت

عقد الهدنة

هنالك اضطر جول فاخر وزير الخارجية الى مفاوضة بسمارك في التسليم . وكانت مقابلتهما بفرساي يوم ٢٣ يناير سنة ١٨٧١ فتفاوضا ما وفي ٢٨ يناير وقعا عقد الهدنة وكان من شروطها ايقاف الدفاع عن باريس وايقاف القتال في سائر فرنسا وانتخاب جمعية وطنية تمثل الامة الفرنسية لتبث في مسألة الصلح أو الحرب . وحدد للهدنة ٢١ يوماً تستأنف بعدها الحرب اذا لم يتم الصلح

أرسلت الحكومة نبأ الهدنة الى هيئتها المندوبة في بوردواتن يذها ولا يقاف القتال والبدء في الانتخابات فاعترض جامبتا على هذه لهدنة ورأى أنها تحالف مبدأ الذي نادى به ورسمه لنفسه وهو المساومة الى النهاية ولكنه لم يشأ أن يحدث في البلاد فتنة فاستقال من الوزارة - تمسكا بمبدئه فكان في استقالته مثال الثبات على المبدأ والتمسك بالخطة انى يعتقد ان فيها مصلحة الوطن

الانتخابات للجمعية الوطنية

جرت الانتخابات العامة للجمعية الوطنية في ٨ فبراير سنة ١٨٧١ وكان برجرام المرشحين للانتخاب هو قبول شروط الصلح التي يئليها الالمان أو استمرار القتال فكانت الانتخابات هي الوسيلة الفعالة لاستفتاء الشعب في مصيره وكان الانتخاب عاما على درجة واحدة طبقا لنظام الانتخاب الذي وضعته الجمعية الوطنية عقب ثورة ١٨٤٨ . وهو قانون يجعل الانتخاب حرأعاماً مطلقاً من القيود وقد اختارته الحكومة المؤقتة لتجمل الانتخاب ممثلاً للامة تمثيلاً صحيحاً

اشترك في الانتخاب أهل المقاطعات التي احتلتها الجيوش الالمانية طبقا لشروط الهدنة وجرت الانتخابات بطريقة حرة واشترك فيها سكان الالزاس واللورين وهما الولايتان اللتان اشترط بسمارك ضمهما الى المانيا . وقد ظهر من نتيجة الانتخابات ان أغلبية الشعب تميل الى عفو الصالح ومما يذكر في هذا الصدد ان « تيرس » الذي كان يدعو الى وجوب الصلح انتخب في ست وعشرين مقاطعة فنال ثقة مليونين من الناخبين . وانتخب « جامبتا » وهو القائل باستمرار الحرب في عشر مقاطعات . وانتخب باريس ومعظم المدن نوابها من القائلين مع جامبتا باستمرار المقاومة

على انه مع اختلاف النواب في آرائهم من جهة الصلح أو الحرب فقد كانوا متحدى العواطف تربطهم جميعا روح الحزن والاسى على ما أصاب الوطن من النكبات . على ان الاغلبية كانت ترى فرنسا مضطرة لتضحية ولايتى الالزاس واللورين استبقاءً للوطن وتخلصاً من احتلال الاجنبى للبلاد بعد أن بذلت الامة آخر جهد في المقاومة

انعقاد الجمعية في بوردو

كان عدد النواب المنتخبين ٧٦٨ نائبا فذهبوا الى بوردو وهناك انعقدت الجمعية الوطنية لأول مرة في جلسة تمهيدية يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٧١ برأسة أكبر الاعضاء سنا وهو المسيو بنوادازى ثم عقدت أول جلسة رسمية لها يوم ١٣ فبراير وفيها أودعت حكومة الدفاع الوطنى الجمعية الوطنية سلطة الحكم التى كانت فى يدها . وفى ١٦ فبراير انتخبت المسيو جول جريفي رئيسا لها (وهو الذى انتخب رئيسا للجمهورية فى سنة ١٨٧٩)

وكان هذا الانتخاب بناء على ترشيح المسيو تيمرس فظهر من ذلك ان سياسته تيمرس وآراءه سترجح على سواها من الآراء

تصريح نواب الالزاس واللورين

عقدت الجمعية جاستين هامتين فى ١٧ و ١٩ فبراير فى الجلسة الاولى كان نواب الالزاس واللورين ومنهم « جامبتا » قد أعدوا تصريحاً وقعوا عليه جميعا وتلاه المسيو « كيلر » نائب مقاطعة الرين العليا ليكون بمثابة احتجاج على ماستقرره الجمعية اذا قبلت شروط الالمان وليكون اقتراحا تنظر فيه قبل ان تبحث شروط الصلح . وهذا التصريح هو .

« ان بلاد الالزاس واللورين تحتج علانية على كل تنازل يتناولها .
« وأن فرنسا لا تملك هذا التنازل . وأوروبا لا تملك التصديق عليه »
« ونحن نصرح من الآن بأن كل المعاهدات والاتفاقات والقرارات النيابية »

« التي تقضى بالتنازل عن ولايتي الازاس واللورين كلهما أو بعضهما »
« تعتبر باطلة وكأنها لم تكن . ونصرح الى الأبد بأن حق الازاسيين »
« واللورينيين في أن يبقوا جزءاً من الأمة الفرنسية حق مقدس لا سبيل »
« الى العبث به ونقسم بالاصالة عن أنفسنا وبالنيابة عن موكلينا ومواطنينا »
« وأبنائنا وأحفادنا أننا سنظل على الدوام متمسكين بذلك الحق نطالب »
« به ونعمل على استرداده بكل الوسائل في وجه كل المعتدين عليه »

كان لهذا التصريح تأثير كبير في نفوس النواب جميعاً حتى الذين يرون التسليم بشروط الالمان . فخشى تيرس أن تصدر الجمعية قراراً يحول دون مفاوضات الصلح . وقد كان مقتنعاً بضرورته . فقام يناشد الأعضاء أن يستعملوا الحكمة في قرارهم وقال « انى أشارك المسيو كيلر في عواطفه كلها ولكن يجب أن نعرف ماذا يعقب الأقوال وماذا نعهده من الأعمال ان المسألة تنحصر في أن يبدى كل منكم رأيه بشجاعة . فاما الحرب واما الصلح . فلنقل في الحال ما نراد وما نعتقده »

عرض الاقتراح على اللجنة المختصة بفحصه فقدمت صيغة القرار الذى تقررته الجمعية الوطنية وهو :

« ان الجمعية الوطنية تاقبت تصريح المسيو كيلر وزملائه بكل احترام وعطف وتكمل الامر الى حكمة المتفاوضين ووطنيتهم »

فكان في هذا الفرار ما يدل على رأى أغلبية النواب وميلهم الى ضرورة عقد الصلح مع المحافظة على الشعور الوطنى

انتخاب تيررس

رئيساً للسلطة التنفيذية

وانتخبت الجمعية في تلك الجلسة تيررس « رئيساً للسلطة التنفيذية »
(١٧ فبراير سنة ١٨٧١) فكان بمثابة رأس فرنسا وزعيمها الاكبر ومديرها
الحكيم في تلك الاوقات العصيبة وقد أعلنت الجمعية بهذا التعيين ارادتها
في جعل السلطة التنفيذية منفصلة عن السلطة التشريعية التي كانت لها
فطبقت قاعدة من أسس القواعد الدستورية وهي قاعدة فصل السلطات

الوثيقة التايخية

وفي اليوم التالي قدم حزب اليسار تصريحاً مكتوباً يتضمن :
« ان الجمعية الوطنية والامة الفرنسية بأسرها لا يمكن حقاً ما »
« في ان تجعل أى شخص من أهالى الازاس واللورين نابعا « لبروسيا »
ووقع على هذا التصريح كل من « فيكتور هيجو » الشاعر الكبير .
و « لويس بلان » العالم المؤرخ الخطيب و « وادجار كينييه » الكاتب المؤرخ
المشهور و « فيكتور شلشر » و « شارل فلوكيه » و « ادوار اسكروا »
و « الفونس بيرات » . و « سادى كارنو » (الذى انتخب رئيساً للجمهورية
سنة ١٨٨٧) . وادمون آدم (زوج مادام آدم وصديقة مصرونصيرة زعيم
الوطنية المرحوم مصطفى كامل باشا) و « هنرى بريسون » و « ارثر نك »
و « جورج كليمنسو »

وقد شاعت الاقدار أن تبقى هذه الوثيقة الوطنية الكبيرة في

سجلات مجلس النواب كستند يحفظ حق الوطن في المستقبل . ومات
المؤمنون عليها واحداً بعد آخر ولم يبق منهم سوى « جورج كلمنسو »
الذى كتب له أن يخرج تلك الوثيقة من حيز الخيال والامل الى حيز الحقيقة
الواقعة . فهو الذى تم على يده انتصار فرنسا فى الحرب الاخيرة وعلى
يده استرجعت الالزاس واللورين . ولقد كان يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨
هو اليوم التاريخى الذى رجعت فيه الالزاس واللورين الى فرنسا .
ففيه وقع الالمان شروط الهدنة بعد هزيمتهم فى الحرب الاخيرة . فى ذلك
اليوم حضر (كلمنسو) رئيس مجلس الوزراء الى مجلس النواب فى باريس
يحمل وثيقة الهدنة التى اضطر الالمان أن يوقعوها ومن أول شروطها
جلاء الجنود الالمانية عن الالزاس واللورين فى ذلك اليوم التاريخى تحق
الامل الذى كان يخفق به قلب كل فرنسى مدة ثمانى واربعين سنة .
فى ذلك اليوم حق لجورج كلمنسو ان يقول رافع الرأس فى خطبته : مجلس
النواب .

(باسم الشعب الفرنسى . باسم الحكومة . باسم الجمهورية الفرنسية
أرسل تحيات فرنسا الى الالزاس واللورين التى عادت الى حظيرة الوطن
المقدس)

جورج كليمنسو فى سنة ١٨٧١ قد مثل فرنسا الحزينة . فرنسا المتألمة
الاسيفة . وفى أكثر من أربعين عاماً كان يمثل فرنسا الواثقة بحقها المملوءة
أَمْلاً و يقيناً فى استرداد ما ضاع من بلادها . وفى سنة ١٩١٨ قد مثل أمام
التاريخ فرنسا المنتصرة وقد عادت اليها بلادها ورجع اليها أبناءها بعد جهاد
أربعين سنة

تأليف الوزارة

في يوم ١٩ فبراير سنة ١٨٧١ أعلن تيرس في الجمعية الوطنية تأليف الوزارة فألفها من مختلف الاحزاب توحيدا للكلمة في تلك الاوقات العصيبة . ومما قاله في هذا الصدد « ان السياسة الوحيدة التي يجب اتباعها في الوقت الحاضر تقضى بدعوة كل رجل شريف يقدر الواجب مهما كانت ميوله الجمهورية أو الملكية الى العمل لرفع شأن البلاد واعادة النظام والعمل في ربوعها يجب أن نتكاتف أولا لنأخذ بيد ذلك الجريح العظيم الشريف الذي يسمونه فرنسا ونهضه من كبوته . فاذا ما ضمدا جراحه وأعدنا اليه نشاطه فهناك يستطيع أن يرسم لنفسه طريق الحياة الى يختارها » ثم سافر الى باريس ليتفاوض مع بسمارك في شروط الصلح وسافر معه جول فاير وزير الخارجية ولجنة مؤلفة من خمسة عشر نائبا انتخبهم الجمعية الوطنية لمراقبة المفاوضات

المناقشة في معاهدة الصلح

في ٢١ فبراير سنة ١٨٧١ وقع تيرس المعاهدة التي تقضى بتنازل فرنسا عن الألزاس واللورين الشرقية وبأن تدفع غرامة قدرها خمسة ملايين فرنك وأن يبقى جزء من أرض فرنسا محتلا بالجنود الالمانية حتى تنفذ هذه الشروط وقدم تيرس الى الجمعية الوطنية شروط الصلح وتلا بنفسه والدموع ملء عينيه مقدمة القانون الذي طلب من الجمعية اصداره للتصديق على المعاهدة وهي « ان الجمعية الوطنية لا تضطر اراها الى احتمال

نتائج أعمال لم يكن لها دخل فيها تصدق على شروط الصالح « ثم تلا المواد الأخرى المسمى « برتامى سان هياير » وطالب من الجمعية اصدار قرارها بصفة مستعجلة

فاعترض بعض النواب على صفة الاستعجال قائلين ان الشروط المعروضة علينا مهينة ومنافية للشرف ولكن تيرس أظهر للجمعية الضرر من تأجيل المناقشة الى مابعد انتهاء مدة الهدنة فقررت الجمعية النظر فى المشروع بصفة مستعجلة وأحالته على لجنة لدرسه وقدمت فى اليوم التالى تقريرها بقبول الشروط

انعقدت الجمعية فى أول مارس سنة ١٨٧١ اتصدر قرارها النهائى فكانت هذه الجلسة جاسة تاريخية مثل ما كانت جلسة ١٧ فبراير التى انتخب فيها تيرس رئيساً للسلطة التنفيذية

حكم الجمعية

على نابليون الثالث

وهنا أراد أحد النواب الموالين للنظام الامبراطورى أن يدافع عن نابليون الثالث قائلاً « ان نابليون الثالث ما كان ليرضى بالتوقيع على مثل هذه المعاهدة الشائنة » فاهتزت، جوانب الجمعية بالاحتجاج من جميع النواب على هذا القول وطالب النواب أن نقترح الجمعية فى الحال على حرمان نابليون الثالث من حق العرش وذلك قبل أن تنظر فى شروط الصالح فاصدرت الجمعية باجماع الآراء ماعدا ستة القرار الآتى

« ان الجمعية الوطنية في الظروف المحزنة التي تحيط بالوطن تؤيد »
« ما أعلنته الامة من سقوط حق نابليون الثالث وأسرته في العرش »
« وتعتبره مسؤولاً عما حل بالبلاد من الغزو والانتقاص والخراب والدمار »
كان هذا القرار مؤيداً لسقوط حق نابليون الثالث . ذلك لان حقه

قد سقط بحكم ثورة ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ التي نادى فيها الشعب بسقوط
الامبراطورية و اعلان الجمهورية وبحكم الانتخاب العام للجمعية الوطنية
الذي تم في ٨ فبراير سنة ١٨٧١ فان هذا الانتخاب أسفر عن اختيار الامة
لنوابها من خصوم الامبراطورية فأعلنت بذلك قرارها القاضي بزاول
النظام الامبراطوري من فرنسا ولقد اعترض أحد انصار نابليون الثالث
على صدور ذلك القرار من الجمعية الوطنية قائلاً ان نابليون الثالث
انتخب امبراطوراً بعد استفتاء الشعب فلا يصح أن يسقط الا باستفتاء
الشعب نفسه استفتاءً عاماً . فرد عليه تيرس بقوله

« اننا لا شك نواب الامة نملك في يدنا سلطة الشعب بحق الانتخاب
الحر الذي تم في ٨ فبراير . أقول الانتخاب الحر لأنه منذ عشرين سنة
تم هذا الانتخاب لأول مرة بطريقة حرة وأمكن الامة أن تعبر عن
ارادتها بحرية تامة »

وبعد أن أصدرت الجمعية قرارها أخذت تنظر في المسألة الخطيرة
التي انعقدت للبت فيها وهي شروط الصلح . فكان من الخطباء الذين
اعترضوا على قبولها ادجار كينييه وفيكتور هيجو ولويس بلان وبرونيه
وكيار وغيرهم . وأيد المعاهدة فاشرو والجنرال شانجارنييه
وقام تيرس مرتين يدعو الى قبولها فكان لـ كلماته تأثير كبير في النواب

ومما قاله في هذا الصدد أنه احتمل أكبر الآلام في حياته بتوقيع شروط
الصاح بعد أن رأى استحالة المقاومة وطلب من نواب الأمة أن يشاركوه
في احتمال هذا الألم

قبول المعاهدة

ثم أخذت الأصوات فتقرر قبول المعاهدة بأغلبية ٥٤٦ صوتاً ضد
١٠٧ وامتنع ٢٣ نائباً عن اعطاء صوته

الاحتجاج التاريخي

على المعاهدة

وعندئذ قام المسيو جروجان نائب مقاطعة الين العليا وتلافى
وسط السكون المحزن الاحتجاج الآتي بالنيابة عن نواب الازاس
واللورين .

« قبل البدء في مفاوضات الصلح قدم نواب الازاس واللورين الى
الجمعية الوطنية تصريحاً يؤكدون فيه باسم تلك البلاد ارادتها النابتة وحقتها
في أن تبقى جزءاً من فرنسا

واليوم وقد قضت القوة الغشوم أن نسلم بلادنا الى الحكم الأجنبي
نرى أن علينا واجباً أخيراً يجب أن نقوم به
فنحن نصرح مرة أخرى أن كل عقد يتصرف في اقدارنا ومصيرنا
بدون رضانا وقبولنا هو عقد باطل لا قيمة له . فحقوقنا تبقى ثابتة وسنبقى
متمسكين بها عاملين على استرجاعها بالوسائل التي تعلمها علينا ضمائرنا .

وفي هذه الاونة التي نغادر فيها تلك الغدوة التي لا تسمح لنا كرامتنا بالبقاء فيها . في تلك اللحظة التي نحس فيها بوخزات الآلام . يتملكنا شعور واحد يجيش في أفئدتنا وهو عرفان الجميل لأولئك الذين لم يألوا جهداً في الدفاع عنا وعن بلادنا مدة ستة أشهر والتمسك باهداب الوطن الذي قضت القوة بفصلنا عنه

وسنبقى على الدوام ترممكم أبصارنا وتوجه اليكم أمانينا واثقين بالمستقبل ثقة تامة موقنين أن فرنسا ستجدد حياتها وتستأنف طريقها نحو المركز العظيم اللائق بها بين الأمم

وإذا كان اخوانكم أبناء الازلاس واللورين قد فصلتهم القوة عن عائلتهم فسيحفظون لفرنسا الغائبة عن ديارهم عواطف المحبة والاخلاص حتى يجيء اليوم الذي تعود فيه الى ربوعهم »

وبعد أن تلا المسيو جروجان هذا الاحتجاج التاريخي غادر هو وزملاؤه نواب الازلاس واللورين مكان الاجتماع تشيعهم أنظار النواب وأفئدتهم مملوءة أسفا وحزنا . واستقال جامبتا من عضوية الجمعية الوطنية باعتباره من نواب الازلاس واللورين واستقال معه فريق من النواب . وقد بقي احتجاج نواب الازلاس واللورين كصك مقدس تضمه قلوب الفرنسيين في مدى ثمانى وأربعين سنة .

ومن غرائب القدر أن الوثيقة الاصلية لهذا الاحتجاج المكتوبة بخط المسيو كيلر والمذيلة بامضاءات نواب الازلاس واللورين قد وصلت الى يد المسيو بول دشانيل رئيس الجمهورية السابق حينما كان رئيساً لمجلس النواب وأودعها سجلات المجلس في ٣٠ يونيو سنة ١٩١٩ بعد التوقيع على

معاهدة الصالح في فرساي أى بعد أن عادت الازاس واللورين الى فرنسا.
وهكذا تبقى الامم الحية قوية فى يقينها . قرية فى ايمانها. تحافظ على آمالها
الوطنية لاتزعزعها الاكوارث ولايؤثر فى عقيدتها مرور الزمان ولا تضعفها
طوارق الحدثان حتى يأتى اليوم الذى تتحقق فيه آمالها وتعود اليها حقوقها

وضع الدستور

عهد راسة تيرس

بعد ان انتهت الجمعية الوطنية من اقرار معاهدة الصلح كان أمامها مهمة
من أصعب المهمات السياسية وهى وضع الدستور واعداد تنظيم البلاد بعد
مأصباها من ويلات الحرب ورزاياها

كانت الاحوال السياسية نجيء بأن هذه المهمة سيعطول أمدها بسبب
ما خلفته الحرب من الاضطراب والفوضى فى البلاد وفى دوائر الحكومة
وبسبب اختلاف النزعات والمرايم السياسية بين أعضاء الجمعية الوطنية

الحزب الملكى فى الجمعية

فان الجمهورية وان كانت قد أعلنت بمقتضى ارادة الشعب فى ٤ سبتمبر
سنة ١٨٧٠ الا أنهم لم تكن مذهب معظم أعضاء الجمعية بل كان فريق كبير
منهم يكاد يمثل الاغلبية من أنصار اعادة الملكية فى فرنسا

صحيح ان أغلبية النواب كانوا ناقلين على الحكومة الامبراطورية
التي سقطت بارادة الشعب الا أن أنصار الملكية كانوا يرون ان فى اعادة
النظام الملكى فى فرنسا ما يكمل استتباب النظام فى داخل البلاد واسترجاعها

لهيئتها في الخارج فكانوا ينظرون الى الجمهورية كأنها نظام مؤقت وكانوا يؤملون أن تطرح مسألة شكل الدولة من جديد أثناء وضع الدستور فتبنت الجمعية الوطنية في الامر أما ببقاء النظام الجمهورى وأما باعادة الملكية

ولم يكن خافيا في ذلك العهد ان للملكية انصارا كثيرين في الجمعية يكونون الاغلبية فيها لان الانتخاب كان قد جرى على قاعدة إيقاف الحرب او الاستمرار فيها وكان معظم الملكيين من الفئتين بايقافها فنالوا في الانتخاب الاول معظم الكراسى وتبين من نتيجة الانتخاب ان الشعب وان كان مشربا بحب الجمهور الا ان معظم نوابه كانوا في ضمائرهم من انصار اعادة الملكية . على ان هذه النزعة لم تظهر في أول الامر بشكل خطير لان الجميع كانوا متفقين على وجوب انقاذ الوطن اولا من ويلات الحرب واعادة النظام في داخلية البلاد

انتقال الجمعية الى باريس

واضطراب الاحوال

قررت الجمعية الوطنية في بوردو الانتقال الى فرساي لتتم هناك مهمتها الكبرى ولم تضع وقتا طويلا في الانتقال فان آخر جلسة لها في بوردو كانت يوم ١١ مارس سنة ١٨٧١ وحددت أول جلسة لها في فرساي يوم ٢٠ مارس . اجتمع النواب في الميعاد المحدود وكانت باريس في حالة اضطراب وفزع بسبب ما ولدته الحرب من سوء الحال واشقاء والفوضى . وزادت الحالة تفاقما الثورة المعروفة بثورة الكومون وقوامها

هم جماعة من غلاة الاشتراكية انتهزوا فرصة الضعف الذي أصاب الحكومة بعد الحرب فاضرموا نار الثورة في باريس واستولوا فعلاً على معظم أحيائها وارتكبوا كثيراً من الفظائع وكادت سلطة الحكومة تتلاشى أمام هذه الثورة فكان أول عمل قرره أعضاء الجمعية الوطنية تأييد المسيو تيرس في مركزه وتناسى النزعات السياسية والاتحاد لنبيت قوة الحكومة وإعادة النظام

اتحاد فتنة الكومون

وقد ظهرت الجمعية في هذه الاوقات العصيبة مظهر الاتحاد وتمكنت الحكومة من قمع ثورة الكومون وإعادة النظام في المدينة واستعادت الحكومة سلطتها في باريس في ٢٤ مايو سنة ١٨٧١ وأعلن المسيو تيرس هذا الفوز الوطنى فى الجمعية الوطنية فقررت شكر الجنود وشكر الرئيس تيرس على خدمهم للوطن . فكان هذا الشكر الموجه للمسيو تيرس بصفته رئيس السلطة التنفيذية عنوان اتحاد النواب من جمهوريين وملكيين على تأييد الرئيس فى مركزه

مساعى الحزب الملكى

لاسقاط الجمهورية

على ان أنصار الملكية بدأوا بعد استتباب النظام يسعون فى غميد السبل لارجاع النظام الملكى . وكان موقفهم لا يخلو من الحرج لان

الواجب الوطنى كان يدعوهم الى تأييد الحكومة حتى تعود الى البلاد
نوتها وعظمتها وتوفى الغرامة الفادحة التى فرضتها عليها معاهدة الصلح
التي كان يتوقف على سدادها جلاء بقية الجنود الالمانية عن البلاد على
انهم مع ذلك كانوا يتحينون الفرص ويضمون صفوفهم انتظارا للحوادث
وكان الشعب من جهته يعرف هذه النزعات فى كثير من النواب فبدأ سوء
التفاهم يقع بين الشعب ونوابه

كفاءة الرئيس تيرس

وقد استطاع تيرس بحكمته وحسن سياسته ان يتلافى خطر الانقسام
فى الجمعية الوطنية بسبب تلك النزعات المملكية وكان يصرح على الدوام
بأنه مع اعتباره الجمهورية حكومة الشعب الشرعية فانه لا يحرم الحكومة
والبلاد خدم الا كفاء والمخلصين من أبنائها سواء أكانوا جمهوريين أم
ملكيين. وأسند فعلا بعض المناصب الكبيرة الى أشخاص معروفين
بنزعتهم المملكية

حملة الملكيين على الرئيس تيرس

بقيت الجمعية الوطنية حافظة للوحدة القومية نحو ستة أشهر ثم بدأ
النواب الملكيون يتظاهرون بمعاداة الجمهورية وبدأت حملتهم على الميسو
تيرس لأنهم كانوا يرونه أكبر دعامة للجمهورية فابتدأت الدسائس تعمل
فى داخل الجمعية توصلا الى اسقاطه وانتخاب رئيس للسلطة التنفيذية
ذى ميول للملكية

على ان الشعب كان يظهر استمساكه بالجمهورية . ففي الانتخابات التكميلية للمراكز الخالية في الجمعية كان معظم المنتخبين من الجمهوريين ومما يذكّر في هذا الصدد ان جامبوتا انتخب نائبا في انتخابات ٢ يوليو سنة ١٨٧١ وهو المشهور بالنظر في المبادئ الجمهورية وانتخب معه كثيرون من الجمهوريين المنظرين مما قوى جانب الحزب الجمهوري في الجمعية

وكان من مظاهر تأييد الجمهورية في الجمعية قبولها اقتراح الميسو ريفيه القاضي بتسمية الميسو تيرس «رئيسا للجمهورية» بعد أن كان رئيسا للسلطة التنفيذية وجعل رأسته قائمة مادامت الجمعية الوطنية منعقدة مع جعله هو والوزراء مسئولين أمام الجمعية. صدر هذا الفرار في ٣١ أغسطس سنة ١٨٧١ وكان قرارا عظيم الشأن لان تصديق الجمعية الوطنية على هذه التسمية هو بمثابة تصريح للجمهورية . على ان هذا الاقتراح رغم تقريره لم ينزع من نفوس الملكيين أملهم في إعادة الملكية واعدوا معداتهم الى ما بعد انتهاء اجازة الجمعية

استئناف جلسات الجمعية

استأنفت الجمعية جلساتها في ٧ ديسمبر سنة ١٨٧١ فألقى الميسو تيرس رئيس الجمهورية خطابا عظيم الشأن أظهر فيه ما بذلته الحكومة في سبيل دفع الغرامة وتحرير البلاد من الاحتلال الألماني حتى لم يبق الا ست مقاطعات محتلة وما قامت به لتنظيم الشؤون المعتلة ثم ذكر النواب بأن البلاد تنتظر منهم أن يقوموا بالمهمة التي أخذوا على عاتقهم القيام بها

وهي وضع الدستور وطاب منهم أن يتناسوا التحزبات ويعملوا يداً واحدة
ناظرين الى مصالحة الوطن

دسائس الملكيين .

على أن فكرة التعصب الحزبي كانت قد اختمرت في الأذهان فمرقات
كثيراً من أعمال الجمعية . وكان ذلك من أهم أسباب تعطيل وضع الدستور
لأن الملكيين كانوا لا يألون جهداً في تدبير الدسائس لمحاربة الجمهورية
ووقفوا بالمرصاد للمسيو تيرس يعملون على اسقاطه ومعارضته في مشروعاته
فلما رأى منهم هذا التآمر قدم استقالته في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٢ وأرسلها
الى رئيس الجمعية الوطنية

على أن خدم تيرس للوطن كانت لا تنكر ولا ينازع فيها أحد من
الجمهوريين أو الملكيين فكان لتقديم الاستقالة هزة أسف في الجمعية وفي
البلاد بأسرها ولم يسع الجمعية الا أن قررت رفض قبول استقالته وأثبتت
في قرارها أنها تضع ثقتها في وطنية المسيو تيرس

قوة الحزب الجمهوري

استعاد تيرس مركزه وقبل طاب الجمعية الوطنية وأخذت الجمعية
تستأنف عملها فاشتغلت بمسألة تنظيم الجيش بعد ما أصابه من التفتت
والضعف في عهد الامبراطورية وكان الحزب الجمهوري يعمل خارج الجمعية
في نشر مبادئه ليرتكز على قوة الشعب . وكان جامبتا يمثل العنصر المتطرف
من أنصار الجمعية فأنشأوا منذ نوفمبر سنة ١٨٧١ جريدة الجمهورية الفرنسية

«الربوبليك فرانسيز» لتكون لسان حالهم وأنشأ فريق آخر من الجمهوريين جريدة « القرن التاسع عشر » التي كانت تمثل طائفة العلماء والادباء فكان للجریدتين أثر كبير في اقبال الجماهير على اعتناق مبادئ الجمهورية وتسابق الكتاب والعلماء الى التحرير فيها

وأخذ مركز الجمعية الوطنية يتضاءل في نظر الشعب لما كان يبدو من حزب الملكيين فيها من العمل المتواصل على اعادة الملكية حتى أخذ بعض النواب الجمهوريين ومنهم جامبتا ينادون علناً بضرورة حل الجمعية سعى الملكيون في ابعاد المسمو تيرس عن الجمعية وكان وهو رئيس الجمهورية يحضر جلساتها باعتباره رئيساً للدولة وباعتباره أيضاً نائباً في الجمعية لأنه لم يتنزل عن مركز النيابة بل كان ضنيناً به حريصاً عليه . فكان يناقش ويخطب وكان لكلامه وشخصيته المحترمة أثر فعال في مناقشات الجمعية وقراراتها . فاقترحوا الا يحضر رئيس الجمهورية جلسات الجمعية لأنه باعتباره رئيس الدولة يجب أن يكون بعيداً عن مناقشات الجمعية وأن يكلفها الى وزرائه ليتحملوا عنه تبعه الحكومة . على أن تيرس عارض في هذا الاقتراح أشد المعارضة لأنه كان يرى في حضوره الجمعية قوة كبيرة تؤيد مركزه وتحبط دسائس خصومه الملكيين

قانون ١٣ مارس سنة ١٨٧٣

على ان الجمعية قررت حلا وسطا في هذا النزاع فوضعت قانون ١٣ مارس سنة ١٨٧٣ وهو يقضى (مادة ١) بأن رئيس الجمهورية يتصل مبدئياً بالجمعية بواسطة « رسائل » يتلوها أحد الوزراء في الجمعية الا الرسائل

التي يفتتح بها رئيس الجمهورية دور الانعقاد السنوى فإنه يتلوها بنفسه على انه يجوز له بناء على طلبه أن يحضر الجمعية اثناء المناقشة فى القوانين بعد ان يخطر الجمعية برأى الة يعان فيها عزمه على الحضور . وعلى الجمعية فى هذه الحالة ان توقف المناقشة الى أن يحضر رئيس الجمهورية ويبدى اراءه وملاحظاته . ولكن لا تحصل المناقشة فيما يقول بحضوره بل ترفع الجلسة وتستأنف الجمعية المناقشة فى جاسة أخرى فى غيبة الرئيس .

وقضى هذا القانون بأن استجواب الجمعية للحكومة فى شؤون سياستها يكون فى وجه الوزراء الا اذا كانت المناقشة خاصة بالسياسة الخارجية فللرئيس أن يحضر الجمعية ويتكلم فيها وكذلك اذا رأى مجلس الوزراء ان المناقشة لها علاقة بسياسة الحكومة العامة وفى هاتين الحالتين لا تحصل المناقشة بعد سماع أقوال الرئيس الا بعد رفع الجلسة على النحو المتقدم فى المادة الاولى

ولاشك ان هذه قيود وضعت بقصد مضايقة الرئيس تيرس وتحديد نفوذه الادبى فى الجمعية . وقد قررت الجمعية فى هذا القانون (مادة ٥) ان تبقى منعقدة الى ان تبت فى المسائل الآتية التى يتكون منها الدستور (١) تنظيم السلطين التشريعية والتنفيذية (٢) وضع نظام مجلس الشيوخ (٣) من قانون الانتخاب

وطلبت من الحكومة أن تعرض عليها مشروعات القوانين الخاصة بهذه المسائل فأسرع الميسو تيرس الى اجابة طلباتها واودع فى ١٩ مايو سنة ١٨٧٣ بواسطة الوزير ديفور مشروع الدستور مؤلفا من خمس عشرة مادة ومقرراً لنظام الجمهورية فى فرنسا فدهشت أغلبية الجمعية من اسراع

الرئيس تيرس الى تقديم هذا المشروع الذى يثبت الجمهورية تثبيتاً نهائياً اذا
نقررت مواده . فأخذت تدس الدسائس لاسقاط تيرس من الرئاسة
تخلصاً من المشروع الذى يقضى على آمالهم فى عودة الملكية

استقالة رئيس الجمعية

وكان من نتائج الانقسام الذى بدأ فى الجمعية ان دخلت المناقشات
بين الأعضاء فى دور المهارة وكان الملكيون لا يحافظون على نظام الجلسات
ولا يصدعون لأوامر رئيس الجمعية المسيو جول جريفى الذى كان جمهورياً
صمياً . فحدث فى احدى الجلسات أن اضطرب حبل النظام وحاول
المسيو جريفى عبثاً أن يعيده ورأى من تمرد الاعضاء الملكيين ما جعله
مقتنعاً بأنه لا سبيل الى بقاءه فى كرسى الرئاسة فقدم استقالته منها . ثم
اعيد انتخابه ولكنه اعتذر من قبول الرئاسة واصر على استقالته فانتخبت
الجمعية المسيو بوفيه رئيساً وهو من أنصار النظام الملكى فعد ذلك فوزاً
للملكيين فى الجمعية وكانما انتخبوه رئيساً ليحاربوا به المسيو تيرس

استقالة تيرس

ورئاسة مكاهون

يظهر أن هذا الفوز قد شجع الملكيين على الاستمرار على خطهم
صند الحكومة الجمهورية وعبثاً سعى المسيو تيرس فى أن يختار الوزراء من
سائر الاحزاب ليجمع كلمتهم فان الملكيين كانوا مصممين على التخلص
من رئاسة تيرس وقد تم لهم ذلك فى ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ فبدأت حملة

الملكيين على الحكومة وكان زعيم الحملة الدوق دي بروجلي وهو من اكبر دعائم الملكية في فرنسا فأخذ الخطباء ينحون بالألعة على الحكومة ويتهمونها بالميل الى العنصر المتعارف من الجمهوريين وانتهت المناقشة بقرار من الجمعية بلوم الحكومة على ان التعيينات الوزارية الاخيرة لا تتفق مع بقاء الصبغة المحافظة للجمهورية . فرأى المسيو تيرس ان هذا الفرار معناه عدم الثقة بسياسته فقدم استقالته من رئاسة الجمهورية في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ ورفع هذه الاستقالة الى الجمعية الوطنية

وقد كان في استطاعة تيرس ألا يستفيل من الرئاسة لان قانون ٣١ أغسطس سنة ١٨٧١ يقضى ببفائه في الرئاسة الى أن ينفرط عقد الجمعية ولكن لما كان هذا القانون قرر جعله مسؤولاً عن سياسته أمام الجمعية نفسها ففد رأى من المحافظة على المبادئ الدستورية أن يعتبر التبعة منتجة لاستفائه اذا لم تحز سياسته ثقة الاغلبية فبرهن بذلك على علو نفسه ورغبته الصادقة في تدعيم الحياة السياسية الجمهورية على أسمى المبادئ الدستورية

ولما قدم استقالته قبلته الجمعية وانتخبت في اليوم نفسه المارشال ماركاهون رئيساً للجمهورية

نفوذ الملكيين

في الجمعية والحكومة

عد الملكيون استقالة تيرس وانتخاب ماركاهون رئيساً للجمهورية فوزاً كبيراً لهم لان المارشال ماركاهون وان كان قد أخذ على نفسه عهداً

في منشور أذاعه في البلاد أن يحترم نظام الجمهورية الا ان المشهور عنه انه كان ميالا للملكية فضلا عن انه كان مرشح الملكيين للرئاسة . والمعروف عن زوجة المارشال انها كانت لاتكتم عواطفها نحو الملكية وأنصارها في فرنسا . فكانت في أحاديثها ومجتمعاتها تقرب الملكيين وزعماءهم وتعاضدهم في مساعيهم وأعمالهم فلا غرو ان اعتبر أنصار الجمهورية استقالة تيرس وانتخاب ماكMahon ضربة كبرى صوبتها الجمعية الوطنية الى الجمهورية الجديدة

وكان من آثار هذا التغيير أن الوزارة التي اختارها ماكMahon كانت تمثل العنصر الملكي وعلى رأسها الدوق دي بروجلي أكبر زعماء الملكيين في فرنسا . ومن ذلك الحين أصطبغت الجمعية الوطنية والحكومة بصبغة العداء للمبادئ والنظم الجمهورية . وتفاقم سوء التفاهم بين الجمعية والشعب لأن الشعب كان في مجموعه متشبعا بالنظام الجمهوري لا يرضى منه بدلا فازداد مركز الجمعية حرجا لأن أعضاءها الملكيين - وان كانوا يؤلفون الأغلبية - وجدوا أنفسهم أمام عقبات لاتذلل فمن ذلك أن الجمعية نفسها بانتخاب المارشال ماكMahon « رئيسا للجمهورية » قد أقرت النظام الجمهوري من جديد رغم ميولها الملكية . والمارشال نفسه في منشوره الرسمي تعهد باحترام النظام الجمهوري

ومن جهة أخرى فان الملكيين كانوا فيما بينهم مختلفين فيمن يرشحونه ملكا اذا استطاعوا ان يقلبوا نظام الجمهورية . ففريق منهم كان ميالا لبית « اورليان » وفريق آخر كان يعيل الى سلالة « البوربون » ملوك فرنسا الاقدمين وفريق آخر كان يعيل الى ترشيح أمير من سلالة بوناپارت

يقظة الشعب وفشل الحزب المالكى

وفضلاً عن ذلك فإن حزب الشمال فى الجمعية وأنصاره فى الخارج كانوا واقفين بالمرصاد لكل مناورات المالكين وكانوا يسهرون على الجمهورية كما يسهر أبناء الوطن على سلامته . وكان الرأى العام فى فرنسا معارضاً ومعادياً لعودة الملكية بأى شكل كان

ومع ان تيمرس كان قد استقال من رئاسة الجمهورية الا انه حافظ على شخصيته المحترمة فى نفوس الشعب فظل من أكبر دعائم الجمهورية وأقوى أنصارها . فكانت قوة الشعب ويقظة رجاله كفتاتين باحباط مناورات المالكين ومساعدتهم

انتهت جلسات دور الانعقاد السنوى للجمعية فى اغسطس فأخذ المالكيون فى فترة الاجازة البرلمانية (من اغسطس الى نوفمبر سنة ١٨٧٣) يسعون سعياً متواصلاً فى تدبير مؤامرتهم لعاب الجمهورية . ولكن مساعدتهم لم تكمل بالنجاح لأن المفاوضات التى دارت أثناء العطلة بين زعماء المالكين والكونت شامبور الذى اتفقوا على ترشيحه للملكية قد فشلت لأن الكونت اشترط لقبوله العرش شروطاً لم تقرها أغلبية المالكين ففضى على مؤامرتهم بالفشل والخيبة

ولما عادت الجمعية للانعقاد فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٣ قررت بعد جدال كبير جعل مدة رئاسة المارشال ماكماهون سبع سنوات وتأليف لجنة من ثلاثين عضواً لبحث القوانين الدستورية (٢٠ نوفمبر سنة ١٨٧٣)

بما هذا السرار بمثابة تثبيت للجمهورية . على ان اللجنة التي ألفت لهذا
الغرض كانت مختلفة المبادئ والميول ومعظمها من حزب اليمين فكان
ذلك من أسباب تعطيل أعمالها لأن المالكين من أعضائها ما كانوا يميلون
الى وضع دستور جمهورى للبلاد

وفى غضون ذلك إزال الوزير جهدا فى تأييد الحركة الرجعية فى
البلاد . بل ان المشادة بين الحكومة والأمة كانت نذرها شدة تمسك
الأمة بجمهوريةها واعتصام الشعب بالنظام الجمهورى الذى اختاره لحكومته
أصناف الجمعية وقتما طرأ فى بحث الدستور وظائف لجنة وضع
روح الدستور طرأ سنة ١٩٧٤ مشكلة بالعام مهملها . وثان المالكين
حتى آخر لحظة يؤمنون ان يضعوا فى الدستور من الأحكام ما لا يجعل
الجمهورية حكومة الشعب الدائمة . فبدأت المناوشات طويلا سنة ١٩٧٤
كثير من المواطنين . وكان يساعد المالكين فى مناوئتهم ان رئيس الجمعية
د. خضرة اذاهرا للجمهورية . وقد نادى الجمهوريون امسرا بالجل الجمعية
راكن هذا الاصرار رفض . باغلبية ٣٩٠ صوتا ضد ٥٧

خطة المالكين الجديدة

على ان سحب الرأى العام أخذ يشهد من جراء مناوئات المالكين
وأشدت هوة السب ضد زداد اذاعا بينهم وبين الأمة فاضطروا أخيرا
الى العدول عن خطتهم وانفقوا على ان يشركوا فى تنظيم الجمهورية وأن
يتجهوا فى صيغها بالصيغة المحافظة تناديا من أن يتغلب العنصر الجمهورى
المنظرف مؤيداً . الرأى العام فيزداد مركز المالكين حرجا . هذا

دستور سنة ١٨٧٥

وعلى ذلك أخذت الجمعية تقرر القوانين الدستورية تباعاً

وهي القوانين التي يتكون منها ما يسمى بدستور سنة ١٨٧٥ وهي

١ - قانون ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٥ الذي يقرر نظام مجلس الشيوخ

وهو مؤلف من إحدى عشرة مادة

٢ - قانون ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٥ الذي يقرر نظام السلطات العمومية

وهو مؤلف من تسع مواد

٣ - قانون ١٦ يوليو سنة ١٨٧٥ الذي يقرر علاقات السلطات

العمومية بعضها ببعض وهو مؤلف من أربع عشرة مادة

ثم أصدرت الجمعية قانونين نظاميين في ٢ أغسطس و ٣٠ نوفمبر سنة

١٨٧٥ يكملان القوانين الدستورية المتقدمة ويتضمنان نظام انتخاب أعضاء

مجلس الشيوخ ومجلس النواب

وتلخص المبادئ الرئيسية التي فرتها تلك القوانين في القواعد

الآتية مع ملاحظة التعديلات التي طرأت عليها للآن

السلطة التنفيذية

(١) السلطة التنفيذية يتولاها رئيس الجمهورية الذي يباشرها

مستعيناً بالوزراء، ويكون انتخاب الرئيس لمدة سبع سنوات بواسطة

مجلس النواب والشيوخ مجتمعين في هيئة جمعية وطنية بالاغلبية المطلقة أي

بأغلبية نصف الأعضاء المقترعين زائدة واحداً ويجوز إعادة انتخابه إلى

ماشاء الله (مادة ٢ قانون ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٥) ولا يجوز ان ينتخب للرياسة أحد أفراد الاسرات التى تولت الملك فى فرنسا (قانون ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٤)

وقد لاحظت الجمعية الوطنية سنة ١٨٧٥ فى جعل انتخاب رئيس الجمهورية بواسطة مجلس النواب والشيوخ أن يكون مستمدا سلطته منهما فلا تطامع نفسه ان يستبد بالامر اذا كان انتخابه من الشعب مباشرة كما فعل لويس نابليون بوناپارت بعد انتخابه رئيساً للجمهورية الثانية سنة ١٨٤٨ فقد قلب الجمهورية سنة ١٨٥١ فكانت تجربة سنة ١٨٤٨ درساً للجمعية الوطنية المؤسسة سنة ١٨٧٥

(ب) على رئيس الجمهورية ان يصدر القوانين التى يقررها مجلسا النواب والشيوخ . على ان له أن يرفض اصدار المانون وفى هذه الحالة عليه أن يطلب من المجاسين اعادة النظر فى القانون فاذا أقر المجاسان القانون من جديد أصبح نهائياً ووجب على الرئيس اصداره .

وهذا الحق يشبه أن يكون حق «الفيتو» لولا انه مقيد باعادة النظر فى المانون أمام مجلس النواب والشيوخ اللذين لهما القول الفصل

حق حل مجلس النواب

وللرئيس أن يحل مجلس النواب على شرط أن يحصل على موافقة مجلس الشيوخ قبل الحل وأن تجرى الانتخابات للمجلس الجديد فى أثناء شهرين من الحل

ان حق حل مجلس النواب هو حق مكمل وضرورى لنظام مسؤولية

الوزارة السياسية على الطريقة البرلمانية ولذلك فهو حق معترف به في كل الدساتير التي تتبع هذا النظام وهو لا يعد افتئاتاً من السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية بل هو احتكام الى الأمة في حالة الخلاف الشديد بين الساطتين لأن حق الحل مقرون على الدوام باجراء انتخابات جديدة لمجلس نواب جديد تعرف فيه ارادة الأمة الحقيقية في موضوع الخلاف . فهو أسمى مظهر لاحترام سلطة الأمة والكون هذا الحق مكملًا لنظام مسؤولية الوزارة أمام مجلس النواب لا نرى له أثراً في الدساتير التي لا تتبع هذا النظام كدستور فرنسا سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨٤٨ وكدستور الولايات المتحدة الحديث الذي لم يقرر مبدأ مسؤولية الوزارة . ذلك لأن حق الحل اذا لم يكن مكملًا لنظام مسؤولية الوزارة على الطريقة البرلمانية كان بلا جدال سلاحاً الاستبداد في يد السلطة التنفيذية .

وليس لرئيس الجمهورية أن يجلس في أحد المجلسين أو يتكلم فيهما ولا أن يتصل بهما الا برسائل يتلوها أحد الوزراء

وله أن يعرض القوانين بواسطة الوزراء ألبضاً وله حق العفو وحق رئاسة قوات البلاد الحربية وتعيين الموظفين الملكيين والعسكريين ومفاوضة الدول الاجنبية وعقد المعاهدات واقرارها الا ما يستوجب منها اقرار مجلسي النواب والشيوخ وهي معاهدات الصلح والمعاهدات التجارية والمعاهدات التي تقيد مالية الدولة أي تستلزم نفقات من الخزنة العمومية والمعاهدات الخاصة بأحوال الافراد وممتلكاتهم في الخارج أو التنزل عن جزء من أملاك البلاد أو التبادل عليه أو ضم أملاك جديدة . وليس له أن يعلن الحرب الا بعد موافقة المجلسين

مسؤولية الوزارة

ليس رئيس الجمهورية مسؤولاً عن أعمال الحكومة لان الوزارة تحمل عنه هذه المسؤولية . فهذا المبدأ هو من خصائص نظام المسؤولية الوزارية على الطريقة البرلمانية . وهو يستلزم ألا يوقع الرئيس أمراً الا اذا وقع عليه أيضاً أحد الوزراء الذى يتحمل مسؤوليته . ولا يجوز محاكمة الرئيس الا فى حالة الخيانة العظمى فهناك يحاكم أمام مجلس الشيوخ بناء على طلب مجلس النواب . وكذلك فى حالة الجرائم الاعتيادية

والوزراء مسؤولون أمام البرلمان وهذه المسؤولية بالتضامن بين الوزراء جميعاً اذا كانت متعامدة أعمال الوزارة العامة وفاصلة على الوزير المسؤول اذا كانت ناشئة عن عمل خاص به

وتتبع قاعدة المسؤولية الوزارية وجوب استقالة الوزارة اذا لم تحوز ثقة البرلمان . وقد فام خلاف حول المقصود من الثقة هل هى ثقة مجلس النواب وحده أم ثقة المجلسين معاً . والرأى المعول عليه والمؤيد من التقاليد البرلمانية ان المراد بثقة البرلمان هو مجلس النواب وحده لانه الممثل المباشر لسلطة الامة ولان اشترائط حيازة الوزارة بثقة المجالس معارفا يدعو الى الارتباك والفوضى فالوزارة قد تفقد ثقة مجلس النواب وتحوز ثقة مجلس الشيوخ وبالعكس ولذلك انفقت كلمة علماء الدستور على الاعتراف بهذه الميزة لمجلس النواب وخصوصاً ان حق الحل مقصور أيضاً على مجلس النواب دون مجلس الشيوخ

وينجوز محاكمة الوزراء أمام مجلس الشيوخ منعفاً بصفة محكمة عليا وكذلك ينجوز محاكمتهم بالطرق الاعتيادية

السلطة التشريعية

السلطة التشريعية يتولاها مجلس النواب ومجلس الشيوخ . هذا المبدأ كان موضع جدال وخلاف في الجمعية الوطنية لأن فريفا من الجمهوريين كان لا يميل الى جعل السلطة التشريعية موزعة بين مجلسين وكان يرمى الى جعلها محصورة في مجلس النواب وحده ولكن الرأي القائل بإنجاد المجلسين قد غلب . وعلى هذه القاعدة لاكتسب القوانين الصفة الشرعية الا اذا أقرها المجلسان على التعاقب

وينتخب أعضاء مجلس النواب بالاقتراع العام المباشر أى بدرجة واحدة وانتخب كل مقاطعة عدداً من النواب بنسبة نائب عن كل ٧٥ ألف نسمة واذا وجد في المقاطعة فرق في السكان يزيد عن ٣٧ ألف وخمسمائة نسمة فإهم أن ينتخبوا نائباً آخر ولا يقل عدد نواب كل مقاطعة عن ثلاثة . هما كان عدد سكانها

وينتخب النواب لمدة أربع سنوات

وكل فرنسى بالغ من السن ٢١ سنة مفيد اسمه في جدول الانتخاب له حق الانتخاب ويستثنى من ذلك افراد الجيش العاميين وحق عضوية مجلس النواب لكل فرنسى بالغ من العمر ٢٥ سنة على شرط أن يكون قد أدى واجب الخدمة العسكرية طبقاً لقانون التجنيد ويستثنى من هذا الحق أفراد الاسرات المالكه قديماً في فرنسا وقد أبعدهم المشرع عن المجلس

النيابي اتقاء للخطر السياسى الذى ينجم عن انتخابهم نوابا . وكذلك الاجانب الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية فى مدة العشر السنوات التى تلى تجنسهم . وأفراد الجيش العاملون وكبار الموظفين العاميين وذلك فى الدائرة التى هم موظفون بها وفى مدة توظيفهم بها أو فى خلال ستة أشهر من انتقالهم من دائرة الانتخاب وحكمة هذا الاستثناء منع نأير الموظفين فى المنتخبين اذا رشحو أنفسهم للانتخاب فى دائرة توظيفهم

مجلس الشيوخ

أما مجلس الشيوخ فقد كان بحسب نظام سنة ١٨٧٥ مؤلفا من ٣٠٠ منهم ٧٥ غير قابلين للعزل مدة حياتهم انتخبهم الجمعية الوطنية قبل انقضاءها والباقيون وهم ٢٢٥ عضوا ينتخبون عن المقاطعات لمدة تسع سنوات (ويتجدد انتخاب ثلثهم كل ثلاث سنوات) بواسطة هيئة انتخاب مؤلفة من (١) أعضاء مجلس النواب المنتخبين عنها (٢) أعضاء مجلس المقاطعة (الذى يشبه مجلس المديرية عندنا) (٣) أعضاء مجالس المراكز (٤) مندوب عن كل مجلس بلدى من بلاد المقاطعة

كان هذا النظام مبتكرا من الميول الملكية التى كانت تمثل فى أغلبية الجمعية الوطنية فارادوا به جعل مجلس الشيوخ ممثلا للصيغة المحافظة فى الهيئة التشريعية ومختلفا فى كيانه ومزاجه عن مجلس النواب الذى يمثل الامة مباشرة ولذلك عدل هذا النظام بعض التعديل بمقتضى قانون ٩ ديسمبر سنة ١٨٨٤ فألغى امتياز عدم العزل وأصبح الاعضاء جميعا ينتخبون على السواء ووزع الخمسة والسبعون كرسيها على بعض المقاطعات . ولكن الاعضاء

القدماء الباقيين من الخمسة والسبعين بقوا في المجلس على أن ينتخب بدلهم على النظام الجديد كلما خات مراكزهم . والانتخاب يكون بواسطة الهيئة السابق ذكرها مع ملاحظة ان مندوبي البلاد تنتخبهم المجالس البلدية من بين الناخبين في كل بلد بنسبة عدد السكان

وبشترط في عضو مجلس الشيوخ أن يكون فرنسيا بالغامن السن ٤٠ سنة متمتعا بحقوقه المدنية والسياسية مؤديا لواجبانه العسكرية مع مراعاة الاستثناءات الخاصة المنصوص عليها في انتخاب مجلس النواب ومركز المجلسين كان معينا في دستور سنة ١٨٧٠ بفرساي ثم نقل بمقتضى قانون ٢٢ يوليو سنة ١٨٧٩ الى باريس

الاختصاص الجنائي

ولمجلس الشيوخ فوق اختصاصاته التشريعية اختصاص جنائي وهو حق الانعقاد باعتباره محكمة عليا فله وحده حق محاكمة رئيس الجمهورية اذا ارتكب خيانة عظمى وله كذلك وحده حق محاكمته على جرائمه الاعتيادية

وله حق محاكمة (١) الوزراء على الجرائم التي يرتكبونها بسبب تأدية وظائفهم (٢) كل شخص متهم بأنه أقدم أو تأمر على الاضرار بسلامة الدولة وفي هاتين الحالتين يشارك مجلس الشيوخ في الاختصاص المحاكم الاعتيادية أى انه يجوز محاكمة الوزراء وغيرهم امام المحاكم الاعتيادية بخلاف رئيس الجمهورية فانه لا تصح محاكمته الا بناء على طلب مجلس النواب وامام مجلس الشيوخ وحده

حرمة النواب

ولا يجوز محاكمة أى عضو بمجلس النواب أو بمجلس الشيوخ على آرائه وأفكاره التى يبدىها أثناء قيامه بوظيفته ولا يصح كذلك محاكمة أى عضو أثناء انعقاد المجلس أو القبض عليه فى الجرائم العادية الا بعد الترخيص فى ذلك من المجلس التابع له العضو الا فى حالة التلبس

والحكمة فى هذا الامتياز احاطة الشارع لنواب الامة بسياس من الحماية بجمعهم بآمن من وثبات الحكومة اذا قصدت احدثهم بسوء وذلك للمحافظة على استقلالهم فى أداء وظيفتهم النيابية ولا تنم هذه الحماية الا اذا جمعت محاکمتهم بناء على ترخيص من أغلبية أعضاء مجلسهم . على ان هذا الامتياز مفعور على مواد الجنح والجنايات فيما عدا حالة التلبس ومقصور أيضا على فترة انعقاد المجلس

تعديل الدستور

يجوز للمجاسين منعة من باعتبارها جمعية وطنية تعديل القوانين الدستورية للبلاد على شرط أن يقرر بادىء بدء كل مجلس بالاغلبية المطلقة مبدأ التعديل ، فنجتمع الجمعية الوطنية لتقرر نص التعديل دون أن تتعدى المبادئ التى قررها المجاسان ولا يكون ماقرره صحيحا الا بالاغلبية المطلقة

ولا يجوز بأى حال من الاحوال أن تكون الجمهورية محلا للتعديل

(قانون سنة ١٨٨٤)

نقص دستور سنة ١٨٧٥

ومما يلاحظ على دستور سنة ١٨٧٥ انه لم يقرر المبادئ العامة لحقوق الافراد الشخصية والوطنية كما فعل دستور سنة ١٧٩١ وسنة ١٧٩٣ وسنة ١٧٩٥ وسنة ١٨٤٨ كما ان نصوصه الخاصة بتنظيم السلطات العمومية كانت مختصرة اختصارا كبيرا فأصبحت الحالة ماسة الى الرجوع للدساتير القديمة لمعرفة حقوق الافراد باعتبار ان الدستور الجديد لم ينقص هذه الحقوق واضطروا كذلك لتكملة كثير من نصوصه بالرجوع الى العادات والتقاليد البرلمانية

انتهاء اعمال الجمعية

انتهت أعمال الجمعية بعد ان وضعت القوانين الدستورية وبعد ان عينت الخمسة والسبعين عضواً الدائمين لمجلس الشيوخ وبالرغم من المدة الطويلة التي قضتها في القيام بمهمتها وما أحدثته الانقسامات والعقبات الحزبية من الاضطراب في أعمالها فانها أدت خدما كبيرة لفرنسا فقد أعادت النظام الى البلاد وأنظمت ماليتها ووضعت خلاف القوانين الدستورية قوانين على جانب عظيم من الأهمية كالقوانين العسكرية والقوانين الخاصة بالضرائب ومجالس المفاطات ، وحماية العمال الاحداث من البنين والبنات في المعامل وانشاء جامعات جديدة في فرنسا وكانت تضم بين أعضائها نخبة رجال فرنسا في العلم والادب والوطنية

(الرسالة الخامسة)

المؤتمر الأمريكى

واستقلال الولايات المتحدة ١٧٧٤ - ١٧٨٣

ان المؤتمر الأمريكى الذى أعلن استقلال الولايات المتحدة وتولى تنظيم جهادها الوطنى هو من الوجهة الدستورية والتاريخية جمعية وطنية كبرى كان لها فى التاريخ أعظم الآثار لأن منه نشأت دولة من أقوى دول العالم وأعظمها شأنًا وهى الولايات المتحدة

منشأ حركة الاستقلال

فى الولايات الأمريكية

كانت الولايات الأمريكية القديمة مستعمرات انجليزية خاضعة للناج البريطانى . بدأت تتكون من القرن السابع الى القرن الثامن عشر فنألفت من ثلاث عشرة مستعمرة على شاطئ المحيط الأعظم استوطنها قوم جبيلوا على حب الحرية لأن معظمهم هاجر من إنجلترا ومن القارة الاوربية فراراً من الاضطهاد الدينى فى أيام أسرة «ستوارت» والاضطهاد السياسى فى أيام «كرمويل» فكانوا يقدسون الحرية . ويأبون الضيم فى البلاد الجديدة الى استوطنوها

ولم يكن عدد سكان تلك المستعمرات يزيد على مليون ونصف فى

منتصف القرن الثامن عشر . ولكل مستعمرة مجلس نيابي ينتخبه الاهالى
يقرر شؤونهم الداخلية ويفرض الضرائب ولم يكن الاحكام الانجائز الا
ممثلين للتاج البريطانى لا يتعرضون لشؤون تلك الولايات

ولم يكن ثمة صلة بين المستعمرات الامريكية سوى انها كانت
تابعة كلها للتاج البريطانى وكانت ما بين حين وآخر تحارب الفرنسيين
المستوطنين كندا بمعاونة القوات الانجائزية وتغابت عليهم فتخاضت
من جوارهم الخطر . فكانت هذه الحروب تقرب بين الولايات الثلاث
عشرة وتؤلف بين سكانها الى ان وقع التصادم بينهم وبين الحكومة
البريطانية بسبب سوء معاملتها لهم فكانوا يداً واحدة عليها

ذلك ان الحكومة الانجائزية قد خرجت من حرب السنين السبع
التي كانت ناشبة بينها وبين فرنسا وحلفائهما (سنة ١٧٥٦ — ١٧٦٣) مثقلة
بالأعباء المالية بسبب ما أنفقته فى تلك الحرب فأخذت تفكر فى سد
العجز باستزادة مواردها المالية والاقتصادية وشرعت أولاً تقييد التجارة
الامريكية بقيود شديدة وتعيد تنفيذ « منشورات الملاحة » التى كانت
تحتم على المستعمرات ان تشتري حاجاتها من الباترا وأن لا تصدر صادراتها
الا لانجلترا

استياء الأمريكان من سوء معاملة الانجائز

وكانت هذه القيود التى أضرت بالتجارة الامريكية سبب تدمير
أهالى المستعمرات الذين كانوا يقاومونها بتهرب البضائع . وكانت الحكومة
الانجائزية تتغاضى قبل الحرب عن تنفيذ المنشورات بالدقة الى ان خرجت

من حرب السنين السبع فأخذت تمنع تهريب البضائع في أمريكا وجهازت لهذا الغرض أسطولا أرسلته الى المياه الامريكية فأضر ذلك بالتجارة الامريكية وأفضى بها الى الكساد . وكان هذا من أول أسباب اثاره الرأى العام في أمريكا على انجائرا

ثم ظهر التدخل الانجائزى في شؤون المستعمرات الامريكية بمظهر آخر أثار عواطف الاستياء فى سنة ١٧٦٥ . ذلك ان البرلمان الانجائزى شرع فى سد حاجة الحكومة الانجائزية الى المال بفرض ضرائب جديدة على سكان المستعمرات وأهمها الضريبة المعروفة بضريبة الدمغة . وهى تقضى على الامريكيين أن يكتبوا كل انفاقاتهم ووثائقهم على أوراق مدموغة ترسل اليهم من انجائرا بنمن محدود ، وكان الغرض من هذا القانون جمع المال . فتذمر الامريكان واستاءوا من تدخل البرلمان الانجائزى الذى لم يكونوا ممثلين فيه فى شؤونهم الداخلية . وابتدأت حركة الاستياء والاحتجاج تنتسع دائرتها فى البلاد

فاما شرع حكاه المستعمرات فى تنفيذ قانون الدمغة أظهر الالهالى استياء شديداً وتجهروا فى بوسطون ونيويورك واحتج المجلس النيابى فى ولاية فرجينيا على هذا القانون واجتمع بنىويورك فى اكتوبر سنة ١٧٦٦ بناء على دعوة مجلس ولاية « ماشوست » نواب تسع ولايات فى هيئة مؤتمر ابتدأوا فى الحالة فقرروا انه لا يجوز ان يجبر سكان المستعمرات على دفع ضرائب ما لم يقرروها ويفرضوها على أنفسهم وأرسلوا شكوى بهذا المعنى الى الملك والبرلمان

هذه هي الحركة التي بدأت بالشكوى الى الملك والبرلمان وانتهت بالاستقلال التام للولايات المتحدة

زعماء الحركة

وكان زعماء الحركة هم خير من أنجبهم تلك البلاد علما ووطنية وأخلاقا وفي مقدمتهم « جورج واشنطن » بطل الاستقلال الوطني . « وجون آدمس » المحامي الذي كانت له يد طويلة في نشاط الحركة وعلان الاستقلال ووضع الدستور الأمريكي والذي انتخب وكيلا للجمهورية سنة ١٧٨٩ ورئيسا للجمهورية سنة ١٧٩٧ . و « توماس جفرسن » العالم القانوني محرر اعلان الاستقلال سنة ١٧٧٦ والذي صار رئيسا للجمهورية سنة ١٨٠١ ثم سنة ١٨٠٥ . والعلامة « ماديسن » الذي صار رئيس الجمهورية من سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٧ . و « هنري لى » مقترح اعلان الاستقلال سنة ١٧٧٦ . و « صامويل آدم » و « باتريك هنرى » و « فارين » و « هاملتون » و « موريس » و « ليفنجستن » وغيرهم

وكان من أقطاب الحركة في الخارج العلامة الفيلسوف « فرنكلن »^(١)

(١) هو العلامة الفيلسوف (بانجمن فرنكلن) ولد في بوسطن سنة ١٧٠٦ وكان والده صانع شمع ونشأ فرنكلن عاملا في مصنع ابيه ثم اشتغل عاملا في مطبعة أخيه . ولكنه كان في أوقات فراغه يشتغل بتثقيف ذهنه واستكمال علومه وذهب الى نيويورك سنة ١٧٢٣ ثم الى فيلادلفي ثم سافر الى إنجلترا ولما عاد الى أمريكا أنشأ مطبعة وجريدة واخذ يعمل على نشر العلوم والمعارف فأنشأ ناديا ثم مكتبة عامة ثم مستشفى ثم شركة للتأمين من الحريق وغير ذلك من المنشآت

الذى اشتهر فى عالم العلم باختراعاته فى الكهرواءالذى اختاره مواطنوه
لينوب عنهم فى لوندرد و يدافع عن حقوق المستعمرات امام البرلمان والرأى
العالم الانجليزى

غاية الحركة فى مبدئها

لم تكن فكرة الانفصال عن انجلترا موجودة الى ذلك الحين
بل كانت الحركة ترمى الى عدم اجبارهم على دفع ضرائب للحكومة الانجليزية.
ولقد نالوا فى مبدأ الامر من ترضية انجلترا بالغاء ضريبة الدمغة فعادت السكينة
الى البلاد . على ان البرلمان البريطانى مع الغائه لها قرر أن من حقوقه سن
القوانين للمستعمرات . فى سنة ١٧٦٧ عادت الحكومة وقررت بعد
موافقة البرلمان فرض رسوم جمركية على الواردات التى ترد لأمريكا .
فتجددت حركة الاستياء والاحتجاج وأخذت الحركة صبغة الهياج فى
بعض المدن . واحتجت مجالس الولايات على تدخل البرلمان وأنكرت
صفته فى سن الضرائب على الأمريكان

الاجتماعية وقد كان ينهز دائماً اوقات فراغه ليستزيد من العلم وكان له ولع بالعلوم
الطبيعية فنبغ فى ابحاثه واختراعاته فى الكهرواء واليه يرجع الفضل فى اختراع
مانعة الصواعق فاشتهر اسمه فى اوروبا وارتفعت منزلته فى دوائرها العلمية
فانتخب عضوا بالجمعية الملكية فى لندرد والجمع العلمى فى باريس وكان له يد
طولى فى نجاح حركة الاستقلال فى امريكا كما تراه مفصلا فى عرض الكتاب .
وتوفى سنة ١٧٩٠ وله مذكرات عظيمة القيمة نشرت سنة ١٨١٧

مقاطعة التجارة الانجليزية

فلت الحكومة بعض هذه المجالس ولكن فكرة مقاطعة التجارة الانجليزية التي قررتها المجالس كانت قد عمت البلاد

سلكت الحكومة الانجليزية بحيال هذه الحركة الفوية مسلك المحاسنة فألغت الرسوم الجمركية التي كانت قد فرضتها ماعدا رسم الشاي فلم تسكن ثائرة الامريكان . واشتد الخلاف ثانياً ودخل في دور خطير من العنف والشدة . ذلك أنه في ديسمبر سنة ١٧٧٣ جاءت رسالة انجليزية من الشاي الى ميناء بوسطون فألفاها أهلها في البحر ايذاناً بتمسكهم بمقاطعة التجارة الانجليزية . وامتدت الحركة الى الثغور الاخرى فكانت البضائع توضع في المخازن دون أن يتقدم أحد اشرائها . واضطر بعض السفن المقلدة لهذه البضائع أن تقفل راجعة بحمولتها من حيث أتت . وكانت حادثة بوسطون بالغة منتهى الشدة فاعتبرتها الحكومة الانجليزية عملاً عدائياً قابلته بوضع الحصار على ثغر بوسطون وغيرت من دستور الولاية التابع لها هذا الثغر « ولاية ماشوست » وحلت المجلس وزادت في سلطة الحاكم الانجليزي وأرسلت قوة عسكرية لقمع الهياج وعينت حاكماً عسكرياً لها يتولى تنفيذ القوانين بالصرامة العسكرية

الدعوة الى عقد المؤتمر الوطني

كان هذا العمل فاتحة الثورة . ذلك ان الولايات الامريكية تضامنت في شدة أزر ولاية الماشوست فعرض مجلس ولاية « فرجينيا » على مجالس

الولايات الاخرى ف فكرة عقد مؤتمر عام يضم نواب الولايات كلها ليتداولوا في الأمر ويوحدوا عملهم فقبلت الدعوة و انعقد في مدينة فيلادلفى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٧٤ أول مؤتمر وطنى يضم نواباً منتخبين من الولايات الامريكية لمتفاوضوا في رسم خطة عامة تسير عايم البلاد في الازمة الخطرة التى فامت بينها وبين الحكومة الانجليزية وكان عدد أعضاء المؤتمر ٥٥ نائباً يمثلون اثنتى عشرة ولاية . أما الولاية الثالثة عشرة وهى ولاية « جورجيا » فلم تنتخب أحداً لبعدها عن مركز الحركة وعدم سريان الدعوة فيها

ظل المؤتمر منعهداً لغاية ٢١ أكتوبر سنة ١٧٧٤ يتباحث في صيانة حقوق البلاد وأعان التمسك بحق نواب الولايات في سن الضرائب وطالب ابعاد الجنود الانجليزية عن البلاد وقرر كذلك قطع العلاقات التجارية بين أمريكا وانجلترا والمثابرة على مقاطعة التجارة الانجليزية وتعيين لجان في البلاد لتنفيذ هذه المقاطعة

اشتدت الازمة وتفاقم الخلاف وأدى الى امتشاق الحسام . لان الحكومة الانجليزية صممت على قمع الحركة بالهرة فنصادمت القوة الانجليزية والاهالى في « اكسنجتون » (١٩ ابريل سنة ١٧٧٥) وأدى هذا التصادم الى اشتعال نار الثورة في البلاد كلها

و أخذ زعماء الحركة وفي مقدمتهم « هنرى لى » و « واشنطن » و « باتريه هنرى » و « جفرسن » يدعون الناس الى التطوع للدفاع عن حرية البلاد ، واجتمع في بضعة أيام جيش من ٢٠.٠٠٠ متطوع وثارت الولايات وطردت حكماها الانجيز

اشتعال نار الثورة

وقارات المؤتمر

انعقد المؤتمر للمرة الثانية في فيلادلفيا (١٠ مايو سنة ١٧٧٥) وتباحث في الحاله الخطيرة التي وصلت اليها البلاد فقرّر باجماع الآراء في ٢٠ مايو « اتحاد الولايات » والدفاع عن كيائها والذود عن حريتها بقوة السلاح . وتمرر المؤتمر كذلك بالاجماع اسناد قيادة الجيش الوطنى الى « جورج واشنطن »^(١) الذى اتجهت اليه الاظار منذ بدء الحركة ليمتولى قيادة الدفاع (١٥ يونيو سنة ١٧٧٥) وآلف لجانا تختص كل لجنة بفرع من فروع الدفاع الوطنى فمنها لجنة تبحث المواقع التى يجب احتلالها ولجنة لتموين الجيش والحصول على المال الكافى لاسد حاجاته . ولجنة لتنظيم الجيش وانتخب جورج واشنطن رئيسا لهذه اللجان . ثم الف فيما بعد لجنة للشؤون الخارجية

هذا هو المؤتمر الذى تولى توحيد الولايات وتنظيم الجهاد الوطنى مدة ثمانى سنوات حتى نالت أمريكا استقلالها التام سنة ١٧٨٣

(١) ولد جورج واشنطن في بريدج كريك بولاية (فرجينيا) سنة ١٧٣٢ وهو ابن أحد أغنياء الزراع في فرجينيا وعين سنة ١٧٥١ قائداً لأحدى المناطق الحربية في الولاية ثم قائدا للفرق الوطنية سنة ١٧٥٥ وفاز على الفرنسيين الذين كانوا في كندا ثم اعتزل الخدمة العسكرية سنة ١٧٥٦ وانتخب عضوا في مجلس ولاية فرجينيا . وتجد ترجمته واعماله في خلال الرسالة الخامسة وتوفى في مون فرنون سنة ١٧٩٩

جورج واشنطنون

كان واشنطنون يبالغ الثالثة والاربعين حينما اسند اليه المؤتمر القيادة العامة . وكان معروفا من قبل بين مواطنيه بالشجاعة والاخلاص وصدق العزيمة والتواضع . كانت هذه الصفات ملازمة له في أحوار حياته كافة فكسبته محبة مواطنيه واحترامهم ولم تتغير نفسه ولم تتبدل اخلاقه على سمو المنزلة التي نالها في بلاده . يذكر ان انه وهو حديث السن كان يكتب في مذكراته الخاصة نصائح للحياة تتجلى فيها نفسيته وأخلاقه ويقولون أن هذه النصائح كانت له قواعد لم يحد عنها طول حياته . فنها :

« اذا دخلت في المسائل الجدية فكن حسن المعاشرة ولكن كن في الوقت نفسه وقورا محترما »

« لاتهزأ بالمسائل الهامة . لاتجرح الناس بأقوالك وكلماتك »

« لانحلمنك رغبتك في تغليب رأيك أن تمنع الغير من الدفاع عن آرائهم . واذا اختلفت مع مناظريك فاحتكم الى الاغلبية لاسيما اذا كان الخلاف مما يرجع حله اليها »

« اجتهد دائما أن تحافظ على تلك الشعلة الالهية التي تضيء القلوب

وهي التي يسمونها الضمير »

وكان واشنطنون قد برهن على شجاعته في المناوشات والحروب التي كانت تقع ما بين حين وآخر بين المستعمرات الامريكية والفرنسيين في كندا فقد كانت المنافسة شديدة بين الفرنسيين في كندا والانجليز والامريكان في المستعمرات الثلاث عشرة

وقد انتخب نائباً في مجلس ولاية فرجينيا التي ولد فيها وظل في هذا المركز خمس عشرة سنة ظهرت فيها صفاته وأخلاقه العالية التي كسبته محبة مواطنيه واحترامهم . ومما يؤثر عنه حينما حضر لأول مرة مجلس ولاية فرجينيا عقب انتخابه عضواً به أن أحد الأعضاء رحب به ونوه بخدمه للوطن . وكان واشنطون يزهد في الزهو ويكره الفخفخة والظهور . فتولاه الخجل من اطناب الخطيب في صفاته ولم يحرج جواباً . فوصفه الخطيب وصفاً حققته الحوادث وهو أن تواضعه الشديد كان يعادل كفاءته وقيمته وعلو نفسه

كان واشنطون شديد المحافظة على كرامة غيره . كان قليل الكلام . كثير الأدب والتواضع نزها شريفاً شديد التمسك باهداب الفضيلة والواجب يترفع عن الدنيا وسفاسف الأمور . لا يرضى أن يلجأ في حياته الى وسائل غير شريفة مهما كانت الغاية حسنة . كان يكره التملق والرياء وينفر من الكذب والخداع ، كان صريحاً صادقاً ، وكان فوق ذلك تقياً متديناً طيب القلب طلق المحيا هادئ النفس ثابت الجنان صادق العزيمة هذا هو الرجل العظيم الذي أسند اليه المؤتمر قيادة الجيش الوطنى للدفاع عن حرية البلاد في ظروف حرجية وموقف خطير

ولقد كان واشنطون شاعراً بعبء التبعية التي ألقيت على عاتقه فاستقبل قرار المؤتمر بكل خشوع وتواضع . وقال لآخوانه في الجلسة التي أعلن فيها القرار :

« انى أرجو كل عضو في المؤتمر أن يتذكر دائماً انى أصرح من الآن بكل صراحة واخلاص انى لا أعتقد فى نفسى الكفاءة للقيادة التي

أوليتهمونى شرفها . أقول ذلك اتقاء لكل ما يحتمل وقوعه من الحوادث»
ولما قرر المؤتمر أن ينقده مرتبا سنويا قدره عشرة آلاف دولار
رفض أن يأخذ منه شيئا لعلمه بما كانت عليه حالة الولايات من الحاجة
الى المال لمواصلة القتال

وكتب واشنطنون الى زوجه خطابا يقول لها فيه « أؤكد لك انى
لم أسع البتة لأنال هذا المركز بل بذلت كل ما فى وسعى لأتجنبه لأنى
شاعر بعظم المسؤولية التى تلمى على عاتقى وعالم بأنى غير قادر على الاضطلاع
بها والسكنى لم أستطع أن أنجى عن مهمة أسندها الى احوانى »
على أن الحوادث قد أثبتت أن المؤتمر باختياره واشنطنون لقيادة
الجيش قد اختار أكفأ رجل فى أمريكا ليشغل هذا المركز الخطير

العهد المقدس

ولما قرر المؤتمر توليته قيادة الجيش تعهد أعضاء المؤتمر جميعا بأن
يبدلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل الدفاع عن حرية بلادهم
فغادر واشنطنون فيلادلفى فى ٢١ يونيو وذهب الى الميدان وكان
الانجائز يحاصرون بوسطون بجيش يبلغ عدده ١٢٠٠٠ جندى فرأى
واشنطن صعوبة مهمته لأن الجيش الأمريكى كان محروما من النظام
والتدريب ومهمات القتال وكتب الى أصدقائه يتألم من هذه الحال .
ولكن فضيلة جورج واشنطن أنه أوجد من الفوضى نظاما ومن
التخاذل شجاعة وافدما . فأخذ ينظم الجيش ويكمل ما به من النقص
معتصما بالثبات والصبر ومونة المؤتمر له فى القيام بمهمته وجعل أول هدف

له الاستيلاء على بوسطون التي كان الجيش الانجليزي معتمدا بها فزال
مشددا في حصارها حتى استولى عليها في مارس سنة ١٧٧٦ فكان هذا
النصر مشددا للعزائم الامريكان باعتمادا على الامل في حسن المال . فقرر
المؤتمر شكر واشنطن وتهنئته

واسكن الانجائز تلقوا المدد فعزم الجنرال « هاو » الانجائز على
أن يثأر لجيشه من سقوط بوسطون ويضرب الثوار الامريكان ضربة
شديدة تزلزل أقدامهم . وكان اكثر عدداً وعدداً فسار بجيشه قاصداً
احتلال نيويورك يساعده الاسطول الانجائز . وساءت حالة الامريكان
أمام زيادة قوة الاعداء فاضطر واشنطن أن يتقهقر ويخلى نيويورك
(سبتمبر سنة ١٧٧٦) محافظة على جيشه

وفي غضون ذلك انعم مؤتمر فيلادلفي للمرة الثانية في يونيو سنة ١٧٧٦
ليتداول في هذه الحالة وليقرر مركز البلاد السياسي حيال انجلترا . وكان
في قرارات المؤتمر في تلك الاوقات العصيبة القول الفصل في مصير الثورة
الامريكية . فقام النائب « هنري لى » نائب « فرجينيا » والقي خطبة أظهر
فيها سوء معاملة انجلترا للولايات الامريكية وبين ان الضرورة تقضى
بالانفصال التام عنها وان الامل قوى في انتصار الامريكان رغم الصعوبات
التي تعترضهم . واقترح على المؤتمر منعاً لكل تردد أن يعلن استقلال
الولايات الامريكية

فأجل المؤتمر النظر في هذا الاقتراح الخطير واحاله على لجنة مؤلفة
من خمسة من اقطاب الامريكان وزعماء الحركة وهم « بانجمن فرنكلين » .
و « توماس جفرسون » و « جون ادمس » و « شرمان » و « ليفنجستين » وأجل

المؤتمر البت فى الاقتراح حتى تقدم اللجنة نتيجة بحثها وتبدى الولايات
ملاحظاتها على الاقتراح ليكون القرار النهائى للمؤتمر معبرا عن رأى البلاد
أقرت اللجنة الاقتراح وحرر جفرسون اعلان الاستقلال

اعلان استقلال الولايات المتحدة

٤ يوليو سنة ١٧٧٦

نم أخذ المؤتمر يتباحث فى شأنه ثلاثة ايام وفى جاسة ٤ يوايو سنة
١٧٧٦ قرر المؤتمر ان يعلن للعالم استقلال البلاد ودخولها فى التاريخ باسم
« الولايات المتحدة الامريكية » فكانت هذه الجلسة التاريخية أكبر
جلسات المؤتمر شأننا وأعظمها فدرًا

وهذا نص القرار الذى أعلنه المؤتمر :

« نحن نواب الولايات، المتحدة بأمريكا المجتمعين بهيئة مؤتمر عام
« مشهدين الله مالك الملك على شريف مقاصدنا وأحقية مطالبنا نعلن للعالم
« باسم الشعب الامريكى الذى يسكن الولايات المتحدة ان هذه الولايات
« المتحدة أصبحت حرة مستقلة وانها قد تحررت من كل تبعية للتاج
« البريطانى . وأن كل علاقة سياسية بينها وبين انجلترا تعتبر مقطوعة وانها
« كدولة حرة مستقلة لها حق « اعلان الحرب وتنظيم علاقاتها التجارية
« والتمتع بكل الحقوق التى نتمتع بها الدول المستقلة »

« وقد تعهدنا بأن نصون هذا الاستقلال بحياتنا وأموالنا وشرفنا »

« واثقين بالمعونة الالهية »

وقد مهر النواب أعضاء المؤتمر جميعاً وعددهم ٥٧ نائباً هذا الاعلان الذى يعد من اكبر وثائق التاريخ الانسانى بتواقيعهم . فكان مؤتمر فيلادلفى هو قوام الحركة الاستعمالية والمعان للاستقلال والداعى الى الحرب والمنظم لفوات البلاد في سبيل تحقيق غايتها المقدسة . وقد بذل في هذا السبيل من المجهودات ما يشهد باخلاص اعضائه وثباتهم وصدق وطنيتهم ولم يكن يخفى ان اعلان الاستقلال الذى وقعه أعضاء المؤتمر كان عملاً عظيماً وفي الوقت نفسه مخاطرة كبرى . لان الامريكان كانوا معتبرين الى ذلك الحين كرايا بريطانيين فلو انهم فشلوا في حربهم لاعتبرتهم انجلترا عصاة يستحقون الاعدام . فلا غرو ان يعد التاريخ قرار المؤتمر عملاً جليلاً ينطوى على الاقدام والتفانى في خدمة الوطن وقد كان أعضاء المؤتمر يوقعون الاعلان وهم شاعرون بالتبعة الملقاة على عاتقهم فكان الموقف مؤثراً ومما يؤثر عن رئيس المؤتمر « هانكوك » أنه قال لاخوانه « هاموا أيها الاخوان ولنوقع جميعاً لان الساعة ليست ساعة التردد . يجب أن تكون امضاءاتنا جميعاً متناسقة في سمت واحد » وقبل أن يقرر المؤتمر اعلان الاستقلال كانت الحكومة الانجليزية تسمى في استدراج الولايات الى الصلح فأرسلت اللورد « هاو » ليعرض على المؤتمر التوفيق بين انجلترا والولايات ليعود الصفاء بين البلدين . ولكن المؤتمر بعد أن أعلن استقلال الولايات المتحدة قرر رفض المفاوضات في التوفيق أو الصلح مادام في أرض الولايات المتحدة أو في مياهها جندى انجليزى واحد وما دامت انجلترا لم تعترف باستقلال الولايات المتحدة

فسد بهذا القرار على السياسة الانجليزية باب لمحاولات والمناورات التي تقصد منها اضعاف عزائم الامريكان وصرفهم عن الغاية التي صحت عزيمتهم على ادراكها وهي الاستقلال التام

ومما يذكر في هذا الصدد أن اللورد « هاو » كان يعرف العلامة « فرنكلين » أيام كان هذا الاخير في لوندرة يدافع عن حقوق مواطنيه الامريكان . فعرض عليه أن يكون واسطة التفاهم بينه وبين المؤتمر فأرسل له فرنكلين الرد الآتي :

« يسوءني أن تتحملوا مشقات السفر والحضور من أقصى البلاد في مهمة مقضى عليها بالفشل . انكم تضاربون من الولايات الامريكية أن تترضى اتجارا . على أن الولايات المتحدة قد أهيت وديست حقوقها وانكم بهذا الطلب تظنون بنا الجهل والانحطاط وفندان الشعور ولا عجب في ذلك فان هذه الظنون قد أملاها على أمتكم الكبرياء والطغيان والآن أقول ان الحرب قد نشبت بين الفريقين ولا أريد أن أتنبأ بنتيجتها لا : كل تنبؤ سيقابل من جانبكم بالاعراض ولا تصدقونه الا بعد أن تؤيده الحقائق والوقائع » (٢٦ يوليو سنة ١٧٧٦)

ثم تقابل مندوبا المؤتمر وهما « فرنكلن » و « جون آدمس » مع « اللورد هاو » فأبلغاه قرار المؤتمر القاضي برفض المفاوضة

عطف فرنسا على الامريكان

لقيت الولايات الامريكية عطفًا كبيرًا في فرنسا من محبي حرية هذا الشعب المجيد ومن رجال السياسة الذين كانوا يريدون أن يتأثروا

لفرنسا من انجارتها التي استولت على مستعمراتها فيما وراء البحار. وفي مقدمة هؤلاء وهؤلاء « الماركيز لا فاييت » و« الكونت فرجن » وزير الخارجية و« بومارشيه » الذي كان له نفوذ كبير في بلاط الملك . فسعوا في اقناع الحكومة الفرنسية بمساعدة الأمريكان في حربهم لانجلترا . فأرسلت الحكومة سراً مندوباً الى أمريكا ليستطلع موقف الأمريكان وما تجنيه فرنسا من وراء مساعدتهم في حربهم الاستقلالية . وكان مؤتمر فيلادلفيا قد قرر تكليف لجنة الشؤون الخارجية ومن أعضائها « فرنكلن » الاتصال بالخارج والسعى في اجتذاب عطف الامم على القضية الأمريكية

فبذلت اللجنة في هذا السبيل مساعي عظيمة وكان لنفوذ العلامة « فرنكلن » الأدبي وشهرته العلمية في أوروبا أكبر الأثر في ازدياد العطف على الأمريكان . والمعروف أن « فرنكلن » قبل أن يعود من لوندرة الى أمريكا في مارس سنة ١٧٧٥ بعد أن حبطت مساعي التوفيق بين الحكومة الانجليزية والمستعمرات عاد مقتنعاً بان الحرب لا بد ناشبة بين البلدين وأن المفاوضات الودية لا تؤدي الى نتيجة فاشترى لبلاده مهمات حربية كثيرة لتكون عدتها اذا قامت الحرب المنتظرة واتصل من جهة أخرى بمعتمد فرنسا في انجلترا اتصلاً متيناً ليكتسب بواسطته عطف رجال السياسة في فرنسا على حركة أمريكا القومية

ولما عاد « فرنكلن » الى أمريكا انتخب عضواً في المؤتمر وانصرف الى الاشتراك في تنظيم الدفاع الوطني

فأرسل المؤتمر في مارس سنة ١٧٧٦ رسولا الى فرنسا وهو « سيلاس دين » ليتصل بأنصار الأمريكان في فرنسا فيقول من أنصار الحرية بالترحيب

وكانت الحكومة تعطف على هذه الحركة فسهلت ارسال كل الامدادات
الحرية الى أمريكا

«الماركيز لافاييت»

وفي غضون ذلك قرر مؤتمر فيلاداني اعلان الاستقلال المشهور في
٤ يوليو سنة ١٧٧٦. ووصل نبأ هذا القرار الى فرنسا وانجلترا فأثارت حماسة
«الماركيز لافاييت» وبعض اخوانه من الضباط النبلاء ودفعهم الى التطوع
في صفوف الاميركان لمساعدتهم في حربهم الاستقلالية

وكان «لافاييت» شابا حديث السن شريف النفس كريم العواطف
فاتفق هو واخوانه الضباط على السفر لأمريكا للتطوع في القتال وكان
هذا التطوع الدال على النبيل وسمو العواطف من أجل الاعمال التي يشهدها
التاريخ للماركيز لافاييت . فقد ترك بلاده وهاجر الى أمريكا تاركا زوجه
مخاطراً حياته في سبيل الذود عن حرية شعب مجيد تفصله عن فرنسا
المسافات الشاسعة

وصل «لافاييت» وزملاؤه الى أمريكا في يوليو سنة ١٧٧٧ بعد رحلة
شاقة اجتازوا فيها الافيانوس الاعظم وكانوا عرضة لوقوعهم أسرى في
يد السفن الانجليزية التي كانت ترقب شواطئ أمريكا. وعرض «لافاييت»
تطوعه على مؤتمر فيلادلفي وكان المؤتمر قد عرض عليه طلبات كثيرة
للتطوع من الخارج فكان شديد الدقة في قبول الطلبات . ولما تداول في
طلب «المركيز لافاييت» أصدر قراره بقبول تطوع الماركيز مع شكره على
عواطفه النبيلة ومقاصده السامية ومنحه رتبة «ماجور جنرال» ونقابل
الماركيز و«الجنرال واشنطن» قائد الجيش الوطني فقابل به باحترام عظيم

وأكبر منه عمله الجليل . ومن ذلك الحين أصبح كلاهما متصادقين صادقين تربطهما أقوى صلات الود والاخلاص . واشترك « لافاييت » في القتال تحت قيادة « الجنرال » واشنطون وظهر من الشجاعة والبسالة ما استوجب إعجاب المؤتمر به وترقيته الى رتبة « جنرال » ولم يكن يتجاوز في ذلك الحين عشرين سنة

بعثة فرنكلن

في فرنسا

في غضون ذلك كانت الحالة خطيرة في أمريكا وركز الجيش الوطني يزداد حرجا امام ازدياد القوات الانجائزية . فقرر المؤتمر في سبتمبر سنة ١٧٧٦ ارسال بعثة الى فرنسا مؤلفة من « فرنكلن » و « ارثرلى » ينضم اليهما « سيلاس دين » الذي كان بفرنسا لتسعى ادى الحكومة الفرنسية في الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة والدخول بجانبها في الحرب . وعقد معاهدة بين البلدين

لم يكن من رأى « جورج واشنطن » أن تعول أمريكا على مساعدة فرنسا أو ترجو منها المعونة . ويرجع هذا الاعتقاد الى ما كان بين فرنسا والمستعمرات الامريكية من العداء القديم حينما كانت تطمع في الاستيلاء عليها . على انه ترك المؤتمر يقرر ارسال هذه البعثة وأيد القرار . ولم يتغير رأيه الا عند حضور « الماركيز لافاييت » الى أمريكا في يوليو سنة ١٧٧٧ ورأى من تفانيه في الدفاع عن الحرية الامريكية ما أزال اعتقاده القديم ، لقد كان « واشنطن » حريصا بعيد النظر لا يغتر بالظواهر فلم يكن ينخدع

بكلمات العطف التي كان يسميها من فرنسا ولم يثق بمعاونتها الا بعد أن تحقق ان فريقا من أبنائها يقدمون أنفسهم ويبدلون أرواحهم للدفاع عن حرية أمريكا . فهناك بدأ يثق بفائدة الاعتماد على عطف فرنسا ومساعدتها

وطنية فرنكلن

لما قرر المؤتمر ايضاد البعثة الى أوروبا كان « فرنكلن » يناهز في ذلك الحين الحادية والسبعين من عمره . ولكن أمريكا لم تكن تستطيع أن تعتمد على رجل أكثر منه كفاءة وخبرة وأعظم نفوذاً ليكسبها عطف الحكومات والأأم الاوربية فقبل فرنكلن هذه المهمة الشاقة وسافر الى فرنسا ليصحب حفيده ليعاونه على مشاق السفر في اجتياز الاقيانوس الاعظم وكانت الرحلة شاقة والبحر مضطرباً والشقة بعيدة . ف قضى في البحر ثلاثين يوماً وقبل أن يسافر هذا الرسول العظيم كان يملك من حطام الدنيا أربعة آلاف جنيه فوضعتها تحت تصرف المؤتمر بصفة قرض للحكومة الوطنية . وبرهن بعمله على نهاية الاخلاص في خدمة بلاده

فبأمثال هذا البطل ممن ينكرون ذواتهم وينحون بملهم وصحتهم وحياتهم تنال الأثم استقلالها . وبهذه الوطنية الصحيحة ووطنية الجذ والاخلاص والبذل والعمل تسترد الشعوب حقوقها وتبوأ مكانها بين الامم الحرة

مساعي فرنكلن في باريس

وصل العلامة « فرنكلن » الى باريس في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٧١ فقبول هناك من رجال العلم والفلسفة والادب والسياسة مقابلة الاحترام

والاجلال لما كان له عندهم من المنزلة السامية. وكان لشيخوخته وبساطته وتواضعه وما عاناه من متاعب السفر أثر كبير في نفوس الناس فكانوا يحبون فيه الوطنية الصادقة والحرية الناشئة فيما وراء البحار. وكان اعلان المؤتمر الامريكى للاستقلال قد أثار في نفوس الفرنسيين عاطفة اعجابهم وزادهم اعجابا ما كان يصل اليهم من أنباء جهاد الامريكان واستبسالهم في الدفاع عن استقلالهم

هيات كل هذه الظروف للعلامة «فرنكلن» مقابلة حسنة في دوائر العلم والسياسة بباريس . وكانت فرنسا ملتزمة الى ذلك الحين جانب الحياد ولكنها كانت تعطف على كل المساعدات أو الامدادات التي ترسل الى أمريكا . على أن فرنكلن عرض على حكومة لويس السادس عشر فكرة الاعتراف رسميا باستقلال الولايات المتحدة وعقد معاهدة معها ودافع عن هذه الفكرة أمام رجال السياسة في باريس وأيده فيها أصدقاؤه والمعجبون به ولكن الحكومة كانت مترددة في قبول الفكرة لانها كانت تفضي حتما الى اعلان الحرب بين فرنسا وانجلترا فاكثفت بمديد المساعدة الحربية بصفة غير رسمية الى أمريكا وأرسلت اليها كثيرا من الذخائر والمهمات الحربية . وأقام «فرنكلن» على هذه الحال عدة أشهر في فرنسا كان «فرنكلن» يعيش في باريس عيشة الاقتصاد والتدبير لفلة الموارد التي كانت تصل اليه من أمريكا بسبب الضيق الذي كانت تعانيه الحكومة الوطنية

على انه مع ذلك نال منزلة سامية في فرنسا بفضل شهرته العلمية ووطنيته العالية وأخلافه السامية. فتعرف الى أكبر رجال العلم والسياسة

فى ذلك العصر واتصل بهم بصلات الصداقة والود فكان أصدقائه هم خلاصة
عظماء فرنسا فمنهم «ترجو» الوزير والعلامة الاقنصادى الكبير و«بوفون»
العالم والكاتب العظيم . والفيلسوف «دالمبير» أحد واضعى دائرة المعارف
الفرنسية والعلامة «كوندورسيه» و«الدوق لاروشفو كولد» العالم النبيل
و«مالزرب» الوزير العلامة والقاضى النزيه صديق الملك لويس السادس
عشر و«بومارشيه» الكاتب الشاعر والكونت «فرجن» وزير خارجية
فرنسا وغيرهم

فاستعان فرنكلن بصداقة هؤلاء العظماء على تذليل الصعاب وتمهيد
السبل لاجتذاب صداقة فرنسا ومحالفتها . ولم تقف مساعيه عند حد
الحصول على مساعدات فرنسا غير الرسمية بل كان يواصل السعى فى افناع
حكومة لويس السادس عشر بالانضمام رسمياً لجانب أمريكا ضد إنجلترا
وعقد معاهدة مع الولايات المتحدة باعتبارها دولة مستقلة . وكان يساعده
مباشرة فى مسعاه لى البلاط الكونت «فرجن» وزير الخارجية والمسئو
«بومارشيه» وقدم الكونت فرجن تقريراً الى الملك فى ٢٣ يوليو سنة
١٧٧٧ أظهر فيه ضرورة مجاهرة الحكومة الفرنسية بمؤازرة الولايات
المتحدة متبناً ان مصلحة فرنسا تقتضى ذلك . فوافق الملك على هذه الخطة
وأخذت الحكومة ترقب الفرصة التى تعلن فيها الاعتراف باستقلال
الولايات المتحدة

انتصار الامريكان

في معركة سارانوجا

وقد هيا الامريكان بجهادهم هذه الفرصة إذ أرسل المؤتمر الى «فرنكان» في ديسمبر سنة ١٧٧٧ نبأ انتصار الامريكان على جيش الجنرال «بورجون» الانجائزي الذي سلم في معركة «سارانوجا» (٦ أكتوبر سنة ١٧٧٧) فكان هذا الانتصار العظيم أبلغ حجة لمن كانوا يحثون الحكومة على الانضمام علنا الى جانب الولايات المتحدة والاعتراف باستقلالها. وقد برهن الامريكان بانتصارهم في هذه المعركة على انهم أهل لاعتراف الامم باستقلالهم ومد يد المساعدة اليهم فبدأت المفاوضات الرسمية بين حكومة لويس السادس عشر والبعثة الامريكية التي يرأسها «فرنكان» لعقد معاهدة تحالف بين الدولتين

المعاهدة بين فرنسا والولايات المتحدة

ونجحت المفاوضات فأُسفرت عن معاهدة ٦ فبراير سنة ١٧٧٨ التي تضمنت الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة وتوثيق العلاقات التجارية بين الدولتين وعقد محالفة بينهما تعهدت فيها فرنسا بضمان أملاكها كما تضمنت الولايات المتحدة لفرنسا الدفاع عن مستعمراتها في جزر الانتيل فجاءت هذه المعاهدة متوجة لجهاد الامريكان في ميدان القتال ولمساعي الرسول العظيم «فرنكان»

قوبلت هذه المعاهدة في باريس بالابتهاج العظيم وانهاالت التهانى على «فرنكلن» لنجاحه في مسعاه . واستقبل الملك في ٢٠ مارس سنة ١٧٧٨ المفوضين الامريكان وعلى رأسهم العلامة «فرنكلن» كندوبى دولة مستقلة

درس للامم الناهضة

وأصبح فرنكلن موضع اعجاب الباريسيين واحترامهم فكان يسترعى الانظار بوقاره وبساطته وحكمته وزاد في الحفاوة به أن مبادئ الحرية التى نشرها فلاسفة القرن الثامن عشر أمثال «جان جاك روسو» و«فولتير» كانت قد بدأت تحتمر في الاذهان فكان الشعب الباريسى يحى في المفوضين الامريكان روح الحرية الجديدة التى أشرقت شمسها من وراء الاقيانوس ولا غرو فقد وقعت هذه الحوادث قبل نشوب الثورة الفرنسية الكبرى بعشر سنوات

ومما يذكر في هذا الصدد ان الفيلسوف « فولتير » كان قد عاد في ذلك الحين الى باريس بعد ان كان مبعداً عنها سبعة وعشرين سنة . وكان فولتير يمثل في أوروبا بأسرها ، مذهب حرية الرأى فأحدثت عودته الى باريس تأثيراً كبيراً في الحياة الفكرية والسياسية . وكان الفيلسوف العظيم يناهز الرابعة والثمانين من عمره فأقبل عليه المفوضون الامريكان يحيونه وتقدم اليه « فرنكلن » وفدم اليه حفيد الصغير فيبارك له فولتير « باسم الله والحرية »

وفي ٢٩ ابريل سنة ١٧٧٨ حضر الشيخان الجليلان «فولتير» و«فرنكلن» لمسة اكاديمية العلوم في باريس وجلسا معاً فكان لحضورهما اثر كبير

في النفوس . وكانت التحيات الموجهة الى فرنكلن تعتبر كأنها موجهة للشعب الأمريكى

هكذا يخدم النوابغ والعظماء بلادهم ويرفعون شأن مواطنيهم في الديار الأجنبية . فهم حينما حلوا وأينما ارتحلوا يشرفون أممهم ويجعلونها موضع الاحترام والاعجاب . وهم في نظر الامم جمعاء عنوان مجد بلادهم وبرهان حياتها ودليل عظمتها ورفعتها

أرسلت صورة المعاهدة الى المؤتمر الأمريكى فتلقاها بالهتاف والابتهاج وأقرها . وكان الماركيز « لافاييت » من أكثر الناس سروراً لما علم بنبأ التوقيع على المعاهدة لأنه بعد أن جاهد بسيفه في صفوف الأمريكان ذوداً عن حرية الشعب الأمريكى رأى مساعيه قد كللت بالنجاح وأقره مواطنوه على خطته واحتذوا حذوه واستمعت الحكومة لنصحه وهو يعد لم يتجاوز الحادية والعشرين

اشترك فرنسا في الحرب الأمريكية

اعان للحكومة الانجليزية في ١٣ مارس سنة ١٧٧٩ اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال جمهورية الولايات المتحدة . فكان هذا الاعلان بمثابة اعلان حالة الحرب بين الدولتين . وبدأت الحرب فعلا بينهما بحرا في ١٨ يونيو سنة ١٧٧٨ وأسلت الحكومة الفرنسية أسطولا بقيادة الاميرال « كونت دستنج » الى المياه الأمريكية لمحاصرة الاسطول الانجليزى هناك وقد سافر مع الاسطول المندوب الأمريكى « سيلاس دين » الذى استدعاه المؤتمر الأمريكى وانتخب خافا له « جون آدمس »

الذى كان من أكبر الاعضاء شأنا (والذى خلف فيما بعد جورج واشنطنون في رئاسة الجمهورية)

وكان «مع سيلاس دين» المفوض الفرنسى المسمىو «جيرار» الذى أرسلته الحكومة الى المؤتمر كسفير فرنسا لدى الجمهورية الجديدة . فاستقبله المؤتمر الأمريكى استقبالا حافلا لانه أول سفير جاء من أوروبا يحمل أوراق اعتمادة للدولة المستقلة الجديدة ووضع الاميرال «دستنج» أسطوله تحت تصرف المؤتمر ليعمل فى البحر بالاتفاق مع الجنرال «وشنطون» الذى كان يقاتل فى البر

وقد عزم «لافاييت» بعد أن وصل السفير الفرنسى «جيرار» الى امريكا وأقر المؤتمر المحالفة ان يعود الى بلاده ليواصل هناك سعيه فى توثيق عرا التحالف بين الامتين ولانه كان يشعر بالحنين الى وطنه الذى هاجر منه منذ ثمانية عشر شهرا والشوق الى زوجه التى تركها وهى حامل فاستأذن «لافاييت» المؤتمر فى السفر فقرر المؤتمر فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٧٧٨ شكر الماركيز على خدمه الجليلة التى أداها للولايات المتحدة وقرر اهداءه سيفاً يقدمه له فى باريس سفير امريكا لدى فرنسا (العلامة فرنكلن) كتذكارة من الشعب الأمريكى لمن بذل فى سبيله نفسه وماله وراحته . وأرسل المؤتمر من جهة أخرى رسالة الى الملك لويس السادس عشر يذكّر فيها خدّم «لافاييت» وينوه بكفايته وشجاعته

والواقع ان امريكا كانت فى حاجة كبرى الى مساعى «لافاييت» فى فرنسا فان حالة الجمهورية الجديدة لم تكن تدعو الى الثقة بالفوز وكان المؤتمر شاعرًا بمخرج المركز لان القوات التى كانت تحت تصرف «واشنطنون»

فى حرب الاستقلال لم تكن كافية لتغلب على قوات انجلترا . وكانت الحالة المالية فى امريكا سيئة جداً ولم يكن اعتراف فرنسا باستقلال الولايات المتحدة ولا المعاهدة بين البلدين ولا المساعدات التى أمدت بها فرنسا حليفها الجديدة بضامنة الفوز بل كان من المحتوم ان ترسل فرنسا جيشاً الى امريكا ليشارك مع الجيش الوطنى فى القتال . فكانت مهمة « لافايت » أن يساعد السفير « فرنكلن » فى استعجال ارسال مثل هذا الجيش الى امريكا

ولم تكن هذه المهمة سهلة لأن المالية الحكومة الفرنسية فى ذلك الحين لم تكن تساعد كثيراً على تجريد حملة عسكرية الى ما وراء البحار

لافاييت وفرنكلن

وصل « لافاييت » الى فرنسا فى فبراير سنة ١٧٧٩ فقبل من الشعب مقابلة حماسية ووجد « فرنكلن » يصل الليل بالنهار فى القيام بمهمته الشاقة . فحمل اليه من قبل المؤتمر لقبه الجديد وهو « سفير الولايات المتحدة المفوض » ورسالة من المؤتمر متضمنة تعليمات اليه . وكان « فرنكلن » لا ينفك يطلع المؤتمر على كل مساعيه فى باريس ويرسل اليه التقارير ويتلقى منه التعليمات الخاصة بمهمته

كان « لافاييت » بعد عودته من امريكا العضد الأيمن « لفرنكلن » فأخذ يبذل مساعيه ويستخدم مركزه الأدبى لاستعجال الحكومة فى إرسال الحملة العسكرية الى امريكا وفى مطاردة الاسطول الانجليزى فى البحار . والواقع أن « لافاييت » كان له فى ذلك العهد نفوذ عظيم جداً

فى الوزارة وفى بلاط الملك . وكان السكونت « فرجين » وزير الخارجية يؤيده فى ضرورة تدخل فرنسا الحربى فتجس فى مسعاه وأخذ الاسطول الفرنسى يجوب البحار وبنائىء الانجليز فى المستعمرات ودخات اسبانيا وهو لانداء فى الحرب بجانب فرنسا فزاد مركز انجلترا حرجا وقد كان « لافاييت » يطمع فى أن يحمل الحكومة الفرنسية على اعداد حملة عسكرية تنزل فى انجلترا وتضربها الضربة القاضية . وكادت مساعيه تنجح لولا اجفال بعض الوزراء ورجال الدولة وخصوصا « نيكرو » و « مودباس » من عواقب هذه الحملة فحبط المشروع ولكنه نجح فى اعداد الحملة العسكرية لا مريكا فقررت الحكومة ارسال جيش فرنسى بقيادة الجنرال « روشامبو » لينضم الى جيش الجنرال واشنطنون . وكذلك أرسلت الحكومة الى امريكا كثيرا من الامدادات والمساعدات المائية التى كان الجيش الامريكى فى أشد الحاجة اليها

هزيمة الجيش الانجليزى

وانتهاء الحرب

وصات الحملة العسكرية الفرنسية الى امريكا فى منتصف سنة ١٧٨٠ وسبقها الماركيز « لافاييت » ليمهد لها سبيل الاشتراك مع الجيش الوطنى الامريكى . وكان واشنطنون ينتظر المدد الفرنسى بنافد الصبر لما كانت عليه حالة الجيش الوطنى من الضعف الذى كان يخفيه واشنطنون بثباته وصبره . ولما وصل المدد الفرنسى اشتدت عزائم الامريكان وأعدوا الهدد لملاقاة الجيش الانجليزى الذى كان تحت قيادة الجنرال « كورنواليس »

فاستأنفوا القتال وحاصروا الجيش الانجليزى فى « يورك تون » وانتهت المعركة بهزيمة الانجليز وتسليم جيش الجنرال « كورنواليس » بأسلحته ومدافعه وذخائره فى يورك تون (١٩ اكتوبر سنة ١٧٨١)

ولما وصل رسول الجيش الى فيلادلفى يحمل الى رئيس المؤتمر نبأ انتصار الامريكان والفرنسيين فى تلك المعركة عم الخبر أرجاء المدينة فى بضع دقائق فلأ القلوب حماسة وسروراً ودقت اجراس الكنائس وأطلقت المدافع اعلانا بابتداء عهد استقلال الولايات المتحدة لان هذه المعركة العاصلة جعلت الاستقلال الذى قرره المؤتمر حقيقة واقعة

وصل نبأ معركة يورك تون الى أوروبا بعد عشرين يوماً فأحدث تأثيراً كبيراً فى انجلترا وابتهاجاً عظيماً فى فرنسا

ففى انجلترا عجلت هذه الكارثة التى حلت بالجيش الانجليزى سقوط وزارة اللورد « نورث » الذى كان يتمسك بسياسة الشدة حيال الولايات الامريكية النائرة وأخذ رأى العام يتحول ويميل الى وضع حد للقتال

اعتراف انجلترا

باستقلال الولايات المتحدة

بدأت مفاوضات الصلح فى باريس فى شهر مارس سنة ١٧٨٢ وكان « فرنكلن » مازال مقيماً بها على اعتلال صحته وضعف شيخوخته . وقد طالب الى المؤتمر قبل انتهاء الحرب ان يسمح له بالعودة الى أمريكا لانه شعر بدنو أجله وأراد أن تكتحل عيناه بروية الوطن قبل أن يودع الدنيا . ولكن المؤتمر كتب اليه يدعوهُ الى البقاء لتستفيد البلاد من كفاءته

في مفاوضات الصلح . فصعد بالامر وبقي في باريس سفيراً لامريكا ومفاوضاً عنها في المفاوضات التي طالت بسبب ما كانت تاجأ اليه السياسة الانجليزية من المحاولات والتأجيلات واستمرت المفاوضات سنة كاملة الى أن أسفرت عن توقيع معاهدة فرساي في ٢٠ يناير سنة ١٧٨٣ التي اعترفت فيها انجلترا باستقلال الولايات المتحدة . وبذلك تكونت تلك الدولة التي صار لها في العالم شأن عظيم ولم يكن عدد سكانها في ذلك الحين يزيد على ثلاثة ملايين وربع

واشنطن محرر امريكا

انتهت مهمة « جورج واشنطن » بتحرير البلاد من النير الاجنبى . فهو جدير بأن يلقب بحق « محرر امريكا » لان كفاءته وفضائله واخلاقه يرجع اليها معظم الفضل فى نجاح الجهاد الوطنى . ولولا نفوذه الادبى لدب ديب الانقسام فى البلاد والجيش فى خلال سنوات القتال . فقد كان يحافظ على الوحدة الوطنية ويبذل فى هذا السبيل كل جهوده لانه كان يعتقد ان هذه الوحدة هى أساس الفوز وعنوان النجاح . كان يشدد العزائم اذا وهنت . ويحيى الهمم اذا فترت . ويعيد الى الصفوف اتحادها اذا تفرقت . كانت البلاد مهددة فى اثناء الجهاد الوطنى بالتفرق والانقسام لما كان يبرز سكان الولايات من المنازعات والمنافسات ، فكان يزيل بحكمته السياسية كل خلاف ، ويعيد الى النفوس صفاءها والى القلوب اخلاصها وولاءها

واليه يرجع الفضل فى احباط الفتنة التي كادت تنشب بين ضباط

الجيش والمؤتمر عقب انتهاء القتال بسبب الخلاف على مطالبهم فخطب فيهم «واشنطن» خطبة مؤثرة حذرهم فيها عواقب الانقسام وكان سفير التوفيق والصلح بينهم وبين المؤتمر باجابة معظم طابااتهم وبعد ان دقت ساعة الحرية في امريكا عول على الابتعاد عن الحياة العامة . فجمع اخوانه وزملاءه في الجهاد في نيويورك يوم ٤ ديسمبر سنة ١٧٨٣ وودعهم وداعاً مؤثراً وصالحهم جميعاً ثم ذهب الى فيلادلفي حيث ينعقد المؤتمر ورفع الى رئيس المؤتمر استقالته من القيادة العامة وأعان أنه لايقبل أى مركز في الحياة السياسية . وسافر الى قريته «مون فرنون» ليعيش فيها عيشة الهدوء والعزلة بعد ان غاب عنها ثمانى سنوات

واشنطن في عزلته

وهكذا زهد هذا الرجل العظيم في كل مظاهر الجاه والابهة ، ورفض كل مكافأة وارتضى لنفسه حياة العزلة والبساطة بعد ان تم على يده تحرير امريكا . أى بعد أن قام بعمل ينحى التاربخ أمام عظامته وجلاله وتكونت بفضل جهاده دولة من أعظم الدول شأنًا وأوسعها ملكا كتب واشنطنون في عزالته الى صديقه فى الجهاد «الماركيز لا فاييت» كتابا يقول له فيه :

« لقد أصبحت فرداً من آحاد الناس أعيش عيشة العزلة على ضفاف هر « بوتوماك » تحت ظلال التين والعنب بعيداً عن ضوضاء ميادين القتال ومسارح الحياة السياسية . الآن أقضى الحياة هادئاً أنهم بتلك

المسرات التي لا يستطيع أن يقدرها الجندي الذي يدأب وراء الشجرة العسكرية أو السياسي الذي يقضى الايام تعباً والى الى قلقاً يفكر في الخطط والوسائل التي تحقق لبلاده السعادة والهناء ولو كان فيها شقاء الشعوب الاخرى كأن الدنيا على سعتها أضيق من أن نعيش فيها جميعاً عيشة السلام والهناء - انى لا أحسد أحداً ولا أنافس انساناً . أنظر الى الناس جميعاً كأنهم أصدقاءى واخوانى . وهكذا أفضى الحياة وسأجتاز غدير الدنيا هادئ البال مطمئن النفس حتى ألحق بآبائى فى منواعم الأبدى» هذا ما كتبه «واشنطن» فى فبراير سنة ١٧٨٤ . ولكن الحوادث لم تحقق أمله ولم تدعه ينعم بهدوء العزلة

عودة واشنطن الى السياسة

وانعقاد الجمعية الوطنية المؤسسة

ذلك ان الولايات المتحدة بعد ان تم تحريرها كانت مضطربة الاحوال فى الداخل مهددة بأن تنقسم عرا وحدها . كان المؤتمر الذى تكون منذ سنة ١٧٧٤ يؤلف بين الولايات الثلاث عشرة للدفاع عن كيائها والدود عن حريتها وينظم الجهاد الوطنى وقد ألفت منها وحدة سياسية جديدة ولكن كانت كل ولاية محافظة على استقلالها وشخصيتها التديعة بهيئاتها وحكومتها وكان المؤتمر ضعيف الساطة النظامية وكانت الولايات تتنافس فيما بينها وتفصلها المزاومات الاقتصادية والرسوم الجمركية بدرجة خيف منها على كيان الدولة الجديدة

عالج المؤتمر هذه الحالة فى أثناء حرب الاستقلال ووضع فى ٩ يوليو

سنة ١٧٧٨ دستوراً مؤلفاً من ثلاث عشرة مادة يجعل الرابطة بين الولايات المتحدة قائمة على قاعدة « اتحاد ولايات مستقلة » أى انه لم ينشئ دولة ذات ساطة مركزية قوية

وقد بدئ في تنفيذ هذا الدستور من سنة ١٧٨١ وبقي معمولاً به ست سنوات لغاية سنة ١٧٨٧ فأظهرت التجربة ان هذا الدستور يجعل الوحدة القومية مهددة بالانفصام لو لم يتداركها أقطاب الأمريكان في ذلك العهد . فقد كانت الحكومة المركزية ضعيفة ليس لها من النفوذ أو الساطة على حكومات الولايات ما يحقق وحدة الدولة . كانت مثقلة بالديون التي اضطرت الى اقتراضها أثناء الحرب و ليس لها سلطة على الحكومات اللامركزية فلا تستطيع فرض الضرائب على الولايات ولا سن القوانين المالية والحربية لها : وضعف لهذا السبب شأن المؤتمر وكادت ساطته تضمحل أمام النزعات الاستقلالية في الولايات فكان من الضروري التعاون على وضع دستور جديد للولايات المتحدة

ففى ٢١ يناير سنة ١٧٨٦ دعا مجلس ولاية فرجينيا الولايات الاخرى الى عقد « جمعية وطنية » لوضع نظام ارتباط جمركى بين الولايات يمنع التزام التجارى فيما بينها ويجعلها كتلة واحدة أمام التجارة الاجنبية . فلبى الدعوة أربع ولايات فقط وهي « نيويورك » « ونيوجرس » « ودلاور » و « يانسلفانيا » .

واجتمع مندوبوها فى ستمبر سنة ١٧٨٦ فى « انابوليس » وكان عددهم قليلا ولا يمثلون الولايات كلها . ولكنهم تداولوا فى الامر فاتفقوا بالاجماع على اعتبار الحالة خطيرة ووجوب وضع دستور يقوى وحدة الدولة .

ووضع النائب «هاملتون» تقريراً في هذا الشأن قبل بالاجماع في ١٤ ستمبر .
وتقرر دعوة الولايات الى عقد جمعية وطنية جديدة تشترك فيها
الولايات كلها

وأرسلت الدعوة والقرار الى المؤتمر والى مجالس الولايات وحدد
فيها لانهقاد الجمعية الوطنية شهر مايو سنة ١٧٨٧ في فيلادلفى وهى المدينة
التاريخية التى كان ينعقد فيها المؤتمر

وضع الدستور

قبلت الولايات الدعوة وانتخبت مندوبها واجتمعت الجمعية الوطنية
· بفيلادلفى يوم ١٤ مايو سنة ١٧٨٧

وكانت تجمع أقطاب الامريكان فى ذلك العصر وفى مقدمتهم «جورج
واشنطن» و «فرنكان» و «هاملتون» و «ماديسن» و «ديكنسون»
و «موريس» وكان عدد الاعضاء ٥٥ نائباً . فانتخبت الجمعية بالاجماع
« جورج واشنطن » رئيساً لها بناء على اقتراح «فرنكان» وبذلك عاد
« واشنطن » الى ميدان العمل العام بعد ان ظن انه اعتزل الحياة الحزبية
والسياسية نهائياً . وظلت الجمعية منعقدة أربعة أشهر تتباحث فى قواعد
الدستور الامريكى . وكانت الميول مختلفة والمشارب متباينة الى درجة انه
خيف على البلاد ان ينفرط عقد الجمعية دون أن توفق الى وضع الدستور
لان فريقاً من نواب الولايات كان يتمسك بجعل السلطة المركزية للدولة
ضعيفة وفريقاً آخر كان يريد جعلها قوية لتحفظ للدولة الجديدة وحدتها
وقوتها . وأخيراً تغلبت النظرية الاخيرة

واختلف الاعضاء أيضا في طريقة تمثيل الولايات في مجاسي النواب والشيوخ ، فالولايات الصغيرة كانت تريد أن يكون التمثيل واحداً بالنسبة لكل الولايات . والولايات الكبيرة كانت تريد أن يكون بنسبة عدد السكان وأخيراً افقوا على حل وسط وهو أن يكون التمثيل في مجالس النواب بنسبة عدد السكان فتمتاز الولايات الكبيرة على الصغيرة في عدد نوابها وفي مجلس الشيوخ يكون التمثيل بنسبة واحدة وعدد واحد لكل ولاية وذلك ان يكون لكل ولاية عضوان اثنان في المجالس كائنا عدد سكانها ما كان

ووفق الاعضاء الى تقرير الدستور في ١٧ سبتمبر سنة ١٧٨٧ وكتب في ذيل الدستور قبل توقيع المندوبين العبارة الآتية « بناء على طلب « واشنطون » تقرر في الجمعية الوطنية باجماع الولايات الممثلة فيها يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٧٨٧ في السنة الثانية عشرة من استقلال الولايات المتحدة »

ثم عرض الدستور على مجالس الولايات الثلاث عشرة فأقرته في ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٨ بعد مجادلات شديدة لان حزبا كبيرا من أعضاء تلك المجالس كان يعارض انشاء حكومة مركزية قوية تضعف بجانبها سلطة الولايات

انتخاب واشنطون

رئيساً للجمهورية

ثم جرت الانتخابات لرئاسة الجمهورية وفقاً لاحكام الدستور الجديد فانتهى (جورج واشنطون) رئيساً للجمهورية في ٦ ابريل سنة ١٧٨٩

وانتخب « جون آدمس » وكيلا للجمهورية
وبانتخاب « جورج واشنطن » رئيسا للجمهورية تم تكوين الولايات
المتحدة نهائيا وانتهى عهد الثورة الامريكية وكالت بالنجاح في هذه
السنة . وفيها أيضا بدأت الثورة الفرنسية الكبرى فكأن الثورة الفرنسية
قد بدأت اذ انتهت الثورة الامريكية وهذا من المصادفات العظيمة الشأن
في التاريخ الانساني

وكان انتخاب « واشنطن » للرئاسة من العوامل الرئيسية في تقوية
الوحدة الامريكية لان نفوذه الكبير وشخصيته المحترمة ومحبة الامريكان
له باعتباره بطل الاستقلال الوطني كسبت الساطة التنفيذية والحكومة
المركزية مهابة واحتراما كانا ضروريين لسلامة الجمهورية الامريكية في
عهدهما الاول . فواشنطن بعد أن أدى لبلاده أعظم الخدم في ميادين
القتال الوطني خدمها أيضا خدمة كبرى في تكوين وحدتها السياسية
تلك الوحدة التي كانت أساس رقيها واتساع ماسكها في العالم

ثم أعيد انتخابه للرئاسة من ٤ مارس في سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٧٩٧
ولم يقبل تجديد انتخابه للمرة الثالثة فاعتزل الحياة السياسية نهائيا
واعتكف في مزارعه « بنون فرنون » الى ان انتهت حياته الكبيرة في ١٢
ديسمبر سنة ١٧٩٩

ان الدستور الامريكي الذي وضع سنة ١٧٨٧ لم يزل باقيا للآن أي
منذ أكثر من ١٣٢ سنة . فهو أقدم دستور مكتوب موجود الى الآن
لان الدستور الانجائزي وان كان أقدم من الدستور الامريكي عمراً ليس
دستوراً مكتوباً بل هو مجموعة قواعد تقررت في تواريخ مختلفة وأزمنة

متعاقبة . فالدستور الامريكى باق كما وضع سنة ١٧٨٧ مع تعديلات معدودة أدخلت عليه على تعاقب السنين دون ان تغير من جوهره . وقد انضمت الى الولايات الثلاث عشرة المكونة للولايات المتحدة ولايات أخرى قبات على التعاقب ضمن أجزاء الجمهورية فأصبحت مؤلفة من ٤٦ ولاية

قواعد الدستور الامريكى

وتتأخص قواعد هذا الدستور مع التعديلات التى أدخلت عليه في المبادئ الآتية :

السلطة التشريعية

تتولى السلطة التشريعية هيئة « المؤتمر » وهى مؤلفة من مجلس النواب ومجلس الشيوخ . فجلس النواب ينتخب أعضاؤه سكان الولايات بنسبة نائب لكل ٣٠ الف نسمة بحسب نظام الانتخاب الذى تقرره كل ولاية . وكلها تجعل الانتخاب على درجة واحدة . ومعظمها يجعله عاماً غير مقيّد بشرط . وبعضها يشترط فى الناخب أن يكون عارفاً بالقراءة والكتابة وبعضها يشترط أن يدفع الناخب ضريبة ما . وكلها تشترط أن يكون بالغاً من السن ٢١ سنة

ويشترط فى العضو المنتخب أن يكون بالغاً من السن ٢٥ سنة وأن يكون متجنساً بالجنسية الامريكية منذ سبع سنوات على الأقل ومقيماً وقت الانتخاب فى الولاية التى تنتخبه . ومدة انتخاب الاعضاء سنتان ومجلس الشيوخ ينتخب أعضاؤه بمعرفة مجالس الولايات ولكل

ولاية عضوان ومدة انتخابهم ست سنوات ويتجدد انتخاب ثلثهم كل سنتين ويشترط في العضو أن يكون بالغاً من السن ٣٠ سنة وأن يكون حائزاً للجنسية الأمريكية منذ تسع سنوات على الأقل ومقيماً وقت الانتخاب في الولاية التي انتخبته

سلطة المؤتمر

يقرر المجلسان مشروعات القوانين ويقرها رئيس الجمهورية . فإذا لم يقرها أعادها الى المجلس الذي نظرها لأول مرة مشفوعة بآرائه و اعتراضاته عليها . فيميد هذا المجلس النظر فيها وله أن يقرها كما هي اذا اتفقت على ذلك أغلبية ثلثي الأعضاء ويرسلها الى مجلس الشيوخ فاذا اتفقت كذلك أغلبية ثلثي أعضائه على تقريرها أصبح المشروع قانوناً واجب التنفيذ

فالدستور يعطى رئيس الجمهورية الفيتو ولكنه مقيد باعادة النظر في القانون أمام المؤتمر وللمؤتمر الكلمة العليا كما تقدم بين الدستور حدود السلطة التشريعية التي يملكها المؤتمر ليعرف منها اختصاصه واختصاص المجالس النيابية الخاصة بالولايات . وذلك انه لما كانت الولايات المتحدة هي دولة لامركزية مؤلفة من ٤٦ ولاية متحدة فلولايات هيئات نيابية خاصة تقرر شؤونها الداخلية . وللمؤتمر السلطة التشريعية العامة وأهم ما تناوله حدود تلك السلطة وضع الضرائب والقوانين المالية للدولة وعقد القروض وتنظيم العلاقات التجارية والخارجية ونظام الجنسية والعمل والبريد والمحاكم وعلان الحروب وتنظيم الجيش والبحرية

وقد حظر الدستور على مجالس الولايات أن تفتتت على هذه الاختصاصات

والمؤتمر أن يقرر قبول ولايات جديدة في الجمهورية فيسرى عليها الدستور الأمريكى ويضمن لها مزاياه . وللمؤتمر أن يعرض ادخال تعديلات فى الدستور بشرط أن يكون ذلك بناء على طلب ثلثى الاعضاء ويجوز أن يكون التعديل بناء على طلب الهيئات النيابية لثلثى الولايات . وفى الحالتين لا يتم التعديل الا اذا أقرته الهيئات النيابية فى ثلاثة أرباع الولايات

ولمجلس الشيوخ فوق اختصاصه التشريعى اختصاصان آخران :

(١) ان تعيين الموظفين الذى هو من حقوق رئيس الجمهورية لا يكون نهائيا فيما يتعلق بكبار الموظفين كالسفراء والقناصل وقضاة المحكمة العليا الا بعد اقرار مجلس الشيوخ

(ب) ان المعاهدات المعقودة مع الدول الاجنبية لا تكون نافذة الا اذا أقرها المجلس بأغلبية ثلثى أعضائه . وهذا الحق هو الذى أبطال معاهدة فرساي التى وقع عليها الرئيس « ويلسون » ورفض مجلس الشيوخ اقرارها فأصبحت فى نظر الولايات المتحدة فى حكم العدم

ولمجلس الشيوخ أيضاً اختصاص جنائى وهو محاكمة من يتهمهم مجلس النواب ويطلب اليه محاكمتهم

وله محاكمة رئيس الجمهورية وفى هذه الحالة يرأس المجلس قاضى القضاة (رئيس المحكمة العليا)

السلطة التنفيذية

وضع الدستور الامر بكى قاعدة الفصل بين السلطات وهى القاعدة التى كانت معروفة فى ذلك العهد وشرحها الفيلسوف « مونتسكيو » فى كتابه « روح الشرائع » الذى تشيع منه معظم أعضاء الجمعية الوطنية فقرر الدستور أن السلطة التنفيذية يتولاها رئيس الجمهورية الذى ينتخب لمدة أربع سنوات بالا انتخاب العام على درجتين وذلك ان كل ولاية تنتخب لهذا الغرض عددا من المندوبين مساوياً لعدد أعضائها فى مجلس النواب والشيوخ ويكون انتخاب هؤلاء المندوبين بحسب نظام انتخاب كل ولاية . ويشترط فى المندوب ألا يكون فى الوقت نفسه موظفا فى الحكومة أو عضوا فى مجلس النواب أو مجلس الشيوخ . وحكمة هذا القيد أن المشرع أراد أن يكون هؤلاء المندوبون بعيدين عن تأثيرات الحكومة أو التأثيرات السياسية فى المؤتمر . وأن يكونوا مثنين لرأى الامة مباشرة فى اختيار الرئيس الحائز ثقة الشعب

وقد جرت التقاليد الانتخابية فى امريكا منذ سنة ١٧٩٦ على ان مندوبى الانتخاب يتاقون من الناخبين اسم مرشحهم للرئاسة بمعنى انهم يعبرون فى الانتخاب عن ارادة ناخبهم ولا يخرجون عنها فكأنهم حقيقة يعبرون عن رأى الشعب مباشرة فى انتخاب رئيس الجمهورية وهذه الطريقة تشبه أن تكون انتخابا عاما على درجة واحدة لان وكالة مندوبى الانتخاب محدودة برغبة الموكلين أنفسهم

السلطة القضائية

والسلطة القضائية تتولاها المحكمة العليا والمحاكم التي يقرر المؤتمر انشاءها والقضاة يتمتعون فعلاً بحق عدم العزل

عدم تقرير مبدأ المسؤولية الوزارية

امام المؤتمر

لم يقرر الدستور مبدأ مسؤولية الوزراء امام المؤتمر فالوزراء مسؤولون أمام رئيس الجمهورية وليس للرئيس حق حل المؤتمر

وهذا عيب في الدستور لان الوزارة ليس مقضيا عليها بالسقوط اذا لم تحز ثقة مجلس النواب أو مجلس الشيوخ واذا اختلف الرئيس والمؤتمر فلا سبيل الى الاحتكام الى الامة ، فلا الوزارة تسقط ولا المجلس يحل بل يبقى الخلاف معاقا الى ان تنتهى مدة انتخاب المجلس او الرئيس كما حدث في عهد رئاسة ويلسن بعد توقيعه على معاهدة فرساي ورفض مجلس الشيوخ قرارها . فان الحالة بقيت معلقة الى ان انتهت مدة رئاسة «ويلسن» وانتخب بدله «السيناتور هاردينج» فأخذت الحكومة الامريكية تعقد معاهدات الصلح عن جديد مع المانيا والنمسا

ولا شك ان مسؤولية الوزراء امام رئيس الجمهورية وعدم مسؤوليتهم امام المؤتمر مما يزيد في سلطة الرئيس ويجعل الوزراء كموظفين تابعين له مباشرة وليست هذه الحالة مما يرغب فيها من الوجهة الدستورية

منع الرتب والالقاب

الالقاب ورتب الشرف ممنوعة بنص الدستور وقد نص كذلك على
انه لا يجوز لاجد من الموظفين الامريكان ان يحصل على رتبة او هدية
أو لقب من دولة أجنبية من غير موافقة المؤتمر

(الرسالة السادسة)

الجمعية الوطنية الألمانية

سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠

مقدمات الجمعية

نكتب الآن عن التاريخ الحديث الذى وقعت حوادثه على مرأى أو مسمع منا . فان الجمعية الوطنية الألمانية قد انعقدت عقب انتهاء الحرب الكبرى ومع انما قريبو العهد بها فأنها جديرة بالتدوين لأنها تعد من أكبر الجمعيات الوطنية شأننا وأعظمها فى التاريخ أثراً . ولا عجب فى ذلك فهي الجمعية التى تألفت لتبت فى مصير الأمبراطورية الألمانية العظيمة بعد خروجها منهزمة من أكبر حرب عرفها التاريخ . ومع أن الأمبراطورية كانت مهددة بالتفتت والانحلال بعد الهزيمة التى أصابها فقد استطاعت الجمعية الوطنية أن تحفظ كيائها وحدثها ووضعت لها دستوراً جديداً شهد علماء التشريع فى بلاد الحلفاء أنه أرقى دستور وضع شاملاً لأحدث المبادئ الديمقراطية فضلاً عن أنه قد كفّل الوحدة الألمانية وقواها وكمل العمل الذى بدأ به بسمارك

فالمانيا قد خرجت منهزمة من الحرب العظمى وأعداؤها متألّبون عليها من كل جانب والأمل فى بقائها ضعيف ولكن الأدمغة الألمانية الكبيرة قد تمكنت من انقاذ الدولة من لجة الفوضى التى كانت غرقه

فيها وأخرجت للعالم دولة جديدة موحدة الكلمة عاملة على استرجاع مكانتها التاريخية . وتبين أن هذه الأمة المجيدة التي كانت عظيمة في عزها ظهرت أيضا عظيمة في هزيمتها ومصابها . ولا بد لنا قبل أن نتكلم عن الجمعية الوطنية الألمانية وأعمالها أن نذكر كيف انتقلت المانيا من النظام القديم الى الثورة ثم الى النظام الحديث

الدستور القديم والاصلاحات الجديدة

كانت المانيا الغاية أكتوبر سنة ٩١٨ متبعة أحكام الدستور الامبراطورى الموضوع فى ١٦ ابريل سنة ١٨٧١ ومع ان هذا الدستور كان من قواعده وجود مجلس الرشتاج الذى هو نوع من المجالس النيابية الا ان المبادئ البرلمانية التى تضمن ساطة الشعب كانت ضعيفة الاثر فى هذا الدستور وأعم هذه المبادئ وهو مسؤولية الوزارة أمام مجلس الرشتاج كان غير موجود فى الدستور . فالوزارة اذا فقدت ثقة المجلس لم تكن مضطرة الى الاستقالة . وكان لمستشار الامبراطورية الذى كان رئيس الوزارة أن يرفض الاجابة عما يوجهه اليه المجلس من الأسئلة لأنه كان مسؤولا أمام الامبراطور لا غير وكان لمجلس الامبراطورية (البوندسرات) الذى يمثل الأمراء وحكومات البلاد التى تتألف منها الدولة ساطة أكبر من مجلس الرشتاج الذى يمثل الشعب وللامبراطور ساطة كبيرة فى الادارة وله الرئاسة المرافقة لجيوش البر والبحر . وكانت بروسيا متساطة نافذة الكلمة بفضل عدد نوابها فى الرشتاج وفى مجلس الامبراطورية وبفضل أن ملكها هو الامبراطور وان رئيس وزارتها هو فى الوقت نفسه مستشار الامبراطورية غير المسئول أمام مجلس الرشتاج

ولا ريب ان هذا النظام الدستوري المحتوى على تلك العيوب كان محلا للشكوى وكانت الأنظار متطلعة الى اصلاحه . فلما اشتدت وطأة الحرب وجاءت سنة ١٩١٧ وبدأت الأمة الالمانية تنوء بأحمالها وضحاياها العظيمة أخذت الحكومة الامبراطورية تتقرب الى الشعب لتحمله على الاستمرار فى تأييدها وشد أزرها

ففى ٧ ابريل سنة ١٩١٧ أصدر الامبراطور رسالته الشهيرة الى الشعب الالمانى وقد ذكر فيها « وجوب تعديل الدستور ليكون ملائماً لمقتضيات الحالة الجديدة وليضمن تعاون افراد الشعب تعاوناً مبنياً على الحرية والاخاء »

واخذت الحكومة الامبراطورية تعد الاصلاحات الدستورية الجديدة ونار الحرب مستعرة الى ان جاءت سنة ١٩١٨ وظهرت بوادر الضعف فى صفوف الالمان فى سبتمبر سنة ١٩١٨ فوجه الامبراطور الى مستشاره « فون هرتلنج » خطابه الشهير الذى يستحثه فيه على إجراء الاصلاحات الدستورية . وجاء المستشار الجديد البرنس « ماكس دوباد » وشرع فعلاً فى وضع القوانين الدستورية الحديثة وذلك فى اكتوبر سنة ١٩١٨ فتمقرر فيها

(أولاً) ان مستشار الامبراطورية لا يصح ان يبقى فى منصبه الا اذا كان حائزاً لثقة الرشتاج

(ثانياً) ان المستشار مسؤول عن كل الاعمال التى يجرىها الامبراطور وانه مسؤول هو والوزراء عن اعمال الحكومة امام مجلس الرشتاج والبوندسرات

ومعنى ذلك ان الدستور الالماني قد قرر مبدأ مسؤولية الوزارة امام البرلمان وما يستتبع ذلك من سقوط الوزارة اذا لم تحزن ثفة مجلس النواب أى المجلس الذى يمثل الشعب

(ثالثا) انه ليس للامبراطور اعلان الحرب وعقد المعاهدات الا بعد موافقة مجلس الرشتاج والبوندسرات بعد ان كان له الانفراد باعلان الحرب فى حالة حدوث هجوم على حدود البلاد

(رابعا) ان ادارة القوات الحربية للامبراطورية يجب أن تكون خاضعة لاشراف البرلمان

الثورة الالمانية

على ان هذه الاصلاحات جاءت فى وقت كانت، قد اختمرت فيه فكرة الثورة فلم تغد فى وقف العاصفة التى هبت على البلاد فاكستحتها بأسرع من لمح البصر . ذلك ان الثورة شبت فى أوائل نوفمبر سنة ١٩١٨ فبدأت بين بحارة ثغر كيال الحربي الذين أعلنوا العصيان والفوا مجاسا للجنود له ساطة الاعمال الحربية . وانضم اليهم العمال والفوا أيضا مجاساً للعمال وأعلنوا الاضراب العام . فامتدت الحركة الى هامبورج . ولوبك وبريم . وكولون . وهانوفر . وماجد بورج . وبرنسويك . وليبنزيج ودزسدن .

وتم ذلك بسرعة مدهشة لم يعرف لها مثيل فى التاريخ ففى ما بين ٤ و ٩ نوفمبر عمت الثورة المانيا من أقصاها الى أقصاها وأصبحت الساطة

في أيدي مجالس العمال والجنود . ومن الغريب أن هذه الثورة لم تصادف
مقاومة ما لا من الحكومة ولا من طبقة الحضرين ، الطبقة المتوسطة
من سكان المدن . ولعل السبب الحقيقي لذلك أن الأمة كانت قد سئمت
الحرب بعد أن احتملت في سبيلها ما احتملت من الضحايا والاهوال
وكانت الأذهان قد أشربت بعد توالي الهزائم الألمانية فكرة استحالة
استمرار الحرب . واتجهت إلى أن المسؤول عما حل بألمانيا من خسائر
الحرب ومصائبها هو النظام الإمبراطوري فكان من الطبيعي أن يتداعى
هذا النظام ويسقط بسقوط القوة الحربية الألمانية

عمت الثورة سائر نواحي البلاد ولم يبق إلا أن تتوج بسقوط العاصمة
وتنزل الإمبراطور . على أن السلطة العسكرية في براين قد استعدت
للمقاومة فأعلنت الأحكام العرفية في ٥ نوفمبر . ومنعت في ٧ منه اجتماع
مجالس العمال والجنود . على أن الاشتراكيين الديمقراطيين الذين كانوا
يناثون النظام الإمبراطوري لم يحفلوا بهذه الأوامر فأوفدوا الوزير
الاشتراكي « شيدمان » إلى المستشار « ماكس دوباد » يطلب تنزل
الإمبراطور وولي العهد وعدول الحكومة عن مصادرة الاجتماعات

وكان الموقف خطيراً لأن العمال كانوا في أيدي الاشتراكيين . ولم
تكن الحكومة لتتقوى أمام عاصفة الثورة التي عمت رجاء البلاد فأراد
المستشار أن يجعل للانقلاب صفة نظامية وعرض فكرة عقد (جمعية
وطنية مؤسسة) تقرر نظام البلاد

فلم يشأ الثوار الانتظار ففي ٩ نوفمبر انعقد « مجلس العمال والجنود »
في براين وكان أول قراراته إعلان الاعتصاب العام . فلم يكن في وسع

المستشار أن يقاوم هذه الحركة . وفعلًا اضطر الى مخافة الامبراطور في شأن الحالة الخطيرة التي آلت اليها الثورة فرأى الامبراطور ان ينزل عن العرش في ذلك اليوم التاريخي (٩ نوفمبر سنة ١٩١٨) وأعلن للمستشار رسميًا نزوله عنه كذلك نزول ولي العهد وأعلن في الوقت نفسه انه سيظل في منصبه الى أن يعين الوصي على ولي العهد الجديد

على ان الحوادث كانت أسبق مما كان في حساباته . قفى اليوم نفسه ذهب الهر « ايرت » زعيم الاشتراكيين الديمقراطيين الى المستشار « ما كس دوباد » وطالب منه ان يدع له منصبه محافظة على النظام العام . وبعد مناقشة قصيرة رضى المستشار بالتمنل عن وظيفته وتقلدها الهر « ايرت » وصرفوا نظراً عن مسألة وصى ولي العهد . ذلك ان الاحزاب الاشتراكية كانت تدعو الى اعلان الجمهورية وكان العمال قوة كبيرة في أيديهم والحضريون ساكتين بقابلون هذه الحركة بالتسليم النام

اعلان الجمهورية

فلما تم تقلد الهر « ايرت » منصب المستشار وقف الهر « شيدمان » على درجات سراى الرشتاج أمام الجماهير المحتشدة وأعان انتهاء ملك آل هوهنزلرن ونادى « فلنحى الجمهورية الألمانية » ورددت الجماهير هتافه فكان هذا النداء بمثابة اعلان الجمهورية الجديدة

وجرت مثل هذه الحركة في سائر عواصم الممالك والامارات الألمانية في اليوم نفسه فأعلنت الجمهورية فيها جميعاً وتنزل جميع الملوك والأمراء عن عروشهم

فالجمهورية الألمانية يبدأ تاريخها في يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨
كان سقوط النظام الامبراطورى مدعاة الى انحلال الأئظمة والهيئات
التي تكونت في عهد . فلم يعد لمجلس الامبراطورية (البوندسرات)
وجود . أما مجلس الرشتاج الذى يعتبر نفسه نائباً عن الشعب بحكم الانتخاب
العام فقد حاول رئيسه الهر « فهرنباخ » أن يدعو الى عقده ليتداول
في الحالة الجديدة . ولكن الحكومة الثورية أنذرتة بعدم انعقاده وكاد
يقوم نزاع بين فهرنباخ والحكومة الجديدة ولكن المجلس لم ينعقد من
ذلك الحين . وفي فبراير سنة ١٩١٩ صدر قرار من الحكومة باعتباره منحل
ابتداء من ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨

على ان النزاع الخطير كان قد بدأ بين القائمين بالثورة على طبيعة
النظام الجديد الذى سيجل محل النظام الامبراطورى . فالواقع ان الساطة
أصبحت مؤقتاً بعد الثورة في يد مجلس العمال والجنود وأخذ أعضاء هذه
المجالس ودعاتها يبحثون في وضع النظام الجديد فانقسموا الى فريقين فريق
الاشتراكيين الديمقراطيين . (فريق شييدمان وايرت) الذين كانوا يرمون
الى تأسيس جمهورية ألمانية ديمقراطية بواسطة (جمعية وطنية) تدعى في
أقرب وقت . وفريق الاشتراكيين المستقايين والشيوعيين أو السبرتناكوس
الذين كانوا يريدون تطبيق نظام البلشفية بابقاء السلطة في يد مجالس العمال
والجنود على طريقة السوفييت الروسية بحيث يسود مبدأ تحكم الطبقات
العاملة دون سواها ويكون الغرض من انشاء الجمهورية على هذا الأساس
جعل الثروة ووسائل الانتاج ملكا للمجتمع .

فالفرق عظيم جداً بين الغايتين ولم يكن في الامكان التوفيق بين

الفريقين لاختلاف المبادئ والمرامى . على ان النزاع كان خطير العواقب لأنه لم يكن يخفى على أذهان الاشتراكيين الديمقراطيين ان الثورة التي نجحت كانت في الواقع من عمل الاشتراكيين المستقلين وان كان الفريق الآخر هو الذى استولى على ساططة الحكم بواسطة «شيدمان» و «ايرت» فالاشتراكيون المستقلون هم الذين دبروا الثورة وهم الذين دعوا الى انشاء مجالس العمال والجنود على الطريقة الروسية . وهذه المجالس هى التى قررت الاعتماد العام الذى أذمى الى انحلال الحكومة القديمة فلما تقلد «ايرت» منصب المستشار وأخذ يولف الوزارة الجديدة تدخل الاشتراكيون المستقلون فى تأليفها فاشتراطوا أن يكون مصدر السلطة العامة مجالس العمال والجنود . وأن تكون الوزارة مؤلفة من الاشتراكيين دون سواهم . ولما كان الاشتراكيون المستقلون مالكيين الى ذلك الحين القوة الفعالية لأن الشوارع وجماعات العمال الناشرين كانت تحت قيادهم اضطر الاشتراكيون الديمقراطيون الى الازعان مؤقتاً لطلباتهم .

الدعوة الى عقد الجمعية الوطنية

على انهم أخذوا يتحينون الفرص لافضاءالعنصر البلشفى (الاشتراكيين المستقلين) عن الحكم لأنه اذا استمر متحكماً متسلطاً فلا بد أن يسوق البلاد الى الفوضى السياسية والاقتصادية . وكانوا يعملون أولاً لعقد جمعية وطنية مؤسسة بطريق الانتخاب العام لاعتقادهم ان مجموع الامة الالمانية المعروفة بتعلقها بالنظام لانقبل ألبته نظاماً باشفياً قائماً على تحكم طبقات

العمال مصدره ساطة « مجالس العمال والمجندين » . فاذا انتخبت جمعية وطنية ظهر ميل الأمة الحقيقي وتمتأت ارادتها في ابعاد نظام البلشفية .
وتمهيداً لعقد هذه الجمعية دعا المهر « ايرت » الى عقد « مؤتمر الممالك الالمانية » يمثل مندوبين عن حكومات الجمهوريات الالمانية . فانعقد هذا المؤتمر في برلين يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨ برئاسة المهر « ايرت » وتكلم الرئيس في الحاجة الى وضع دستور جديد للدولة الالمانية وقال ان من الضروري تحديد العلاقات بين الحكومة المركزية وحكومات الجمهوريات المؤلفة منها الدولة الالمانية . ولأجل ذلك لا بد من عقد جمعية وطنية عامة في أقرب وقت لنضع النظام النهائي للدولة . فاشتد الجدل في المؤتمر وأخيراً قررت الاغلبية العظمى من أعضائه وجوب عقد الجمعية الوطنية لتضع الدستور الجديد للبلاد وقرر اعتبار مجالس العمال والمجندين ممثلة لسلطة الشعب مؤقتاً لغاية انعقاد هذه الجمعية

كان هذا القرار اتصافاً كبيراً للفريق الاشتراكيين الديمقراطيين لان تنفيذه سيؤدى الى انحلال تلك المجالس التي كان الاشتراكيون المستقلون يريدون جعلها نفاذاً نهائياً للدولة . ولذلك لم يكذب مصدر هذا القرار حتى أسرع مجلس الوزراء في ٣٠ نوفمبر الى اعلان الدعوة الى الانتخابات العامة للجمعية الوطنية ونظام الانتخاب وحدد لاجرائها يوم ١٩ يناير سنة ١٩١٩

فشعر الاشتراكيون المستقلون بأن في هذا القرار هزيمة لهم واحباطاً لبرنامجهم لانهم كانوا على يقين انهم أقلية في الامة وان الاغلبية ستنحاز طبعاً الى حزب النظام والعمالون أى حزب الاشتراكيين الديمقراطيين

فسعوا في اضرار نار الثورة من جديد للقبض على زمام الاحكام كما استولى البلشفيون في روسيا على ساطة الحكم عنوة واقتداراً . ولكن ثورتهم فشلت وانتهت قبل الانتخابات العامة بهزيمة الثائرين من أنصارهم وبقتل اثنين من اكبر زعمائهم وهما (كارل لينخت) و (روزالو كسمبرج) (١٦ يناير)

وكان الوزراء الاشتراكيون المستقلون قد انسحبوا من الوزارة احتجاجاً علىها واستثارة لغضب أشياعهم فلم يعبأ الاشتراكيون بهذه الحركة وكملوا الوزارة بوزراء من حزبهم وعلى ذلك جرت الانتخابات العامة والوزارة كلها من حزب الاشتراكيين الديمقراطيين

انتخابات الجمعية

جرت الانتخابات للجمعية الوطنية في يوم ١٩ يناير سنة ١٩١٩ على نظام هو أحدث ما وضع من قوازين الانتخابات وأشدها انطباقاً على مبادئ الديمقراطية فتمد جعلوا الانتخاب حقاً عاماً لكل شخص بالغ من العمر ٢٠ سنة وأعلنوا النساء حق الانتخاب فساروا يدهن وبين الرجال ولم يحرموا رجال الجيش من الضباط والجنود الذين تبعدهم بعض القوانين الدستورية عن الانتخابات هذا الحق . وكذلك جعلوا هذا الحق للمغلسين باعتبار ان افلاسهم لا يمنعهم من التعبير عن آرائهم السياسية . وأما العضوبة للجمعية الوطنية فهي حتى لكل ناخب على شرط أن يكون متجنساً بالجنسية الألمانية منذ سنة على الأقل . والانتخاب على درجة واحدة بحيث ينتخب الناخبون في كل دائرة العضو الذي يختارونه مباشرة

وقد أسفرت الانتخابات عن انتخاب ٤٧٣ نائبا (من بينهم ٣١ سيدة) منهم ١٦٥ من حزب الاشتراكيين الديموقراطيين و ٧٤ من الديموقراطيين و ٨٩ من حزب الوسط و ٢٢ فقط من الاشتراكيين المستقلين و ٤٢ من الحزب الوطنى و ٢٢ من حزب الشعب و ٩ من غير هذه الأحزاب

انعقاد الجمعية

اجتمعت الجمعية فى « فيمار » يوم ٦ فبراير سنة ٩١٩ وقد اختارت الحكومة هذه المدينة لتكون الجمعية بعيدة عن برلين خوفا من الفتن والقلقل التى قد يثيرها الاشتراكيون المستقلون وكان يراد من الجمعية أن تبت فى مسألة الصالح الذى قرره الحلفاء فى مؤتمر فرساي وأن تضع دستور البلاد ولما كان وضع دستور لدولة عظيمة مترامية الاطراف يسكنها سبعون مليوناً من البشر فى ظروف عصبية كالظروف التى اجتازتها المانيا وقتئذ أى بعد انتهاء الحرب يستغرق زمناً ليس باليسير حتى تنتج القرائح الالمانية الكبيرة النظام الذى يكفل لألمانيا المهزومة الاحتفاظ بوحدتها واستعادة مركزها وعظمتها فى العالم فقد قررت الجمعية وضع دستور مؤقت تسير عليه البلاد فى الداخل وينظم تمثيلها فى الخارج حتى يتم وضع الدستور النهائى

الدستور المؤقت

ولم يضيع الأعضاء شيئاً من وقتهم فقد عرض الاستاذ « بروس » في ٨ فبراير مشروع دستور مؤقت كان موضع المباحثات الأوامية بين نخبة الاعضاء قبل انعقاد الجمعية رسمياً وحاز رضائهم فلم تطل المناقشة فيه عند ما تابحت الجمعية في أحكامه ولا سيما أنه لم يشتمل الا على المبادئ الرئيسية المنفق عليها في النظام الجديد وتحاشى واضعوه أن يتعرضوا للنقط التي تعتبر مثاراً للنزاع بين الاحزاب أو بين سكان الممالك الالمانية المختلفة . فأقرت الجمعية المشروع في ١٠ فبراير وهو يتضمن القواعد الآتية (١) ان سلطة الشعب هي ممثلة في الجمعية الوطنية . والجمعية هي وحدها صاحبة الحق في وضع دستور البلاد دون ان ترجع الى أى شخص أو أى هيئة في البلاد . على أن لها وحدها أن تقيد هذا الحق اذا أرادت . وقد قيدته بالفعل في نقطة هامة وهي النظام الجغرافي للدولة من حيث تقسيمها الى ممالك تتكون منها الجمهورية الالمانية . فقد نصت على ان حدود تلك الممالك لا يصح ان تعدل أو تغير الا بموافقة سكانها أى ارا الجمعية نزلت عن حقها في حل هذه النقطة مؤقتاً وتركها لارادة الاهالى في انتمائهم الى جمهورياتهم الى أن يوضع الدستور النهائي

(٢) ان الجمعية قد قررت ان لها فضلاً عن وضع الدستور سن القوانين اللازمة التي لها صفة الاستعجال لتطبيقها في سائر أنحاء الدولة الى أن تنتهي مهمة الجمعية . واشترطت اسريان هذه القوانين بعد تصديق

الجمعية موافقة هيئة ممثلى الجمهوريات الجديدة . وهذه الهيئة هى التى حلت محل مجلس « البوندسرات » القديم وتتألف من نواب عن كل جمهورية غير أعضاء الجمعية الوطنية . ومعنى ذلك ان الجمعية الوطنية قد استودعت السلطة التشريعية الى أن تنتهى مهمتها الاساسية

(٣) تنتخب الجمعية رئيساً للجمهورية الالمانية يبقى فى منصبه الى أن يقرر الدستور النهائى طريقة انتخاب الرئيس . وله أن يختار الوزارة بشرط أن لا يتبقى فى الحكم الا اذا كانت حائزة لثقة الجمعية أى ان النظام البرلمانى المبني على مبدأ المسئولية الوزارية تقرر فى الدستور المؤقت قبل أن يتقرر فى الدستور النهائى

هذه هى القواعد الاساسية التى قررتها الجمعية الوطنية فى دستور ١٠ فبراير المؤقت

وقد دخل هذا الدستور فعلا فى دور التنفيذ بمجرد صدوره حتى لا تحتل الشؤون أو تسود الفوضى فأودعت الحكومة المؤقتة الجمعية سلطة الحكم وألقى الوزير « شيدمان » كلمته الشهيرة فى هذا الصدد أمام الاعضاء « ان المهمة التاريخية التى احتملناها اعباءها باعتبارنا حكومة مؤقتة قد انتهت الآن بانقضاء الجمعية الوطنية ووضع الدستور المؤقت . فالآن نودع الجمعية السلطة التى تلقيناها عن الثورة »

وفى يوم ١١ فبراير انتخب المهر « ايبرت » رئيساً للجمهورية بأغلبية ٢٧٧ صوتاً من ٣٢٨ وكان الى ذلك الحين عضواً بالجمعية الوطنية ورئيساً للوزارة فاستقال منها وكلف المهر شيدمان تأليف الوزارة فألفها

معاهدة فرساي

وفي غضون ذلك كان مندوبو الحلفاء يوالون الاجتماعات في فرساي لوضع قواعد الصلح الذي فرضوه على المانيا فانعقد مؤتمر الحلفاء لأول مرة في وزارة الخارجية الفرنسية يوم ١٨ يناير ١٩١٩ ثم أخذوا يتباحثون في شروط المعاهدة الى أن تم وضعها في أواخر ابريل

ثم استدعى مندوبو المانيا لتاتي الشروط فحضرها أمام مؤتمر الصالح في فرساي يوم ٧ مايو . وهو من الايام المشهودة في تاريخ العالم . فتلقى الكونت « بروكدورف رانزو » رئيس الوفد الالماني نص المعاهدة وهي مؤلفة من ٤٤٠ مادة تضمن أفدح الشروط وأقسى أنواع الانتقام . فلما أذيعت شروط المعاهدة تلفتها الأمة الالمانية بالدهشة المقرونة باليأس لأن قوة مقاومتها كانت قد اضمحلت بعد الهزيمة وبعد تنفيذ شروط الهدنة التي جردتها من كل أمل في استئناف القتال

كانت الوزارة تقيم في « فيمار » بجانب الجمعية الوطنية . وكانت على اتصال مستمر مع الوفد الالماني في فرساي . فبعد تبادل المذكرات في تخفيف الشروط وتعتت الحلفاء استقالت وزارة « شيدمان » في ٢٠ يونيو لانها رفضت قبول هذه الشروط الفادحة

وفي اليوم التالي تألفت الوزارة برئاسة المهر « بوير » وكان بروجرامها الاذعان لحكم القوة وقبول الشروط تفاديا بما يحل بالبلاد من انتقام الحلفاء اذا لم تقبل المعاهدة . وكان موقف الاحزاب في الجمعية الوطنية يدل على ان الاغلبية تؤثر قبول الشروط على استئناف القتال لان الحزب

الاشتراكي الديمقراطي وحزب الوسط يرجحان جانب القبول اما الحزب الديمقراطي فكان مركز المقاومة والمعارضة فتألفت وزارة « بوير » معتمدة على ميول الاغلبية في الجمعية الوطنية

الاذعان لشروط الحلفاء

وكانت مدينة فيمار التي اجتمع بها أقطاب المانيا من وزراء وسياسيين وصحفيين واعضاء الجمعية الوطنية تمثل الحالة النفسية للشعب الالماني في تلك الايام العصيبة . فقد كانت علامات القلق والكآبة والحزن مرتسمة على أوجه النواب والوزراء والشعور بالخطر المحقق بالبلاد يتجلى في نظراتهم وأحاديثهم ومقابلاتهم . كانت مدينة « فيمار » كأنها تستعد لجنازة رهيبة تشيع فيها عظمة المانيا ومجدها التالذ ولا سيما بعد أن حدد الحلفاء للقبول أو الرفض مياعدا ينتهى يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩١٩ الساعة السابعة مساء فاما قبول وفيه الاذعان لشروط لم يعرف التاريخ أفدح ولا أثقل ولا أقسى منها . تؤدي وحدها الى زوال مجد المانيا ومركزها السياسى والحربى والاقتصادى فى العالم . واما رفض وفيه استهداف لتوغل جيوش الحلفاء فى المانيا واستيلائها على العاصمة ووضع البلاد تحت الحكم العسكرى الاجنبى وتشديد الحصر البحرى وإيقاع الشعب فى هوة المجاعة المخيفة . وكلا الأمرين فيه التسليم والاذعان

انعقدت الجمعية الوطنية لتقول كلمتها الاخيرة فى القبول أو الرفض وكانت المقدمات تدل على رجحان كفة القبول والاذعان . فاجتمع النواب فى الميعاد المحدد وكان الصمت مخيماعلى مكان الاجتماع توقعا للفاجعة

المحنة . ولما فتحت الجلسة تقدم الهر « بوير » وأعلن تأليف وزارته وبروجرامها وهو القبول ثم أخذ الخطباء يتعاقبون معبرين عن آراء أحزابهم ومعظمهم بين ضرورة القبول .

قبول المعاهدة

وبعد ان انتهى الخطباء من خطبهم أخذت الاصوات على قبول شروط الصلح أو رفضها . وبعد فرز الاصوات دق الرئيس الجرس ايدانا باعلانه النتيجة فاشتد الصمت والجزع وخيم على مكان الاجتماع سكون رهيب ودقت الساعة الرابعة تماما . وعندئذ أعلن رئيس الجمعية بصوت متأثر نتيجة الاقتراع وهي ان الجمعية قررت قبول الشروط باغلبية ٢٣٧ صوتا على ١٣٨ وانتهت الجلسة على ذلك السكوت المحزن

وكان العالم بأسره يتربص نتيجة هذا الاجتماع المشهود لان على قرار الجمعية يتعلق مصير الدنيا في طور جديد من التاريخ . وكان الحلفاء ينتظرون والفلق يساورهم ماذا يكون قرار الشعب الالماني في هذه الآونة العصيبة لان شبح الحرب الخفيف كان مرثما في مخيلتهم يزعمهم وينذرهم بعودة أهوالها وفظائعها . ولكن في منتصف الساعة السادسة من مساء يوم ٢٣ يونيو وصلت الرسالة التلغرافية الرسمية من « فيمار » الى مقر الوفد الالماني في فرساي حاملة قرار الاذعان فاهتزت الاسلاك البرقية في ارجاء العالم معلنة هذا القرار . واطلقت المدافع ودقت الاجراس في ارجاء باريس معلنة ذلك النبأ العظيم فتنفس الناس الصعداء وانطلقت أسارير القوم وثللوا من نشوة الفرح وباتت المدينة العظيمة بين مظاهرات

السرور والانتصار ورفعت الاعلام ابتهاجا بانتهاء الحرب واشراق شمس السلام . وطويت في ذلك اليوم صحيفة من صحائف التاريخ ونشرت صحيفة جديدة ودخل العالم دورا جديداً من أدواره التاريخية لا يعلم خاتمته الا علام الغيوب

وضع الدستور الجديد

أخذت الجمعية تتباحث في وضع الدستور النهائي نحو تسعة أشهر . وقد استغرقت وقتاً طويلاً ومباحثات طويلة نظراً لما كانت ترمى اليه الجمعية من جمل الدستور شاملاً لحدث المبادئ الديمقراطية التي وصل اليها العلم وضامناً تقوية روابط الامبراطورية وجعلها بمنجاة من خطر الانحلال أو التفتت

والحق ان من أعظم مزايا الدستور الألماني انه أوجد دولة قوية الوحدة بالرغم من انها بحسب الظاهر « دولة لامركزية » .

قال العلامة « جوزيف برتلى » الاستاذ بكلية الحقوق بباريس وهو من اكبر الثقات في العلوم الدستورية: « ان الدستور الألماني الجديد قد أصنع أملنا في انحلال عرا الامبراطورية الألمانية وظهور النزعة الانفصالية بين أجزائها . لان هذا الدستور قد زاد وحدة الامبراطورية وكمل العمل الذي بدأ به بسمارك فبدلاً من أن ينشئ دولة لامركزية بالمعنى الحقيقي مكونة من جملة ممالك مستقلة أوجدنا امام كتلة قوية تكاد تكون « دولة موحدة » . ان بسمارك لم يستطع ان يحقق هذا الغرض لانه ترك في دائرة الامبراطورية الألمانية عدة ممالك ودول ودوقيات

وأمارات مختلفة النظم . أما الآن فقد أصبحت تلك البلاد التى تتألف منها الامبراطورية موحدة النظم متخذة الشكل الجمهورى نظاما أساسيا لها . لم نعد (دولا) بالمعنى السياسى للكلمة بل أصبحت « بلاداً » ولم يمد بينها تفاوت أو امتيازات بل أصبحت كلها سواء فى الحقوق والواجبات تؤلف دولة موحدة النظام والكلمة . فكان الهزيمة الالمانية فى الحرب الأخيرة قد أتمت العمل الذى بدأ به النصر الالماني فى الحرب السبعينية » هذا ما قاله العلامة (برتلى) وقوله حجة فى هذا الموضوع

ومن مزايا الدستور الجديد أيضاً انه نقل الامبراطورية من نظامها القديم ذى النزعة الاستبدادية الى نظام جمهورى مؤسس على أحدث المبادئ الديمقراطية كحق الانتخاب العام على درجة واحدة . وجعل سن الانتخاب عشرين سنة . وتخويل النساء حق الانتخاب . وجعل الجمهورية نظاماً اجبارياً للبلاد التى تتألف منها الامبراطورية واتخاذ الامبراطورية نفسها شكلاً جمهورياً . واعطاء الشعب حق الاستفتاء العام فى بعض الفوائى . وحق خلع رئيس الامبراطورية فى الاحوال المبينة فى الدستور . وهذه الحقوق تجعل الشعب متصلاً اتصالاً متيناً بتقابات الحياة السياسية فى البلاد . وكتقرير الحقوق الشخصية على أحدث المذاهب الديمقراطية ومزيتها التى تجعل له مركزاً ممتازاً بين الدساتير الحرة تقريره قاعدة التمثيل الاقتصادى لأن الرشتاج الجديد وان كان يمثل الامة من الوجهة السياسية الا أن الدستور أنشأ بجانبه « مجالس اقتصادية » تجمع مندوبى مجالس العمال ومندوبى أصحاب الأموال فى كل مركز ولها (مجلس اقتصادى) رئيسى للامبراطورية فهذه المجالس تمثل الامة من الوجهة

الاقتصادية وتختص ببحث شؤونها الاقتصادية. وهذا النوع من التمثيل الاقتصادي هو الأول في بابه فلا غرو أن يكون الدستور الألماني دستوراً سياسياً واقتصادياً فقد وضع الدستور فعلاً عدة مبادئ اقتصادية هي الآن في دور التجربة سنذكرها في خلال الكلام على قواعده الأساسية وعلى ذلك أصبح نظام الدستور الألماني الجديد مؤلفاً من وجهة النظام البرلماني من الهيئات الآتية :

(١) رئيس الإمبراطورية (٢) الرشتاج (مجلس النواب) (٣) الرشرات أو مجلس الإمبراطورية (٤) الوزارة (٥) المجلس الاقتصادي للإمبراطورية وقد كان أكبر عامل في وضع هذا الدستور العظيم الأستاذ (بروس) وهو من أكبر علماء القانون الدستوري في ألمانيا بل في العالم وقد أعلن الدستور النهائي في ١١ أغسطس سنة ١٩١٩ وتقرر العمل به على أثر صدوره

على أن الجمعية الوطنية لم ينفرط عقدتها بعد وضع الدستور بل بقيت مجتمعة حائرة لسلطة الشعب إلى أن تضع القوانين التفصيلية المسكدة للدستور كالأحكام الانتخابية لمجلس الرشتاج وانتخاب رئيس الجمهورية وقوانين الأحكام العرفية ومجلس العمال باختصاصها الجديد والمجالس الاقتصادية التي تقرر في الدستور. وكذلك كان مطلوباً من الجمعية أن تبقى منعقدة إلى أن يتم انتخاب مجلس الرشتاج وينعقد بالفعل وعندئذ تنتهي مهمتها. وفعلاً بقيت الجمعية منعقدة بعد وضع الدستور النهائي إلى أن انتهت جلساتها وكان لها من السلطة التشريعية الاعتيادية ما لمجلس الرشتاج بحسب أحكام الدستور الجديد

وابتداء من ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ انتقلت الجمعية من « فيمار » الى « برلين » وانهقدت فى سراى الرشتاج الى أن انتهت جلساتها فى آخر مايو سنة ١٩٢٠

قواعد الدستور الالمانى

شكل الدولة

١ - قرر الدستور الجديد اعتبار الامبراطورية الألمانية جمهورية :
(مادة ١) على أنه حرص على استبقاء اسم « الامبراطورية » فى
نصوص الدستور فنص على أن « الامبراطورية الألمانية » هى « جمهورية »
وعلى أن رئيس الجمهورية يسمى « رئيس الامبراطورية »

ولعل السبب لذلك حرص الالمان على ذلك الاسم الذى يشعر بالعظمة
الالمانية والمجد القديم

٢ - قرر مبدأ سلطة الشعب (مادة ١ فقرة ٢) فنص صراحة على
أن السلطة العمومية مستمدة من الشعب وبذلك أصبحت الجمهورية
الالمانية ديمقراطية بكل معانى الكلمة لأن الحكومة الديمقراطية هى
حكومة الشعب أى التى تستمد وجودها وسلطانها من ارادة الشعب

٣ - الامبراطورية هى دولة لا مركزية تتألف من مجموع البلاد
الالمانية وقد نص الدستور على أنه يجب على تلك البلاد أن تتخذ الشكل
الجمهورى . وأن يكون التمثيل النيابى لهيئاتها مبنياً على قاعدة الانتخاب
العام على درجة واحدة للرجال والنساء . وأن يشترط فى نظام حكومتها

أن تكون مسئولة أمام برلمانها (مادة ١٧) • ويجوز أن ينضم الى الامبراطورية بلاد جديدة تقبل بناء على طاب أهلها اتباعاً لحق (تقرير المصير) ويكون انضمامها بناء على قانون يصدر بذلك (مادة ٢)

٤ - على أن الدستور قد حرص على جعل الامبراطورية محفوظة الكيان قوية الوحدة بتوسيع اختصاصات الحكومة المركزية وبرلمانها فصارت الامبراطورية من هذه الوجهة قريبة الشبه من « الدولة الموحدة »

فقد بين الدستور المسائل التي تنفرد بها الحكومة الامبراطورية وهي العلاقات الخارجية والجيش والأسطول والمستعمرات والجنسية والعملة والجمارك والبوسطه والتأمراف والتلفونات (مادة ٦) والسكك الحديدية ثم بين المسائل التي تقدم الحكومة الامبراطورية في الاختصاص بها على الحكومات اللامركزية بحيث لا يكون لهذه حق التشريع فيها الا اذا لم تضع الحكومة الامبراطورية القوانين في شأنها وهي التشريع المدني والجائى والمرافعات وبوليس الاجانب والمؤاساة والصحافة والجمعيات والاجتماعات والتشريع الاجتماعى والاقتصادى والنجارة والصناعة والسكك الحديدية والملاحة والموانين المالية العامة والأملك العمومية والامن العام (مادة ٧ و ٨ و ٩)

وهناك مسائل تضع فيها الحكومة الامبراطورية القواعد والمبادئ التى تتبعها حكومات البلاد فى قوانينها وهى مسائل التعليم والتقدم الاجتماعى والضرائب (مادة ١٠ و ١١)

والحكومة المركزية حق وقف سريان بعض القوانين الاقتصادية

التي تصدرها الحكومات اللامركزية اذا كانت هذه القوانين تضر بالمصالح العامة الامبراطورية (مادة ١٢)

فالدستور الالماني جعل للحكومة الامبراطورية السلطة العامة في التشريع محافظة على وحدة الدولة وتفادياً من خطر التفكك اذا اتبعت مبدأ اللامركزية الواسعة . ولذلك نص الدستور (مادة ١٣) على أن حق الامبراطورية مقدم على حق حكومات البلاد اللامركزية . وهذه القاعدة تحسم كل خلاف ينشأ عند وجود قانونين متعارضين من كليهما أو عند تعدى أحد البلاد اللامركزية حدوده . والخلاف في هذا الشأن يعرض على المحكمة العليا الامبراطورية لنصدر قرارها فيه

وللحكومة الامبراطورية حق مراقبة الحكومات اللامركزية في تنفيذ القوانين التي يصدرها مجاس الرشتاج (مادة ١٥) .

واتماماً للوحدة الداخلية الامبراطورية جعل الدستور لكل ألماني في كل بلد نفس الحقوق وعاليه نفس الواجبات التي لأهل هذا البلد (مادة ١١٠)

السلطة التنفيذية

رئيس الامبراطورية

١ - ينتخب (رئيس الامبراطورية) بواسطة الشعب مباشرة بطريق الانتخاب العام على درجة واحدة لمدة سبع سنوات ويجوز اعادة انتخابه ويشترط فيه أن يكون المانيا بالغاً من السن ٣٥ سنة (مادة ٤١ و ٤٣)
ويلاحظ أن الدستور الالماني وان اتفق مع الدستور الفرنسي في جعل

مدة الرئاسة سبع سنوات الا أنه حاد عن قاعدته في طريقة الانتخاب لان الدستور الفرنسى يجعل انتخاب رئيس الجمهورية بواسطة الجمعية الوطنية المؤلفة من مجلس النواب والشيوخ . فالدستور الالماني في طريقة الانتخاب أقرب الى الدستور الأمريكى (الذى يجعل انتخاب الرئيس بمعرفة الشعب بواسطة انتخاب عام على درجتين كما تقدم في الكلام عن الدستور الأمريكى) وربما كان سبب الطريقة التى اختارها الدستور الالماني انه أراد أن يجعل لرئيس الدولة مركزا ساميا بانتخابه من الشعب مباشرة ليكون ذلك ادعى الى المحافظة على هيبة الامبراطورية . وليعوض عنها ما كان للامبراطور من المركز العظيم الذى كسب المانيا نفوذاً سياسياً كبيراً في العالم . ويدخل في هذا الاعتبار انه لم ينص على عدم جواز انتخاب أحد أفراد الاسر المالكة رئيساً للامبراطورية فيجوز بحكم الدستور أن ينتخب احدهم رئيساً

على أنه بجانب المركز السامى الذى يستمدّه رئيس الامبراطورية من الانتخاب العام قد وضع الدستور نصاً يجعله تابعا على الدوام لارادة الشعب . وهو جواز خلعه بقرار من الشعب قبل انتهاء مدته . ويكون ذلك بناء على طلب مجلس الرشتاج بأغلبية ثلثى أعضائه . وعندئذ يعرض الامر على الشعب لاستفتائه في مسألة الخلع استفتاء عاما . والامة أن تقرر خلعه أو ابقاءه

وفي هذه الحالة الاخيرة يكون قرار رفض الخلع بمثابة تجديد لانتخاب

الرئيس ويؤدى في الوقت نفسه الى حل مجلس الرشتاج (مادة ٤٣)

٢ - رئيس الامبراطورية يمثل الدولة في علاقاتها الخارجية وله أن

يعقد المحالفات والمعاهدات بشرط تصديق مجلس الرشتاج عليها اذا كانت تمس المسائل التي له حق التشريع فيها (مادة ٤٥) (أى كل المعاهدات تقريبا) وليس له اعلان الحرب وعقد الصالح الا بناء على قانون يصدر بالطريقة التي تسن بها القوانين . وله حق رئاسة قوات البلاد الحربية والبحرية . وحق تعيين موظفى الامبراطورية

٣ - وله فى حالة اختلال الامن العام فى أى جزء من الامبراطورية أن يعيد النظام الى نصابه ولوبواسطة استخدام قوة الجيش وله اذا اشتدت الحالة أن يقف تنفيذ الدستور فيما يتعلق بحقوق الافراد المخولة لهم وبعبارة أوضح يعلن الاحكام العرفية وعليه أن يعرض على مجلس الرشتاج الاجراءات التي اتخذها فى هذا الصدد ، ويجب الغاء هذه الاجراءات بناء على طاب المجلس (مادة ٤٨)

وهذه سلطة واسعة اعطيت لرئيس الامبراطورية لايملكها معظم رؤساء الدول فى الممالك الدستورية والجمهوريات . ففى فرنسا مثالا يصح اعلان الاحكام العرفية الا بمقتضى قانون يصدر من البرلمان والظاهر ان السبب فى تلك السلطة الواسعة أن أغلبية اعضاء الجمعية الوطنية كانت تخشى الفتن التي ربما ينيرها فى أطراف البلاد الشيوعيون والسياراتا كوس ودعاة البلشفية فأرادوا أن يجعلوا السلطة التنفيذية قوية بحيث تستطيع أن تخمد الفتن بسرعة . على أننا نعتقد ان هذه سلطة أوسع مما يجب

٤ - لرئيس الامبراطورية حق « الفيتو » ضد أى قانون وفى هذه الحالة يعرض الرئيس القانون على الشعب لاجراء الاستفتاء العام فى شأنه ويكون العرض فى اثناء شهر من احواله على الرئيس (مادة ٧٣)

وهذا الحق يجعل في يد رئيس الجمهورية سلطة كبرى لا تقل في أهميتها عن حق حل الرشتاج . والواقع ان لرئيس الامبراطورية الالمانية من السلطة والنفوذا يزيد على ما لرئيس الجمهورية الفرنسية . فالاول هو وكيل الشعب مباشرة والثاني ينتخب بواسطة مجلس النواب والشيوخ ومنهما يستمد سلطته . والاول حق استفتاء الشعب في القوانين التي يعترض عليها . والثاني ليس له هذا الحق بل كل ماله أن يطالب من مجلس النواب والشيوخ اعادة النظر في القانون الذي لا يرى اصداره . وللمجلسين القول النهائي عند اعادة النظر

على ان رئيس الامبراطورية الالمانية هو أقل سلطة من رئيس جمهورية الولايات المتحدة . لان هذا الاخير يعين الوزراء وي عزلهم والوزراء مسؤولون امامه وحده لا امام المؤتمر . وليس للمؤتمر حق المراقبة البرلمانية على سياستهم أي ليس له أن يضطربهم الى الاستقالة اذ لم يحوزوا ثفته
ف رئيس الامبراطورية في سلطته ونفوذه وسطاين رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس الولايات المتحدة

الوزراء والمسؤولية الوزارية

٥ - لا يتحمل رئيس الامبراطورية مسؤولية أعمال الحكومة بل يتحملها عنه الوزراء ولذلك لا يحق له أن يوقع قانونا أو أمراً الا اذا وقع عاياه أيضا مستشار الامبراطورية (رئيس الوزراء) أو أحد الوزراء (مادة ٥٠)

والمستشار والوزراء مسؤولون أمام مجلس الرشتاج ويجب لبقائهم

في وظائفهم أن يجوزوا ثقة هذا المجلس وعلى كل منهم ان يستقيل اذا لم ينل هذه الثقة (مادة ٥٤)

ونص المادة صريح في ان مسؤولية الوزارة والوزراء تكون أمام مجلس الرشتاج وحده فهو صاحب الحق في الرقابة على الوزارة وليس لأى مجلس آخر وخصوصاً مجلس الامبراطورية أن يشاركه في هذا الحق . وهذا النص في صراحته قد أيد نظرية علماء الدستور في اعتبار الرقابة على الوزارة من حقوق الهيئة الممثلة للشعب وهى مجلس النواب دون سواه

٦ - يجوز لمجلس الرشتاج أن يرفع الدعوى العمومية على رئيس الامبراطورية أو مستشارها أو وزرائها المحاكمتهم أمام المحكمة العليا للامبراطورية اذا ارتكبوا أعمالاً تعتبر انتهاكاً لحرمة الدستور أو قوانين الدولة . ويجب لذلك أن يقدم طلب المحاكمة موقفاً عليه من مائة عضو على الأقل من أعضاء الرشتاج وأن تتقرر المحاكمة بأغلبية ثلثى الأعضاء (مادة ٥٩) أما الجرائم الاعتيادية التى يرتكبها الرئيس فلا يصح محاكمته من أجلها الا بعد موافقة مجلس الرشتاج (مادة ٤٣) وتكون المحاكمة أمام المحاكم الاعتيادية

السلطة التشريعية

١ - مجلس الرشتاج

١ - تتمثل سلطة الشعب في مجلس الرشتاج (أى مجلس النواب) ويتمتع النواب بالافتراع العام المسمى على درجة واحدة . ويشترك

فيه الرجال والنساء ويشترط في الناخب أن تزيد سنه على عشرين سنة كاملة ويشترط في النائب أن يكون بالغاً من السن ٢٥ سنة كاملة وان يكون المانيا أو متجنساً بالجنسية الالمانية منذ سنة واحدة على الأقل وانظام الانتخاب التفصيلي يصدره قانون خاص (مادة ٢٢) والنظام المتبع وقت صدور الدستور هو قانون الانتخاب الصادر في ٣٠ نوفمبر سنة ٩١٨ وهو القانون الذي جرت انتخابات الجمعية الوطنية طبقاً لاحكامه وهو يقضى بتقسيم الامبراطورية الى ٣٨ دائرة انتخاب (كانت الازراس والاورين معتبرتين دائرة) وبأن يكون الانتخاب بنسبة نائب عن كل ١٥٠ ألف نسمة واذا وجد في الدائرة فرق في السكان يزيد على ٧٥ ألف نسمة فالهم نائب آخر

ومدة العضوية اربع سنوات وعند انتهاء هذه المدة تحصل الانتخابات الجديدة في أثناء الستين يوماً التالية لها. ويعتبر كل نائب من النواب ممثلاً للشعب كله لانه لا يمتنخو فقط. ولا يصح تقييدهم من الناخبين بجرام أو بمبادئ محددة بل يتبعون في نيابتهم ضمائرهم واعتقادهم (مواد ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣)

٢ - ينعقد المجلس من غير دعوة رئيس الامبراطورية فان الدستور يحدد ابتداء انعقاده كل سنة في أول اربعاء من شهر نوفمبر وعلى رئيس المجلس أن يدعو الى الانعقاد قبل ذلك بناء على طلب رئيس الامبراطورية أو بناء على طلب ثلث أعضاء المجلس على الأقل والمجلس هو الذي يحدد انتهاء جلسات السنة وميعاد الاجتماع القادم (مادة ٢٤) فهذا النص يجعل المجلس مستقلاً في مواعيد اجتماعه عن رئيس الامبراطورية

ولا يجعل للرئيس تحكما في دعوته أو تأخير دعوته للانعقاد

٣ - يحق للرئيس الامبراطورية أن يحل المجلس ويجب أن تجرى الانتخابات للمجلس الجديد في أثناء السنتين يوماً التالية للحل وليس للرئيس أن يحل المجلس مرة أخرى اسبب واحد (مادة ٢٥)

٤ - جاسات المجلس علنية ويجوز انعقاده في جلسة سرية بناء على طلب خمسين عضواً اذا قررت ذلك أغلبية ثلثي الأعضاء (مادة ٢٩)

يحق للمجلس ولجانه استدعاء مستشار الامبراطورية أو أى وزير لسؤاله . ويصح للمستشار أو مندوبيه حضور الجاسات ويحق ذلك أيضاً لمندوبى الحكومات اللامركزية اذا أرادوا أن يوضحوا بعض الشؤون الخاصة ببلادهم (مادة ٣٣)

٥ - لا يجوز محاكمة أى عضو من أعضاء مجلس الرشتاج أو من أعضاء مجالس البلاد المكونة للامبراطورية على آرائه التى يبديها فى أثناء قيامه بوظيفته . ولا يجوز كذلك مجازاته تأديبياً فى هذا الصدد لهذا السبب بأى وسيلة أخرى خارج المجلس (مادة ٣٦)

وكذلك لا تصح محاكمة أى عضو أثناء انعقاد المجلس أو القبض عليه فى الجرائم الاعتيادية الا بعد الترخيص فى ذلك من المجلس التابع له الا فى حالة التلبس أو القبض عليه فى اليوم التالى على الأكثر لارتكاب الجريمة

ويجب إيقاف اجراءات المحاكمة أو القبض اذا طلب ذلك المجلس لغاية انتهاء مدة انعقاده السنوى (مادة ٣٧)

ب - مجلس الامبراطورية

٦ - مجلس (الريشرات) أو مجلس الامبراطورية هو الذى يمثل البلاد المؤلفة منها الامبراطورية . فكما أن الرشتاج يمثل الشعب الألمان فالريشرات يمثل حكومات تلك البلاد . وهو يتألف من عدد من وزراء هذه الحكومات بنسبة عضو عن كل مليون من السكان . أما اذا قل عدد سكان البلد عن مليون فله الحق فى عضو واحد . ولا يجوز لدولة من الدول أن يزيد عدد ممثليها على خمسى أعضاء المجلس (مادة ٦٠ و ٦١) وحكمة هذا النص منع بروسيا من أن يكون لها التفوق فى مجلس الامبراطورية

ج - تنازع المجالسين الساطة

٧ وضع الدستور الألمانى نظاماً خاصاً ببيان حدود المجالسين فى الساطة التشريعية . فحق عرض القوانين هو من حقوق الحكومة المركزية وأعضاء الرشتاج ومجلس الامبراطورية (مادة ٦٨ و ٦٩) والمجلس الاقتصادى . والشعب . وفى هذه الحالة الأخيرة يشترط أن يكون العرض بناء على طلب عشر الناخبين للامبراطورية (مادة ٧٣) والقوانين تقرر فى الرشتاج وحده (مادة ٦٨)

ولكن لمجلس الامبراطورية حق « الفيتو » أى الاعتراض على صدور أى قانون يقرره الرشتاج . وفى هذه الحالة يبين المجلس الاسباب التى بنى عليها اعتراضه ثم يحال القانون مرة ثانية على الرشتاج لينظر فيه من جديد ويفحص اعتراضات مجلس الامبراطورية . فاذا لم يحصل اتفاق

بين المجاسين فلرئيس الامبراطورية أن يعرض القانون على الشعب ليستفتى في شأنه استفتاء عاماً (ديفراندوم) وذلك في أثناء ثلاثة أشهر من وقوع الخلاف . ولكن هذا الاستفتاء ليس اجبارياً بل يصح لرئيس الامبراطورية أن لا ياجأ اليه . وفي هذه الحالة يكون اعتراض مجلس الامبراطورية مسقطاً للقانون . ولكن اذا كان الرشتاج بعد فحص اعتراض مجلس الامبراطورية يقرر القانون مرة ثانية بأغلبية ثلثي أعضائه فأما أن يستفتى الشعب واما أن يعتبر القانون صحيحاً ونافذاً بالشكل الذى قرره الرشتاج (مادة ٧٤) . ويؤخذ من ذلك أمران :

أولاً - ان الكلمة العليا في التشريع هي للرشتاج مع قيد استفتاء الشعب على النحو المتقدم

ثانياً - ان تقرير القوانين هو من حق الرشتاج وحده وليس لمجلس الامبراطورية الا حق « الفيتو » كما تقدم . وفي هذا توسيع لسلطة الرشتاج بخلاف ما كان عليه العمل في الدستور القديم فانه كان يوزع السلطة التشريعية بين المجاسين ويجعل لمجلس الامبراطورية الكلمة العليا . فمجلس الامبراطورية قد فقد جزءاً عظيماً من نفوذه القديم وأصبح النفوذ الأكبر للرشتاج الذى يمثل سلطة الشعب . وهذا المبدأ يوافق الروح التى تميل اليها النزعات الديمقراطية الحديثة وهى اضعاف سلطة المجلس الأعلى (مجلس الشيوخ أو مجلس اللوردات أو مجلس الامبراطورية) وجعل السلطة الكبرى والكلمة العليا للمجلس الذى يمثل سلطة الامة وهو مجلس النواب

د - تعديل الدستور

يجوز تعديل الدستور بالطريقة التشريعية الاعتيادية على شرط أن يحضر جلسة الرشتاج ثلثا الاعضاء على الاقل وأن يصدر القرار بأغلبية ثلثي الحاضرين وأن يكون تصديق مجلس الامبراطورية بأغلبية ثلثي الاعضاء الحاضرين. وللمجلس الامبراطورية أيضاحق «الفيتو» على الطريقة المتقدمة مع تعديل بسيط وهو انه في حالة رفض الرشتاج اعتراض مجلس الامبراطورية فاستفتاء الشعب واجب اذا طالب ذلك المجلس الاخير (مادة ٧٦)

السلطة القضائية

استقلال القضاء مكفول في الدستور وليس الفضاء تابعين الا للقانون (مادة ١٠٢)

والفضاء غير قابلين للعزل ولا يجوز فصلهم او احوالهم على المعاش أو نقلهم الى وظيفة أخرى بغير ارادتهم الا بقرار قضائي مبني على الاسباب المبينة في القانون

حقوق الافراد وواجباتهم

أفرد الدستور بابا خاصا يبين حقوق الافراد وواجباتهم فهو بمثابة « اعلان حقوق الانسان » وهو باب جديد لان الدستور الالماني القديم كان خلوا منه . وقد استنفدت الفرائح الالمانية كل جهد لتجعل الدستور الالماني الجديد أنموذجا لارقي نظام سياسى للمجتمعات الانسانية ولتضع

في هذا الباب أساس الحقوق التي يكفلها الدستور للأفراد والجماعات والواجبات التي يفرضها عليهم . على ان المناقشة في هذا الباب كانت مسرحا للمشاركة بين أعضاء الجمعية الوطنية لاختلاف أحزابهم وتباين نزعاتهم الاجتماعية . فكان التوفيق بين هذه النزعات من أصعب الأمور وأدقها . والفكرة التي سادت في الجمعية الوطنية عند تحرير حقوق الالمان وواجباتهم هي الابتعاد قليلا عن نظرية الحرية الفردية المطلقة (انديفيداليسم) التي كانت أساس اعلان الحقوق الانسانية في فرنسا وأمريكا . ذلك ان هذه النظرية تقتضى تقرير الحقوق الشخصية دون قيد يقيد بها سوى ضمان تمتع الغير بهذه الحقوق . ونتيجة هذه النظرية ألا تتدخل الحكومة في تقييد تمتع الناس بحقوقهم الا في دائرة هذا القيد وفي مقابل ذلك لا تلتزم الحكومة نحو الافراد بواجبات تخرج عن هذه الدائرة فتترك الانسان لحرية ونشاطه الفردى

فهذه النظرية لم تتبعها أغلبية الجمعية الوطنية في تقرير حقوق الافراد بل اتبعت نظرية أخرى هي أقرب أن تكون لمصاحبة الهيئة الاجتماعية والافراد . وهي الاعتراف بالحقوق الشخصية للافراد ولكن مع التوفيق بينها وبين مصاحبة الهيئة الاجتماعية بحيث وضع الدستور الالمانى نصب عينيه ان المرء له وظيفة اجتماعية يجب أن يؤديها ويجب أن تلاحظ هذه الوظيفة في تقرير الحقوق الانسانية كالحرية أو الملكية فتقريرها يكون مقرونا باشتراك الانسان فيما يجب عليه لمصلحة المجتمع وارتقائه . وفي مقابل ذلك فرض الدستور الالمانى على الحكومة واجبات كثيرة نحو الافراد ليس منصوبا عليها في الدساتير الاخرى

وهذه خلاصة الحقوق التي اعترف بها الافراد

١ - الامان جميعا متساوون امام القانون والرجال والنساء سواء
(مبدئياً) في الحقوق والواجبات الوطنية (مادة ١٠٩)

٢ - ألغيت الامتيازات الناشئة عن الوراثة أو اختلاف الطبقات .
وبطل اعطاء القاب الشرف والنياشين والرتب ماعدا الرتب العامية .
والعسكرية ولا يحق لاي الماني أن يقبل من دولة أجنبية رتبة أو لقباً
(مادة ١٠٨)

٣ - الحرية الشخصية للفرد مضمونة بالدستور ولا يصح للسلطة
العمومية المساس بهذه الحرية الا بمقتضى القانون (مادة ١٠٤)
وكذلك حرمة المساكن لا يصح انتهاكها ولا يستثنى من هذه
القاعدة الا الاحوال الميينة في القانون (١٠٥)

٤ - لاعتقاب الا بنص في القانون (مادة ١١٦)

٥ - لا يجوز المساس بحرمة المراسلات البريدية أو التلغرافية أو
النافونية ولا يستثنى من ذلك الا بنص في القانون (مادة ١١٧)

٦ - يتمتع الافراد بحرية الخطابة والكتابة والنشر والاجتماع (مادة
١١٨ و ١٢٣) بحرية الاجتماع مكفولة بالدستور بشرط ان يكون اجتماعاً
سامياً بدون حمل اسلحة (١٢٣)

ولكن يجوز تقييد الاجتماعات في غير الاماكن المدة لها (في
الشوارع مثلاً أو الميادين او الحدائق العامة) بقانون يقضى باخطار
جهات الادارة بالاجتماع قبل انعقاده وفي هذه الحالة يجوز منعها في حالة
استهداف الأمن العام للخطر (مادة ١٢٣)

٧ - يتمتع الأفراد بحرية إنشاء الجمعيات والشركات إذا لم يكن لها اغراض مواب عليها ويسرى هذا الحق على الجمعيات الدينية. ولكل جمعية الحق فى ان تنال الشخصية المعنوية طبقا للقانون المدنى (١٢٤) ولا يصح حرمان اى جمعية من هذا الحق لاي سبب سياسى أو اجتماعى أو أدبى

٨ - موظفو الحكومة لا يجوز عزلهم أو احاثهم على المعاش الا وفاقا لنصوص القانون . وهم ممثلون للهيئة الاجتماعية للحزب من الاحزاب السياسية . والالمان جميعا متساوون املم حققهم فى النوظف . والموظف حر فى رأيه السياسى وفى انضمامه للجمعيات غير الممنوعة (مادة ١٢٩ و ١٣٠) وقد ألغيت طريقة (الدوسيهات السرية) للموظفين فكل موظف الحق فى الاطلاع على دوسيه خدمته ولا يصح اضافة شىء فيه الا بعد دفاعه عن نفسه

٩ - على الالمان ان يؤدوا الخدمة العسكرية وفاقا للنمازن الخاص بذلك وهذا القانون يتكفل ببيان الفيود التى ترد على الحقوق الشخصية فى أثناء تأدية الخدمة العسكرية لاجل ضمان المحافظة على النظام العسكرى (١٣٣)

١٠ - يتمتع الافراد بحرية معتقداتهم واقامة شعائرهم الدينية (مادة ١٣٥) وانشاء جمعياتهم المذهبية (١٣٧)

١١ - الزواج مشمول برعاية الدستور الخاصة « مادة ١١٩ » وعلى الحكومة والمجالس البلدية والحماية أن تبذل عنايتها للمحافظة على صحة البيوت والعائلات وتقدمها الاجتماعى وأن تواسى العائلات الكبيرة العدد والارامل والحوامل والامهات البائسات (١١٩) وعلى الوالدين

العناية بأول واجباتهم وهو تربية أولادهم التربية البدنية والعفائية والاخلاقية وعلى الحكومة أن تسهر على قيام الالباء بالواجبات المفروضة عليهم (١٢٠) وعليها حماية الاحداث من عواقب تسخيرهم أو اهمال تربيتهم (١٢٢)

١٢ - حرية العلم والفن والتعليم مقرررة وعلى الحكومة حماية العلوم والفنون والمساعدة على نشرها (١٤٣) وعلى الحكومة ادارة نظام التعليم وتشرك معها فى ذلك حكومات البلاد والمجالس البلدية والمحلية والتعليم الابتدائى والتكميلى الابتدائى اجبارى ومجانى تتولى الحكومة نفقاته كلها (١٤٥) ويجوز فتح مدارس حرة خاصة على شرط الترخيص لها بذلك من الحكومة وان تكون خاضعة لقوانين التعليم ولا يرخص فى فتح مدرسة خاصة الا اذا تبين أنها لا تقل عن مدارس الحكومة فى النظام وكفاءة المعلمين (١٤٧)

ويجب أن يبذل القاعون بالتعليم فى المدارس كلها جهدهم لتقوية عاطفة الوطنية الالمانية فى النشء وتربيتهم على التمسك بالاتحاد الالمانى وتهذيب أخلاقهم وترقية شعورهم الوطنى وتنمية استعدادهم الفنى (١٤٨) والتعليم الدينى يجب أن يدخل ضمن بروجرام التدريس (١٤٩)

النظام الاقتصادى

عنى الدستور عناية كبرى بالنظام الاقتصادى لان الحالة الاقتصادية فى المانيا بعد الحرب وصلت الى درجة سيئة ومستقبلها الاقتصادى بعد معاهدة فرساي محفوف بالاحطار فلا غرو أن يكون أول ما عنى به

أعضاء الجمعية الوطنية وضع قواعد النظام الذى يكفل للبلاد تجديد حياتها الاقتصادية وقوتها المالية وتقدمها العمرانى .

١ - الملكية الشخصية محترمة ومضمونة بالدستور (١٥٣) وكذلك

حق الميراث مضمون طبقاً لأحكام القانون المدنى (١٥٤)

قرر الدستور الالماني هذه القاعدة فجعل أساس الحياة الاقتصادية فى الجمهورية الالمانية وطيداً قائماً على دعامة الملكية التى حاربها غلاة الاشتراكيين . وبالرغم من ان الانقلاب الذى حدث فى المانيا جعل الحزب الاشتراكى الديمقراطى على رأس الحكم وصاحب النفوذ الا كبر فى الجمعية الوطنية الا أن مبادئ الاشتراكية المتطرفة لم تتطرق الى الدستور الالماني بل كان الاشتراكيون الديمقراطيون فى المانيا أبعد نظراً من البواشفيين فى روسيا فحافظوا على النظام الاقتصادى الذى يتركز على الملكية الشخصية وقيدوا الملكية بقيود مقرر معظمها فى الدساتير الأخرى . ثم اقتبسوا بعض المبادئ الاشتراكية المعتدلة التى ترمى الى اصلاح الحالة الاقتصادية ومنع العداء بين الطبقات الاجتماعية

٢ - قرر الدستور مبدأ حرية الفرد فى حياته الاقتصادية (مادة ١٥١)

مع القيود التى تستوجبها مصالحة الهيئة الاجتماعية فهو يخالف مبدأ الباشفية التى تمحو كل حرية اقتصادية للفرد وتجعله آلة مسخرة للسلطة العمومية

وكذلك قرر حرية العمل والتجارة والصناعة (مادة ١٥١) وحرية

المعاملات (مادة ١٥٢) ومنع الربا (الفاحش) وحرم المعاملات غير

الشرعية التي تتنافى مع الآداب والاخلاق (مادة ١٥٢)

٣ - للحكومة رقابة على تنمية الاراضى وتوزيعها بحيث تمنع الافراط والضرر الذى يلحق الغير وتضمن لكل فرد مسكنا صحيا . وتضمن لكل أسرة وبخاصة الاسر الكثيرة العدد ملكا تنمره لتجد فيه كفايتها من العيش . ويلاحظ فى تطبيق هذا المبدأ ووضع القوانين اللازمة له عائلات الجنود الذين اشتركوا فى الحرب . واذا استلزم تحقيق هذا المبدأ نزع ملكية بعض الافراد فعلى الحكومة أن تدفع لهم التعويض السكافى (مادة ١٥٣ و ١٥٥)

وللحكومة كذلك رقابة على ما فى بطن الارض من الثروات والمناجم (مادة ١٥٥)

٤ - وللحكومة أن تقر نزع ملكية بعض المشاريع الاقتصادية مقابل تعويض لاصحابها وادخالها فى الملكية العامة ولها أن تدير هذه المشاريع بنفسها أو بواسطة المجالس البلدية والمحلية أو الحكومات اللامركزية (مادة ١٥٦)

٥ - على كل المانى واجب أدبى وهو أن يستخدم قواه العقلية والبدنية كما تقتضيه المصلحة العامة بدون مساس بحريته الشخصية (١٦٣) ولكل المانى أن يكسب عيشه من عمل مشر وفى حالة عجزه عن وجود عمل فعلى الحكومة أن تدبر مايلزم العمال العاطلين بايجاد عمل لهم ومساعدتهم على القيام بأودهم (مادة ١٦٣)

٦ - حقوق المؤلفين والفنيين مكفولة بالدستور ومرعية بحماية

الامبراطورية . وعلى الحكومة أن تحمى العلوم والفنون الألمانية في الخارج وتساعد على نشرها (مادة ١٥٨)

٧ - يكفل الدستور للصناع حرية الانتظام في سلك الجمعيات والنقابات للدفاع عن مصالحهم وكل عمل أو اتفاق من شأنه المساس بهذه الحرية يعد باطلا (مادة ١٥٩)

٨ - تنشئ الحكومة نظاما واسعا للتأمين على الحياة من الموت والشيخوخة والاختار يكفل للناس حماية صحتهم ويدفع عنهم طوارئ الحداث (مادة ١٦١)

٩ - تحمى الحكومة طبقة الاواسط والصغار من الصناع والتجار والزراع والملاك لتمنع عنهم الحيف (مادة ١٦٤)

١٠ - تدعو الحكومة العمال وأصحاب الاموال الى التعاون في تنظيم الأجور وشروط العمل والعمل على زيادة قوة الانتاج وتعترف الحكومة بالجمعيات والنظامات التي تؤدي الى هذه الغاية (مادة ١٦٥)

وللعمال وموظفى المعامل أن يؤلفوا « مجالس عمال » ينتخبون أعضاءها من بينهم للعناية بشؤونهم الاقتصادية والاجتماعية وتؤلف هذه المجالس اما فى المعامل أو فى المراكز ويكون لها (مجلس عمال رئيسى) للامبراطورية يؤلف بالانتخاب ويمثل العمال وحدهم (مادة ١٦٥)

التمثيل الاقتصادي

١١ - ويوجد نوع آخر من المجالس يمثل العمال واصحاب الاموال معاً نص عليه الدستور وهو « المجالس الاقتصادية » وهى مجالس منتخبة

تجتمع مندوبى مجالس العمال ومندوبى أصحاب الاموال . وتؤلف فى المراكز
ويجب أن تمثل فيها كل طوائف العمال والصناع مع اصحاب رؤوس الاموال
ويمثل فيها أيضا بعض الطبقات الاخرى كالمستهلكين ولها « مجلس
اقتصادى رئيسى » للامبراطورية

واختصاص هذه المجالس البحث فى الشؤون الاقتصادية للامبراطورية
والتعاون بين ممثلى العمال وممثلى أصحاب الاموال على زيادة الانتاج فى البلاد
وعلى الحكومة أن تعرض على المجلس الاقتصادى للامبراطورية
كل مشاريع القوانين التى لها علاقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية
لتأخذ رأيه فيها قبل تقديمها الى الرشتاج . وللمجلس الاقتصادى أن يضع
مشاريع هذه القوانين فاذا لم تقبل الحكومة تقديمها الى الرشتاج فله ان
يعرضه بنفسه عليه وله أن ينتدب أحد أعضائه للحضور فى مجلس الرشتاج
لشرح . ا. شروغ (مادة ١٦٥) ويمكن الحكومة أن تكلف مجالس العمال
والمجالس الاقتصادية بالرقابة على بعض الاعمال وادارتها

وللحكومة الامبراطورية وحدها أن تقرر نظام هذه المجالس
واختصاصاتها وعلاقاتها بالهيئات الاخرى (مادة ١٦٥) حتى لا تتعارض
الحكومات اللامركزية فى وضع نظام هذه المجالس وتقاديا من أن يزيد
بعضها فى اختصاصها فيجعلها سلاحا فى يد الاشتراكيين المتطرفين

وقد صدر قانون بنظام مؤقت «للمجالس الاقتصادية للامبراطورية»
يتبين منه أنه عبارة عن (برلمان اقتصادى) للبلاد فهو مؤلف بالانتخاب
من ٣٦٦ عضوا منهم ٤٤ عضوا يمثلون الزراعة منهم ٢٢ ينتخبهم الملاك
و ٢٢ ينتخبهم الزراع و ٢٤ يمثلون الغابات والاحراش و ٦ يمثلون الصيد

والخضر و ٦٨ يمثلون (الصناعة فريق يمثلون اصحاب العامل وفريق يمثلون العمال) و ٤٤ يمثلون محلات التجارة والبنوك وشركات التأمين و ٣٤ يمثلون وسائل النقل و ٣٦ يمثلون المحال التجارية الصغيرة والصناعات الصغيرة و ٣٠ يمثلون المستهلكين تنتخبهم شركات التعاون المنزلي والجمعيات السنوية والمجالس البلدية والمحلية و ١٦ يمثلون الموظفين وأصحاب المهن الحرة كالحامين والاطباء و ٢٤ تعينهم الحكومة

فهذا البرلمان الاقتصادي أصبح يجمع بين أعضائه الكفاءات الفنية والاقتصادية في المانيا . وهو يمثل البلاد تمثيلا اقتصاديا كما يمثلها الرشتاج تمثيلا سياسيا. وهو اكبر هيئة فنية يمكن الرجوع اليها في المسائل المتعاقبة بحياة الامبراطورية الاقتصادية وتقدمها العمراني

على أنه كما قدمنا ليس له سوى سلطة استشارية وقد انعقد المجلس الاقتصادي للامبراطورية لأول مرة في ٣٠ يونيو سنة ١٩٢٠. وهذا النظام هو أحدث فكرة دستورية ظهرت بعد الحرب الاخيرة . ولا يصح ان يكون له سلطة قطعية بجانب « الرشتاج » الذي يمثل سلطة الامة فالرشتاج هو صاحب السلطة الشرعية في شؤون البلاد وقد أراد واضعو الدستور الالمانى ان يجعلوا المجلس الاقتصادي مجلسا استشاريا تفاديا من الاخذ بالنظرية البلشفية التي تقضى بان يكون التمثيل النيابي تمثيلا فنيا قائما على تحكم طبقات العمال فالدستور الالمانى بوضعه مبادئ التمثيل الاقتصادي قد حافظ على الروح الدستورية الحقيقية بجعله التمثيل السياسى قوام السلطة الشرعية

(الرسالة السابعة)

تاريخ النهضة القومية في بولونيا

صحيفة من جهااد البولونييين

في خلال مائة وخمسين سنة

لما استعرت نار الحرب العامة سنة ١٩١٤ وخاض العالم غمارها وامتد الى سائر البقاع لهيبتها اتجهت الافكار الى ماستحدثه من الانقلابات والتغييرات وما سيعقبها من تغيير خريطة العالم وسقوط دول وقيام أخرى. وكان من النتائج التي اتفقت عليها كلمة رجال السياسة في مختلف البلدان المتحاربة عودة بولونيا الى مصاف الدول المستقلة بعد أن تضع الحرب أوزارها معها كانت عواقبها : نتيجة اتفق عليها المتحاربون وغير المتحاربين ونادى بها الاصدقاء والاعداء على السواء فكانت ماخفق قلب الانسانية في مختلف الارحاء بشعور واحد حيا لتلك الامة العظيمة الشأن هو شعور العطف والعدل نحو أمة أساءت اليها أوروبا منذ القرن الثامن عشر فتألمت عليها ثلاث دول كبار اقتسمت أملاكها وسلبتها حريتها واستقلالها وتركها أوروبا مائة وخمسين عاما فريسة لظلم تلك الدول

ان مأساة بولونيا جديرة بأن تدون في صحائف التاريخ كمثل اعلی لنبات الامم في جهادها القومي ومغالبتها اليأس وتذليلها العقبات في سبيل تحقيق آمالها الوطنية

بدأت تلك المأساة سنة ١٧٧١ اذ تأمرت عليها روسيا وبروسيا والنمسا واتفقت في معاهدة سان بطرسبرج سنة ١٧٧٢ على أن تنزع كل منها جزءاً من تلك الغنيمة فاستولت بروسيا على بوميرانى البولونية عدا دانزيج وجزاً من بولونيا الكبيرة. فاصبحت متصلة بأملاكها في بروسيا الشرقية وصار مصب الفستول في يدها . وأخذت النمسا مقاطعات غاليسيا وضمت روسيا اليها ليفونيا البولونية وجزاً من ليتوانيا . فكان مجموع ما أخذته الدول الثلاث ثلث بولونيا . وبذلك تم التقسيم الاول للملكية البولونية وتضعضت هيئتها امام الدول المتآمرة عليها

وكان هذا التقسيم صدمة كبيرة للأمة البولونية جعلها تنظر في العواقب وتفكر فيما يؤول إليه مصيرها بين تلك الدول الطامعة فيها الموافقة لها بالمِرصاد . وشعرت بالخطر المحقق بها فأخذت تلم شعنها وتصلح من شؤونها الاجتماعية والاقتصادية وتأخذ العدة للدفاع عن كيانها والذود عن حياضها أمام وثبات المطامع الاجنبية . شرع أقطابها ينظمون شؤونها فأصاحوا الجيش ونشروا المدارس وأصلحوا نظام التعليم فيها وتسابق الاغنياء الى الجود بأموالهم في سبيل تعميم التعليم وترقيته . وأنشئت لهذا الغرض لجنة كبرى تدعى (لجنة الزرية والتعليم) تجمع بين أعضائها أقطاب العلم في بولونيا وتعد هذه اللجنة أول وزارة معارف انشئت في أوروبا الحديثة سنة ١٧٧٣ . واخذ « الديت » (البرلمان) يواصل السعى في اصلاح أنظمة الحكومة وقوانينها ووضع للبلاد دستوراً جديداً مقتبساً من المبادئ التي قررتها الثورة الفرنسية ومبادئ الحرية الامريكية والدستور الانجليزي فجاء دستوراً من أرقى الدساتير أحكاماً

وأسماءها مبادئ وهو المعروف بدستور ٣ مايو سنة ١٧٩١^(١) الذى تم وضعه فى العهد الذى وضعت فيه الجمعية الوطنية الفرنسية دستور فرنسا سنة ١٧٩١ فكانت هذه الاصلاحات فاتحة عصر جديد للبلاد أخذت فيه باسباب الحياة واليقظة والاستعداد للطوارئ وتجدد شباب الدولة البولونية . على أن جيرانها خشوا عاقبة هذا التجدد ورأوا فيه حائلا دون تحقيق أطماعهم الاستعمارية فعملوا على تزيق وحدتها قبل أن تلم شعنها وتصح من شؤونها . فهاجمتها روسيا وبروسيا سنة ١٧٩٣ واستولتا على جزء جديد من أملاكها فاغتصبت روسيا جزءا من ليتوانيا ومقاطعة كييف وبودوليا واغتصبت بروسيا دانزيج وجزأ من بولونيا الكبيرة بما فيها مقاطعة بوزن . وبذلك تم التقسيم الثانى حيال هذا الاغتصاب دافع البولونيون عن بلادهم دفاع الابطال وأعلنوا الجهاد الوطنى فى ٢٤ مارس سنة ١٧٩٤ بزعامة القائد العظيم (كوشيسكو) واتصرت فى مبدأ القتال جنود الثورة فى وارسو وفيلنو ولكن كثرة عدد الغزاة تغلبت على شجاعة البولونيين ولا سيما بعد ان اشتركت النمسا مع روسيا وبروسيا فى القتال فعجز البولونيون عن انقاذ استقلال بلادهم وانتهت الحرب باقتسام الدول الثلاث البقية الباقية من أملاك بولونيا سنة ١٧٩٥

(١) من القواعد التى وضعها هذا الدستور أنه جعل الملك وراثيا بعد أن كان بالانتخاب وألغى حق الفيتو الذى كان يسمح لكل عضو فى الديت (البرلمان) بإلغاء قرار المجلس اذا كان مخالفه فى الرأى وقد كان هذا الحق من أسباب اضمحلال الدولة البولونية وانتشار الفوضى فى شؤونها . وقد زاد الدستور فى سلطة الملك لتقوى شوكة الدولة أمام خصومها

وجاء مؤتمر فينيا الذي انعقد سنة ١٨١٤ - ١٨١٥ بين الدول الثلاث نابليون فافر الدول الثلاث المعاصبة على اغتصابها وتوزيعها على البولونية بينها ^(١) فكان في ذلك القضاء على تلك الممالك الثلاثة كانت النابج المجيد ومحوها من خريطة أوروبا وانفقت الدم في الثلاث فلما بدأ على أن تعاون على قتل الروح الوطنية البولونية ومسح البولونيين من الوسائل من أن يعيدوا مملكتهم القديمة فكانت روسيا هي البارز في النابج سياسة الشدة والاضطهاد حيال البولونيين وبإبها بروسيا ثم النمسا

بولونيا الروسية

أخذ مؤتمر فينيا على روسيا عهدا أن تعامل بولونيا معاملة حسنة باعتبارها مملكة على رأسها القيصر وتعهدت الدول الثلاث بأن تنشئ في البلاد البولونية التي ضمت الى املاكها هيئات نيابية وأنظمة إدارة

(١) كان نصيب روسيا يشمل المملكة البولونية (التي أنشأها مؤتمر فينيا وجعل القيصر ملكا عليها) وليتوانيا وروتنيا وكورلندا وكرانيا ونصيب النمسا جاليسيا ونصيب بروسيا بوقية بوزن وجزء من سيليزيا البروسية وبروسيا الغربية ومقاطعة دانزيج . وجعل المؤتمر مدينة كركوفي مستقلة على الحياد تحت حماية روسيا والنمسا وبروسيا ولم يكن عدد سكان هذه الجمهورية يزيد عن ١٢٠ ألف نسمة وكان عدد سكان البلاد البولونية كلها في اوائل القرن التاسع عشر ستة عشر مليون نسمة وبحسب احصاء سنة ١٩١٠ بلغ عدد سكان بولونيا الروسية ٣٥ مليوناً وبولونيا النمساوية ثمانية ملايين وبولونيا الألمانية أربعة ملايين وعدد البولونيين الاصليين في هذه البلاد ٢٥ مليوناً وباقي السكان من الاجناس الأخرى

خاصة بها . ومضت عدة اعوام وبولونيا الروسية لها دستور خاص ومجلس نيابي ومجلس شيوخ وجيش وحكومة اهلية . على ان الحكومة القيصرية مالبثت ان سخرت من عهدوها التي قطعتها في مؤتمر فينيا وبدأت تتبع سياسة الاستبداد ولا سيما في عهد القيصر نيقولا الاول الذي تولى سنة ١٨٢٥ فعميت بأنظمة البلاد ودستورها وعطلت البرلمان واستبدت بالاحكام ورزح البولونيون طويلا تحت نير الاضطهاد القيصري . فلما شبت في فرنسا ثورة سنة ١٨٣٠ واسقط الباريسيون الملك شارل العاشر المستبد أخذت مبادئ الثورة تسرى الى عواصم اوروبا وتزعزع اركان الاستبداد فيها . ولا غرو فقد كان الشعب الفرنسى فى مختلف العصور استاذ الام فى الثورات ، وقائدها فى النهضات والانتقالات ، فلم تكن تحدث تحت سماء فرنسا ثورة الا ظهرت آثارها وسرت عدواها فى سائر العواصم الأوروبية . فلما شبت ثورة ١٨٣٠ ونودى بلويس فيليب ملكا للفرنسيين بارادة الشعب عزم القيصر نيقولا الاول الذى كان نصيرا للاستبداد وعدوا للحرية على أن يجرد جيشا لمحاربة فرنسا مهد الثورة وشرع فى تجنيد البولونيين ليكونوا فى طليعة الجيش القيصري فضاق البولونيون ذرعا بهذا التحكم وهبت الأمة البولونية للتحرد من النير القيصري واشتعلت نار الثورة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٣٠ وأعان البرلمان استقلال بولونيا وتحررها من كل تبعة للقيصر والى حكومة وطنية . وظلت تحارب الروس سنة كاملة ولكن تبريز جيوش القيصر وتآمر النمسا وبروسيا على منع كل مدد يصل الى البولونيين وسكوت الدول الأوروبية الأخرى كل ذلك عجل باخماد الثورة . فاستعادت الحكومة الروسية ساططها وساد الارهاب فى ارجاء

البلاد واطلقت الحكومة الروسية العنان لسياسة القسوة أزاء البولونيين وتفننت في ضروب الانتقام والاضطهاد . فن اعدام ، الى سجن ، الى نفى الى أقاصى سيبيريا ، الى مصادرة للأموال ، وتشيت لآلاف من الأسرى ، وأعطت الروس أملاك المهاجرين والمحكوم عليهم ، والغت الدستور والجيش وعبثت بقوانين البلاد وضيت الخناق على التعليم البولونى وصبغت بالصبغة الروسية . وافقت جامعة وارسو وجامعة فيلنو وأقفا كثر من المدارس ونقلت الى عاصمة روسيا المتاحف ودور الكتب البولونية وتمادت في الظلم والارهاب فكانت ترسل الناس زرافات الى السجون أو الى أقاصى سيبيريا ويموت معظمهم في الطريق . وكانت تكره الناس على اعتناق المذهب الارثوذكسى بدلا من الكاثوليكية ، وارتكبت في سبيل ذلك كثيرا من الفظائع

في ذلك العهد الرهيب هاجر من بولونيا الألوف من خيرة رجالها وزهرة أبنائها ونخبة علمائها وشعرائها وكتابها ومؤرخيها ونبلائها واستوطنوا عواصم أوروبا وأمريكا فرارا من الظلم واستصراخا للإنسانية ويعرف هذا العهد (بالهجرة الكبرى)

بقيت بولونيا تروح تحت نير الاضطهاد السنين الطوال على ان الروح البولونية لم تنزعز أمام الشدائد ولم تضعف أمام المصائب بل بقيت الأمة ثابتة في يقينها قوية بحقها تتحين الفرص لتحقيق آمالها

ثم بدأت الحكومة الروسية بعد وفاة القيصر نيقولا الاول تخفف قليلا من ضغطها على البولونيين وغيرت من سياستها في عهد خلفه اسكندر

التي في سنة ١٨٥٧ صدر عفو عن معظم المنفيين والمبعدين السياسيين و تمتعت الحركة الوطنية وفكت النهضة القومية من عقلاها فأنشئت في السنة نفسها أكاديمية الطب والجراحة في وارسو وأسست الجمعية الزراعية التي كانت تعمل على اصلاح حالة الفلاح . وأخذت المظاهرات الوطنية تتجدد في المدن لمناسبة ذكرى الحوادث الكبرى في تاريخ بولونيا وكثرت الجمعيات والاندية وأصبحت مصدرا للحركات السياسية وانتشرت مدارس الشعب في أرجاء البلاد وتسابق البولونيون الى تعميمها معتمدين على أموالهم وعزائهم فعمّمت الحركة وقويت وتردد صداها في الخارج فكان الكتاب والسياسيون البولونيون الذين استوطنوا عواصم أوروبا يطالبون الدول باعادة النظر في المسألة البولونية

وكانت الحوادث السياسية العالمية تجدد آمال البولونيين وتشدّد عزائمهم في جهادهم الوطني . في سنة ١٨٥٩ هبت الأمة الايطالية وثار في وجه الاستبداد النمساوي وأيدتها فرنسا بحرب المشاهير الحرب المعروفة بحرب استقلال إيطاليا فكانت باعثا على فتح باب المسألة البولونية وفاقاً لبدا « احترام الجنسيات » الذي أعلنته فرنسا في ذلك الحين وجعلته بالانضمامها الى الإيطاليين في حربيهم للنمسا . فكان تقرير هذا المبدأ عوامل نجاح الآمال وثوران الخواطر في بولونيا فقد كان البولونيون المنون يثق كيف لا يعاملون وفاقاً لهذا المبدأ الجنيل وهم أحق من هم فاندثرت الحركة وظهرت بوادر الثورة في أرجاء البلاد وتجددت بين الدول الثلاث العاصية التي كانت لاتألو جهدا في اطفاء جذوة النهضة البولونية . فاجتمع ملوك تلك الدول في وارسو سنة ١٨٦٠ للنظر في

الامر فقامت بها مظاهرات عظيمة ضد الدول الثلاث وأخذت الحركة
الثورية تشتد وتتسع دائرتها

اضطربت الحكومة الروسية بأزاء هذه الحركة وترددت في أى
السياسات تتبعها بعد مارأت ان سياسة العنف القديمة لم تؤثر في ثبات
البولونيين وأخذت تجرب سياسة المحاسنة فأعلنت سنة ١٨٦٢ بعض
اصلاحات دستورية ولكن الامة قابلت هذه السياسة بالفثور والاعراض
لأن تلك الاصلاحات لم تكن مطمئنة أنظار الأمة التي كانت تصبو الى
الاستقلال . فلم تكن هذه الوسائل لتعيد الهدوء والطمأنينة الى البلاد
وأخذ نطاق الثورة يزداد اتساعا ، والسنة لهيها تندلع اندلاعا وتددت
المؤامرات وكثر الاعتداء على حياة كبار الحكام . وكان البولونيون
ينتظرون من فرنسا وانجلترا أن تؤيدهم في نيل الاستقلال التام فقامت
المظاهرات الكبيرة في المدن . ولكن الحكومة الروسية قاومت هذه
الحركة بتجنيد البولونيين ولا سيما الشبان منهم في الجيش . فكان هذا
العمل مشعلا لنار الثورة العامة في بولونيا فهبت الثورة في يناير سنة ١٨٦٣
وتناولت ولايات المملكة البولونية القديمة التابعة لروسيا واشترك فيها
الشعب البولوني بأسره متبعاً كلمة نابوليون الشهيرة « لا ترسم حدود
بولونيا المستقلة الا حيث يسفك الدم البولوني » وتألفت حكومة وطنية
لادارة البلاد وقيادة الجيش الوطنى وظل البولونيون يحاربون
مدة ستة عشر شهراً والثبات رائدهم . ولكن العدو استفد قواهم
في هذه الحرب الضروس فتأثر العالم المتمددين وأشفق من هذه المأساة
ورثى لتلك الامة التي تؤثر الموت على الذل والعبودية تحتدختل

الامبراطور نابليون الثالث ودعا الدول الى الاخذ بناصر الامة البولونية فارسلت كل من فرنسا وانجلترا والنمسا مذكرات الى الحكومة الروسية طالبة منها انصاف البولونيين. ولكن الحكومة الروسية كانت قد عقدت اتفاقا عسكريا مع بروسيا في هذا الشأن فلم تحفل بمذكرات الدول وتمكنت بكثرة جيوشها من قمع الثورة فلم تدع للحكومات الاوربية سببا فعليا للتدخل في مسألة عدتها من المسائل الداخلية واستعملت في قمع الثورة منتهى القسوة واقتنت ما فتنت في اساليب الانتقام، فنفت الى سيبيريا ثمانية عشر الف بولوني من صفوفه أبناء البلاد وصادرت من املاك البولونيين ثلاثين الف كيلو متر مربع. وأحرقت كثير من القرى والقصور ووضعت الغرامات على البلاد وأسكنت الضباط والجنود أملاك القرويين وسادت السياسة الرجعية في البلاد سنوات طويلة .

ففي سنة ١٨٦٩ قررت الحكومة القيصرية جعل اللغة الروسية لغة التعليم الرسمية في المدارس العالية والثانوية واستبدلت المدرسين البولونيين بمدرسين من الروس وطاردت اللغة البولونية تدريجيا من المدارس والمحاكم والمصالح. واضطهدت المذهب الكاثوليكي الذي كان يدين به البولونيون وأكرهت الألوف . منهم على اعتناق المذهب الارنود كسى

ولما حاربت روسيا الدولة العلية سنة ١٨٧٧ وخرجت فائزة من هذه الحرب كان لفوزها أثر كبير في ارساخ سلطة الحكومة القيصرية فازداد الإضطهاد في بولونيا وأمعنت الحكومة في محاربة الروح الوطنية وجببت في العمل على استئصالها لتجعل بولونيا بلادا روسية وجاهر القيصر

باتباع سياسة التعصب للجنسية الروسية في داخل حدود الامبراطورية وكانت المدرسة من الوسائل التي اتبعتها في تنفيذ هذا البرنامج ففي سنة ١٨٨٥ ألغيت اللغة البولونية من المدارس الابتدائية وحلت اللغة الروسية محالها وأخذوا يدرسون الدين الكاثوليكي بالروسية وكان التلاميذ البولونيون عرضة للاهانات والعقوبات الصارمة فأدى كل ذلك الى انحطاط التعليم واضطراب حالة المدارس واصطبغت الادارة البولونية بالصبغة الروسية ورزحت الامة البولونية تحت نير الارهاب فكانت السجون كل سنة تملأ بالناس من جميع الطبقات يساقون اليها بلا تحقيق ولا محاكمة

ولما تولى القيصر نيقولا الثاني سنة ١٨٩٤ أمل بعض المعتدلين من الاحزاب البولونية أن يصلوا الى تخفيف الضغط الروسى على البلاد وسعوا فعلا في مفاوضة القيصر لاعادة وجود بولونيا السياسى على أساس الارتباط بالحكومة القيصريّة . ولكن هذه المساعي حبطت ولم تتغير السياسة الروسية عما كانت عليه من قبل . ومما يذكر في هذا الصدد أن الوظائف في بولونيا مائت بالروس وكان الموظفون البولونيون يبعدون عنها ويعنون في الجهات النائية من الامبراطورية وساءت حالة البلاد الاقتصادية بسبب زيادة الضرائب فيها واشتد الضيق بالناس

فكانت كل هذه الاضطهادات سببا لانتشار الكراهية للروس في نفوس البولونيين واستحالة الاتفاق بينهم وبين الحكومة القيصريّة فاكتمسب الحزب الوطنى الديمقراطي الذى كان يمثل السياسة الوطنية المتطرفة أنصارا وأعوانا كثيرين في البلاد وتغلب على الاحزاب المعتدلة في اكتساب الرأى العام وقيادة زمام المعارضة وضم اليه طبقات الفلاحين

والعمال فكانوا قوة كبيرة من قوى المعارضة السياسية وعاملا فعلا من عوامل المقاومة الوطنية وأخذت المبادئ الاشتراكية تنتشر بين الطبقات الفقيرة وسرت بين العمال وكان لها تأثير كبير في الحركات الثورية التي وقعت سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦

كان من نتائج ثورة سنة ١٩٠٥ التي قامت في روسيا تأليف مجلس الدوما الذي يشبه أن يكون مجلسا نيابيا وقد خول القانون الاساسى البولونيين أن يرسلوا الى المجلس نوابا عنهم كسائر سكان الامبراطورية وكان لأنصار الحزب الوطنى الديمقراطى الفوز الكبير فى الانتخابات فألفوا حزبا للمعارضة فى داخل الدوما

وامتازت سنة ١٩٠٥ بحركة مقاطعة الطلبة البولونيين للمدارس الثانوية والعالية الروسية فقد تركوا تلك المدارس وأعرضوا عن دخولها حتى تعود الى التعليم صبغته البولونية واستمرت هذه المقاطعة الى أن أعلنت الحرب

وكان القانون الأساسى الذى أعلنه القيصر بعد ثورة سنة ١٩٠٥ قد كسب الشعب الروسى بعض الحقوق فاستفاد البولونيون من نصوص هذا القانون الذى كان يسرى عليهم واستمروا فى جهادهم فكان من مزايا العصر الجديد اعطاء الصحف قسطا قليلا من الحرية وابعاحة إنشاء بعض الجمعيات بعد ان كانت محظورة بحكم القانون القديم والترخيص فى فتح المدارس البولونية ولكن هذه الامتيازات لم تبق طويلا فان الحكومة أسرع الى استردادها تدريجيا فقد تذرعت بأسباب باطلة لالغاء كثير من الجمعيات الادبية والعلمية والاجتماعية التى انتشرت فى أرجاء البلاد

وأصدرت عدة قوانين استثنائية للتضييق على حرية البولونيين وبالرغم من كل هذه الوسائل خطت الأمة البولونية في بولونيا الروسية خطوات واسعة في سبيل التقدم السياسى والاجتماعى وذلك بفضل جهود أبنائها ومثابرتهم على اتباع خطة المقاومة على ما سنفصله فيما يلى :

بولونيا الالمانية

كان نصيب بروسيا في معاهدة فيينا أن استولت نهائيا على دوقية بوزن وجزء من سيليزيا وبروسيا الغربية ومقاطعة دانزيج وقد تعهدت الحكومة البروسية أن تنشئ في هذ البلاد هيئات نيابية ونظامات أهلية ولكنها لم تبر بوعدها إلا في دوقية بوزن فأنشأت بها هيئة نيابية تسمى (مجلس الديت) ضئيلة الساطة محدودة الاختصاص وابتقت اللغة البولونية في المدارس والمحاكم ولكنها أخذت تتحين الفرص للقضاء على الروح البولونية فانهزت فرصة اشتراك البولونيين التابعين لها في ثورة اخوانهم في بولونيا الروسية سنة ١٨٣٠ فعاملتهم بالفسوة والعنف واشتدت وطأتها عليهم بعد الثورة الى انشبت في دوقية بوزن سنة ١٨٤٨

وفي أثناء ثورة سنة ١٨٦٣ الى شبت في بولونيا الروسية ثارت الافكار في بولونيا الالمانية عطفاعلى اخوانهم في الروسيا وبدأت أعراض الانتفاض تبدو في البلاد فقابات الحكومة الالمانية هذه الحركة بالشدة والقسوة والنفي والمحاكمة ومن ذلك أنها حكت في يوليو سنة ١٨٦٤

١٤٥ من خيرة البولونيين بتهمة الخيانة العظمى فحكمت على الكثيرين منهم بعقوبات فى منتهى الصرامة

على أن الحكومة الألمانية كانت أقل ظلما وأخف وطأة من الحكومة الروسية وقد اتبعت فى سياستها خطة التزاحم الاستعمارى وادماج العناصر الأجنبية فى جسم الامبراطورية ونظمت هذه السياسة بعد ان انتصرت على فرنسا فى الحرب السبعينية سنة ١٨٧١ فاتبعتها فى الازراس والورين وسعت فى ان تدمج البولونيين فى العنصر الجرمانى فخاربت اللغة البولونية وعملت على محوها من المدارس والمصالح لتقضى على أهم مقومات الجنسية البولونية فجعلت التعليم فى المدارس الثانوية باللغة الألمانية ابتداء من سنة ١٨٧٣ ثم عممت هذه اللغة تدريجيا فى المدارس الابتدائية وحظرت تعليم اللغة البولونية واستمرت على هذه السياسة الى ان نشبت الحرب العامة وكان من نتائج هذه السياسة ان نفر البولونيون من ارسال أبنائهم الى المدارس الألمانية خوفا على اخلاقهم الوطنية ان تضيع فيها وكان التلاميذ يتعلمون من اصطباغ التعليم بالصبغة البروسية فى سنة ١٩٠٧ اضرب مائة الف طالب بولونى عن الدخول فى المدارس واستمر الاضراب ثمانية اشهر على أن البولونيين بذلوا جهودا كبيرة فى المحافظة على لغتهم القومية فأحيوها بنشر الجمعيات والجرائد والمجلات والمؤلفات واحياء الآداب البولونية من طبقات الشعب

وسعت الحكومة الألمانية كذلك فى انتزاع الاراضى البولونية من يد أهامها وإعطائها للمستعمرين الالمان وأنشأت لهذا الغرض لجنة أمدتها الحكومة بالاموال الطائلة لنشر العنصر الجرمانى فى البلاد البولونية

على أن البولونيين حاربوا هذا الخطر الداهم فأنشأوا البنوك الوطنية والشركات
والنقابات الزراعية وتعاونوا على استبقاء أراضيهم وتعميرها واحياء الاراضى
الموات منها

بولونيا النمسية

كان ما عاناه البولونيون في النمسا من الاضطهاد أقل خطراً وأخف وطأة
بما عاناه اخوانهم في روسيا فان الحكومة الامبراطورية النمسية ولو
أنها عممت في السنوات الأولى من حكمها على محو قوميتهم قد اخذت
في النصف الثانى من القرن التاسع عشر تعمل على اكتساب مودتهم
وجعلتهم جزءاً حياً من الامبراطورية النمسية المتمدة الاجناس
والأديان واللغات

فند استولت النمسا على جاليسيا سنة ١٧٧٢ بذات الحكومة النمسية
جهدها لصبغ تلك البلاد وأهلها بالصبغة الجرمانية فسرى الطابع الالمانى
الى المصالح والقضاء والمدارس

أعلنت النمسا انشاء (جمعية عمومية) في جاليسيا سنة ١٨١٧ تنفيذاً لما
تعهدت به في مؤتمر فيينا من انشاء هيئة نيابية للبلاد. على أن هذه الجمعية
لم تكن الا خيالاً لهيئة نيابية فلم يكن لها الا سلطة استشارية وما
كانت تملك سوى تقديم رغبات واقتراحات وابداء آراء كلما استشارتها
الحكومة في أمر من الامور ولم تكن الحكومة تأمر بعقد ها واستشارتها
الا نادراً فساءت الادارة وتمطت مصالح البلاد وساد الفساد بين الحكام
وكانت الحكومة تقاوم كل حركة وطنية ترمى الى تغيير نظام الحكومة

واستخدمت في محاربتها للحركة الوطنية سلاح التفريق بين البولونيين والروتنيين وبين طبقة الاشراف في البلاد وطبقة الغامة

أما جمهورية كراكوفي الصغيرة التي أنشأها مؤتمر فيينا فقد كانت عرضة لاعداءات النمسا واحتلال أطرافها ودسائس معتمدى الدول الثلاث الحامية وتدخلهم في شؤونها الداخلية بحجة حمايتها ، على أن أهمل البولونيين كانوا يعطفون على اخوانهم في جاليسيا عطفاً كبيراً

ففي سنة ١٨٤٦ شبت ثورة في كراكوفي نظمها جماعة من الأحرار البولونيين قدموا اليها خصيصاً من باريس وكان غرض الثورة استقلال بولونيا جميعها واجراء الاصلاح الاجتماعى في البلاد . وقد حارب مترنيخ وزير النمسا هذه الثورة بالفاء بذور الشقاق والتفريق بين طبقات الامة البولونية وأفاح في تحريض الفلاحين في جاليسيا على الاشراف والملاك فتنازع الفريقان وقتل كثير من الاشراف في أرجاء البلاد

أخذت النمسا تلك الثورة والفت الجمهورية وضمت كراكوفي الى أملاكها نهائياً بالرغم من احتجاج فرنسا وانجلترا وأصبحت كراكوفي جزءاً من جاليسيا بعد ان كانت مأوى كثير من الأحرار البولونيين من جهات مختلفة

وفي سنة ١٨٤٨ كانت الثورة الفرنسية قد سرت من فرنسا الى البلدان الأخرى فظهر لها أثر في النمسا . وكان من أثرها في بولونيا النمسية أن تألفت اللجان الوطنية في كل الجهات وأخذت تنادى بالأمانى الوطنية ولكن الحكومة الامبراطورية قابلت هذه الحركة بالشدة والقسوة

وضربت كرا كوفي ولامبرج بالمدافع وأعلنت الأحكام العسكرية في المقاطعات النائرة

ولما انتهت حرب النمسا في ايطاليا سنة ١٨٥٩ بهزيمة النمساويين فكر الامبراطور فرنسوا جوزيف في أن يستعين بالشعوب النمساوية ليجدد حياة الامبراطورية فأسند رئاسة الوزارة الى بولوني وهو الكونت (جولوشسكي) وبدأ على يد هذا الوزير عهد الاصلاحات الدستورية فكان من نتائج سعيه اعلان الاستقلال الذاتي لولايات المملكة ومنها جاليسيا . وصدر بذلك دستور ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٦٠ ولكن العناصر الألمانية أخذت تحارب هذا الدستور لما سيتبعه من اضعاف النفوذ الجرمانى فى البلاد فعدلت الحكومة الدستور المذكور بقانون جديد فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٦١ تقص ساطة مجالس الديات فى الولايات ووضع الساطة فى يدمجلس النواب فى فيينا وهو المجلس الذى يمثل شعوب الامبراطورية

وفى سنة ١٨٦٦ خرجت النمسا مقهورة من حرب بروسيا فبدأ عهد جديد لسياسة النمسا الداخلية واضطرت الى مجاملة الشعوب التى تتألف منها الامبراطورية وفى مقدمتهم الشعب البولونى فنالت جاليسيا استقلالها داخليا كاملا سنة ١٨٦٨ وأصبحت الساطة التشريعية والمالية فى يد (مجلس الديات) فأخذ البولونيون يعملون على احياء العلوم والآداب البولونية ونشر المدارس وتعميم التعليم وترقية شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية وخطوا فى هذا السبيل خطوات واسعة فسبقوا اخوانهم فى روسيا والمانيا .

الاحزاب والجمعيات السياسية والوطنية

في بولونيا وأمريكا

بذل البولونيون بالرغم من العقبات التي صادفتهم في الامبراطوريات الثلاث جهودا كبيرة في تنظيم حياتهم السياسية وتغذية الحركة الوطنية فأسسوا الاحزاب والجمعيات السياسية لتكون قوام الحركة ولتعمل على نشر المبادئ والفضائل القومية وتقوية روابط الاتحاد بين أبناء الأمة وهذه الاحزاب تختلف حالتها ودرجة تقدمها وبلغ قوتها بحسب اختلاف النظم السياسية في الامبراطوريات الثلاث

ففي بولونيا الروسية حيث يحول الاضطهاد القيصرى دون ارتقاء الاحزاب السياسية وجد البولونيون صعوبة كبرى في تكوين أحزابهم وجمعياتهم

وكان للبولونيين ٤٦ نائبا في مجلس الدوما سنة ١٩٠٦ فنقصتهم الحكومة الروسية الى ١٥ لاضاعاف نفوذهم بجمعهم أقلية ضئيلة لا يعتد بها وكان لهم في مجلس الامبراطورية ١٥ نائبا فنقصوا الى ٩ وكان النواب البولونيون لا ينتمون الى أى حزب من الاحزاب الروسية بل احتفظوا باستقلالهم في الخطة السياسية وكانوا معارضين على الدوام لسياسة الحكومة الروسية

ولم يكن الاضطهاد القيصرى يسمح في خلال القرن التاسع عشر لافاية أوائل القرن العشرين بتأليف أحزاب سياسية وابتدأ هذا

الاضطهاد يقل من عهد الاصلاحات الدستورية فى روسيا سنة ١٩٠٥ ولكن لم يسمح الا بالجمعيات السياسية المعتدلة فلم يكن فى الامكان انشاء جمعيات سياسية متطرفة أو جمعيات اشتراكية او ذات صبغة ثورية بل كان انشاء مثل هذه الجمعيات يدعو الى توقيع اشد العقوبات على مؤسسيها والمشاركين فيها وكان من أهم الاحزاب السياسية التى تألفت فى بولونيا بعد دستور سنة ١٩٠٥ (الحزب الوطنى الديمقراطى) وغرضه نشر المبادئ الوطنية و احياء الماطفة البولونية بين طبقات الشعب وقد جمع بين زعمائه نخبة من علماء البولونيين وأفاضلهم وكان له تأثير كبير فى الانتخابات البولونية لمجلس الدوما . وهناك حزب آخر وهو حزب (السياسة العملية) يمثل فكرة الاعتدال فى الخطط السياسية والاجتماعية . وبجانب هذين الحزبين احزاب متطرفة وهى (حزب التقدم) وحزب (الوحدة المتقدمة) و (حزب اتحاد الفلاحين) . أضف الى ذلك أن للبولونيين فى روسيا جمعيات سياسية لها صبغة سرية ولها فروع فى بولونيا الالمانية وبولونيا النمسوبة وهذه الجمعيات لها نزعات ثورية .

ولما كان الضغط القيصرى فى بولونيا يجعل الجمعيات السياسية عرضة للمصادرة والقصاص فقد كان البولونيون يؤسسون الجمعيات الاجتماعية ويسعون بواسطتها لتحقيق أغراضهم الوطنية والسياسية وأهم هذه الجمعيات (الجمعية الخيرية) التى كان الغرض منها نشر التعليم الأهلى بين النشء البولونيين وتنظيمه بواسطة البولونيين أنفسهم . وقد ظلت هذه الجمعية قائمة سنة ونصف ولكن الحكومة الروسية ألغتها . والجمعية الزراعية

المركزية وجمعية حماية العمل الاجتماعى التى أسست فى وارسو فى سنة ١٩٠٧ .
وكان الغرض منها امداد النواب البولونيين فى مجالس الدوما بجميع المعلومات
والمسائل اللازمة لصيانة المصالح البولونية

على أن الاستبداد القيصرى كان يحول دون تعدد الجمعيات السياسية
فى بولونيا الروسية بخلاف بولونيا الالمانية والنمساوية فان بولونيا الالمانية
وان كانت واقعة تحت تأثير سياسة ادماج العنصر البولونى فى الجامعة
الجرمانية الا ان الدستور الالمانى كان يسمح با إنشاء الجمعيات السياسية
فكان البولونيون يتمتعون باحكام هذا الدستور العام وفى بولونيا النمساوية
كان نظام الاستقلال الداخلى لجاليشيا يضمن لهم حق انشاء الجمعيات
السياسية بلا قيد . وامتازت بولونيا الالمانية باتحاد كافة أهلها جميعا دفاعا
عن كيانهم أمام التيار الجرمانى الجارف فلم يعرفوا التنافس بين الاحزاب
الذى عرفه البولونيون فى جاليشيا بسبب الحرية السياسية التى كانت لهم
فى عهد الاستقلال الداخلى

كانت أهم جمعية سياسية تجمع كلمة البولونيين فى بولونيا الالمانية
هى (اللجنة المركزية للانتخابات) وعرضها تنظيم الانتخابات العامة تتضمن
تبرز العنصر البولونى فيها

وكان للنواب البولونيين ناد سياسى فى البرلمان وناد آخر فى مجالس
الدييت البروسى ولهم (مجالس وطنى) مؤلف من مندوبين من لجنة
الانتخابات ومن الناديين المذكورين . ولأصحاب الملاك من البولونيين
ناد سياسى خاص ذو صبغة معتدلة ولكنه معاد للحكومة البروسية
وكان بجانب هذه الهيئات (الحزب الديمقراطى الوطنى) الذى يمثل

الشعب والناطقة المفكرة ورجال الدين وخطته مناوأة الحكومة في أغراضها الاستعمارية

اما في بولونيا النمساوية (جاليسيا) فقد تعددت الجمعيات والهيئات السياسية وأهمها (نادى الديت) وهو مؤلف من الأعضاء البولونيين في مجالس الديت الجاليسى وفي البرلمان النمساوى و(المجلس الوطنى) المؤلف من ٢٦ عضوا يمثلون الأحزاب البولونية في الديت والبرلمان والغرض الذى يعمل له تقوية الرابطة البولونية والدفاع عن مصالح البولونيين ولا سيما في الانتخابات والدفاع عن القضية البولونية في الخارج وله فروع ومكاتب صحفية في أهم عواصم اوروبا كباريس ولوندره وروما لاطلاع الرأى العام الاوروبى على احوال بولونيا

وللنواب البولونيين في البرلمان النمساوى (وعددهم ٨١) ناد سياسى مؤلف للدفاع عن المصالح البولونية

وقد تعددت في جاليسيا الأحزاب السياسية البولونية فمنها الحزب المحافظ الكراكونى والحزب البودولى وهذان الحزبان محافظان. وحزب الوسط والحزب الديمقراطى الوطنى وهو حزب متطرف فى مبادئه يعتمد على جهود الشعب ويضم بين زعمائه أصحاب المهن الحرة والموظفين وجزءا من الملاك والزراع . والحزب الديمقراطى البولونى وهو يمثل الحضرين (سكان المدن) والطبقة المفكرة وأغلبية الاسرائيليين البولونيين

وحزب الشعب وهو يجمع طبقة الفلاحين وقيلا من المفكرين . والحزب الاشتراكى

في أمريكا

هاجر البولونيون بكثرة الى أمريكا فرارا من الضيق الاقتصادي أو الضغط السياسى فاستوطنوا كندا والولايات المتحدة واستوطن بعضهم أمريكا الجنوبية وكان معظمهم فى الولايات المتحدة فبلغ عددهم ثلاثة ملايين نسمة وقد ألفوا فيما بينهم رابطة قومية متينة للمحافظة على لغتهم وقوميتهم ومصالحهم فكانوا فى العالم الجديد منالاحياء لرقى الأمة البولونية. أنشؤا أربعمئة مدرسة ابتدائية لتعليم أبنائهم يتعلم بها مائة الف تلميذ ولهم عدة مدارس ثانوية بولونية فضلا عن تعلمهم بالمدارس الامريكية. ولهم ثمانمئة كنيسة كاثوليكية ولهم ٩٣ نشرة دورية من جرائد يومية وجرائد أسبوعية ومجلات يطبع معظمها على نفقة الجمعيات البولونية وقد اشترك البولونيون فى الولايات المتحدة فى الحياة السياسية الامريكية ولهم فيها يد طولى ومعظمهم قد اكتسب الجنسية الامريكية وانضم الى أحد الحزبين الكبيرين اللذين يتنازعا ن سياسة البلاد وهما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى ولكنهم جميعاً متحدون متضامنون فى الدفاع عن المصالح البولونية والتعلق بوطنهم المفقدى

ولهم جمعيات قوية توحد كلمتهم وتؤلف بينهم وترقى شؤونهم ففها (الجمعية الوطنية البولونية) وهى تضم ١٢٠ الف عضو ولها مؤتمر عام ينعقد كل سنتين فى شيكاغو وأعضاؤها يدفعون اشتراكات سنوية للجمعية يبلغ مجموعها ٢٥٠٠.٠٠٠ فرنك أى مائة الف جنيه تقريباً كل سنة

والجمعية (الاتحاد البولوني) وعدد أعضائها ٢٥٠٠٠ عضو و (جمعية الألعاب الرياضية) وعدد أعضائها ٢٥٠٠٠ عضو (والرابطة البولونية الوطنية) و (اتحاد الشبيبة البولونية) و (الرابطة الحربية) و (جمعية الاتحاد النسوى) وهى خاصة بالبولونيات وعدد أعضائها ١٢٠٠٠ ومن جمعياتهم الدينية (الرابطة البولونية الكاثوليكية) وعدد أعضائها ٨٥٠٠٠ عضو ورأس مالها خمسة ملايين فرنك وللعمال البولونيين الاشتراكيين جمعية اشتراكية

وقد بلغ عدد البولونيين المنتمين الى كل تلك الجمعيات أربعمئة ألف بولوني وكان لها الفضل الاكبر فى رفع شأن الامة البولونية فى أمريكا و اظهار فضائلها وأخلاقياتها القومية والاعلان عن مجدها وعظمتها ونشرها المؤلفات والكتيبات عن المسألة البولونية وكسبها عطف العالم الأمريكى عليها واقد كان من نتائج هذا العطف ان رأى العام الأمريكى فى خلال الحرب العامة ان كان يؤيد المطالب البولونية القومية وينادى بضرورة اعادة بولونيا الى مصاف الدول المستقلة عند انتهاء الحرب ووضع وباسون ضمن مبادئه الاربعة عشر المشهورة مبدأ خاصا باستقلال بولونيا

الصحافة فى بولونيا

عنى البولونيون بنشر الصحافة فى بلادهم وفى الخارج وكان انتشار الصحف والمجلات فى داخل بولونيا عرضة للضغط والمصادرة والرقابة على أن الطبقة المفكرة بذلت جهودا كبيرة للتغلب على هذه العقبات فكان للبولونيين قبيل الحرب ١٢١٢ نشرة دورية منها ١٥٤ جريدة يومية

٤٣٣ جريدة أسبوعية و٢٢١ جريدة ومجلة نصف شهرية و٣١٥ مجلة شهرية و٧٦ مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر و١٣ مجلة أخرى . وهذه الجرائد والمجلات تخوض في كل فروع الحياة السياسية والعلمية والادبية والاجتماعية والاقتصادية والفنية وبين هذه النشرات ١٠٧ جريدة ومجلة تصدر في أوروبا وأمريكا

فلبولونيين في عواصم أوروبا ١٤ جريدة ومجلة لنشر الدعوة البولونية يحررها نخبة من الكتاب والمهاجرين البولونيين ولا شك أن هذه النسبة تدل على مبلغ ارتقاء الافكار وقوة الحركة الوطنية والعلمية في بولونيا فبحسب نسبة هذا العدد الى عدد سكان بولونيا يكون لكل ٢٢٠٠٠ بولوني جريدة وهى نسبة تقل طبعاً عن نسبة الصحافة في بعض البلاد الكبيرة ففي إنجلترا يخص كل ٤٤٠٠ نسمة جريدة أو مجلة واحدة وفي فرنسا كل ٦٥٠٠ وفي ألمانيا كل ٩٠٠٠ . ولكن إذا لاحظنا الضغط السياسى الذى تعانيه بولونيا نجد أن نسبة ٢٢٠٠٠ نسبة كبيرة تدل على مبلغ عظمة هذه الامة وقوة الحياة فيها

التعليم

بذل البولونيون جهوداً عظيمة في سبيل نشر التعليم الاهلى وتأسيس المدارس الوطنية في بلادهم . ذلك أن المدارس الأميرية في بولونيا الروسية والألمانية قد اصطبغت بالصبغة الحكومية وكان الغرض من التعليم فيها قتل الروح الوطنية في نفوس النشء وإبعاد اللغة البولونية من المدارس . فاضطر البولونيون الى تدارك هذا الخطر بتأسيس الجمعيات والمعاهد والمدارس

الأهلية والالتفاق عليها بسخاء من التبرعات والاكتتابات . وبالرغم من العقبات والمصادر التي لا قوت لها في هذا السبيل فانهم قاموا بأعمال جارية فن الجمعيات القوية التي عنيت بفتح المدارس (الجمعية الخيرية في بولونيا الروسية) وعدد أعضائها ١٥٠٠٠٠ عضو ولها ٢٨١ شعبة وميزانيتها ثلاثة ملايين فرنك في السنة وقد أسست في سنة ونصف ٣١٧ مدرسة تعلم ٦١٩٠٠ تلميذ وأنشأت ٥٤ ملجأ بها ١٤٤٠٠ طفل و ٥٠٦ مكتبة أو قاعة مطالعة بها ٢٢٢٠٠٠ مجلد

ومنها (جمعية النور) و (جمعية الجامعة العامة) و (جمعية السوكول) وهي جمعية للألعاب الرياضية ولكنها تجعل التعليم من بروجرامها وعدد أعضائها ٢٠٠٠٠ عضو

وقد صادرت الحكومة الروسية هذه الجمعيات فألغتها سنة ١٩٠٧ ولكن هذا لم يمنع الأفراد من الاستمرار في جهودهم وتولى شؤون المدارس التي أسستها الجمعيات وفتح غيرها فكان في بولونيا الروسية سنة ١٩١٣ من المدارس الأهلية ٨٢٧ مدرسة ابتدائية و ٢٤٧ مدرسة ثانوية و ١٩٦ مدرسة فنية و ٧ مدارس عالية . هذا عدا المدارس التي أنشأتها الحكومة

أما في بولونيا الألمانية فكان محظورا على الأهالي فتح مدارس خاصة اكتفاء بالمدارس التي تنشئها الحكومة الألمانية ولكن الأهالي كانوا ينشئون الجمعيات لالقاء المحاضرات الدورية ونشر التعاليم الوطنية وإنشاء المكاتب وقاعات المطالعة وقد قامت هذه الجمعيات بخدم كبيرة

أما في جاليسيا فقد كان التعليم اهلياً من عهد الاستقلال الداخلي

أى من سنة ١٨٦٨ ولم تتدخل الحكومة النمساوية فى شؤونه فانتشرت المدارس البولونية وكان يهاجر إليها الكثير من البولونيين الروس والألمان لتلقى العلوم فيها باللغة البولونية وعانى (مجلس الدييت) متاعب شاقة فى سبيل ترقية التعليم الأهل فخصص ٤٠ فى المائة من الميزانية للتعليم وبذل جهودا كبيرة لتعميم التعليم الابتدائى فبلغ عدد المدارس الابتدائية سنة ١٩١١-٥٦٦١ مدرسة يتعلم فيها ١٠٠٠ ر ١٢٤٨ تلميذ ونلميذة وبها ١٥٨٥٥ مدرس ومدرسة وتعددت فيها المدارس العالية كالحقوق والتجارة والطب والزراعة والغابات والعلوم السياسية وأصبحت جامعا كرا كوفى ولا مبرج من أكبر الجامعات الأوروبية فى العصر الحديث كما أصبح نظام التعليم فى جاليسيا أنموذجا لارقى النظم فى البلاد المتحضرة

وللبولونيين فى سائر أرجاء بولونيا جمعيات علمية كبيرة تعمل على نشر أنوار العرفان فاهم فى كرا كوفى (أكاديمية العلوم) المؤسسة منذ سنة ١٨٧٢ والتي تعد من أكبر الجامعات العلمية فى أوروبا وهى قوام الحركة العلمية البولونية فى التاريخ والفلسفة والآداب والعلوم والشرائع : و (جمعية أصدقاء العلوم فى بوزن) و (الجمعية العلمية فى تورن بألمانيا) . و (الجمعية العلمية فى وارسوفى) و (جمعية أصدقاء العلوم فى فيلنو) وغير ذلك من الجمعيات الكثيرة

وقد برهن علماء بولونيا فى المؤتمرات العلمية الأوروبية على علو كمهم فى العلم وارتقاء مستوى الأمة البولونية فى العلوم والآداب

الجهود الاقتصادية

مع ما بذله البولونيون من الجهود العظيمة في النهضة السياسية والعلمية فانهم لم يفهم ان يوجهوا جزءا عظيما من قواهم في سبيل المحافظة على استقلالهم الاقتصادي وأدركوا أن نهضة الامة تكون عرجاء بل مقضيا عليها بالفشل اذا اهمت الاستقلال الاقتصادي فتعاونوا على تثبيت دعائم هذا الاستقلال بانشاء البنوك والشركات واهياء الصناعة والزراعة والتجارة أنشئ « بنك بولونيا » الوطني في بولونيا الروسية سنة ١٨٢٨ واقبل البولونيون على الاكتتاب في رأس ماله فبلغ سنة تأسيسه ١٩ مايون فرنك اى ٧٦٠٠٠٠ جنيه تقريبا . ذلك اذ كانت بولونيا الروسية لا يتجاوز عدد سكانها ثلاثة ملايين وكانت قيمة النقود في ذلك العصر لا تكاد تساوى عشر قيمتها الآن

لما انشئ « بنك بولونيا » اقبل البولونيون عليه يؤازرونه ويعضدونه فكان نواة نهضة البلاد الاقتصادية والمالية . أخذ رأس ماله يزداد على مر السنين واستودعه أبناء البلاد ما بدخرونه من أموالهم فتثمر هذه الاموال في احياء الصناعات الوطنية وتنشيط الزراعة والتجارة وكان على رأس معظم المشاريع الاقتصادية . ومما يذكر له في هذا الصدد أنه احيا صناعة المناجم في بولونيا الروسية وأنشأ فيها معامل الحديد والزنك وصناعة الآلات البخارية وصناعة الورق وغير ذلك وساعد على تسديد الدين العمومى . ويقول المؤرخون ان النهضة الصناعية والتجارية في بولونيا الروسية ما كانت لتصل الى رقيها المشهور لولا مساعدة بنك بولونيا

ظل هذا البنك في مدى خمسين سنة أساسا لرق البلاد الاقتصادي بالرغم من العقبات التي كانت تصادفه وكان البولونيون يعتبرونه مشروعا وطنيا محضا . فلما شرعت الحكومة الروسية سنة ١٨٦٩ في افقادة هذه الصبغة وجعله بنكا من بنوك الحكومة كان هذا مدعاة لتأسيس عدة بنوك وطنية على مثاله القديم بعيدة عن سيطرة الحكومة. بدأت هذه الحركة منذ سنة ١٨٧٠ فانشئت من ذلك الحين تسعة بنوك وطنية كبيرة برؤوس أموال أهلية وهي

(١) بنك وارسو التجاري أسس سنة ١٨٧٠ برأس مال قدره ١٥٩٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وبلغ سنة ١٩١٤ ثلاثة وخمسين مليونا

(٢) بنك الخصم في وارسو أسس سنة ١٨٧١ برأس مال قدره ٣٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وبلغ سنة ١٩١٤ ٢٦٥٠٠٠٠٠ فرنك

(٣) البنك التجاري في لودز أسس سنة ١٨٧٢ برأس مال ٢٦٥٠٠٠٠٠ فرنك وبلغ سنة ١٩١٤ ٢٦٥٠٠٠٠٠ فرنك

(٤) بنك التجارة في لودز أيضا أسس سنة ١٨٩٧ وبلغ رأس ماله سنة ١٩١٤ ١٣٢٥٠٠٠٠ فرنك

(٥) البنك الصناعي في وارسو أسس سنة ١٩١٠ ورأس ماله سنة ١٩١٤ ٧٢٩٥٠٠٠٠ فرنك

(٦) بنك شركات التعاون وهو البنك الذي أسسته شركات التعاون في بولونيا سنة ١٩١٠ وبلغ رأس ماله سنة ١٩١٤ ٣٠٠٠٠٠٠ فرنك

(٧) البنك التجاري والصناعي أسس سنة ١٩١٠ وبلغ رأس ماله سنة ١٩١٤ ٢٦٥٠٠٠٠ فرنك

(٨) بنك الغرب أسس سنة ١٩١٣ وبلغ رأس ماله سنة ١٩١٤ ٠٠٠ ر ٨٧٥ ر ١٩ فرنك

(٩) بنك لاندو التجارى أسس سنة ١٩١٤ ورأس ماله ٠٠٠ ر ٢٥٠ ر ١٣ فرنك
كل هذه البنوك هي شركات مساهمة ا كتتب في اسهمها البولونيون
أنفسهم فمجموع رأس مالها من الاسهم في سنة ١٩١٤ بلغ ٠٠٠ ر ٢٧٥ ر ١٦٨
فرنك ورأس مالها من الاسهم والاحتياطي معا ٠٠٠ ر ٢٢٥ ر ٢٢٩ فرنك
وبلغ مجموع مالىها من الودائع ٠٠٠ ر ٧٠٠ ر ٥٧ أى أكثر من نصف
مايار فرنك. كل هذا مع ملاحظة أن عدد السكان البولونيين في بولونيا
الروسية بحسب احصاء سنة ١٩١٠ لم يكن ليزيد على ١٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٢ نسمة
ومع أنه لم يدخل في الاحصاء المتقدم بنوك الافراد التى بلغ عددها سنة
١٩١٤ ثمانية وثلاثين بنكا منها ١٣ بنكا في وارسو وشركات الرهن العقارية
التى بلغ عددها ١٢ شركة

وعلى ذكر بنك التعاون نقول ان شركات التعاون في التسايف انتشرت
في بولونيا انتشارا عظيما فبلغ عددها ٩٧٠ شركة في سنة ١٩١٤ وهى المسماة
بنوك التعاون أو شركات التعاون المالية ورأس مالها ٨٠ مليون فرنك وهذه
البنوك هى التى أسست بنك شركات التعاون اتقترض منه ما تحتاج اليه
من المال ولترتكز عليه الشركات الجديدة في الدور الاول من تكوينها
في بولونيا الالمانية

لم يكن عدد سكان بولونيا الألمانية بحسب احصاء سنة ١٩١٠ يتجاوز
اربعة ملايين نسمة

فهذه المجموعة الصغيرة التي قضت معاهدة فيينا بالحاقها بالدولة البروسية لم تفقد شخصيتها ولم تنس أنها جزء من الامة البولونية خافظت على كيائها القومى وأخذت تعمل على تحقيق الوحدة البولونية القديمة بالرغم من العقبات التي اعترضتها وبالرغم من قوة الامبراطورية الالمانية كانت البنوك الالمانية تنشئ لها فروعاً في بولونيا فادرك البولونيون وجه الخطر من تدفق تلك الاموال في بلادهم وتحققوا انهم يفنون في المجموعة الالمانية القوية اذا لم يحافظوا على استقلالهم الاقتصادى وأساس هذا الاستقلال هو البنوك الوطنية. فهؤلاء الاربعة الملايين من البولونيين كان لهم قبل الحرب خمسة بنوك وطنية ذات اسهم يحملها أبناء البلاد وأكبر هذه البنوك وأعظمها شأناً هو بنك اتحاد شركات التعاون المالية. أسس هذا البنك في بوزن برأس مال بلغ سنة ١٩١٤ - ٧٣٨٠٠٠٠ فرنك ويرجع تأسيسه الى أن البولونيين الالمانيين بدأوا حركتهم الاقتصادية بإنشاء بنوك التعاون (شركات التعاون المالية) التي اخذت في بدء الحركة تنافس البنوك الالمانية القديمة فانتشرت هذه الشركات في المدن والقرى حتى بلغ عددها ١٩٧ في سنة ١٩١٢ وبلغ عدد أعضائها أو حملة حصصها ١٢١ و ٨٧٥ عضواً ورأس مالها من الحصص ٢٩ مليون فرنك ومن الاحتياطي نحو خمسة عشر مليوناً ومجموع الودائع التي لديها ٢٨٥ مليون فرنك

رأت هذه البنوك ضرورة إنشاء بنك كبير بأسهم تكون لها بمثابة مركز تعتمد عليه في الاقتراض منه عند الحاجة وفي تسهيل أعمالها المالية فأُسست ذلك البنك سنة ١٨٨٦ وأخذ يقوم بمهمته بمهارة وكفاءة ويزداد

رأس ماله كل سنة بفضل مؤازرة الجمهور له والتفاف شركات التعاون المالية حوله

لم يكتف البولونيون الالمانيون بهذا البنك بل كان لهم أربعة بنوك أخرى وهى :

بنك المزارعين . والبنك العقارى . وبنك بوتوكى . وبنك الخصم فى بروميرج . فكانت هى وبنك اتحاد شركات التعاون أساس الحركة المالية فى البلاد واستطاع البولونيون بفضلها أن يحافظوا على استقلالهم الاقتصادى وأن يصدوا تيار الاستعمار الجارف الذى كان يتدفق عليهم من البنوك الالمانية

أحصيت عمليات هذه البنوك الخمسة سنة ١٩١٤ فبلغ مجموع رأس مالها من الاسهم ٧٥٥٠١٩ر١٧ فرنكا . ومن الاحتياطى ٣٧٠٠٤٥٣ فرنكا ومجموع الودائع التى فى خزائنها ٧٢٧ر٥٩٩ر٧٧ فرنكا

أنشأ البولونيون كذلك بنوكا عقارية كان الغرض منها شراء الاراضى وتوزيعها على المزارعين من أبناء البلاد ليقاوموا مشروع الحكومة الالمانية التى كانت تعمل على تملك المستعمرين الالمان جزءا من الاراضى البولونية وقد بلغ عدد هذه البنوك سنة ١٩١٤ أربعة وعشرين بنكا . وبلغ مجموع رؤوس أموال شركات التعاون المالية وبنوك المساهمة والبنوك العقارية واحتياطياتها وودائعها ٤٩٨ مليون فرنك . أى أن الأربعة الملايين من البولونيين فى المانيا كانوا يشعرون فى بنوكهم الوطنية بنحو نصف مليار من الفرنكات يحافظون بها على كيانهم المالى ويستخدمونها فى تنشيط الصناعة والتجارة والملكية الاهلية .

فى بولونيا النمساوية

حافظ البولونيون فى النمسا على شخصيتهم الوطنية ولم تستطع السياسة النمساوية أن تدجهم فى الامبراطورية النمساوية بالرغم من سياسة العنف والشدة التى عوملوا بها فى السنوات الأولى التى أعقبت معاهدة فينا

حافظوا على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم التاريخية واتصلوا باخوانهم فى روسيا وألمانيا بروابط الوحدة البولونية وكان استقلالهم الاقتصادى والمالى ركنا من أركان نهضتهم الوطنية فبدلوا جهدهم للدفاع عنه وأسسوا لذلك البنوك وشركات التعاون المالية

أسسوا من بنوك المساهمة تسعة بنوك وطنية منها البنك العقارى الوطنى الذى أسس سنة ١٨٦٧ برأس مال بلغ سنة ١٩١٢ - ٢١ مليون فرنك من الأسهم وعشرة ملايين من الاحتياطى

ومنها البنك الذى أسس سنة ١٨٨٣ وبلغ رأس ماله سنة ١٩١٢ من الأسهم والاحتياطى ٢٣٠٠٠٠٠٠٠ فرنك وقد نال هذا البنك المنزلة الأولى بين البنوك الوطنية بفضل الثقة التى أحرزها بيد الجمهور وبفضل اشتراكه فى المشاريع التجارية والصناعية فى البلاد وأخذت حركة هذا البنك تتسع وتقوى حتى بلغت قيمة مجموع عمليات سنة ١٩١١ نحو أربعة مليارات من الفرنكات

ومن بنوك المساهمة الوطنية فى جاليسيا بنك التجارة والصناعة

والبنك الصناعى الذى أسس فى سنة ١٩١٠ خصيصا لتنشيط صناعة النسيج و احياء الصناعات الوطنية كافة

بلغ رأس مال البنوك الوطنية التسعة بحسب الاحصاءات الاخيرة الى عمات قبل الحرب ٦٢ مايون فرنك من الاسهم و ٢٢ مايون فرنك من الاحتياطى أى أن مجموع ذلك يبلغ ثلاثة ملايين وثلثمائة وستين ألف جنيه تقريبا

أنشأ البولونيون فى جاليسيا بجانب هذه البنوك شركتين للرهن العقارى رأس مالهما سنة ١٩١٣ ثمانية ملايين ونصف من الفرنكات ولهم من صناديق التوفير المنتشرة فى أنحاء البلاد ٥٣ صندوقا بلغت قيمة الودائع فيها فى نهاية سنة ١٩١٣ نحو ٣٣٧ مليون فرنك

لم يكتف البولونيون بهذه المنشآت بل أقبلوا اقبالا عظيما على تأسيس شركات التعاون المالية أو بنوك التعاون وامتازت جاليسيا بين سائر بلاد العالم بانتشار هذه الشركات فيها بالنسبة لعدد سكانها فقد بلغ عددها سنة ١٩١١ - ٢٩٧٤ شركة وهو احصاء يدعو الى الاعجاب بوطنية هذه الأمة البولونية وتماسكها وتعاونها فى المحافظة على شخصيتها بالرغم من العقبات التى كانت تصادفها فى حياتها الوطنية

كان عدد أعضاء هذه الشركات فى سنة ١٩٠٥ لا يزيد على ٤٥٦ ر ٦٥٢ عضوا فأخذ عددهم يزداد كل سنة حتى بلغ ٨٠٠ ر ١٢٥٣ ر ١٢٥٣ مع ملاحظة أن حملة الحصص فى هذه الشركات هم فى الغالب رؤساء البيوت والاسر فالعضو المشترك يمثل فى الحقيقة أعضاء أسرته جميعا

أحصيت أعمال ١٦٤٨ من هذه الشركات وهى التى نشرت بياناً بأعمالها سنة ١٩١٢ فبلغ مجموع رأس مالها ٨٦ مليون فرنك من الحصص ٢٥٥ مليوناً من الاحتياطى وبلغت قيمة ودائعها وحساباتها الجارية سنة ١٩١٢ - ٣٧٦ مليون فرنك

اشتهرت بولونيا بصناعة الحديد والزنك والآلات والمعادن والمنسوجات والورق والخشب وغير ذلك وساعدها على احياء الصناعة كثرة مناجم الفحم الحجري والبترول بها وكانت البنوك البولونية تغذى الصناعة وتمدها بالمال وعن الافراد والشركات باحياء المصانع والمعامل فارتقت الصناعة الاهلية فى بولونيا ارتقاء عظيماً فى سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١٢ احصيت المعامل فى بولونيا وعدد عمالها وقيمة مصنوعات فكانت نتيجة الاحصاء كما يأتى :

عدد المعامل	عدد العمال	قيمة ما تنتجه سنوياً
١٠٩٥٣	٩٢٢ ٤٠٠ ر	٢ ٢٧٩ ٢٠٠ ر ٢٢٧٩ ٢٠٠ ر فرنك
٠ ١٤٢٤	٠ ٦١ ر ٠ ٢٥	٢٦٣ ٨٢١ ٩٥٠ ر
٠ ١١٤٩	١٣١ ر ١٤٠	٦٣٥ ٤٤٨ ٤٥٠ ر
٠ ٤٣٦٣	١٠٦ ر ٥٥٦	٦٣٧ ٣٨٩ ٩٠٠ ر
٦٥٢٢٣	٥٢٨ ر ٠٠٠	

(١) و (٢) ليتوانيا وروسيا من أملاك روسيا ومعظم سكانها من البولونيين

(٢)

صوت بولونيا في العالم

لم يخفت صوت بولونيا في خلال المائة والخمسين سنة التي تعاقبت عليها وهي عرضة لاعتداء الدول الثلاث الغاصبة ، بل كان صوتها يرتفع جهرا فيهن قلب الانسانية فيخفق اعجابا بتلك الامة التي قاومت عوامل الفناء وحافظت على شخصيتها وسمت الى أعلى درجات الرقي في العلوم والآداب والاخلاق والحضارة واحتفظت بعراشها الوطني وآمالها القومية رغم الاضطهاد الدائم والعقبات التي تنوء بها الامم: ومهما يكن من جمود أوروبا السنين الطوال امام مأساة بولونيا واستسلامها للاهواء المصلحية والعوامل السياسية فان قلب الانسانية كان ينبض اشفاقا على تلك الامة العظيمة التي برهنت للعالم على أن السياسة اذا أفلحت في القضاء على الممالك والدول فانها لا تستطيع أن تنال من الامم . وأن المعاهدات والمؤتمرات اذا استطاعت أن تمحو الحدود الجغرافية للممالك وتبدلها وتغيرها فانها لا تستطيع أن تمحو الحدود المعنوية للشعوب الحرة اليقظة

أجل كانت بولونيا المثل الاعلى لثبات الامم في جهادها الوطني إذ برهنت على تلك الحقيقة الأزلية وهي ان الحكومات تمر وتزول والامم تبقى وتندوم

فأساة بولونيا كانت على ممر السنين والأجيال عبئا ثقيلا على الضمير الانساني . كانت النفوس الخالية من اطماع السياسة الخالصة من أدرانها وشوائبها تشعر على الدوام بأن على صنف الفستول أمة مجيدة تن من

الظلم وتقاوم الاضطهاد وتقابل الشدائد بقلب مملوء بإيماناً ووطنية وبقينا في المستقبل : ففي ثورات سنة ١٨٣٠ و سنة ١٨٤٦ و ١٨٤٨ و ١٨٦٣ كانت بولونيا نسمع الأثم صوتها وتعلن للعالم المتمدين ان الروح البولونية تقوى على المصائب التي تنزل بالوطن فقد كان العالم يسمع كل يوم تلك الانشودة البولونية التي ظلمت شعار بولونيا السنين الطوال يهتف بها الآباء والابناء ويتغنى بها الرجال والنساء (بولونيا لامتوت) وكان صوت بولونيا يتردد في سائر الاصقاع فتسمعه الانسانية كل يوم على لسان شعرائها وكتابها وعلمائها ومؤرخيها . فن اليوم الذي أسرفت فيه الحكومة القيصرية في الظلم وأمعنت في الاضطهاد بدأ العالم يسمع صوت بولونيا في محنتها إذهاجر كثير من العلماء والكتّاب والشعراء والنبلاء البولونيين الى عواصم أوروبا فكانوا يمثلون بلادهم الاسيفة حيث هاجروا . يمثلون الوطن الحزين في حداده ويعيدون على العالم ذكرى بولونيا المستقلة ومجدها القديم ونبغ فريق منهم في العلوم والآداب فرفعوا من شأن بلادهم وأعلوا من قدرها في نظر العالم المتحضر . وجاد الشعراء والكتّاب البولونيون بآيات بينات من البلاغة فازهرت الآداب البولونية وحازت في عواصم أوروبا المقام الاسمى . وكأن مصائب الوطن كانت تملأ قلوبهم أسمى وحزناً وتفيض عايتها نورا من العواطف الانسانية السامية فتجرى أقلامهم بأبداع متجود به قرائح الكتّاب والشعراء . ففي ثنايا أشعارهم ورواياتهم ومؤلفاتهم يلمع ضوء الحنين الى الوطن . والعطف على المظلومين . والدعاء للامم المهضومة الحقوق ورثاء الحرية والاشفاق على الانسانية المعذبة في كل مكان . فلاغروا أن كسبت الآداب البولونية اعجاب رجال

العلم والأدب وعطف نصراء الحرية في البلاد المتمدينة . ولا عجب أن نال كثير من شعراء بولونيا وكتابها منزلة رفيعة في العالم الأدبي فمنهم «آدم مكيفكس» أكبر شعراء بولونيا قاطبة . هاجر من بلاده بعد اخماد ثورة سنة ١٨٣٠ فدرس الآداب اللاتينية في لوزان ثم انتقل الى باريس وتبوأ مجلس الاساتذة في الكلية فدرس الآداب السلافية بها ونىغ في الشعر فقرن اسمه باسماء أئمة الشعراء امثال «جوت» و «بيرون» و «داتى» و «فيكتور هيجو» واتصل بأ كبر شعراء فرنسا وحملوا لواء الأدب فيها في ذلك الحين مثل «لامنيه» و «ميشليه» و «ادجار كنيه» بروابط الصداقة والود

ومنهم «شوين» و «جول سلواكى» و «آدم كرازنسكى» و «نم سيفكس» و «سنكيفكس» وغيرهم وغيرهم ممن هجروا ديارهم وقضوا حياتهم في المنفى فهؤلاء جميعا قد سموا بالنفس البولونية الى أرفع منزلة ونشروا على العالم مفاخر بولونيا وأشادوا بمجدها القديم والحديث وتغنوا بوطنيتها وليس في عالم الأدب في سائر أرجاء الدنيا من ينسى اسم «سنكيفكس»^(١) ولا روايته الخالدة «كوفاديس» التي طبقت شهرتها الآفاق وترجمت الى معظم اللغات

وقام في أوروبا وأمريكا جماعة من نصراء الحرية ينادون برفع الظلم

(١) مات سنكيفكس سنة ١٩١٦ أثناء الحرب العامة بعد ان بلغ السبعين وهو آخر من بقى من كبار شعراء بولونيا

الواقع على تلك الامة العظيمة ويطالبون أوروبا بالتكفير عن جريمة تقسيم بولونيا ويناجون الضمير الانساني لوضع حد لتلك المأساة التي يندى لها جبين الانسانية خجلا . وقرأ العالم في مختلف البلدان رثاء بولونيا والدفاع عن حقها في الحياة بلسان اكبر شعراء الغرب وكتابه وعلمائه وفي مقدمتهم « فيكتور هيجو » و « لامنييه » و « لامارتين » و « ادجار كينييه » و « ميشليه » و « أرنست رنان » وغيرهم وغيرهم

ولا عجب ان تجد تلك الامة العظيمة نصراء لها من الأمم كافة فانها برهنت بجهادها وجلال اعمالها على أنها جديرة بمطف العالم المتمدن وحسبها فخرا أنها على تعاقب السنين والأجيال قد حافظت على شخصيتها وفضائلها الوطنية رغم ما أصابها من استبداد ثلاث دول كبار وصارعت في علومها وآدابها وفنونها وتقدمها السياسي والاقتصادي أعظم الأمم حضارة ومدنية

— ٣ —

بولونيا المستقلة

فلما اشتعلت نار الحرب العامة سنة ١٩١٤ شعرت الانسانية بأن قد آن الأوان للتكفير عن الجناية التي جنتها السياسة على تلك الامة المجيدة وأدرك البولونيون أن الفرصة قد حانت لتحقيق دعاء شاعر بولونيا الكبير « آدم مكيفاكس » (اللهم عجل بالحرب العامة التي ستنقذ بولونيا)

وأخذت الدول الثلاث الغاصبة روسيا والنمسا والمانيا تتقرب من

الشعب البولونى لتكسب وده فى تلك الحرب الضروس . فلم يغب غن
الاذهان ذلك المنشور الغامض الذى أذاعه الغراندوق نيقولا فى ١٥
أغسطس سنة ١٩١٤ فى بدء الحرب ووعده فيه البولونيين بتحقيق آمالهم
« تحت لواء آل رومانوف »

ولما احتلت الجيوش الألمانية والنمساوية بولونيا الروسية بأكملها
أعلنت النمسا والمانيا للعالم فى ٥ نوفمبر سنة ١٩١٦ انشاء « المملكة البولونية »
متحدة مع الامبراطوريتين الوسطيتين . وفى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ أى
فى عهد الاحتلال الألماني قررت الحكومتان الوسطيتان تنفيذاً لاعلانها
السابق تأليف « مجلس وصاية » للدول الجديدة الى أن يتم تنظيم المملكة
البولونية

على أن البولونيين لم يعبأوا بتلك الهود والعود وانتظروا أن تسفر
الحرب عن تحقيق برنامجهم الوطنى وهو الاستقلال التام غير مشوب بأى
تدخل أجنبى من أى نوع كان

ولقد عانت بولونيا الشدائد والأهوال فى أثناء القتال فقد كانت
ميدان حرب للمتخاصمين فى مدى ثلاثة أعوام فهدمت البلاد والمدن
وتعطلت الزراعة والصناعة وتخرب ثلث بولونيا الروسية والنمساوية

وفى خلال الحرب كان جماعة من نخبة رجال السياسة البولونيين قد
لوا وجوههم فى عواصم أوروبا وأمريكا شطر دول الحلفاء وانتظروا أن
يكون انتصارهم ضامناً إعادة المملكة البولونية المستقلة . وأنشئت فى
باريس « اللجنة الوطنية البولونية » برئاسة الميسو «دموسكى» الذى كان
رئيساً للشعبة البولونية فى مجلس الدوما القديم ورئيس الحزب الوطنى

الديمقراطى وغادر روسيا بعد اختلال الجيوش الالمانية لبولونيا. فأصبحت هذه اللجنة ممثلة لبولونيا لدى الحلفاء واعترفوا بصفتها الرسمية وكان لها مندوبون فى واشنطن وروما ولوندره واعتمدهم الحلفاء كممثلين للامة البولونية . وقد سعت هذه اللجنة فى أن تشترك بولونيا مع الحلفاء فأنشأت فى فرنسا الجيش الوطنى البولونى فى يونيو سنة ١٩١٧ ليشترك فى ميادين القتال بجانب الحلفاء

وفى ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ نادى « الرئيس ويلسن » بضرورة اعادة المملكة البولونية المستقلة وفى ٨ يناير سنة ١٩١٨ نشر مبادئه الاربعة عشر وكان المبدأ الثالث عشر منها خاصا باعادة بولونيا دولة مستقلة موحدة لها منفذ إلى البحر وفى يونيو سنة ١٩١٨ اعترف الحلفاء فى اتفاق فرساي باستقلال بولونيا . وانتهت الحرب بعقد الهدنة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ طبقا « لمبادئ ويلسن » التى منها تأليف الدولة البولونية المستقلة وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ انحل « مجلس الوصاية » الذى تألف فى بولونيا فى عهد الاحتلال الالمانى ونودى بالجنرال بلسودسكى رئيسا للدولة الى أن تنعقد الجمعية الوطنية المؤسسة

فدخلت بولونيا من ذلك الحين فى تاريخ العصر دولة مستقلة حرة من كل تدخل أجنبى وأصدر الجنرال «باسودسكى» دعوة الامة الى انتخاب الجمعية الوطنية وحدد الاجراءات لانتخابات ٢٦ يناير سنة ١٩١٩ فتم الانتخاب وانعقدت الجمعية يوم ٩ فبراير سنة ١٩١٩

وفى ٢٠ فبراير أودع الجنرال «باسودسكى» الجمعية الساطة التى تلقاها

بغذ مجلس الوصاية القديم فقررت الجمعية شكر الجنرال على خدمته للوطن وأقرته رئيساً للدولة ووضعت المبادئ الآتية كدستور مؤقت للبلاد .
(أولاً) ان الجمعية هي الهيئة التي في يدها سلطة الشعب ورئيس الجمعية يصدر القوانين موقعاً عليها من رئيس الوزراء والوزير المختص
(ثانياً) رئيس الدولة يمثلها أمام الدول وينفذ قرارات الجمعية في المسائل المدنية والعسكرية

(ثالثاً) يعين رئيس الدولة الوزراء باتفاقه مع الجمعية
(رابعاً) رئيس الدولة والوزراء مسؤولون أمام الجمعية
(خامساً) الاوامر والقرارات التي يصدرها رئيس الدولة يجب أن تكون موقعاً عليها من الوزير المختص

ثم قدمت الحكومة مشروع الدستور الى الجمعية في ٣ مايو سنة ١٩١٩ فندوات الجمعية في شأنه وأحالنه إلى لجنة خاصة وفي الوقت نفسه تقدمت عدة مشاريع للدستور من الأندية والأحزاب السياسية ومن الأفراد وطال البحث في هذه المشاريع لتمدد المذاهب السياسية واشتغال البلاد بحل المشاكل التي ولدتها الحرب ولا سيما صد هجوم البولشفيك الذي كان يهدد الدولة البولونية بالخطر .

وفي يوم ١٧ مارس سنة ١٩٢١ أقرت الجمعية الدستور فكان هذا اليوم عيداً وطنياً لبولونيا لأن فيه أعلن دستور الدولة البولونية المستقلة الجديدة بعد أن مضت مائة وثلاثون سنة على دستور ٣ مايو سنة ١٧٩١ الذي كان عنواناً ونظاماً لبولونيا المستقلة القديمة

فكانت روح دستور سنة ١٢٩١ تتحلى في دستور سنة ١٩٢١ ولا سيما في مقدمته التي نصها :

« باسم الله ذي القدرة والجلال . نحن الامة البولونية نحمد الله الذي أنقذنا من استعباد دام مائة وخمسين سنة ونقدم شكر الوطن للأجيال الذين جاهدوا له واعتصموا بالسير والنبات وبذلوا في سبيل استقلاله أعظم الجهود والضحايا متبعين تقاليد دستور ٣ مايو المجيد . نعان انه لما كانت غايتنا هي سعادة الوطن والمحافظة على استقلاله ووحدته وكيانه وإقامة بناء قوته وعظمته وسلامته ونظامه الاجتماعي على دعائم المبادئ الأزلية مبادئ العدل والحرية وترقية قواه المعنوية والمادية وضمان المساواة وحرية العمل والحقوق الشخصية لانباء الجمهورية على السواء قد أصدرنا وأقرنا القانون الاساسي الآتي في الجمعية الوطنية المؤسحة للجمهورية البولونية »

وهذا الدستور مؤلف من ١٢٦ مادة وتاخص قواعده الاساسية في المبادئ الآتية :

قواعد الدستور البولوني

- ١- الدولة البولونية جمهورية والساطة العامة فيها مستمدة من الشعب
- ٢- الساطة التشريعية يتولاها مجلس « الديت » (مجلس النواب) ومجلس الشيوخ والساطة التنفيذية يتولاها رئيس الجمهورية بالاشتراك مع وزرائه المسؤولين والساطة القضائية يتولاها المحاكم المستقلة

السلطة التشريعية

٣ - ينتخب أعضاء مجلس « الدييت » لمدة خمس سنوات بواسطة الانتخاب العام السرى على درجة واحدة وحق الانتخاب مقرر لكل بولونى بالغ من السن احدى وعشرين سنة كاملة متمتع بحقوقه السياسية ويستثنى أفراد الجيش العاملون. وللنساء حق الانتخاب. ويشترط فى النائب أن يكون حائزا حق الانتخاب وأن يكون بالغا من السن ٢٥ سنة كاملة ويجوز انتخاب أفراد الجيش العاملين نوابا ولا يجوز انتخاب موظفى الحكومة التابعين للإدارة والمالية والقضاء وذلك فى دائرة توظيفهم

٤ - يعتبر النواب ممثلين للأمة بأسرها ولا يصح تقييدهم بتعليمات من الناخبين وهم متمتعون بحق حرمة النواب

٥ - لا يجوز للنواب أن يشتروا أو يستأجروا شيئا من أراضى الحكومة سواء أكان ذلك لانفسهم أم باسم غيرهم ولا أن يقبلوا تهمة توريد شئ مالى للحكومة أو عمل مقاولات لها أو قبول امتيازات ومنافع منها ولا يجوز للنائب أن يقبل من الحكومة رتبة أو وساما ماعدا الرتب العسكرية

٦ - لا يصح للنائب أن يشغل وظيفة المحرر المسئول فى احدى الجرائد

٧ - يجوز لأعضاء « الدييت » أن يقرروا حل مجاسهم على شرط أن يصدر القرار بأغلبية ثلثى الأعضاء المقترعين ويجوز لرئيس الجمهورية حل « الدييت » بشرط موافقة ثلاثة أخماس أعضاء مجلس الشيوخ بحضور نصف أعضاء الدييت على الأقل وفى الحالتين يحل أيضا مجلس الشيوخ وتجرى الانتخابات الجديدة فى ٩٠ يوما من الحل

٨ - تقرر القوانين في «الديت» فاذا انقضى ثلاثون يوما ولم يعترض عليها مجلس الشيوخ يصدرها رئيس الجمهورية واذا اعترض عليها المجلس وطلب رفضها او تعديلها يجب عليه أن يعان ذلك في المدة المذكورة ويعاد القانون في هذه الحالة إلى «الديت» فاذا رفض الاخذ برأى مجلس الشيوخ بأغلبية ١١ من عشرين صار القانون نافذا بالشكل الذي يقرره الديت

٩ - أعضاء مجلس الشيوخ ينتخبون كذلك بواسطة الانتخاب العام على درجة واحدة ويشترط في الناخب أن يكون له حق انتخاب أعضاء الديت وأن يكون بالغاً من العمر ٣٠ سنة ويشترط لعضوية مجلس الشيوخ أن يكون الناخب بالغاً من العمر ٤٠ سنة ويصح انتخاب أفراد الجيش العاملين

السلطة التنفيذية

١٠ - ينتخب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنوات بواسطة مجلس «الديت» والشيوخ مجتمعين في هيئة جمعية وطنية بالأغلبية المطاعة للأعضاء

١١ - الوزراء مسؤولون أمام مجلس الديت عن أعمالهم وأعمال الموظفين التابعين لهم ومجلس الوزراء مسؤول بالتضامن أمام المجلس المذكور عن سياسة الحكومة العامة

١٢ - يتولى رئيس الجمهورية رئاسة القوات الحربية للدولة ولكنه لا يتولى قيادة الجيوش أثناء الحرب وهو يمثل الدولة في علاقاتها الخارجية وله أن يعقد الاتفاقات مع الدول الأجنبية ويخطر الديت بها وإذا كانت الاتفاقات أو المعاهدات تجارية أو جمركية أو تتضمن قيوداً مالية أو تمس

حدود الدولة أو تتضمن المحالفة فلا يجوز عقيدتها إلا بعد اقرار مجلس الديت وكذلك ليس له ان يعان الحرب او يعقد الصايح إلا بعد اقرار المجلس المذكور

السلطة القضائية

١٣ - تتولى المحاكم السلطة القضائية وتصدر الاحكام باسم الجمهورية البولونية . ورئيس الجمهورية يعين القضاة . أما قضاة المصالحات فينتخبهم الأهالي والقضاة المستقلون وليسوا تابعين إلا للقانون ولا يجوز عزلهم أو احوالهم على المعاش او نقلهم بغير اراقتهم الا بقرار قضائي مبنى على الاسباب المبينة فى القانون

حقوق الافراد

١٤ - تضمن الجمهورية البولونية لجميع سكانها على السواء حماية حياتهم وحريتهم واملاكهم بلا فرق فى الاديان والجنسيات واللغات والافراد امام القانون سواء ولا تعترف الجمهورية بأى امتيازات ناشئة عن الوراثة أو اختلاف الطبقات أو القاب الشرف أو الرتب ما عدا الرتب العلمية والفنية والرسمية وقد ضمن الدستور للأفراد التمتع بالحقوق المعترف بها فى الدساير الاخرى

١٥ - الدولة تضمن الأقليات الدينية أو الجنسية التمتع بحريتها المذهبية ولها المحافظة على لغاتها وعاداتها.

١٦ - التعاليم الابتدائي اجبارى ومجانى للجميع

١٧- يجوز لمجلس الوزراء بعدمه موافقة رئيس الجمهورية أن يقرر إعلان الأحكام العرفية فى أى جهة من جهات الدولة إذا استهدف الأمن العام للخطر أو فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو حالة اضطرابات داخلية أو مؤامرات خطيرة تنطوى على الخيانة وتهدد الدستور أو سلامة الافراد ويجب عرض القرار على الدييت فاذا رفض الموافقة على القرار تبطل الاحكام العرفية

(الرسالة الثامنة)

الحركة الوطنية في الاناضول

والجمعية الوطنية في انقره

خرجت تركيا من الحرب العامة مقهورة منهوكة القوى ينتقصها
الحلفاء من أطرافها ويتحكم في مصيرها أعدائها وكان الجو السياسي
ينذرهما بأسوأ المراقب

عقدت الهدنة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ ودخلت أساطيل الحلفاء
مياه الدردنيل واللاستانة في نوفمبر سنة ١٩١٨ واحتلت جيوشهم حصون
الدردنيل والبوسفور ونزلت منهم بعثات عسكرية في المدينة لتمثيل الحلفاء
والاتصال بحكومة الباب العالي فأصبحت عاصمة آل عثمان تحت رحمة قوى
الحلفاء الذين تدخلوا في شؤون الحكومة العثمانية حتى صارت لهم الكلمة
النافذة فيها واستحوذ الرعب على أهل اللاستانة واجتمعت أهوال الضيق
الاقتصادي وذل الهزيمة فكانت الحالة تحزن الصديق وتشمت العدو .
وظهرت مطاعم اليونان والانجليز فتوعدوا تركيا بسوء المنقلب

نقض الحلفاء شروط الهدنة فجاء احتلال اليونان لازمير في مايو
سنة ١٩١٩ ضربة قاتلة مصوبة الى قلب الامة التركية ففاض الاناء وطفح
الكيل ولم يطق الاتراك صبرا على هذه الحال . وكان هذا الاحتلال بايعاز
الانجليز واقرار الحلفاء

تقلب على الوزارة منذ عقد الهدنة الى أوائل سنة ١٩٢٠ ثلاثة
صدور كبار وتغيرت الوزارة تسع مرات دون أن تفاج في تخفيف الحالة
السيئة التي وصفت اليها تركيا

فلما احتل اليونان أزمير ظهرت الحركة الوطنية في الاناضول تحت
زعامة البطل الكبير المشير مصطفى كمال باشا

فالحركة الوطنية التركية هي وليدة الآلام التي انتابت الأمة التركية
والمصائب التي حلت بها . ومصطفى كمال باشا هو قوام هذه الحركة
ومؤسسها . وهو من أبطال التاريخ الذين يظهرون في أشد أوقات المحن
القومية فيأخذون بيد أمتهم وينقذونها من محنتها ويصعدون بها الى أرقى
مراتب المجد . هو من الافراد المعدودين الذين تم على يدهم أعظم الانقلابات
واكبر الحوادث التاريخية شأننا . هو (واشنطون تركيا)

مصطفى كمال

ولد مصطفى كمال في « سلانيك » سنة ١٨٨٠ ، وكان أبوه يتعاطى فيها
التجارة بشرف واستقامة . وفي زمن طفولة مصطفى أدخله أبوه في كتاب من
الكتاتيب التي كان النساء القارئات يؤسسنها في منازلهن لتعليم القرآن الكريم
وبعد ان ختم القرآن انتقل الى مدرسة ابتدائية عصرية كان أسسها في سلانيك
رجل فاضل اسمه (شمسى افندى) وبعد هذه المدرسة دخل مصطفى المدرسة
الرشدية العسكرية بسلانيك وقد لاحظ أساتذته تفوقه على أقرانه في دروسه
فأضافوا الى اسمه (مصطفى) اسم شهيد الحرية وامام أهل الادب نامق كمال بك
فسموه (مصطفى كمال افندى)

وعلى أثر حصوله على الشهادة من المدرسة الرشدية العسكرية سافر الى (مناستر)

فدخل مدرستها الاعدادية العسكرية ثم انتقل منها الى المدرسة الحربية في
الاستانة فأتّم دروسها ونال منها رتبة (ملازم ثان) سنة ١٩٠١ ثم دخل مدرسة
اركان الحرب وخرج منها سنة ١٩٠٤ ونال منها رتبة يوزباشى أركان حرب

- وعقب ذلك قبض عليه بتهمة اشتغاله ضد الحكومة الحميدية ، وقد رفع
بذلك تقرير عنه الى قصر يلدز ، فبقى يحاكم فى القصر أياماً طويلة ممنوعاً من
مقابلة أحد . ثم انتهت المحاكمة ببرأته الا انهم نقوه الى « سوريا » فأنتهز فرصة
وجوده فى وسط راق بين جماعة يشعرون بقيمة الحياة فأسس مع اخوانه هناك
« جمعية الحرية » وظل يقوم بأعمال سياسية وعسكرية مهمة الى أن نقل الى اركان
حرب الفيلق الثالث فى سلانيك

وعلى أثر اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ أرسل الى طراباس الغرب
لتشكيل القوى المالية وعند عودته من هذه الوظيفة عين قائداً لألأى المشاة
الثامن والثلاثين ، مع ان هذا المنصب كان فوق رتبته العسكرية ، فأحسن تنظيمه
حتى صار يشار اليه بالبنان . وعند حدوث فتنة (١٣ ابريل سنة ١٩٠٩) قام
بخدمات جليلة

وأرسل فيما بعد الى اليمن فظل فيها الى أن نشبت الحرب الطراباسية ، فاندفع
متطوعاً الى « درنة » وظل فيها الى أن تم الصلح بين ايطاليا وتركيا فعاد الى
الاستانة . وقبل أن يستقر فيها نشبت الحرب البلقانية فعين رئيساً لاركان حرب
الفيالق الذى يقوده فخرى باشا فى الدردنيل . وظل فى هذه الوظيفة الى نهاية
الحرب البلقانية وانعقاد الصلح مع الباغار فعين ملحقاً عسكرياً للسفارة العثمانية
فى « صوفية »

ولما نشبت الحرب العامة كان مصطفى كمال قائداً لآحدى فرق الدردنيل
فاشتهرت مزاياه العسكرية وانقذ الاستانة مراراً أيام حروب جنائق قلعة وكان
أول من قابل العساكر الانجليزية اذ هبطت الى أرض الدردنيل دون أن ينتظر
أى أمر وتوفى الى وقف الهجمة الانجليزية فى (كزى برون) ولولا أنه قرّر

مقابلة العساكر الانجليزية بسرعة وسار لمحاربتها بكل اقتدار وجدارة مع قلة عدد جنوده بالنسبة للمهاجرين لو أنه ترد قليلا ولم يبادر بالهجوم لاستطاعت العساكر الانجليزية أن تحتل جبل (قوجه جمش) وأسقطت جميع استحكامات الدردنيل في أيديهم في أيام قلائل . لكن الميرالاي مصطفى كمال بك اصدر قراره بسرعة وقابل العدو المهاجم في الحال وأنقذ الاستانة من أعظم خطر . وهناك شاع صيته العسكري حتى لقد سمي ذلك الموقع (موقع كمال) اعترافا بجليل عمله ثم لما أنزل الانجليز عساكرهم في (أنا فارطه) عهد اليه أمر القيادة في تلك الجهة وقد أدارها أحسن ادارة وخلص الاستانة من السقوط مرة أخرى . وهناك رفعت رتبته العسكرية الى أمير لواء . ولما انتقضت حروب الدردنيل قدم مصطفى كمال باشا تقريرا الى أنور باشا طلب فيه منه أن يلتزم الجيش العثماني خطة الدفاع في جميع الميادين لما قد ظهر أن الحرب العامة يمتد أجلها تفاديا من الاسراف في القوات العثمانية . وقد أثبتت الحوادث أن مصطفى كمال باشا كان محقا في طلبه هذا . وتوجه مصطفى كمال بعدئذ الى القوقاس على رأس (فيلق الصاعقة) فجاءت هذه التسمية مطابقة للمسمى فتدأبلى هذا الفيلق بلاء حسنا ولازمه النصر في ساحات القتال

ولما تفاقم الأمر في فلسطين من جراء استمدادات الحلفاء وشعر الأتراك بخطورة الحالة فيها أوفدوا اليها مصطفى كمال وفيلقه المشهور . ولكن الحالة كانت قد ساءت وبدأت علام الانهزام على الجيش التركي فاضطر مصطفى كمال الى التقهقر شمالا الى الأناضول ونشبت آخر معركة في سوريا وهى معركة اللبرمون بجوار حلب بين قواته والقوات الانجليزية فكان تسليم حصن وحماة وحلب على يد فلول جيش مصطفى كمال وهو آخر جيش عاد من سوريا

ولما استقر مصطفى كمال في الأناضول أدرك وجوب لم شعثه وتنظيم جيشه فعمل على ذلك وظل يرقب الحوادث في الاستانة ليرى ما تقول اليه الحال . فلما تألفت وزارة المشير عزت باشا الأولى قبيل الهدنة قصد الاستانة وأقام فيها

مدة وجيزه ثم عين مفتشا لجيش الأناضول . فوافق هذا التعيين هوى من نفسه اذا أتاح له أمام ما كان قد شرع فيه . فبرح الاستانه واتخذ ارضروم مقرا له واخذ يبذل عنايته فى تنظيم الجيش وضم اليه نخبة من الضباط العثمانيين الذين بقوا فى الأناضول بعد عقد الهدنة أو جاؤوا من الاستانة بعد احتلال الحلفاء لها أخلاقه — وصف مكاتب مجلة « اللستراسيون » الفرنسية مصطفى كمال وصفا دقيقا رأينا أن نقتطف منه القطعة التالية لدلائها على أخلاق بطل الأناضول وسجاياءه قال :

« ليس لبطل الاستقلال من السن سوى أربعين عاما . وهو طويل القامة عريض الكتفين ومع هذا لا تبدو عليه علامات القوة البدنية ولعل ذلك بسبب نخافة يديه وساقيه وتألمه من مرض الكلى . على انه شديد المرونة فى حركاته وهو يجيد لعب السيف . ولكن أهم ما فيه أساير وجهه فهى تدل على الشدة والعزيمة والصلابة والدكاء يكاد يقطر من جبهته . وعيناه كبيرتان تنفذ نظرهما من خلال زرقتهما حادة كالسهم وحركات محياه جميلة تدل على عواصف هوجاء فى صدره . ولقد شبه بعضهم سخننه بسحنة النمر . وقد يكونون مصيبين فى هذا التشبيه غير أن ابتسامات كابتسامات الاطفال تغير أحيانا ذلك الوجه وتكسبه غدوبة مدهشة . وعلى كل حال فانه يستوقف النظر لما فيه من تنوع الحركات واختلاف المظاهر وتضاربها

«... هذا ومصطفى كمال قائد ذو خبرة واسعة وهو زعيم بأرقى معانى الكلمة فقد ولد ليقود الرجال . وقد حبته الطبيعة تلك الهبة السرية التى تجلب طاعة الناس واحترامهم لمن كانت فيه . وتركيا اليوم بأسرها منجذبة الى هذا الرجل بقوة غريبة وهو يجمع الى الجلدة الاقدام والى صدق النظر سرعة الخاطر . ويعرف كيف يقتنص الفرصة السانحة . ولا يضارع جرأته الا ذكاؤه . وهو ذكاء لم يكمله الدرس ولكنه حاد وبلغ يمكن صاحبه من أن يدرك بسليقته الامور التى يجهاها

ودرى هذا المكاتب فيما روى كيف تمكن مصطفى كمال من تسليم قيادة الجيش المقاتل في الدردنيل وذلك أن الحالة كانت حرجية وكان الجنرال ليان فون سنדרس قائد الجيش التركي مرتبكا في أمره فرأى أن يستشير مصطفى كمال وكان وقتئذ في رتبة ميرالاي خادمه بالتلفون محادثة وجيزة ولكنها ذات معنى كبير : اخبر القائد الألماني مصطفى كمال أن الحالة خطيرة وسأله هل في الامكان ملاقاتها فكان جواب مصطفى كمال ان ذلك ممكن فسأله : — وكيف ذلك ؟ فأجاب : — بنعيني قائد فرقة وترك أمر الدفاع عن المنطقة المهددة الى عهدي . فقال : — ألا يكون هذا كثيرا فأجاب : — اننى من جهتي لأجده كثيرا وقد يجوز أن أتولى القيادة ... وهنا وقف الحديث . ثم جاءت الليلة التالية فازدادت الحالة سوءا فعمد فون سنדרس في الصباح الى التلفون وحادث مصطفى كمال فقال له : « لقد تعينت قائد الفرقة فاعمل بسرعة » فأجابه مصطفى كمال : « سأكون في ميدان عملي حالا انما لا بد لى من بضع دقائق حتى ألبس لباس القائد » وبعد هذه الحادثة بيومين فقط كان مصطفى كمال بطل واقعة انا فارطة التي اضطرت فرنسا وانجلترا بعدها أن تستدعيا جيوشهما من الدردنيل

كيف تأسست الحركة الوطنية في الاناضول

ان ظهور الحركة الوطنية في الاناضول من أعظم الحوادث شأنا في تاريخ النهضة القومية بل في التاريخ الانساني وسيفرد لها التاريخ الكتب والمؤلفات لاستيعاب حقائقها ونشرها فآخرها . ولا شك ان احق من تؤخذ عنه اسرار هذه الحركة هو مؤسسها الغازى مصطفى كمال فقد ذكر كيف ظهرت الحركة الوطنية في حديث له بجريدة (الحاكيمية المالية) التي تصدر بانقره . قال (١) :

(١) اخذ هذا الحديث في شهر ابريل سنة ١٩٢١ لمناسبة مرور سنة كاملة على افتتاح الجمعية الوطنية في انقره

« انى أعتقد أن الامة لا يمكن ان تحافظ على شرفها وكرامتها وعرضها الا اذا كانت متمتعة بحريتها واستقلالها . وانى لا أستطيع أن أعيش الا اذا كنت ابن وطن مستقل حر . فالاستقلال الوطنى مسئله حيوية . بل هو الحياة . انى اعلم أنه لا بد لنا من تأسيس العلاقات الودية والسياسية مع أى أمة كلما قضت مصالح البلاد فان ذلك من مقتضيات المدنية . انما اذا أرادت أى أمة من أمم العالم أن تغل أيدينا وتغتصب حريتنا فانى أكون ألد أعدائها الى أن تكف عن هذه الغاية . فثلا قد اشتركنا فى الحرب العامة فى صف الالمان اذ كان يضطرننا موقعنا الجغرافى كما كانت تضطرننا الوقائع التاريخية ويضطرننا التوازن السياسى الى ذلك . وقد مددنا يد الصداقة الى الالمان ودخل الالمانيون حتى فى جيشنا وحكومتنا فتقبلنا كل ذلك . فلما شرع بعض الالمان يقفون أزاءنا موقفاً مخدلاً بكرامتنا واستقلالنا كنت أول الثارئين عليهم . وقد كانت نتيجة ذلك انى لبثت عاماً من أعوام الحرب العامة معارضاً ومخاصماً أولئك الذين لا يروجون رأيى هذا . لكنى قد تقبالت بعد ذلك أمر القيادة فى سوريا فى أواخر الحرب . ولم أكن راضياً عن استمرار الحرب . بل كنت واثقاً أنه يجب انتهاء أول فرصة لختمها . فصرت بذلك فى صورة رسمية وخصوصية دون أن يخطر ببالى أن أرى الانجليز والفرنسيين والطلليان يتعمدون تمزيق شملنا واحتقار أمتنا والعمل على جمعها كقطعان من العجاوات

نعم انى كنت أشك فى أننا اذا انهزمنا لانخرج من الحرب بلا عقاب ولا ضرر بيد انى لم يخطر ببالى أن ساسة الامم المعروفة بدفاعها عن الانسانية والمدنية والعدالة مهما تكن نفسياتها وعقليتها تسعى لهدم التاريخ التركى وتقويض استقلال الامة التركية ومحى حياتها وكرامتها . نعم هذا ما كنت أظنه يوم ذهبت الى الاستانة بعد ان غادرت أظنه حيث كنت متولياً قيادة جيش الصاعقة وقد وقعت الاستانة اذ ذاك على شروط الهدنة وكانت تنتظر عقد الصلح . فكنت كلما قابلت الرجال السياسيين والعسكريين من الانجليز والفرنسيين والطلليان أصرح لهم برأى هذا وأقول لهم « لقد كان من الضرورى اقتحامنا غمرات الحرب فى صف الدول المركزية لانكم لا تتركوننا نلتزم الحياد . وقد كانت القيصرية

الروسية في صفكم . على أننا يمكننا أن نبحث معكم فيما تقتضيه الهزيمة . أما حرمان الامة من استقلالها فلن يكون مما تستوجه « ولكن كلما زادت احتكاكا بأولئك الناس تبينت لى حقيقة مدهشة كانت مندمجة في الاقوال التى أسمعها منهم . وقد كان مايقوم به ضباط التحالف وجنودهم في كل مكان من اكبزالاندية والمحافل الى الطرقات ثم احتقارهم واعتداءؤهم على الاتراك من الدلائل المؤيدة لهذه الحقيقة . فكان أهل الاستانة من ساداتها ورجال حكومتها وقوادها وضباطها الى آخر أفرادها يقنون أزاء هذه الحالة مبهوتين وهم مكبلون بسلاسل لايمكن تحطيمها . وقد كنت كذلك مطوقا بهذه السلاسل أبذل كل جهد لأجد صديقا يشاركنى فى أحزاني . فكنت أرى بعض الاحيان رجالا غيوريين يشعرون بسوء المصير ويبحثون عن وسيلة للخلاص . انما يظنون انهم سيجدون تلك الوسيلة في الاستانة فيضعون البرامج تلو البرامج بلا جدوى لانهم كانوا لا يعلمون من أين يجب عليهم أن يشروعوا في العمل . وكمن أناس كانوا يظنون أن الخلاص من المأزق متوقف على وصاية أجنبية دون أن يشعروا بأنهم يهدمون روح الاستقلال همدا . وقد علمت علم اليقين حينئذ أن العدو قرر محق استقلالنا . انما لم تستكشف الامة هذه الحقيقة المروعة تماما اذ كانت الاستانة تمتنع تحت ضغط ضباب كثيف . وهناك كان كل ذكاء وكل ضمير مكبلا بقيود العدو أو غافلا غارقا في الضلال . فلم يكن ثم مجال لرؤية الموقف الحقيقى وتعيين الهدف وارشاد الأمة اليه . وعلى كل حال فقد كان المركز الطبعى للحركة في خارج الاستانة . ولا بد من استكشاف هذا المركز وارشاد الامة جميعها منه . ففكرت أياما . وفتحت بعض الاخوان فوجدتهم على رأيي . وهناك عزمت على السفر الى الاناضول واستطلاع الراى العام والاحساسات الوطنية ومناجم البلاد . وقد كان أمر مغادرتى الاستانة مسألة من المسائل العويصة . فظلمت أفكر بيد أنى قد ساعدتنى المقادير فألقيت الحكومة تسأنى عما اذا كنت أقبل أن أعيش مفتشاً للجيش في الاناضول فتقبلت هذه الوظيفة بلا تردد . اذ كنت واثما من أن دخولى الاناضول على هذه الصورة بمهد لى كل سبيل لتنفيذ رأيي . وفي اليوم الذى غادرت فيه الاستانة احتل العدو أزمير واطهر سوء نيته وخيائنته . فقررت قرارا أخيراً وهو الذهاب الى الاناضول فى الحال واطلاع الامة على حقائق الاحوال والتهيؤ للدفاع وصيانة الاستقلال الوطنى من المخاطر المهددة له

وقد عرضت الامر على بعض الرؤساء الذين اثنى عليهم في الدوائر الحربية ورجوتهم ان يعاونوني حتى لا أجد صعوبات تقف في سبيل ما أقوم به من الاجراءات وقبل ان امتطى الباخرة مررت على الباب العالى فاذا بالوزارة مجمعة بناء على ماوصل اليها من خبر احتلال ارمير . فما سمعت بحضورى حتى اقبل بعض اركانها على وقالوا « ماذا نفعل » ؟ فقلت لهم . « تجلدوا » فقالوا « وكيف نتجلد هنا » ؟ قلت لهم « افعلوا ما تستطيعون هنا ثم انضموا الى للاستمرار فى العمل » ثم فارقتهم وامتطيت الباخرة ونزلت فى (صامبون) وما وطئت ارض الاناضول حتى رأيت ميول الامة وعواطفها عالية الى درجة انها تجعل المتردين فى الدفاع عن الاستقلال ينجحون من تردددهم وتباطؤهم وقد أثبتت الحوادث التى تقع منذ عامين اننى أصبت فيما فكرت فيه وان عزم الامة وايمانها راسخ رسوخ الاطواد . ولعمري انى لا أفخر بذلك »

هذا ما قاله مصطفى كمال عن منشأ الحركة الوطنية التركية التى أدهشت العالم بمقامات به من جلائل الاعمال

كان الغرض من الحركة الدفاع عن استقلال البلاد وانتظار شروط الصلح الى سيقورها الحلفاء بالنسبة لتركيا ومقاومة كل قرار يمس استقلال تركيا فى بلادها المسكونة بالأتراك وكان مركز الحركة « ارضروم » ثم « سيواس » حيث انعقد بهما مؤتمران وطنيان كان اعضاؤهما يمثلون الامة التركية فسجوا قرارهم بالاجماع مؤكدين وجوب النهوض لاسترداد الحرية واتزاع الاستقلال من غتصبيهما واذا عوا قرارهم فى جميع أرجاء الدنيا

سوء الحال فى الاستانة

واستقالة الوزارة

وبينما كان مصطفى كمال يجمع الاعوان والأنصار فى الاناضول كانت الاحوال فى الاستانة تزداد سوءا ووطأة الحلفاء تزداد شدة . استقالت وزارة على رضا باشا فى ٣ مارس سنة ١٩٢٠ لانه لم يستطع التوفيق بين الحركة الوطنية وحكومة الاستانة ومطالب دول الحلفاء ولان تدخل تلك الدول ولا سيما انجلترا فى

الادارة العثمانية زاد على الحمد المستطاع وقد بلغ من تدخاها أن منعت الحكومة العثمانية من نشر بيانات في الصحف التركية تكذب ادعاءات الارمن عن المذابح المزعومة في ذلك الحين . فعين صالح باشا صدرا اعظم فكانت وزارته (وزارة حياد) أو بعبارة اخرى لم يكن معروفا عنها الاتصال بالحركة الوطنية ولذلك لم يشترك فيها النواب العثمانيون . ومع أن صالح باشا لم يكن معروفا عنه انه خصم للحركة الوطنية مثل الداماد فريد الا انه لم يكن مشهورا باتصاله بها مثل عزت باشا ولم يكن منتظرا أن وزارة صالح باشا مع حسن نياتها تتغاب على الصعوبات المحيطة بها لان سلطة الخلفاء في الاستانة كانت تشتد وتدخلهم في سياسة الحكومة العثمانية والادارة يزداد يوما فيوما

مفاوضات الخلفاء في لوندرة

في شأن المسألة التركية

بقي الخلفاء مترددين في البت في مصير تركيا لغاية أوائل سنة ١٩٢٠ وفي ذلك الحين رفضت أمريكا فكرة الانتداب في الماطق الشرقية فعولوا على أن يقرروا خطتهم النهائية في المسألة التركية واجتمع مجلس الخلفاء الأعلى لهذا الغرض بلوندرة في فبراير سنة ١٩٢٠ وكان الخلاف كبيراً بين النظرية الانجليزية والنظرية الفرنسية والايطالية فانجلترا كانت تريد ابعاد الاتراك عن الاستانة وتمزيق شمل تركيا تحقيقاً لاطماعها الاستعمارية وفرنسا واطاليا كانتا تلحان في بقاء الاستانة في يد الاتراك وأخيراً أذعنت السياسة الانجليزية لنظرية فرنسا واطاليا تحت ضغط عوامل متعددة اهمها الحركة الاسلامية التي قامت في الهند لتأييد الخلافة والتي كان يمثلها في لوندرة الوفد الهندي . فاتفق المجلس الاعلى في ١٤ فبراير سنة ١٩٢٠ على بقاء الاستانة في يد الاتراك مع تقرير حرية المرور في البواغيز و ايجاد (الضمانات الكافية) لذلك فكان هذا اليوم من الايام التاريخية في المفاوضات الخاصة بالمسألة الشرقية

على أن الحلفاء مع اقرارهم هذا الاقرار لمصلحة الاتراك لم يكن في عزمهم أن يعدوا صاحبا عادلا لتركيا ولا عزموا على معاملتها وفقا لقواعد الانصاف ولذلك حذر مصطفى كمال الامة التركية من الانخداع بما أذيع بعد قرار ١٤ فبراير من الأخبار المطمئنة التي تخدع الاعصاب وتحل العزائم . وقد أيدت الحوادث بعد نظره . فان السياسة الانجليزية مالم يثبت أن كشرت عن ناب الشر حيال تركيا لتضييع أثر قرار بقاء الاستانة في يد الاتراك ، فأرسلت الى مياه الاستانة أسطولاً بريطانيا وصل اليها يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٢٠ ورابط في مياهها فاضطربت الافكار من جراء حضور هذا الاسطول وتوقع الاتراك من ورائه شرا مستطيرا

مجلس المبعوثان

وفي غضون ذلك كان مجلس المبعوثان بعد أن تعطل نحو سنة قد بدأ انعقاده منذ شهر يناير سنة ١٩٢٠ وانتخب رشاد حكمت بك رئيسا له في فبراير ثم توفي وانتخب خلفا له جلال الدين عارف بك في مارس فكان أعضاء المجلس يوالون الانعقاد ويتداولون فيما يجب عمله لانقاذ تركيا من المحنة التي وقعت فيها وقد ألقى جلال الدين عارف بك لمناسبة انتخابه رئيسا لمجلس المبعوثان خطبة تصف الحالة النفسية للشعب التركي في تلك الاوقات العصيبة . فأشار الى تحضيرات مؤتمر الصلح في لوندرة لمشروع المعاهدة مع تركيا وقال في هذا الصدد : « أن ثلاثة عشر قرنا للخلافة الاسلامية وسبعة قرون للسلطنة العثمانية هي اليوم في انتظار قرار يرتبط بحياة الخلافة والسلطنة وان الامة العثمانية وفوق رأسها جلالة خليفتها وسلطانها تنتظر هذا القرار بثبات وإيمان . انها لاتعرف معنى لوداع حقها القديم الثابت في الاستقلال الذي يراد المساس به . فالاسلام يحتم بقاء الخلافة الى الابد والدم الذي يجري في عروقنا هو دم امتزجت فيه فضائل الجنس الذي تنتسب اليه وهو جنس أسس الممالك وكانت له السيادة وان الامة

التي عاشت الى الآن شريفة رغم وشايات أعدائها . الأمة التي تعرف كيف تموت ورأسها مرفوع عال وتدافع عن حياتها بدم أبنائها . هذه الامة لا تنزل عن حقها في الاستقلال وان الهزيمة العسكرية لا تتقاضي المقهور التنزل عن حياته المستقلة» ثم أشار الى الادعاء بوقوع مذابح أرمنية في أطنه وقال في هذا المعنى « ان أعداءنا يشتغلون جهود الطافة في تدبير حركة عنيفة يقصدون بها تشويه سمعتنا أمام العالم باتهامنا بارتكبات المذابح وهى ادعاءات كاذبة » وذكر شروط الهدنة وطالب السير على مقتضاها حتى يضمن عقد الصلح وأشار الى مبادئ ولسون والى أن الأمة العثمانية حيث بأساحتها المنتصرين ومعهم هذه المبادئ ثم اظهر الثقة في عدالة الحلفاء ومطالبتهم بالعمل بمبدأ الانجيل « دع مالمقيصر لقيصر » وتعريفهم « أن لنا الحق أيضا في الحياة تحت شعاع الشمس » وختم خطبته بدعوة النواب ان يستمروا في القيام بواجباتهم التي فرضتها عليهم الأمة وذكر أن التاريخ رقب عليهم وسأل الله المعونة والفوز

الميثاق الوطنى

اعان مجلس المبعوثان في يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ قواعد (الميثاق الوطنى) وهى القواعد التي جمعها الاترك اساسا للصلح الذي يقبلونه فكان هذا الميثاق هو البرنامج السياسى الذى لا يتخلون عنه وهو يتضمن القواعد الآتية :

١ - تنزل الدولة العلية عن البلاد المسكونة بأكثرية عربية ويقرر مصيرها بحسب ارادة سكانها . ولكن القسم الباقي من الساطة والمسكون بالأتراك المتجندين اتحادا دينيا وقوميا يتألف منه كل لا يتجزء

٢ - يعين مستقبل تراقيا الغربية بواسطة استفتاء السكان منها

٣ - تقبل القواعد الخاصة بحقوق الاقليات بشرط ان تستفيد منها الاقليات الاسلامية في الممالك المجاورة

٤ - امان الاستانة وبحر مرمره وصياتهما من كل سوء وقبول فتح البواغيز بشرط المحافظة على هذه القاعدة - لحرية التجارة والمواصلات الدولية

٥ - استفتاء السكان بشأن الالوية الثلاثة قارص واردهان وباطون المتنازع عليها مع ارمينيا

٦ - الاعتراف بالاستقلال التام للدولة وحريتها التامة لترتقى حركتها الوطنية والاقتصادية وتمكن من تأسيس ادارة ملائمة للحياة العصرية »

وكانت الافكار تتطاع الى ماسيكون من وراء تنظيم الحركة الوطنية في الاناضول من انقاذ تركيا من الخطر التي حاقت بها وتجدد في نفوس أهل الاستانة الامل في صلح عادل لتركيا . وكات الاستانة والاناضول على اتصال مستمر بواسطة زعماء مجاس المبعوثان . فمزمت انجلترا تبديدا لتلك الامال وقطعا لروابط الاتصال بين الاستانة والاناضول ان تحتل الاستانة احتلالا عسكريا

احتلال الاستانة

والقبض على الزعماء

ومع أن الحلفاء كانوا مختلفين في شأن هذا الاحتلال إلا أنهم اتفقوا أخيراً على أن يتم ويكون احتلالاً مشتركاً . فوقع الاحتلال في ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ في عهد وزارة صالح باشا وكان في الواقع احتلالاً انجليزيا تم بارادة الانجليز وتدبيرهم . وكان الغرض منه وضع يدهم على الادارة العثمانية وتشيتت شمل الحركة الوطنية والقضاء النهائي على تركيا . كان للحلفاء قوة عسكرية من قبل في الاستانة تحت قيادة الجنرال فرنشيه وسبيرى الفرنسى ولكن الانجليز كانوا يريدون زيادة قوة الاحتلال ليكون لهم الامر والنهي في الاستانة ليضمنوا التسلط الدائم على البوسفور والدردينيل . وبعد ان كان الاحتلال حرياً باصدار الاحتلال في الواقع اداريا ومدنيا وأصبحت الحكومة في قبضة يدهم ولذلك لم يكذب يتم توزيع قوات الحلفاء في المدينة ومصالح الحكومة حتى القوا القبض على خمسة عشر شخصا معظمهم من النواب المؤسسين أو المؤيدين للحركة الوطنية والمتصلين بزعمائها في الاناضول منهم رؤوف بك قائد (حميدية) وناظر البحرية سابقا في وزارة أحمد باشاعزت واحد المفوضين العثمانيين الذين أمضوا عقدا الهدنة باسم تركيا

في (مودروس) ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ وقره واصف بك وكلاهما من مؤسسي الحركة الوطنية ومن أعضاء مجلس المبعوثان وتحسين بك من الولاة السابقين ونائب في المبعوثان : وجمال باشا الصغير وشرف بك مبعوث أدرنه ومحمود باشا جوروكصولى عضو مجلس الاعيان ووزير سابق في وزارة سعبد باشا حلیم وهو الوزير الوحيد الذى استقال لمناسبة دخول تركيا في الحرب والدكتور اسعد باشا رئيس الهلال الاحمر العثمانى سابقا . والفريق جواد باشا قائد الدفاع عن الدردنيل . واللواء رأفت باشا وغيرهم وتفوهم الى مآلظه . وتمكن كثير من الزعماء من الاختفاء واللاحاق باخوانهم فى الاناضول قبل القبض عليهم منهم جلال الدين عارف بك رئيس مجلس المبعوثان . وبكر سامى بك عضو المبعوثان ومن مؤسسى الحركة وهو الذى صار له شأن عظيم فى مفاوضات الحلفاء كما سيجىء فيما يلى . ومنهم الدكتور عدنان بك . والكاتبة الشهيرة خالدة أديب حرم الدكتور عدنان بك . وقد ساد الأرهاق فى أنحاء عاصمة آل عثمان وأنشأ الحلفاء مجلسا عسكريا لمحاكمة من يخالف أوامر قائد قوات الحلفاء الجديد وهو الجنرال ويلسون الانجليزى . فصارت المدينة فى قبضة يدهم . واحتج مجلس المبعوثان على هذا الاحتلال ودون الاحتجاج فى محاضر جلساته وكان انعقاده بطريقة تتفق مع كرامته مستحيلا لان الحلفاء القوا القبض على اكبر أعضائه ولم يرعوا حرمة النواب ولا كرامتهم وكان اعتقال معظمهم فى مكان انعقاده أو أمام بابه . ولم يعد من الممكن أن يتداول المجلس ويصدر قراراته بجانب سلطة الحلفاء . فقرر فى ١٩ مارس سنة ١٩٢٠ إيقاف جلساته وتشتت أعضاؤه وقد احتجت الوزارة أيضا على الاحتلال

استقالة الوزارة

وتأليف وزارة الداماد فريد

ثم اشتد الضغط على السلطان ففقد كل نفوذ وهيبة واستقالت وزارة صالح باشا فى ٣ ابريل لانها لم تقبل أن تسير الحلفاء فى سياستهم ورفضت أن تجيب طلب الحلفاء وتعلن انكارها للحركة لوطنية لان خطتها كانت التوفيق بين

حكومة الاستانة والحركة الاناضولية. وقبل أن يستقيل صالح باشا كان قد شرع فعلا في ارسال بعثة الى مصطفى كمال وسافرت البعثة فعلا في ٢٧ مارس ولكن اشتداد ضغط الحلفاء جعله يعجل بالاستقالة فانقطع الامل حينذاك في امكان التفاهم بين حكومة الاستانة وحركة الاناضول

وفي ٥ ابريل سنة ١٩٢٠ تألفت الوزارة الجديدة برئاسة الداماد فريد المشهور بخصومته للحركة الوطنية وزعمائها وخضوعه للسياسة الانجليزية فكان تأليف وزارته دليلا على انتصار السياسة الانجليزية في الاستانة وانهاج حكومة الباب العالي خطة العداء نحو الحركة الوطنية وقد اعان الداماد هذا العداء في برنامجها واستصدر فتوى من شيخ الاسلام الجديد بمصبيان زعماء الحركة الوطنية (١١ ابريل) فانقطعت الصلات تماما بين الاستانة والاناضول واعان مصطفى كمال قطع علاقته بحكومة الاستانة من يوم احتلال الحلفاء لها وأرسل بذلك تلغرافا الى السلطان وبأنه فعل ما فعل لان الحكومة أصبحت تحت النفوذ الاجنبي وفي ١٠ ابريل صدرت ارادة سلطانية بحل مجلس المبعوثان وبذلك لم يعد له وجود قانوني ولا صفة لاحتجاجاته أو قراراته بعد ان كان قرار ايقاف جاساته غير مانع من وجوده واستئناف أعماله في الفرصة المناسبة . وهذا المجلس هو الذي بدأ انعقاده في يناير سنة ١٩٢٠ ولم يدم طويلا وكان من أعضائه مصطفى كمال ولكنه لم يحضر جاساته وكان معظم زعماء الحركة الوطنية من أعضائه خفاء حله اطلاقا ليد وزارة الداماد فريد في سياستها الانجليزية

على أن احتلال الاستانة والارهاب الذي ساد فيها وتأليف وزارة الداماد فريد وحل مجلس المبعوثان وفتوى شيخ الاسلام كل ذلك لم يفيل من عزم مصطفى كمال وزعماء الحركة بل واصلوا سعيهم في تقوية صفوفهم واعداد معداتهم لمقاومة الصلح الذي كان الحلفاء يعدونه لتركيا

ففي ابريل سنة ١٩٢٠ وضع مؤتمر (سان ريمو) قواعد الصلح مع تركيا وطالب

الحلفاء من الداماد فريد ان يرسل الوفد العثماني الى مؤتمر الصلح الذي ينعقد في باريس يوم ١٠ مايو فتألف الوفد برئاسة توفيق باشا الصدر السابق وفي الوقت نفسه كان الداماد فريد يؤلف قوة نظامية في الاستانة لقتال الحركة الوطنية فكأنه لم يكف الا تراك تأمر دول اوروبا عليهم فيقوم وزير تركي ينضم الى اعداء بلاده ويحارب اخوانه المجاهدين في أشد أوقات الخطر! والامر المحقق ان الداماد الف هذه القوة بايعاز الانجليز وكان ينفق عليها من الاموال التي امدوه بها لان حكومة الاستانة ما كانت تسمح لها حالتها المالية بالاتفاق على مثل هذه القوة في ذلك الحين

اشتبكت قوة الداماد فريد بقوة السكاليين في باندردما في ١٩ ابريل فدارت الدائرة على جنود الداماد . وقد كان مصمما على الامعان في محاربة الحركة الوطنية لايألو جهدا في التنكيل بزعمائها . ومما اتخذته من الوسائل في هذا الصدد تشكيكه المجالس العسكرية لمحاكمة زعماء الحركة باعتبارهم عصاة لحكومة غيايا بالاعداد في شهر مايو سنة ١٩٢٠ على أقطاب هذه الحركة وفي مقدمتهم مصطفى كمال باشا وقره واصف بك والفريق على فؤاد باشا . واحمد رستم بك سفير الدولة سابقا في واشنطن . والدكتور عدنان بك . والكاتبة الشهيرة خالدة اديب ورؤوف بك قومندان حميدية والفريق مصطفى فوزي باشا ناظر الحرية سابقا وغيرهم وغيرهم ولكن اعلان شروط الصلح التي عرضها الحلفاء على الوفد العثماني في ١١ مايو وما ظهر فيها من القضاء على تركيا قد صدم الداماد فريد صدمة عنيفة وأفهمته أن الاعتماد على الوعود والاموال الانجليزية لمحاربة الوطنيين جريمة لا تتفرق قد كان الانجليز يعدونه بتخفيف شروط الصلح اذا استطاع أن يخمّد الحركة الوطنية ولكنه باء بالخيبة والفشل عند ما ظهر أن شروط الصلح هي اقصى ما يفرض على تركيا

الجمعية الوطنية

على اذ مصطفى كمال لم يعبأ بما كان يقرره الحلفاء في مؤتمر سان ريمو ولا في مؤتمر الصلح بباريس بل كان يجمع صفوفه وينظم المقاومة داخل البلاد

فبعد ان تم احتلال الحلفاء للاستانة في شهر مارس عقد مؤتمرًا في أنقرة لوضع البرنامج الذي يسرون عليه والف حكومة وطنية تدير شؤون البلاد وشكل جمعية وطنية تسمى المجاس الوطنى الكبير تكون المرجع في تنظيم المقاومة وادارة الحكومة الوطنية وكان قد وصل معظم اعضاء مجاس المبعوثان الى أنقرة فتعاون الجميع على تشكيل هيئة الحكومة والجمعية الوطنية

تشكلت الجمعية الوطنية بالانتخاب بنسبة خمسة نواب عن كل متصرفية وقد انضم الى المنتخبين أعضاء مجاس المبعوثان أيضا فتألفت الجمعية الوطنية من ٣٥٠ عضواً (٢٧٠ منهم) عضواً منتخبين عن سكان الولايات و ٦٨ من أعضاء مجلس المبعوثان الذين انضموا الى الحركة الوطنية و ١٢ من اعضاء المجلس الذين قبض عليهم الحلفاء لما احتلوا الاستانة ونفوهم الى مالطه فاعتبرتهم الجمعية ضمن أعضائها) وكانت هى الممثلة لارادة الامة وهى التى تولت تنظيم الجهاد الوطنى وادارة شؤون البلاد فكانت كالتوكل الامريكى الذى أعلن استتقلال امريكا وتولى تنظيم حرب الاستقلال فى القرن الثامن عشر

فاحتلال الانجليز والحلفاء للاستانة كان السبب المباشر لتأسيس الجمعية الوطنية فى أنقرة كما كان احتلال أزمير سبباً فى ظهور الحركة

وقد شرح مصطفى كمال كيف نشأت وتألفت الحركة الوطنية قال :

« لما احتلت الاستانة يوم ١٦ مارس من السنة الماضية حرمت الامة والبلاد عاصمة تجمع أمرها ووجب عقد مجاس وطنى فى (انقره) للتفكير فى استتقلال البلاد والعمل على انتاذاها . . وهناك توسلنا بالوسائل اللازمة فهرع نواب الامة الى هذه المدينة فى أواسط ابريل . بيد أن نقص الوسائل النكافية كان يؤدى الى تأخر النواب . وكان هذا التأخير يعذبني عذاباً شديداً . ظلمت أعمال مع رفاقي ليلا ونهارا للبحث عن الاسباب المتعلقة بموقف البلاد . وبما انى أعلم بما فطرت عليه الامة من الاخلاص والتزاهة وما تشعر به نحو استتقلالها من

الهيام وما هو راسخ في قلبها من الايمان الصادق لم أشتبه قط في أننا اذا توسلنا بالتدابير الصائبة لمقاومة بعض أعراض الضلال الذي ظهر في بعض الاطراف تمكنا من ازالة المخاطر التي تهددنا

ولقد كان الساعون لتسميم الرأي العام في الداخل وتشويش الازهان في الخارج حينئذ يهاجون في شخصي روح الوطنية الثائر في البلاد ونهوض الامة للدفاع عن حقوقها واستقلالها بجميع قواها الحيوية . فكان هؤلاء يقولون للامة من جهة والحكومة الاستانة من جهة أخرى « لاتعترفوا بمصطفى كمال ولا تعتمدوا عليه فان الشدة التي تظهرها الدول المتحالفة نحو تركيا ليست الا من أجله »

كانوا يقولون ذلك ويزعمون أنه اذا قضى على فان البلاد والامة ستنازل من الخارج كل صداقة ومودة . هكذا كانوا يسعون لتضليل الافكار . وقد كنت أرى السموم التي ينفثونها عيانا وأرى ما انطوت عليه هذه المزاعم من الحيل والدسائس الا اني كلما خطر ببالى انه سيوجد في ارجاء البلاد من يظنون أنى السبب فيما اصاب الوطن والبلاد من ضرر وما نزل من مصيبة الأسر أحسست قلبي يتمزق أسى . وفكرت في انقاذ نفسي من هذه التأثيرات والتخلص من وساوس من يفكرون فيها بترك المهمة التاريخية التي تعهدت بالقيام بها مع المدفولية الجسيمة التي تحملتها الى أحد الرفاق وقد صرحت بفكرى هذا الى اخواني الذين كانوا معي وطلبت منهم بكل الحاح أن يتسامحوا منى هذا الواجب ولكن هؤلاء الأصحاب أجابوني بأنى اذا فعلت ذلك خدمت مقاصد الأعداء اندلع لهيب الهياج الداخلى اذ ذاك حتى أبواب (أنقره) وأخذت التبعة التي تتحملها شكلا مدهشا مروعا وهنا لك فكرت في أن الانسحاب على أى صورة ولائى سبب لا بد أن يقول باحد أمرين : الأول اليأس من القيام بالواجب الذي تكفلنا ان نقوم به . والثانى الخوف من تحمل تبعة العمل الذي شرعنا فيه . وأمثال هذه التأويلات من شأنها أن تهدم الغاية المقدسة وأن تبدد شمل المجتمعين حولها . فقررت الثبات على القيام بواجب الشرف والوجدان حتى أختم صحائف جهادنا لوطنى معتمدا على اخلاص اخواني وعزم أمتي وإيمانها ومعتقدنا أننا

سنضطر العدو الى الاعتراف بالعجز في النهاية مستعينا بتوفيق الله . وبما انه لم يبق مجال للتأخر في ادارة الحركات العمومية ادارة قانونية رأينا افتتاح المجلس الوطنى يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٠ فبينما كنت في ذلك اليوم وقد كان يوم جمعة أسير الى المجلس في الساعة الثانية بعد الظهر كنت أفكر قبل ذلك بايام وليال فيما صرحت لكم به . وما دخلت قاعة اجتماع المجلس ورأيت نواب الامة يرمقونى بأنظار مملوءة بالثقة والاعتماد حتى تأكدت مرة أخرى أن المساعى التى نبذلها تتوافق مع آمال الامة . وهناك شعرت بسعادة عظيمة اذ ألفت هؤلاء الاخوان أجمعين وهم يمثلون ارادة الامة أجل تمثيل سيشار كوننا في كل عمل»



وقد بذلت الجمعية الوطنية جهودا جهيدة في سبيل انقاذ البلاد من الحالة الحزينة التى كانت فيها فقد كانت الحالة سيئة والضعف شديدا والفوضى ضاربة بجذورها في البلاد بسبب ماعانته في اثناء الحرب العامة وازداد مركز الجمعية حرجا بسبب الحرب التى أعلنتها وزارة الداماد فريد على الحركة الوطنية والفتوى التى استصدرها من شيخ الاسلام باعتبارها حركة عصيان . فقد أثرت هذه الفتوى في بعض الجهات فانتقضت على الحركة الوطنية متأثرة بفكرة الولاء للسلطان واستخدم مأجورو السياسة الانجليزية سذاجة الجمهور في بعض الولايات وحملوهم على معاداة الحركة في ابان نشأتها . وبما يذكر من خطورة هذه الحالة أن الجمعية الوطنية حينما انعقدت في أنقرة لأول مرة كان الخارجون على الحركة على بعد ثمانى ساعات لا أكثر من أنقره . على أن الجمعية قد قاومت هذا الخطر فضربت على أيدي محركى الفتن من جهة وطاف بعض أعضائها على الجهات التى ظهر فيها الانتقاض على الحركة فأفهموا الجماهير حقيقة الحركة ومقاصدها الشريفة وقد أبد علماء الأناضول مساعى الجمعية الوطنية في هذا السبيل فكان لنصائحهم الدينية أثر كبير في اقناع المترددين بمشروعية الحركة . وانتهت هذه المساعى الشريفة بانضمام الامة كتلة واحدة حول الجمعية الوطنية . وكانت الجمعية أمام الخطر الخارجى فال يوناني من الغرب والارمن من الشرق والفرنسيون من

الجنوب كانوا يحاربون الجنود التركية الوطنية والانجليز لا يألون جهدا في دس الدسائس وتحريك الفتن ومديد المساعدة الى اليونان . على ان الجمعية أخذت تنظم الجيش فجعات منه قوة وطنية عظيمة ردت عادية الاعداء كما سيأتى بيان ذلك فيما يلى

وقامت الجمعية فى الداخل باصلاحات عظيمة فى كل فروع الحياة العامة فنظمت مالية البلاد وأصلحت الادارة ونظمت التجارة وأصلحت الزراعة والمدارس وغنيت بأصلاح حالة البلاد الصحية التى كانت موضع الشكوى العامة وأخذت الجمعية توالى عقد جاساتها بهمة لا تعرف المأل فى سنة واحدة وهى السنة الاولى لانعقادها عقدت ٤٠٨ جاسات منها ٣٥٦ علنية و ٥١ سرية وبحث ٣٨٠ مشروع قانون و ٣٢٣ مسألة ووضعت كثيرا من القوانين الاجتماعية كتحرير الخمر ومقاومة الامراض المعدية وغير ذلك . هذا فضلا عما قام به أعضاء الجمعية من الخدم الأخرى ففريق منهم كان يجوب عواصم الدول فى الشرق والغرب للدفاع عن المطالب التركية ومقاومة حملة الاكاذيب التى كانت تذاع عن حقيقة الحال فى الاناضول ومفاوضة الدول فى عقد المعاهدات والاتفاقات وفريق آخر كان يشترك فى ميادين القتال ويستهدف لأعظم الأخطار دفاعا عن كيان البلاد

دستور الاناضول

قامت الحركة الوطنية التركية على الشورى وسارت بالشورى فكان ذلك أساس نجاحها . فالملتزمات الوطنية التى انعقدت فى « أرضروم » و « سيواس » كانت تمثل الامة والأمر فيها شورى . والجمعية الوطنية التى تألفت فى أنقره ونظمت الحركة وأدارت شؤون البلاد كانت تمثل الامة بواسطة نوابها فكان الأمر شورى بينهم وبذلك تنسكب الحركة الوطنية طريق الاستبداد والديكتاتورية التى كانت من عيوب الاتحاديين والى فيها القضاء على النهضة القومية . قالت

مادام جورج جوليس الكاتبة الفرنسية التي زارت الاناضول وانقره (١) تصف
أساس الحركة الوطنية في الاناضول :

« من يوم قام مصطفى كمال بدعوته سعى في إيجاد أساس متين لبناء الحركة
الوطنية . ذلك أنه أشرك معه الشعب في الجهاد فوضع نظمات دستورية تشترك
بها الأمة في ادارة دفة الحركة والحكم فكان مصطفى كمال رئيسا قويا ولكن غير
مستبد كان يضحي بنفسه في سبيل موطنيه وقد استطاع بفضل شخصيته الكبيرة
أن يجمع حوله ارقى ابناء بلاده »

وقال جواد بك نائب (بولى) في الجمعية الوطنية التركية (٢) وهو من اقرب
الناس الى مصطفى كمال اذ كان ياورا له مدة الحرب العامة الى ما بعد الهدنة
واشترك في الحركة الوطنية من أولها :

« زعموا أن في تركيا ادارة استبدادية (ديكتاتورية) وهذا غير صحيح لان
مصطفى كمال الذي تمثله صحف أوروبا بمثال ديكتاتور تركيا هو واحد من ثلاثة
 وخمسين عضواً في المجلس الوطنى الكبير وليس له في المجلس غير رأى واحد
والحكم في البلاد لهذا المجلس حتى أن مصطفى كمال باشا لم يحصل على القيادة العامة
الا بقرار المجلس ولمدة ثلاثة أشهر ثم أن مصطفى كمال باشا لو كان يسعى للزعامة
لاعلن نفسه ديكتاتورا عند وصوله من الاستانة الى « صامسون » أو لطلب ذلك
في مؤتمر « أرضروم » ومؤتمر « سيواس » ولكن مصطفى كمال المعروف ببعده
نظره ورجاحة عقله قد استفاد عبرة وموعظة من المساوىء التي ارتكبتها جمعية

(١) كتبت مادام جورج جوليس مقالات ورسائل عن الحياة في أنقره
من حركة وانتقال الى وصف مصطفى كمال والقواد الكبار في ميدان القتال
ونشرتها في مجلة باريس ولها في حركة الاناضول كتاب مطبوع حديثا سنة
١٩٢١ عنوانه (الوطنية التركية) وهو من خير ما كتب دفاعا عن حركة
الاناضول

(٢) من حديث له بجريدة دويتش الجمنية زيتونج الالمانية في نوفمبر

الاتحاد والتدري نأضاعت البلاد بها فهو يجتنب تلك المساوىء ويعلم حق العلم أن الامم لا تدار فى هذا العصر بطريقة الدكتاتورية «
ولما انعقدت الجمعية الوطنية أخذت تشتغل بوضع دستور بدل القانون الاساسى العثمانى الذى وضعه المرحوم مدحت باشا سنة ١٨٧٧ والذى كان متبعاً فى مجلس المبعوثان . وضعت الجمعية قانوناً جديداً لأن القانون الاساسى القديم لم يعد ملائماً لحالة تركيا بعد الحرب العامة ولا متفقاً مع الظروف الاستثنائية التى تألفت فيها الجمعية الوطنية . فلم يكن خافياً أن الحكومة الوطنية تألفت فى الاناضول وولى الامر (السلطان) وحكومته فى الاستانة

ثم وضع الدستور الجديد وأقرته الجمعية الوطنية فى ٢٠ يناير سنة ١٩٢١ وهو المسمى (قانون التشكيلات الاساسية)

قرر هذا القانون قاعدة (ساطة الشعب) وجعل الساطة التشريعية والسلطة التنفيذية فى يد الجمعية الوطنية (المجلس الوطنى الكبير) أى أنه لم يفصل بين السلطتين طبقاً للقواعد الدستورية الحديثة وجعل رئيس المجلس الوطنى رئيساً لهيئة الوزراء أى رئيساً للسلطتين التشريعية والتنفيذية وجعل المجلس الوطنى غير قابل للحل ولم يقرر شيئاً بالنسبة لحقوق ولى الأمر (السلطان) ولم يجعل له طبقاً ساطة مافى المجلس الوطنى ويرجع هذا الى السبب الذى تقدم . والمفهوم أن هذا القانون يظل قائماً بأحكامه وقواعده ومنشأته الى ان يتم تحرير البلاد التركية كلها . وقرر مبدأ اللامركزية الادارية على أحدث القواعد الدستورية . وهو فى مجموعه يؤلف نوعاً من (حكومات الشعب) وقد تجنب النظامات الاشتراكية والبلشفية فجاء دليلاً على أن الحركة الوطنية التركية بعيدة عن التأثر بالمبادئ البلشفية . ويتألف هذا القانون من ٢٢ مادة :

المادة ١ — سلطة الشعب ملك للشعب دون قيد ولا شرط والقاعدة الادارية قيام الأمة بادارة شؤونها بنفسها فعلاً

المادة ٢ — السلطانان التنفيذية والتشريعية مجموعتان فى المجلس الوطنى الكبير الذى يمثل الأمة وحده تمثيلاً حقيقياً

المادة ٣ — يقوم المجلس الوطنى الكبير بادارة الدولة التركية وتسمى الحكومة الوطنية (حكومة المجلس الوطنى التركى الكبير)

المادة ٤ — يتألف المجلس الوطنى الكبير من الاعضاء الذين ينتخبهم سكان الولايات

المادة ٥ — يحدد انتخاب المجلس الوطنى مرة كل عامين . فالمدة الانتخابية لكل عضو عامان انما يجوز أن ينتخب العضو مرة أخرى ويستمر المجلس السابق فى القيام بواجبه الى حين انتخاب المجلس المقبل . فإذا لم يكن من الممكن تجديد الانتخابات فلا يجوز مد مدة الاجتماع الا سنة أخرى . ولا يعد كل عضو من اعضاء المجلس الوطنى نائباً عن الولاية التى انتخبته بل نائباً عن الأمة

المادة ٦ — يجتمع المجلس الوطنى اجتماعاً عاماً فى أول شهر أكتوبر كل سنة بلا دعوة
المادة ٧ — تنفيذ الاحكام الشرعية ووضع القوانين العامة وتعديلها ونسخها وعقد الصلح والمعاهدات واعلان الدفاع عن الوطن وغيرها من الحقوق الأساسية خاصة بالمجلس الوطنى وتوضع القوانين والأنظمة وفاق الاحكام الفقهية والحقوقية التى تكون أرفق بمعاملات الناس ووافق لحاجات الزمان والآداب والمعاملات . وتعين وظائف الهيئة الموكله لإدارة الامور (أى هيئة النظر) ومسؤولياتها بقانون مخصوص (١)

المادة ٨ — تدير حكومة المجلس الوطنى دوائر حكومتها بواسطة الوكلاء الذين تنتخبهم وفاق القانون المخصوص . ويعين المجلس الوطنى الوجهة التى يتبعها الوكلاء فى الشؤون الادارية ويستبدلهم بغيرهم لدى الحاجة

المادة ٩ — الرئيس الذى ينتخبه المجلس الوطنى الكبير تمتد مدة رياسته بامتداد المدة الانتخابية للمجلس . وهو مسؤول بالتموقيع باسم المجلس والتصديق على مقررات مجلس الوكلاء (النظار) وينتخب الوكلاء رئيساً لهم من بينهم لكن رئيس المجلس الوطنى يعتبر رئيساً طبعياً لهئية الوكلاء

المادة ١٠ — تنقسم البلاد التركية باعتبار موقعها الجغرافى والاقتصادى الى ولايات والولايات الى أقضية والأقضية الى نواح

(١) لم يوضع هذا القانون لغاية اعداد الكتاب للطبع وقد تناقشت بشأنه الجمعية الوطنية فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢١

المادة ١١ - كل ولاية حائزة لشخصية معنوية واستقلال ذاتي ويقوم « مجلس شورى الولاية » بإدارة أمور الأوقاف والمدارس والمعارف والصحة والاقتصاد والزراعة والاشغال والمعاونة الاجتماعية باستثناء السياسة الداخلية والخارجية والامور الشرعية والحقانية والعسكرية والعلاقات الدولية الاقتصادية والضرائب والتكاليف العمومية التي تضمها الحكومة والأشياء التي تشمل منافعها أكثر من ولاية

المادة ١٢ - يتألف « مجلس شورى الولاية » من أعضاء ينتخبهم أهالي الولاية ومدة اجتماع ذلك المجلس عامان

المادة ١٣ - ينتخب « مجلس شورى الولاية » رئيسا يقوم بتنفيذ قرارات المجلس وهيئة إدارية يقوم كل عضو منها بإدارة شعبة من شعب الإدارة وواجب القيام بالتنفيذ عائد على هذه الهيئة الدائمة

المادة ١٤ - يوجد في كل ولاية والينوب عن المجلس الوطني الكبير ويمثله . وتعين هذا الوالي حكومة المجلس الوطني . وواجبه مباشرة الأمور العامة والمشاركة في الدولة . ولا يتدخل الوالي الا عند وقوع تعارض بين وظائف الدولة والوظائف المحلية

المادة ١٥ - كل « قضاء » ليس الا عبارة عن جزء انضباطي إداري وليست له شخصية معنوية . ويتولى إدارته (قائمقام) تعينه حكومة المجلس الوطني ويكون تحت امر الوالي

المادة ١٦ - الناحية حائزة لشخصية معنوية واستقلال ذاتي في حياتها الخصوصية

المادة ١٧ - لكل ناحية « مجلس شورى » وهيئة إدارية ومدير

المادة ١٨ - ينتخب « مجلس الشورى » في النواحي أهالي كل ناحية رأسا

المادة ١٩ - ينتخب « مجلس شورى الناحية » مدير الناحية وهيئة إدارتها

المادة ٢٠ - لمجلس شورى الناحية وهيئة إدارتها سلطة قضائية واقتصادية

ومالية تتمتع درجاتها بقانون مخصوص

المادة ٢١ - تتألف الناحية من قرية أو عدة قرى

المادة ٢٢ - توحد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الولايات
« بالتفتيش العام » الذى يقوم بمراقبه الامور العامة ووظائف الدولة العمومية
وظائف الادارات المحلية وقراراتها مراقبة دائمة »

الهجوم اليونانى الأول - يونيه سنة ١٩٢٠

بعد أن فشلت حكومة الداماد فى قمع الحركة الوطنية كانت السياسة
الانجليزية تبحث عن وسيلة أخرى تنفذ بها قرارات الصلح بالنسبة لتركيا لأن
مؤتمر سان ريمو اكتفى بوضع قواعد الصلح دون أن يقرر الطريقة التى يكره
بها تركيا الحقيقية اى تركيا الاسيوية على الاذعان لهذه الشروط . فاستخدمت
السياسة الانجليزية اليونان لمحاربة الحركة الوطنية فعرض فينيلوس على الحلفاء
فى مؤتمر (بولون) (يونيو سنة ١٩٢٠) أن تتولى اليونان بمجيوشها اخماد
حركة الاناضول

فبدأ الهجوم اليونانى من ازمير يوم ٢٢ يونيه وكانت الحكومة الوطنية
فى انقره تعد المعدات الملافاة هذا الهجوم فاصدرت منشورات الى جميع الضباط
العثمانيين بالعودة الى الاناضول . وتمكن اليونانيون من مد خطهم الحربى من
أزمير الى باليكر وبروصه وبندره واحتلوا هذه البلاد فدفعوا الوطنيين
الاتراك ومنعهم عن استمرار الضغط الشديد الذى كانوا قد بدأوا به ضد
الحامية البريطانية التى كانت معسكرة وقتئذ فى أزميد وأبعدوهم عن مدخل
الدردنيل فزحزحوهم عن موقفهم الذى كان يمكن أن يهدد الملاحة بين مرمرة
والبحر الابيض وأمكن اليونان بهذا الهجوم أن تؤثر فى السلطان ووزرائه وعلى
رأسهم الداماد فريد فتميل بهم الى قبول معاهدة الصلح

كانت حكومة الداماد فريد فى أخذ ورد مع الحلفاء بقصد تخفيف شروط
الصلح فلم تغلح فى مسعاها وعادت الى مناوأتها للحركة الوطنية ارضاء للسياسة الانجليزية
واسرفت فى الارهاب واستقالت الوزارة وأعاد تأليفها الداماد فريد نفسه مع تغيير
فى أعضائها وابعاد الوزراء الذين رفضوا قبول شروط الصلح

معاهدة سيفر ١٠ اغسطس سنة ١٩٢٠

وقررت الوزارة قبول الشروط وندبت للتوقيع على المعاهدة هادى باشا ورضا توفيق ورشاد خالص فوقعوا على المعاهدة فى (سيفر) يوم ١٠ اغسطس سنة ١٩٢٠ . فكان هذا اليوم يوم حداد عام فى الاستانة . وكانت هذه المعاهدة باطلة من جميع الوجوه لأن حكومة الاستانة لم تكن تمثل الأمة التركية ولأن معاهدات الصلح لا تحوز الصفة القانونية الا بتصديق مجلس المبعوثان وهذا المجلس كان منحلًا من قبل التوقيع على المعاهدة

ان معاهدة (سيفر) كانت تقضى على تركيا قضاء مبرما . اذ قد بترت من جسم الدولة العثمانية جميع « سوريا » و « العراق » و « اليمن » و « الحجاز » وولاية « أدرنه » والقسم الاعظم من ولاية « أزمير » كما بترت منه « اورفه » و « عينتاب » ففصلت من جسم الدولة ثأى مساحتها واكثر من الثلثين بالنسبة للسكان ثم انها أحالت على المستر ولسون بطريق التحكيم ان يهب الجمهورية الارمنية ما يشاء من ولايات « ارضروم » و « طرابزون » و « وان » و « بتليس » وقضت المعاهدة بتجريد تركيا من الجيش اذ اشترطت الا يتجاوز ٥٠ الفا وحرس السلطان سبعمائة مع الغاء التجنيد الاجبارى والبحرية

ثم ان المعاهدة وان كانت ترك الاستانة للدولة الا انها تؤسس فيها من اللجان الأجنبية ما ينزع من الحكومة العثمانية جميع الصفات التى تمتاز بها الحكومة المستقلة ولا سيما أن « لجنة مراقبة البواغيز » ليست الا حكومة حقيقية لا تشارك فيها الحكومة العثمانية اذ يتوقف اشتراكها فيها على قبولها فى عصبة الامم ! واللجنة مؤلفة من ممثلى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وايطاليا واليابان واليونان ورومانيا - والروسيا وبلغاريا) بعد دخولهما فى عصبة الامم . وقد جعلت المعاهدة لتلك اللجنة علما مخصوصا وأنظمة مخصوصة وميزانية مخصوصة وخولتها وضع الرسوم المختلفة وتنظيم الامور الخاصة بتسيير السفن فى بحر مرمرة والبواغيز وتأليف ادارة للضبط تكون تابعة لها وتحت ادارة الضباط الاجانب

ووضعت مدينة «الاستانة» وولاياتها و«أزميد» والأقسام الشمالية من ولاية «بروسه» وحوالي «بالكسر» و«بيغا» تحت احتلال الجنود الانجليزية والفرنسية والايطالية وتحت امر قوادهم الذين يقومون بإدارة الضبط هناك ويطبقون الحاميات اللازمة في تلك الجهات من عساكرهم وتقوم الحكومة العثمانية بنفقاتهم . وتكون الجندرمه العثمانية خاضعة لهم . و (اللجنة المالية) المؤلفة من ممثلي انجلترا وفرنسا وايطاليا لها حق التدخل في شؤون الدولة وليس في هذه اللجنة الا عضو عثماني له صوت استشاري فتفتش جميع دوائر الحكومة العثمانية وعلى الأخص الدوائر العسكرية حتى تراقب تنفيذ مواد المعاهدة . وتقوم بمراقبة جميع الإيرادات والنفقات ولا تضع الحكومة العثمانية الميزانية الا بعد موافقتها ولا يصح لمجلس المبعوثان ان يدخل فيها تعديلا الا بعد موافقة تلك اللجنة .

فبدهى أن مركز الحكومة العثمانية بين هذه اللجان المعتمدة على أساطيل الحلفاء وجيوشهم مركز وهمي لا غير . وعدا هذا فان البقية الباقية التي تركتها معاهدة (سيفر) للحكومة العثمانية من املاكها تقسم الى مناطق نفوذ بين انجلترا وفرنسا وايطاليا واليونان وتقوم كل واحدة من هذه الدول بإدارة الجندرمه في المنطقة التي تخصها .

هذه هي صورة مختصرة من معاهدة سيفر التي كان من أقسى أحكامها أنها بعد أن بترت تلك البلاد الشاسعة من الوطن العثماني على أن تمتعها بالاستقلال كما وعدتها من قبل لم تكثف ببيترو ولاية «أزمير» وولاية «أدرنه» من جسم الأمة التركية بل قدمتهما مكافأة لاعدى أعدائها . وبذلك حرمت الاستانة أن تكون ملتقى القسم الاسيوى والقسم الاوروبى من المملكة العثمانية كما حرمت الاناضول من أهم منفذ بحرى له

نعم قضت معاهدة سيفر باعطاء «أدرنه» و«أزمير» لليونان رغما من التحقق من أن الاكثريه العظمى في تلك البلاد للأمة التركية وبعد أن اعترفت هيئة التحقيق الأولية المؤلفة من ممثلي دول الحلفاء لتحقيق ماحدث بازمير من القذائف بعد الاحتلال اليوناني في تقريرها المؤرخ ١١ أكتوبر سنة ١٩١٩ «بأن أغلبية

العنصر التركي على العنصر اليوناني لانزاع فيها وأنها ترى أن من واجبه الملاحظة بان الشعور الوطنى الآكى - وقد ظهرت درجة مقاومته - لا يتقبل التحاق هذا البلد باليونان ولا يخضع الا للقوة أى الحملة عسكرية لا تستطيع اليونان وحدها ان تجهزها وتنال بها مأربها من الانتصار « كما قدورد فى ذلك التقرير » ان الاحتلال اليونانى قد انقلب فتحا وحربا صليدية ؟ « وقد ألفت تلك الهيئة المحققة تبعات ما وقع من المفجائم فى ذلك الحين على اليونان

كان من آثار توقيع معاهدة سيفر أن اشتدت الحركة الوطنية فى الأناضول وأصدر المشير مصطفى كمال باشا منشورا فى ٩ يولييه بأن الحكومة الوطنية ترفض بكل اباء هذه المعاهدة

لم تستمر اليونان فى هجومها على الأناضول ولم تستطع أن تبر بوعدها لانجلترا بتمزيق شمل الحركة الوطنية . لم تستمر فى هجومها رغم الامدادات والمساعدات العظيمة التى كانت تصلها من الحلفاء ولا سيما من انجلترا عدوة تركيا اللدودة . ولم تغلج سياسة الداماد فريد صنيعة انجلترا فى مناوأة هذه الحركة وجنح الحلفاء الى خطة التفاهم ولو ظاهرا مع الحكومة الوطنية فاستقال الداماد فريد فى ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٠ بعد أن بقى فى منصب الصدارة اكثر من ستة اشهر وكانت استقالته دليلا على تغير الحالة السياسية لأنه كان يمثل دائما سياسة العداء نحو الحركة الكمالية ولا يمكن أن يكون على يده تفاهم معها فقبل سقوطه بالارتياح التام فى المحافل التركية

سقوط وزارة الداماد فريد وبدء التفاهم مع الأناضول

تألفت الوزارة الجديدة فى ٢١ اكتوبر من توفيق باشا صدرا أعظم وكان من أعضائها الصدران السابقان عزت باشا وصالح باشا فكان وجودهما دليلا على أن الوزارة تسعى باخلاص فى التفاهم مع الحكومة الوطنية ولا سيما أن عزت باشا معروف بميوله ومؤازرته للحركة الوطنية وجعلت الوزارة ضمن برنامجها « العمل على ازالة الانقسام الذى حدث فى الوحدة الوطنية » ومعنى هذا صراحة التفاهم مع الحركة الاناضولية

وقد قوبل نبأ تأليف هذه الوزارة بالارتياح والفرح في الاستانة والاضولى لأن الحركة الأناضولية لم تكن تعارض حكومة الاستانة الا لان هذه واقعة تحت ضغط الحلفاء تأتمر بأوامرهم. وتوفيق باشا وعزت باشا وصالح باشا هم موضع ثقة زعماء الحركة الوطنية فلم يكن ثمة مانع من تفاهم الحكومتين

على ان الحكومة الوطنية في أنقره كانت في ذلك الحين تبذل الجهود العظيمة لتنظيم الجيش الوطنى دفاعا عن كيان البلاد وكلات هذه الجهود بالفوز العظيم الذى أحرزه الجيش الأناضولى على الارمن

انتصار الكيلين واستيلاؤهم على قارص

كانت جمهورية الأرمن « جمهورية اريفان » قد شهرت الحرب في اكتوبر سنة ١٩٢٠ على الحكومة الوطنية بالاناضول لان الأرمن يضمرون العداء من قديم للوطنيين الاتراك وكانوا يغيرون على الحدود الاناضولية الشرقية والوطنيون ينوون الاتصال بجمهورية اذربيجان ليأخذوا ماتحتاجه الحركة الوطنية من ذخيرة منها وليتخلصوا من مناوأة الارمن على الحدود الشرقية حتى لا يكونوا مهددين من الشرق بالارمن ومن الغرب باليونان

وقعت الحرب بين ارمنيا والاضول بعد توقف الهجوم اليونانى ومارالت الحرب سجالا الى أن انتهت باستيلاء الجيوش التركية التى كان يقودها كاظم قره بكر باشا (١) على قلعة قارص الشهيرة بعد حرب ضروس استمرت خمسة عشر يوما على أشد ما يتصور حيث كان جيش كاظم قره بكر يحارب على جبال مغطاة بالثلوج يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف مترودرجة البرودة بها ١٥ تحت الصفر. وحاصر الجناح الايمن من الجيش مدينة « اريفان » عاصمة أرمنيا فاضطر الارمن لاخلائها والانسحاب شمالا. وقد أسرت القوة التركية حاكم قارص وقائدها الجنرال بيروميان وعددا كبيرا من القواد والضباط و ٢٢٥٤ جنديا وتقدمت القوة واستمرت تستولى على مايقع في طريقها حتى مدينة كورمى - الكسندروبول -

(١) كان في أثناء هذه الحرب « الميرالامى كاظم قره بكر بك »

التي تبعد عن قارص سبعين كيلو مترا وذلك في ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٠ . وقد اضطر جيش الأرمن للتسليم بعد ان حصر بين «كومري» و«قاره كليسه» وتم للجيش التركي النصر المبين فتخلص الأناضول من مناوأة الارمن وأمنت الحكومة الوطنية على الولايات الأربع الشرقية وهي «أرضروم» و«طرابزون» و«وان» و«بتليس» . وكان استيلاء الأتراك على «قارص»^(١) في ظروف صعبة وفي مدة وجيزة من معجزات الشهامة التركية

(١) تبعد (قارص) عن (أرضروم) مائتي كيلو متر وهي قلعة منيعة قديمة مشيدة على مضيق جبلي ارتفاعه ١٩٠٥ أمتار وقد اشتهرت في حرب سنة ١٨٧٨ التي وقعت بين الروسيا وتركيا بالدفاع المجيد الذي قام به المرحوم الغازي احمد مختار باشا وكان مبدأ شهرته العسكرية واستولى عليها الروس في تلك السنة . فأقاموا بلداً جديداً على الجانب الأيسر للمجرى الذي يقسمها قسمين يسيرا لانسان في سوقه بين مبان فضمة الى أن يقف أمام «تمثال قارص» وهو التمثال الذي أقامه الروس تمجيداً لسقوط القلعة وضياعها من يد الدولة العثمانية والتمثال مشيد على صخرة رصفت حولها المدافع العثمانية وعليها طغراء السلطان عبد المجيد وفوق المدافع جندي روسي يقف على صخرة وتحت قدميه العلم العثماني وقد انقض عليه نسر يمزقه بمخالبه اربا اربا

فلما قامت الثورة الروسية الأخيرة وتقدم الجيش العثماني الى قارص ودخلها منصورا هدم ذلك التمثال ورفع العلم العثماني على أبراج قارص وقد أقرت معاهدة «برست ليتوفسك» حقوق الدولة في استرداد تلك البلاد التي فصلت عنها عنوة فعادت الي أحضان أمها بعد فراق استمر أكثر من أربعين عاما

بيد أنه ما عقدت الهدنة حتى قام الأرمن فهجموا على تلك البلاد زاعمين أنها بلادهم وأنها قنادل هديت اليهم فلم يسع القوة التركية الا الانسحاب لما أصابها عقب الفشل في الحرب العامة من الاضطراب . وقد كانت بغية بعض الدول الأوروبية أن تقيم من بلاد الأرمن سدا منيعا يفصل البلاد العثمانية عن الحكومات الشرقية في آسيا . لذلك عزمت القوة الوطنية التركية أن تحصل على حقها وتقيم ميزان العدل بقوتها فما سنحت السانحة حتى اقتحمت ذلك السد القائم على أوهي أساس ورفعت العلم العثماني على أبراج قارص مرة أخرى

مؤتمر لوندرد والحالة الجديدة في الشرق

أصبحت إنجلترا وحلفاؤها أمام حوادث جديدة في الشرق اضطرتهم الى الاجتماع للتداول في الحالة السياسية التي ولدتها تلك الحوادث . وأهمها انتصار الاتراك الكماليين على الأرمن ثم سقوط فينيلوس في الانتخابات التي جرت في بلاد اليونان يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ وكان الانتخاب دأرا حول عودة قسطنطين الى العرش أو بقاء فينيلوس قابضا على أزمة الحكم فسقوط فينيلوس في الانتخاب كان معناه سقوط وزارته وقرب عودة قسطنطين الى العرش وتغيير السياسة اليونانية

كانت هذه الحوادث مدعاة الى تغيير سياسة الحلفاء في الشرق وتجديد الخلاف بين النظرية الفرنسية الايطالية والنظرية الانجليزية فاتفق الحلفاء على الاجتماع في مؤتمر لوندرد في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٠

اتفقت سياسة فرنسا التي كان يمثلها في المؤتمر « الميسوليج » رئيس الوزارة وسياسة ايطاليا التي كان يمثلها « الكونت سفورزا » وزير الخارجية الذي كان يجاهر بضرورة تعديل معاهدة سيفر لاعادة السلام الى الشرق . وكانت الصحف الفرنسية تنادى بأن السياسة التي اتبعت لغاية ذلك الحين في الشرق تخالف تقاليد فرنسا وعلى ذلك فانفرصة سانحة ولا يجوز اضاعتها لتصفية المسألة الشرقية على قواعد جديدة . فع أن النظرية الانجليزية كانت تريد بقاء كل شىء على ما هو عليه طبقا لمعاهدة سيفر الا أن السياسة الفرنسية أخذت تقنع السياسة الانجليزية بالانضمام اليها مستعينة بالسياسة الايطالية التي تميل الى تغيير خطة الحلفاء في الشرق . وهذا التغيير قائم على الفكرة الآتية وهي أنه بسقوط فينيلوس قد سقطت الفكرة التي كان الحلفاء يعملون لها وهي إيجاد دولة يونانية كبرى قوية قادرة على أن تسيطر أمورها وتثبت دعائم المملكة الكبيرة التي آلت اليها لأن قوة الحركة الوطنية في الاناضول من جهة وسقوط فينيلوس من جهة أخرى لا يجعلان الحلفاء واثقين بمقدرة اليونان على تحمل الأعباء التي

وكلتها اليها الدول ولا على توطيد دعائم السلام في الشرق على قواعد معاهدة سيفر والسلام لازم لاوروبا لصيانة مصالحها الاقتصادية والمالية في تلك الاصقاع ولما كانت معاهدة سيفر قد لوحظ فيها تحقيق هذا الغرض فلا محيص من اعادة النظر فيها من جديد مادام الغرض قد تغير . وقد ضربت الصحافة الفرنسية على نفعة أخرى وهي أنه لا بد من محاربة النفوذ الالماني الذي يعود الى اليونان بعودة قسطنطين وهذه المحاربة لا تتحقق الا بأرضاء الأتراك . هذه هي وجهة النظر الفرنسية ولكن انجلترا كانت متمسكة بمعاهدة سيفر وعاملة على محق تركيا وتكوين دولة يونانية قوية تحقق سياستها وأطماعها في الشرق

فاجتمع مؤتمر الحلفاء في لوندرة في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٠ واتفقوا على المعارضة في رجوع قسطنطين الى اليونان وقرر المؤتمر انذار الحكومة اليونانية بانقطاع معونة الحلفاء المالية اذا عاد قسطنطين . على أن الشعب اليوناني لم يعبأ بهذا الانذار وجرى الاستفتاء في عودته في ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٠ فأسفر عن رغبة الاغلبية العظمى من اليونانيين في رجوعه مهما كانت العواقب

على أن المؤتمر لم يوفق الى البت في مسألة تركيا لأن الحوادث كانت تتعاقب سراعاً بحيث لم تستقر الحالة السياسية الجديدة ولم يكن في استطاعة المؤتمر أن يقرر قرارات نهائية توفق بين وجهات النظر المختلفة بين الحلفاء وتبنى على حالة سياسية مستقرة فاكتمل المؤتمر بحل وسط بين النظريتين الفرنسية والانجليزية وهو قبول مبدأ تعديل معاهدة سيفر وأجل تنصيلة الى مؤتمر آخر . ومعنى ذلك أن الحلفاء تركوا للحوادث أن ترسم خططهم المستقبلية وتوحد بين وجهات نظرهم المختلفة

في سبيل التفاهم بين انقره والاستانة

وفي غضون ذلك كانت وزارة توفيق باشا تعمل جهدها لازالة الخلاف بين الحكومة الوطنية في انقره وحكومة الاستانة فكان أول عمل لها أن أوفدت الى الحكومة الوطنية بعثة كبيرة للمفاوضة والتفاهم مع الحركة الوطنية توصلا الى الاتفاق على السياسة الواجب اتباعها حيال معاهدة الصلح . وكان من أعضاء

هذه البعثة غزت باشا الصدر السابق ووزير الداخلية وصالح باشا الصدر السابق ووزير الحربية وحسين كاظم بك وزير التجارة — وسافرت البعثة يوم ٣ دسمبر قاصدة الى أنقره ووصلت اليها يوم ٨ دسمبر وقد كانت رحلتها الى أنقره من رحلات التاريخية وصفها أحد أعضائها وصفاً يصور داخية الاناضول في تلك الاوقات العصيبة قال :

« وصلنا الى « صيانجه » وقت الارب . وقد نزل جميع أعضاء الوفد بهذا البلد المحتل احتلالا عسكريا . وبعد ان أخذنا المعلومات اللازمة عن أحوال الطرق عدنا الى القطار وقضينا ليلتنا به . وما دخلنا عرباتنا حتى كان يقبل الفلاحون أفواجا أفواجا لمعاونة رجالنا في تهيئة السيارات المعدة لسياحتنا . وقد بتنا ليلتنا في أمان وسلام رغما من اضطراب الاحوال في هذه الارزاء المحتملة بمختلف المتحارين . وما علمنا أن السيارات مهيئة في فجر اليوم التالي حتى امتطيناها وتقدمنا الى داخل الاناضول . وقد كانت السيارات التي تحمل حوائجنا تدبنا فكأنما كانت قافلة من السيارات تسير . استمرت سياحتنا ساعة على هذا المنوال بيد أننا لم نصل الى « عارفيه » حتى رأينا السيارات تزعجنا ازعاجا لتوحدل الطرق وقلة انتظامها

وقد وصلنا ساعة الظهر الى وادي « سقاريا » حيث بدأنا نشاهد القرى منتشرة في الاطراف وقد كان القرويون يطارفوننا بكيميات من التفاح خلال الطريق فهبطنا من سياراتنا وتناولنا طعامنا أزاء شلال صغير لنهر « سقاريا » وبعد الطعام شرعنا نسير على أقدامنا لان عزت باشا وصالح باشا كانا يرجحان المشي على امتطاء السيارات في تلك الطرق . فلما أتعبنا المشي عدنا الى سياراتنا وتقدمنا على مهل حتى غابت الشمس وقد وصلنا الى جسر قائم على النهر في جوار قرية تدعى « غوزان » ولكن كان الجسر منهكما بنهران المدافع فعولنا على عبور النهر بالسيارات فسرنا حتى وجدنا مكانا يصلح لذلك . وهناك سارت السيارة في النهر وكادت تعبره لولا انها غرزت في الاوحال على ضفته المقابلة . وقد أسدل الليل أستاره . بيد أننا بعثنا بعض رجالنا الى تلك القرية القريبة فعادوا الينامع البقية الباقية من رجالها يصحبهم نسأؤهم وسعوا سعيا متواصلا حتى أنقذوا السيارة

من الأوحال ثم أشاروا إلينا أن نعبز النهر من محل مناسب فاجتزنا ووصلنا إلى قريتهم بعد أن تكبدنا عناء عظيمًا . وقد استضافنا شيخ القرية فتقدمنا إلى بيته ثم أعد لنا العشاء . وهناك جلس الصدران الاعظمان السابقان عزت باشا وصالح باشا على مائدة الشيخ القروي وتناولوا معه طعامه ثم تسامرا معه إلى أن أذن مؤذن الفجر وقد كان هذا المنظر من أسمى المناظر

تقدمنا على هذه الحال حتى وصلنا إلى (ييه جك) في خمسة أيام اعترضتنا خلالها مشاكل عديدة منها أننا ماوصلنا إلى مضيق « كيوه » حتى سمعنا أصوات الرصاص فوقنا . فأقبل علينا جنود مساحون هم جنود القوة الوطنية فقادونا إلى ضباطهم فأرفق بنا فصيلة منهم . أما سياحتنا بين « مكجه ولكي كوي ولنكة » فكانت مملوءة بالحوادث لأن هذه القرى لا تبعد عن الخطوط اليونانية إلا بضعة كيلومترات ثم وصلنا إلى « ييه جك » حيث أقبلنا القطار المهيأ لنا إلى انقره وقد استقبلنا الإلهالي في كل جهة استقبالا شائقا - على أن هذه البعثة قد لبثت عدة أشهر دون أن تصل إلى التوفيق بين مطالب الاناضول ومطالب حكومة الاستانة أو بالأحرى مطالب الحلفاء لأن دول الحلفاء هي التي طلبت إرسال هذا الوفد وكان الغرض الحقيقي منه ماقاله عزت باشا رئيس الوفد بعد أن عاد من أنقره إلى الاستانة في ١٨ مارس سنة ١٩٢١ « اننا لم نوفق إلى القيام بواجبنا الذي عهد به إلينا في أنقره وقد كئنا نود أن نعود بسرعة فلم نتمكن . لقد كان الواجب الاساسي الذي عهد به إلينا هو التوفيق بين شروط الصلح التي يطالبها الاناضول وشروط الصلح التي تقبلها حكومة الاستانة من الدول المتحالفة وتوطيد دعائم السلام على هذه الصورة . ولكن الذين طلبوا منا أن نقوم بهذا الواجب لم يعينوا لنا شروطا بل طلبوا منا تطبيق معاهدة سيفر على ما هي عليه فإذا قبل ذلك وعدونا ببعض الامتيازات لتسهيل تطبيق المعاهدة مع بعض الوعود الخاصة بالأخرى وقد تبدلت الأحوال خلال الثلاثة أشهر التي قضيناها في أنقره حيث دعت الدول حكومة انقره لتعديل المعاهدة في مؤتمر لوندرة دعوة رسمية بعد أن كانت تريد منا أن نتقبل معاهدة سيفر على ما هي عليه . فهل يمكننا أن نصبر الاستانة والاناضول قد اتفقا بناء على هذا الموقف الأخير ؟ ان الصلح الذي يكاد يتقرر سجل هذا الخلاف في وقت أصبحت فيه أحوال الاناضول

متحسنة جدا بتأسيس النظام الحقيقي في البلاد كما يدل عليه هذا الحادث الهام وهو نشر القانون الاساسى وقبوله في الاناضول وهذا القانون عبارة عن تدوين القرارات التى اتخذتها حكومة انقره عقب احتلال الانجليز للاستانة فى ١٦ مارس من السنة الماضية « فالبعثة لم تصل لغرضها ولم يتم التوفيق بين حكومتى انقره والاستانة

معركة أين اونو وهزيمة الجيش اليونانى

حدد لانعماد مؤتمر الحلفاء بباريس يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢١ وقبل انعقاده كانت اليونان تحاول أن تقم بهجوم كبير فى الاناضول يقنع الحلفاء أنها قادرة على سحق الحركة الوطنية وأن السياسة اليونانية فى عهد قسطنطين لم تتغير عما كانت عليه فى عهد فيزيلوس وأن لا محل بعد ذلك لتعديل معاهدة سيفر وكان غرض اليونان من هذا الهجوم احتلال « اسكى شهر » وبدأ الهجوم على جبهة (عشاق - بروسه) ولكن الجيش اليونانى أصيب بهزيمة كبرى فى معركة (اين او كى) - ١١ يناير سنة ١٩٢١ - استمرت الحرب أزاء اين او كى ثلاثة أيام تحارب فيها الطرفان وجها لوجه بالسنة وكانت النتيجة أن انهزمت الجنود اليونانية وبلغ ما احصى من قتلاهم (٤٠٠٠) والاشرى (١٥٠٠) وقد صرحت الصحف اليونانية فى ذلك الحين ان القتلى والجرحى من اليونانيين فى هذه المعركة كانوا من خيرة الضباط والجنود . وقد انسحب اليونانيون بعد هذه الهزيمة واحتفظت انقره بانتصار الجيش التركى وقرر المجلس الوطنى الكبير بجاسة ١٣ يناير سنة ١٩٢١ شكر الجيش على ما أبداه من الشهامة فى ميدان القتال وقد كانت هذه الجلسة من جلسات المجلس التاريخية فالقيت فيها الخطب الرنانة وقام المشير مصطفى كمال باشا فشرح الموقف الحربى وامتدح بساله الجيش ووفاة الامة . وقد احتفل الاناضول بهذا النصر المبين وتطوع الالوف تلو الالوف فى الجيش الوطنى ومن أبلغ آيات الوطنية ما قام به أهل (انقره) ساعة وصول أخبار الهجوم اليونانى فانهم قاموا فى الحال بتأسيس الفرق لجيش الدفاع الوطنى وأرسلوه الى « اسكى شهر » لمعاونة الجيش . وقد اشترك فيه كل قادر على حمل السلاح . وكذلك قام أهالى « قسطنطينى » فألقوا مثل ذلك الجيش

مؤتمر الحلفاء بباريس

انعقد المؤتمر في باريس يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢١ في قاعة الساعة التاريخية بوزارة الخارجية برأسه الميسو بريان. السياسي المقتدر الذي تولى رأسه الوزارة الفرنسية منذ ١٥ يناير وكان هذا المؤتمر من أهم مؤتمرات الحلفاء وأكبرها شأنًا منذ معاهدة فرساي وقد حضره من أقطاب سياسة الحلفاء « بريان » و « لويد جورج » و « كرزون » و « المارشال فوش » و « الكونت سفورزا » وكان من أهم المسائل التي تباحث فيها تجريد ألمانيا من السلاح والتعويضات والمسألة الشرقية وقد دافع « سفورزا » في المؤتمر عن نظرية تعديل معاهدة سيفر دفاعًا عظيمًا ومما قاله في هذا الصدد ان الكمالين يطلبون « ادرنه » « وأزمير » والغاء المراقبات الدولية وتعديل السياسة الانجليزية الفرنسية في فلسطين والعراق وسوريا وصرح بأن الاستعدادات الحربية البلشفية ترمي الى الاستيلاء على الاستانة وأن اليونانيين عاجزون عن سحق الكمالين وصرح أنه لا يرى مندوحة من التوفيق بين اليونانيين والأتراك مع احتفاظ اليونانيين بالحقوق الاقتصادية التي حصلوا عليها فعارض « لويد جورج » في النظرية الايطالية التي عضدها « بريان » وانتهت المناقشة بالموافقة على اقتراح « سفورزا » الذي يقضى بعقد مؤتمر للحلفاء يحضره ممثلو تركيا واليونان للمناقشة في تعديل معاهدة سيفر وقد قوبل هذا القرار من اليونان بالأس والاستياء ولم يخف رجالها السياسيون مخاوفهم على معاهدة سيفر وعلى أثر ذلك دعى أترك الاستانة وأقره الى تأليف وفد مشترك لحضور المؤتمر الذي تقرر عقده في لوندرة وهو المعروف بمؤتمر الشرق الأدنى وكان « الكونت سفورزا » هو صاحب فكرة الاتصال مباشرة بحكومة أتركه باعتبار أن المفاوضات معها تنتج وتثمر ويكون من ورأيها إعادة السلام الى الشرق وفتح باب المعاملات الاقتصادية أما المفاوضات مع حكومة الاستانة فعقيمة غير منتجة ففي ٢٧ يناير سنة ١٩٢١ تسلم الباب العالي دعوة الميسو « بريان » رئيس المؤتمر لحضور مندوبي تركيا الى المؤتمر الذي سيعقد يوم ٢١ فبراير بلوندرة ورجاه في الرسالة أن يرسل هذه الدعوة الى الحكومة الوطنية في أتركه .

المراسلات التاريخية بين انقره

والاستانة

فتداولت حكومتا الاستانة والاناضول في شأن اجابة دعوة المؤتمر وتبادلتا رسائل سياسة لها شأن كبير في تاريخ الحركة الوطنية التركية. فقد أرسل الصدر الأعظم توفيق باشا الى المشير مصطفى كمال باشا البرقية الآتية :

« سعادة مصطفى كمال باشا بانقره

« ان القرارات التي اتخذها المجلس المنعقد في باريس يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٢١ تقضى بعقد مؤتمر مؤلف من مندوبى دول الحلفاء والحكومة العثمانية والحكومة اليونانية في لوندرة يوم ٢١ فبراير للتفاوض في حل المسئلة الشرقية . وستعدل المعاهدة التعديلات التي يرى أنها ضرورية من جراء الحادثات . وقد اشترطت الدعوة التي وصات الى الحكومة السنية أن يكون بين المندوبين العثمانيين مندوبون حازون ثقة مصطفى كمال باشا أو أنقره وقد قام مندوبو دول الحلفاء في الاستانة بتبليغنا هذا القرار . واني لانتظر قراركم وجوابكم حتى يتحد المندوبون الذين تعينونهم مع المندوبين الذين ننتخبهم

صدر أعظم توفيق

وهذا جواب مصطفى كمال باشا

« فخامة توفيق باشا بالاستانة

« ان القوة الحكومية الشرعية المستقلة الوحيدة الآخذة بزمام الامور اعتمادا على الارادة الوطنية في تركيا هي في أنقره أى في المجلس الوطنى الكبير الذى ينعقد على الدوام . والهيئة الحكومية المؤورة بكل جميع المسائل المتعلقة بتركيا والتي تخاطب في جميع الأمور المتعلقة بالعلاقات الخارجية هي الحكومة التي يؤلفها هذا المجلس وليس لأى هيئة في الاستانة أى وضع شرعى من أى وجه . لذلك فقيام أى هيئة في الاستانة واتخاذها اسم (حكومة) مغاير تمام المعاييرة للحقوق الوطنية . كما لايجوز قط أن تعرض هذه الهيئة نفسها لمخاطبة الخارج في المسائل

الحوية الخاصة بالأمة . فالواجب الوطنى الوجدانى الذى تتطلبه منكم الأمة أن تعرفوا بأن الحكومة الشرعية التى يجب أن تخاطب فى المسائل المتعلقة بالملكة والأمة هى فى انقره . ولا شبهة فى أن دول الحلفاء تقدر أن الحكومة التى لها كلمة مسموعة فى المملكة والأمة هى فى أنقره . ولكنها لا تصرح بذلك لظنها أنها تستفيد من وجود هيئة متوسطة فى الاستانة . وإن حكومة المجلس الوطنى الكبير لتصرح بأنها تبتغى استتباب السلام والامان على أساس الاعتراف بالحقوق الوطنية التى كررتها مرارا . وهى مستعدة لقبول أية مفاوضة على هذا الأساس فإذا كانت دول الحلفاء قد قررت حل المسئلة الشرقية فى مؤتمر لوندرد فى دائرة الحق والعدل فعليها أن تدعو الحكومة الوطنية رأسا الى ذلك المؤتمر . ونكرر لكم أن حكومة المجلس الوطنى تتقبل أى دعوة مبنية على الشروط المتقدمة قبولا حسنا »
رئيس المجلس الوطنى الكبير

« مصطفى كمال »

وقد أردف مصطفى كمال باشا هذه البرقية بريقة خصوصية لتوفيق باشا قال فيها :
« فخامة الباشا

« انكم تخدمون بلادكم طول عمركم خدما مشكورة . ونحن نعتقد أنه قد سنحت لكم الآن فرصة تاريخية خطيرة تتوج جميع خدمكم السابقة . اننا نريد أن نسير على أساس الاتحاد التام . ولا ريب أنكم تقدررون المحذورات التى تنشأ من ارسال وفدين الى المؤتمر ليمثلا البلاد التركية . لقد استطاعت الامة بفضل جهادها فى سبيل استقلالها . ودائها التى أسالتها . والثبات الذى أظهرته آراء المشا كل المدينة أن تقف موقفها الحالى الذى يطمئنها كما أن الحوادث تقع وتسير سيرا يؤيد مطالبها فى الاستقلال التام . فلا بد أن تتحد جميع القوى الوطنية فى داخل البلاد ابتداء من الذات الشاهانية ازاء الحكومات الأخرى ساعة الدفاع عن حقوقنا الوطنية . لذلك قد وجب على الذات الشاهانية أن تعترف بالمجلس الوطنى الكبير الذى يمثل وحده الارادة الوطنية اعترافا رسميا . وهناك يتيسر لنا أن نختم الحالة غير الطوبية القائمة فى الاستانة . التى دلت التجارب المشؤومة على مقبدار اضرارها بالبلاد ثم ان البلاغ الذى قدمه اليكم ممثلو دول الحلفاء فى الاستانة

يدل على أنه لابد من اشتراك ممثلى الحكومة الوطنية فى الوفد العثمانى حتى يتسنى له أن يتقدم الى المؤتمر . فالدول تعترف بوضوح كاف أن المندوبين الذين يرسلون الى مؤتمر لندره لا يمكن ارسالهم الا من قبل الحكومة الوطنية . فنحن نقترح عليكم باسم الواجب الذى تمهدتم بالقيام به أزاء التاريخ والامة أن تلتحقوا بنا وتتقبلوا القواعد التى وضعتها حكومة المجلس الوطنى وهى الحكومة المشروعة الوحيدة فعلا وقانوناً . حتى تسهلوا لنا الفوز باقرار تلك القواعد من قبل أعدائنا وبذلك نصل الى غايتنا من هذا الجهاد بسرعة . فاذا لم تتقبلوا ولم تنفذوا هذه المطالب التى نقترحها عليكم لنسبر على اتحاد وندافع عن الآمال الوطنية أقوى دفاع فهناك يخشى من زلزل موقف الذات الشاهانية الجالسة على سرير السلطنة وعرش الخلافة . كما اننا نسجل عليكم بالصفة الحكومية الفعلية والحقوقية التى منحتها لنا الارادة الوطنية ان كل ماينحى من المسؤولية وكل ماينشأ من العواقب من جراء ذلك عائد على الذات الشاهانية رأساً . فنحن ننتظر منكم أن تقوموا بواجبكم التاريخى ازاء هذا الموقف وأن تقيسونا بنتائج أعمالكم بكل صراحة ونرجوكم قبول احتراماتنا »

رئيس المجلس الوطنى الكبير

« مصطفى كمال »

ثم وردت الى الصدر الاعظم برقية ثالثة بعد هذه البرقية تلخص مطالب الاناضول وهذا نصها :

« فخامة توفيق باشا بالاستانة »

« نكرر عليكم آراءنا واقتراحاتنا مرة أخرى وننتظر جوابكم عنها »

١ - تعان الذات الشاهانية اعترافها بالمجلس الوطنى بخط همايونى يقتصر على

الاعتراف بالمجلس الوطنى

٢ - اذا قبات المادة الاولى فيمكن تنظيم الاحوال الداخلية كمايأتى :

« يقيم جلالة السلطان فى الاستانة كما كان وينعقد المجلس الوطنى فى أنقره كما هو الآن . ولا تبقى فى الاستانة وزارة انما يكون لدى جلالة السلاطان هيئة من قبل المجلس الوطنى

٣ - تقوم الحكومة الوطنية بدفع مخصصات الذات الشاهانية وأعضاء الاسرة الملوكية وموظفي الاستانة»

هذه هي المراسلات التي دارت بين الباب العالي والحكومة الوطنية ولا شك أن الظروف التي كتبت فيها تلك الرسائل كانت تتطلب بقاء الحكومة الوطنية في أنقرة حتى يستتب السلام ويعقد الصلح . فان مركز أنقرة مساعد على استمرار الجهاد الوطني بخلاف مركز الاستانة فانها اذا انتقلت اليها الحركة الوطنية انطفت في أول يوم . ولا ريب ان مركز الصدر الاعظم توفيق باشا كان من أهم المراكز التاريخية ولولا أساطيل الحلفاء وقوتهم البرية في الاستانة . اظهر ذلك المشكل قط لان الرأي العام كله في جانب الحركة الوطنية

لقد اضطر توفيق باشا الى السكوت أزاء مطالب الاناضول وتناوش المجالس الوطني في شأن المراسلات التي تبادلها مصطفى كمال والصدر الاعظم ومما فاه مصطفى كمال في هذا الصدد « لقد تلوت أمامكم جميع المراسلات التي تبودلت بيننا وبين توفيق باشا ولا شك ان الاستانة تمثل حالة عقلية مشلولة الاعصاب لا تميز لها قط تفهم الحالة السياسية بغير منظار الاجنبى وهى بذلك عاجزة تمام العجز عن تحقيق مصالح الوطن الحقيقية . وان هيئة المجالس الوطنى الكبير الموقرة تعتمد على عقيدتها الثابتة في حيوية الامة التركية لتسير بجهودها في طريق أدائها الواجب المفروض عليها وهو تخليص الاستانة من اخطار الاحتلال واعادتها الى جسم الامة السليم واعادة الحرية الى السلطان الجامع بين مقام الخلافة وعرش السالطنة » ولما لم تتفق الحكومتان قررت الحكومة الوطنية في أنقرة ارسال وفد خاص يمثلها وعلى رأسه بكر سامى بك وزير خارجية أنقرة وارسات الاستانة وفدا يمثلها وعلى رأسه توفيق باشا الى در الاعثم ووصل الوفدان الى لوندرة لحضور المؤتمر وكانت مطالب الحكومة الوطنية معروفة ومدونة من قبل في الميثاق الوطنى الذى أعلنه مجلس المبعوثان في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ قبل احتلال الاستانة وقد أوضح مصطفى كمال باشا مطالب الاناضول لمكاتب (يونانيه - تلغراف) (١) بما يلي :

(١) مكاتب هذه الشركة يمثل ١٢٠٠ جريدة أمريكية وقد طلبت هذه التصريحات من رئيس الحركة الوطنية لنشرها في جميع تلك الجرائد

« أن أزمير مدينة تركية من كل الوجوه . وهى جزء لا يتجزأ من الأناضول وليس لليونان أى حق تاريخى أو قومى فى هذه المدينة . لقد نزع اليها بعض الاروام من الجزائر بقصد الانحجار وهم لا تتألف منهم الا أقلية فى نفس المدينة وهذه البلاد تركية منذ الف سنة وقد استولت اليونان عليها استيلاء غير شرعى خدمة لأمال دولة استعمارية . وهى تتبع فى هذه البلاد سياسة الافناء التى اتبعتها ضد المسلمين فى « موره » و « تساليا » و « كريد » و « مقدونيا » ولذلك ترتكب المظالم وتقتل النفوس . ومن أدل الدلائل على ذلك تقرير الهيئة المحققة الدولية . وستطرد أمتنا هؤلاء الاشقياء من بلادها عاجلاً أو آجلاً انما نحن نبتغى حقن الدماء ولذلك لا نتأخر عن الشروع فى مفاوضات السلام اذا اعترفوا بحقوقنا وجعلوا عن بلادنا . ونرجح أن نشرع فى تلك المفاوضات مع حكومة اليونان رأساً ويمكننا أن نقبل توسط حكومة الولايات المتحدة »

« وكذلك فان « تراقيا » و « أزمير » مسكونة بأكثرية تركية ومحتوية على عاصمة تاريخية وطافحة بالآثار الوطنية فهى من الاجزاء الاصلية للوطن العثمانى ونحن لا نطلب الا رفع الاحتلال الاجنبى من بلادنا هذه . ولا ريب أننا نحفظ حقوق الاقلية اليونانية كما نصت على ذلك معاهدة « سن جرمان » ونقبل استفتاء السكان فى تراقيا الغربية التى تحتوى على اكثرية تركية عظيمة »

« أما معاهدة سيفر » فنحن لانعترف بوجود معاهدة « سيفر » التى تقضى على استقلالنا السياسى والحقوقى والاقتصادى والمالى التى تنكر حق حياتنا . وكل غايتنا عقد صلح يضمن استقلالنا وحقنا فى حكم نفسنا بنفسنا »

« ثم انكم تسألوننا عن التعديلات التى نرضى بها فى مسألة الأستانة . اننا نرضى بتقرير حرية المواصلات فى البوغاز بشرط أن تبقى الاستانة كما كانت تحت السيادة التركية بلا قيد ولا شرط وأن تكون مضمونة من كل اعتداء . وتعيين تلك الشروط يكون خاصاً بالدول التى لها سواحل على البحر الأسود لا غيرها »

« أما سياستنا فى المستقبل فهى ترمى الى استكمال الأسباب التى يضمن عمران البلاد . فان بلادنا خربة ومعارفنا ضئيلة واقتصادياتنا ضعيفة . فأملنا الوحيد عمران بلادنا وتنوير أمتنا والسعى لسعادتنا »

«ان الاناضول يقوم اليوم بالدفاع عن حياته ومقدساته وان أمتنا على يقين تام بجميع حقوقها واجباتها الانسانية . عاشقة لحريتها واستقلالها . عارفة بقيمة أوطانها . وأنها وهى تبذل كل عزيز فى سبيل حريتها واستقلالها لترفع دعواها ككل أمة تسير وراء ذلك الأمل المقدس . الى وجدان الانسانية العالم »

مؤتمر لوندرد

والمطالب التركية

على أن الأتراك الوطنيين لم يكونوا يعلمون كثير على مؤتمر لوندرد ويعتقدون أنه سينصفهم من اليونان لانهم كانوا يعلمون شدة مؤازرة انجلترا لليونان ويعلمون سوء نية السياسية الانجليزية حيال تركيا . على أنهم رأوا من المهارة فى السياسة أن يلبوا دعوة المؤتمر لأن هذه الدعوة هى بمثابة اعتراف من الحلفاء بقوة الحركة الوطنية التركية وشرعية الحكومة الوطنية فى أنقره بعد ان كانوا يتجاهلونها ويعتبرون زعماءها عصاة ثائرين وكان الاتراك ينوون ان يعانون للعالم حقيقة مطالبهم وعزمهم عن مواصلة القتال حتى يفوزوا بها واطلاع الرأى العام الأوروبى على حقيقة الحالة فى الاناضول لأن للرأى العام بلا شك تأثيرا فى سياسة الحكومات فى أوروبا . فاذا اقتنع بأن لا أمل فى اعادة السلام فى الشرق الا اذا عدلت معاهدة سيفر تمديلا جوهريا كان لهذا الاقتناع صدق فى الدوائر الرسمية لان مصالح أوروبا الاقتصادية فى الشرق لا تروج ولا تستقر على قواعد ثابتة الا اذا ساد السلام فى الاناضول . ومن جهة أخرى فان انعقاد المؤتمر يكون خير فرصة للمندوبين الأتراك لعقد اتفاقات خاصة مع بعض دول الحلفاء كما حدث فعلا

وقد انتهز الأتراك فرصة قرب انعقاد المؤتمر فروجوا الدعوة الى اجابة مطالبهم فى أوروبا وانعقد مؤتمر تركى فى روما حضره ممثلو الحكومة الأناضولية منهم حامى بك وأحمد رستم بك وحضره كذلك جماعة من كبار العثمانيين منهم حسين حلمى باشا الصدر الاعظم السابق ومحمود مختار باشا وأحمد رضا بك رئيس مجلس الأعيان السابق وجاويد بك ناظر المالية السابق وغالب كمال بك سفير الدولة

السابق في أتيننا وغيرهم وتداولوا في الدفاع عن المطالب التركية وقدموا بهامذكرة الى مؤتمر الحلفاء ونالوا عطف الرأي العام في ايطاليا على القضية التركية وفي أثناء انعقاد المؤتمر في لوندريه كان المجلس الوطني الكبير يوالى اجتماعاته استعدادا للقتال لاعتقاده أن انجلترا لا تتحول عن سياستها القديمة حيال تركيا انعقد مؤتمر لوندريه بعد ظهر يوم ٢١ فبراير بقصر سان جيس وكان من أعضائه الكبار «لويد جورج» و«كرزن» و«المسيو بريان» و«الكونت سفورزا» و«المارشال فوش»

وكان «الكونت سفورزا» يدافع بشدة عن نظرية تعديل معاهدة سيفر مبينا أنها تحمل في طياتها بذور حروب لا تنتهى وقد أيده في نظريته «بريان» على أن السياسة الانجليزية كانت متمسكة بالمعاهدة ودائع مندوب اليونان المسيو «كالجرو بولوس» رئيس وزارة أتيننا عن المعاهدة قائلا ان اليونان قادرة على الاستيلاء على أنقره وسحق القوة السكالية في ثلاثة أشهر

وقد دعا المؤتمر مندوبى الأتراك فاتخذ الوفدان التركيان على توحيد مطالبهما تفاديا من الانقسام أمام المؤتمر وفوض توفيق باشا الى بكر سامى بك بيان المطالب التركية فشرحها للمؤتمر

ثم اقترح المؤتمر على مندوبى الأتراك واليونان تحكيم الحلفاء بواسطة لجنة يؤلفونها لتحقيق الأغلبية من السكان في منطقة أزمير وتراقية لمعرفة الأتراك الاغلبية أم لليونان

عرض هذا الاقتراح على الحكومتين اليونانية والتركية (في أنقره) بواسطة مندوبيهما فقبلت حكومة أنقره الاقتراح بشرط جلاء اليونانيين عن ازمير وتراقيا وأن يحل محاهم الحلفاء حتى تضمن عدالة التحقيق. أما الحكومة اليونانية فرفضت الاقتراح لعلمها أن التحقيق سيسفر حتما عن كون الاغلبية في جانب تركيا واشتدت الحكومة اليونانية في خطة الرفض فقرّر مجلس النواب في أتيننا يوم أول مارس عدم قبول أى تعديل في معاهدة سيفر . وكان ذلك دليلا على عزم اليونان على استئناف القتال . وكانت انجلترا تعضدها في هذه الخطة ولولا هذه المعاضدة لما جازفت باعلانها ولذلك لم تكذب تعلن اليونان رفضها اقتراح تحكيم الحلفاء حتى عدل المؤتمر عن اقتراحه ووضع اقتراحات جديدة سلمها يوم ١٢ ماوس الى مندوبى

الأتراك واليونان وهي تتضمن ادخال تركيا في غصبة الامم وزيادة القوى التركية الى ٧٥ ألفا ونقص منطقة البوغاز المنزوع سلاحها ثم جلاء الحلفاء عن الاستانة وشبه جزيرة ازميد وقصر احتلال الحلفاء على غليبولي وجناق قلعة وأن يكون لتركيا صوت معادل لصوت غيرها من الدول الأخرى في لجنة البوغاز ويكون لها في اللجنة المالية حق يعادل حق غيرها من الدول الممثلة فيها وابقاء جنود تركية في الاستانة وزيادة قوة تركيا البحرية والتنزل عن بعض نقط فيما يتعلق بلجنة المراقبة المالية والغاء مصالح البريد الاجنبية والتسليم بتبعية كردستان لتركيا مع ضمان حماية المسيحيين وتعديل أحكام المعاهدة بالنسبة لارمينيا والتسليم بالسيادة التركية على أزمير مع بقاء حامية يونانية في مدينة أزمير وتعين عصبة الامم حاكما مسيحيا لهذه المدينة . فانقض المؤتمر على أن ينتظر قرار الحكومتين التركية واليونانية في هذه الاقتراحات أي ان المؤتمر اتفق دون أن يقرر قرارات نهائية

نتائج مؤتمر لوندرد

وكان المعروف لدى الأتراك أن المؤتمر لا يسير في حل المسألة الى الأكد . من هذا الحد وأن الحكم في الاشكال متروك في الواقع للقوة . وهذه الحقيقة تتجلى في تصريحات بكر سامي بك المتكررة فقد صرح لمندوبى الجرائد التركية وهو مفارق روما قبل حضوره المؤتمر « أننا لا نأمل شيئا كثيرا من المؤتمر وليس من الهين حل الخلاف بيننا وبين اليونان ونحن مقتنعون بان هذا الخلاف لا يحل الا بالحرب بين تركيا واليونان وكل غايةنا من الهجء الى أوروبا حل مسألة اطنه ومسألة سوريا مع فرنسا وعقد اتفاق معها ومع إيطاليا » . وصرح لمراسل (الأخبار) في الاستانة عند عودته من مؤتمر لوندرد الى أنقره ليعرض الأمر على الحكومة الوطنية بما يأتى :

« حصلنا من المؤتمر على نتائج عديدة ونحن نعود الى بلادنا واثقين من أننا سنوفق الى بلوغ أمانيتنا الوطنية بيد أننا لم نكن نعتقد أن المؤتمر سيتمكن من تقرير السلام في الشرق في الحال . وقد أيدت الحوادث رأينا . على أن هذا المؤتمر قد حمل العالم بأسره على الاعتراف بمشروعية نهضتنا الوطنية خلافا لما كان قد أعلنه

الداماد فريد باشا وأشياعه من أن الحركة الوطنية ليست الا حركة عصيان. والحال أنه لم يكن في الأناضول الا أمة عزمت عزمًا أكيدا على الدفاع عن حقوقها الى النهاية وقد علم الرأى العام الغربى جميعه ان حركتنا حركة مشروعة بعد ان ذهبنا الى لندره ونحن واثقون من أننا سنحقق غايتنا الوطنية بعد الآن »

ولما سئل سامى بك عن تأثير الحركات الحربية فى قرارات المؤتمر قال « ان المؤتمر لم يقرر شيئاً ما . بل اقترح بعض اقتراحات ولا ريب أن مصرأمتنا اليوم متوقف على نتيجة الحركات الحربية . ونحن معتمدون على عزم أمتنا واقدامها . جيشنا بتأديب اليونان تأديباً لا يجعل لهاقوة على مناوأة تناكرة أخرى ولا مانع يمنعنا اليوم من ذلك لا نناقذ حرمنا اليونان أهم حجة كانت تعتمد عليها فقد كان اليونانيون يقومون بحركاتهم فى الاناضول كأنما هم وكلاء الدول الأوروبية فى تطبيق معاهدة سيفر وقد جردت اليونان الآن من هذه الصفة »

وقد انتهز بكر سامى بك فعلا فرصة وجوده فى المؤتمر واتصاله بكبار رجال الساسة من الحلفاء فوفق الى عقد الاتفاق الفرنسى التركى مع المسيو بريان ووضع أساس اتفاق مع ايطاليا وتوصل بالاتفاق مع الحكومة الانجليزية الى الافراج عن معظم الاسرى الذين كانوا معتقلين فى مالطه وغيرها وهم من كبار الاتراك الذين اعتقلوا عقب الهدنة أو بعد احتلال الاسطانة. وقد اثنت الصحافة الأوروبية جمعاء على مهارة الوفد التركى وكفاءة رجاله ولا سيما بكر سامى بك وغيرت الصحف لهجتها عن المسألة التركية فبدأت تبدى اعجابها ببسالة الاتراك وتشئى على وطنية زعماء الحركة الوطنية بعد ان كانت تصفهم بأنهم جماعة من الاشقياء فافهم ما نالته الحركة الوطنية من مؤتمر لوندريه انها بدأت توطد علاقتها الودية بفرنسا وايطاليا وكسبت عطف جانب عظيم من الرأى العام فى بلاد الحلفاء

استئناف الهجوم اليونانى

معركة اين اونو ودوموليهار

عند ما قدم مؤتمر لوندريه اقتراحاته الاخيرة كانت اليونان تضرر استئناف القتال وظهر عزمها هذا بعد أن اعلنت قرارها أنها لا تقبل تعديلاً لماهدة سيفر .

فلم يبق هناك أمل في أن يصل المؤتمر الى التوفيق بين الطرفين وقد أعدت اليونان معدات الهجوم وكانت انجارترا تساعد وتعد بالذخائر والمؤونة والمعدات الحربية والأموال والضباط فبدأ الهجوم في ٢٧ مارس سنة ١٩٢١

أراد اليونان أن يستولوا على (أفيون قره حصار) من الجنوب و (اسكيشهر) من الشمال وأن يستأصلوا شأفة القوة التركية فيضطروا تركيا الى قبول معاهدة (سيفر) بالقوة القهرية ولذلك شرعوا في هذا الهجوم بقوة تربي على المائة ألف تألف الجيش اليوناني المهاجم من تسع فرق من المشاة واثنيتين من الفرسان معززة بكتائب المدفعية والطائرات والسيارات وقسم الى قسمين على خط حربي يمتد ٤٠٠ كيلو متر من مصب نهر (سقاريا) الى وادي (مندوس) وقد تقدم القسم الاول الشمالي وهو مؤلف من ست فرق من المشاة وفرقة من الفرسان من خط (بروسه — اينه كول — يازارجق — قاره كوى) للاستيلاء على (اسكيشهر) وسار القسم الجنوبي وهو مؤلف من ثلاث فرق من المشاة وفرقة من الفرسان على خط (عشاق — أفيون قره حصار) وقد استولى فعلا على هذه المدينة في بدء القتال وعدها فقد سارت (فرقة مغنيسيا) من (أزמיד) الى (أزنيق) كما قامت عصابات رومية غديدة وسارت الى (آطه بازار)

اجتنبت القيادة الوطنية محاربة العدو ابتداء من (اسكيشهر) حتى (قاره كوى) لتستدرجه الى الميدان الحربي الذي هيأته له ازاء (أين أونو) وقد انسحبت نحو الشرق شاغلة العدو بمحاربات طفيفة كانت تقوم بها ومؤخرة جيوشها . أراد اليونانيون أن يحيطوا بجوانب الجيش التركي ودو ينسحب الى برزخ (قاره كوى) لكنهم لم يتمكنوا من ذلك اذ كان عصمت باشا قائد الجبهة الغربية يطبق خطته بكل توفيق

انخدع العدو بتقهقر الجيش الوداني الى منطقة (اين أونو) فواصلت الجيوش اليونانية الى هذه المنطقة حتى بدأت معركة (اين أونو) وقد كانت من أشد المعارك حيث قامت بعض العساكر التركية خلالها باثنتين وعشرين هجمة في يومين

في مناطق (أوغين) و (كوندوز بك) وما جاء يوم أول ابريل حتى باغت القيادة العامة التركية أنه قد انتهت معركة (اين اونو) الثانية مساء يوم ٣١ مارس يصعد الهجمة التي قامت بها الجيوش اليونانية وخسارتها خسائر فادحة . وقد بدأ هجوم القوة التركية في اليوم عينه فاضطر اليونانيون الى التقهقر نحو (ييكيشهر واينه كول) وهم في يأس وخسران . وقد أسرعوا في التقهقر الى درجة أنه لم يجد اليونانيون وقتا لارسال المهمات والسيارات المدرعة التي أخرجوها الى « مداينه » للميدان الحربى

بدأت الهزيمة اليونانية منذ يوم ٣١ مارس فاندست فرقتان من الفرق الخمس التي تقدمت الى معركة « اين اونو » وفر - القوات الباقية مبددة الشمل وقد طاردها العثمانيون مطاردة شديدة بحيث لم يصادف في أى مكان كتيبة يونانية منتظمة مجتمعة ولهذا كانت الكتائب الفارة عبارة عن أفواج قليلة العدد. تركت تلك الفرق جميع مهماتها وأسلحتها وتجهيزاتها للجيش الوطنىة التركية وقبض القرويون الأتراك على كثير من الأفواج الفائزة وسلموهم للفرسان المماردين . وبلغ عدد قتلى اليونانيين في هذه المعركة ثلاثة عشر ألفا ووصل الى أتيننا وحدها ٢٦٤١ جريحاً يونانيا عدا ما وصل الى أزمير وروسه وأزميد وباندروه وتكف وورماغ ومداينه . وقد حاز الجيش التركى نصرا عظيما آخر بقيادة رأفت باشا فى القسم الجنوبى من الجهة الغربية فى معركة (دوهلويينار) التي انتهت فى ٩ ابريل بهزيمة الجيش اليونانى واسترد الأتراك (أفيون قره حصار) ونقهقر اليونانيون متحمسين أفدح الخسائر .

وقد وصف فوزى باشا رئيس وزراء الحكومة لوندنية وناظر الدفاع اللوردانى هذه المعركة فى المجلس الكبير بجلسة ١٣ ابريل وصفا شائقا قال فى ختامه . « أيها السادة . تعلمون أن العدو أعان أنه يصل الى أنقره فى خمسة أسابيع وهناك يختم الحرب وقد كذبنا هذه الأقوال فى أسبوعين فزنا خلاصهما فى معركتين استمرت كل منهما أسبوعا وقد كانت الاولى حربا دفاعية اذ هجم العدو من مواقع المتحركة فصددنا عاديته بكل توفيق . والثانية هجومية قننا خلاصها بالهجوم

على المواقع المستحكمة للعدو . وكذلك انتهت هذه كاختها بالنجاح التام وقد علم العدو والعالم بأسره أن جيشنا مستعد للدفاع والهجوم

أن أهم عامل من عوامل انتصارنا هو نهوض الامة وعزمها على أن تعيش حرة مستقلة . وقد عمت تلك النهضة وذلك العزم جميع نواحي الاناضول حتى لقد ارتفعت فرائص القوات اليونانية التي جلبها العدو من بلاد اليونان اقدمه ثم عززها بما يجلبه من البلاد التي يدعوها اليونان الحديثة . والاسرى الذين وقعوا في أيدينا يشكون من الحرب . كما قد قطع اليونانيون الأمل في نجاحهم في هذا الميدان

لم تنته الحرب بعد وسنقدم بعد اليوم بكل عزم . لنا جيش لا يتزعزع ووطن لا يتجزأ . وسندافع بعد اليوم عن حقوقنا بصوت عال كما سندشر في الشرق أصوات الامل الالهية »

تأثير انتصار الأتراك

ومظاهرات الاستانة

وقد كان لانتصار الأتراك تأثير عظيم في الاستانة فخل الرجاء محل اليأس وتشددت عزائم الأتراك وانفتح أمامهم باب الأمل الذي كادت توصله المحن المتعاقبة منذ أكثر من سنتين . وقد ظهر هذا الشعور الجديد لمناسبة عودة المندوبين العثمانيين من لوندرة الى الاستانة يوم ١٤ ابريل سنة ١٩٢٠ فقد قام سكان العاصمة من الأتراك والمسلمين بمظاهرات عظيمة للمندوبين الاناضول واحتفوا بهم أجل احتفاء عند وصولهم كما شيعوهم بأبغ تشييع حتى لقتت هذه المظاهرات أنظار الاجانب وبرهنت لهم على مقدار اتحاد الاناضول والاستانة « فقلت جريدة « برس دوسوار » في مقالاتها الافتتاحية الصادرة بتاريخ

١٥ ابريل

« ان المظاهرات التي قامت بها الاستانة بالامس نحو مندوبين الاناضول لأعظم شأننا وأسمى مرمى من المظاهرات التي قامت بها أيام إعلان الدستور العثماني

سنة ١٩٠٨ وقد دلت بها على مافى القوة الروحية التركية من العزم وما فى ايمانها من الرسوخ

اثبتت الاستانة بهذه المظاهرات كرة أخرى أنها مع الأناضول وأن ليس بين العاصمة وولايتها أى انقسام فى الحقيقة. وقد اشتركت الامة من أكبر كبير الى أصغر صغير فى التبرع لاسعاف جرحى الحرب واتحدت الصحافة التركية كلها فى تأييد القوى التركية التى ترد عادية المهاجرين «

وقد قابل مندوبو الصحف التركية بكر سامى بك رئيس مندوبى أقرة فصرح لهم ضمن مقال :

« ان الامة التركية تسعى لاحقاق حقها . وقد مرت أيام الآلام ويمكننا أن ننظر الى المستقبل باطمئنان تام . كلنا متحدون واحساساتنا الوطنية وسيتمتعين . مصير اليونان ومصير تركيا فى ميادين الحرب . وقد عزمنا عزمًا أكيدا على الدفاع عن بلادنا حتى النهاية مختارين فى ذلك السبيل كل ماتحمله الطاقة البشرية ولا سيما أننا محقون فى دعوانا واثقون من النصر بعناية الله . أما غاية الأناضول فيمكن تاختيصها فيما يأتى :

« الفوز باستقلال مقام الساطنة والبلاد وتأيد نفوذ الخلافة الاسلامية والمحافظة على امتيازاتها وادارة بلادنا وفق أحكام الشريعة السمحاء »

وقد احتشدت الوفود على ساحل الطوبخانة لتشجيع الوفد الأناضولى وصاح ذلك الجهم الغفير بحميا ممثلى الأناضول فكانت الاصوات ترتفع من كل جانب قائلة « انكم تحافظون على شرف البلاد . فحمياكم الله ورضى عنكم اجمعين » ومما سر الحاضرين وأثر فيهم أن تقدم وفد من الجامعة العثمانية . ولف من سيدتين من طالبات الجامعة وثلاثة من طلابها الى الباخرة وخاطب رئيس المندوبين الأناضوليين قائلاً « ارجوكم ان تسمحوا للجامعة العثمانية أن تعانقكم . ان البلاد والناشئة بأسرها تؤيدكم وتقدركم . لقد دهش العالم ازاء المعجزة التى قتم بها فى الأناضول فى وقت كان يظن الناس فيه أن الأناضول خاو على عروشه . وكأنما قد قامت القيامة اذ صحتكم باسم « الوطن » فانبعث جميع الاجداد من مراقدهم ملين نداءكم . نسأل الله أن يوفقكم فى عمالكم المبارك وارجوكم أن تباغوا سلامنا الى الأناضول المحبوب والجيش الموقر والمجلس الوطنى المحترم »

فأجاب بكر سامى بك قائلاً « اننا سنبرهن لكم أننا جديون بشنائكم . وكل

رجائنا معقود فيكم ونحن نشكركم شكرا جزيلا على عنايتكم بتوديعنا هذا الوداع المؤثر « ثم خاطب السيدات قائلا « ستمتعي الايام السوداء قريبا . اننى أعلم أن الآلمى لا تقبل سلوانا لكن سبزل الاناضول هذه الآلام وسيهب الآمة جميعها ايماناً لا يتزعزع أبداً . ان للمرأة التركية حظا وافرا فى مجد الجهاد الاناضولى والآمة التى يكون لفسئها مثل هذه المزايا القيمة خليفة بأن تحيا حياة طيبة . وساباغ الاناضول سلامكم بكل سرور كما سيكون هذا السلام اعذب ذكرى من ذكريات سياحتى الحالية »

وكان من آثار هذه الانتصارات فى اليونان سقوط وزارة كاليجروبولوس وتأليف وزارة جديدة برئاسة جوناريس

أما فى الاناضول فقد كان لها أحسن الأثر لانها كانت من العوامل التى شددت عزائمهم على مواصلة القتال والعمل على انقاذ البلاد بأسرها من الاحتلال الأجنبى . وقد احتفلوا فى أنقره فى شهر مايو سنة ١٩٢١ ببداية العام الثالث من تاريخ تأسيس قوى الحركة الوطنية فخطب مصطفى كمال خطبة فى هذا الاحتفال قال فيها « انه بعد الذى نالته تركيا أخيرا من الانتصارات الحربية الباهرة وبعد ما ثبت ثبوت اليقين ان فى استطاعة القوة الوطنية التركية ابعاد العدو والغاصب عن الارض التى احتلها غدرا فان تركيا ترفض كل مفاوضة بخصوص أزمير وتراقيا . فاذا أراد اليونانيون أن يعيشوا فى روابطهم معنا عيشة الصلح والسلام فاعليهم الا أن يتخلوا عاجلا عن أزمير وتراقيا لاننا مصممون أشد التصميم على أن نحافظ على حقوقنا بأسنة رماحنا وأن نؤيدها بحق النصر المبين »

نداء مصطفى كمال

الى العالم المتتمدين

وقد ارتكب اليونانيون أثناء تقهرهم فى معارك اين أونودولوبينار فظائم كثيرة تقشع منها الأبدان شهد بها كثير من المراسلين والكتاب الغربيين المنصفين وسجلوها فى رسائلهم وصمة فى جبين اليونان . فنشر مصطفى كمال المنشور الآتى الى العالم المتتمدين احتجاجا على هذه الفظائم

« ان الجيش اليونانى من يوم احتلاله ازمر ما تفك يهدم ويخرب كل قسم يدخله من أقسام البلاد كأنما هو سبيل ماحق . وقد اقترف انواع المظالم ضد الالهالى الاتراك وداس جميع الحقوق الانسانية والعهود الحربية تحت تدميه فأغمد رماحه فى عيون الاسرى الذين وقعوا فى يديه على خط الحرب وقتل الرجال والنساء من بنى الاتراك غير المحاربين قسلا عاما كما أنه اغار على جميع ما يملكون من أموال وأشياء وحيوانات ونهبها منهم ثم حملها معه عند تهنقه ثم انه بغى على أعراض النساء وأحرق كثيرا من قرانا ومدننا وضياعنا وهدم ضريح الغازى أرطغرل خان بالديناميت وهو الضريح الذى يعزه الاتراك كثيرا لانه من أهم الآثار التاريخية . وسترون من الاوراق المرفقة بهذا ما تمكنا من جمعه من هذه الجنايات مع الدلائل التى نثبتها . ولا ريب ان هذه الجنايات الفظيعة من شأنها أن تلوث جيش الانسانية الحاضرة كما أنها تضاعف همة الركنى وعزمته فى الدفاع عن بلاده . وأن المنظر الذى يتجلى به ما أنقذناه أخيرا من البلاد من أيدي الاعداء لمن أشد المناظر ايلاما حتى أن الفجائع التى اقترت لجنة التحقيق الدولية وقوعها فى مبادئ احتلال ازمر عارية عن الاهمية بجانب ما اقترفته اليونان اخيرا . ولهذا فانى اعرض على العالم المتمدين جميعه هذه الفجائع باسم المجلس الوطنى التركى واحتج لدى العالم بأسره على وقوع أمثال هذه المظالم أزاء أمتنا التى تقوم بأقدس الواجبات من دفاع عن بلادها وذود عن استقلالها »

استقالة بكر سامى بك واستعفاء الوزارة

لما وصل بكر سامى بك الى انقره عرض على المجلس الوطنى الكبير (الجمعية الوطنية) الاتفاقيين الفرنسى والايطالى فعقد المجلس جلسة تاريخية فى ١٠ مايو سنة ١٩٢١ وتباحث فى شأنهما وأبدى اعتراضات كثيرة عليهما ولم يقتنع ببيانات بكر سامى بك ورفض التصديق على الاتفاقيين كما هما فاستقال بكر سامى بك بو تولى فوزى باشا رئيس الوزراء وناظر الدفع الوطنى نظارة الخارجية بدله . وفى الاسبوع الذى تلا هذه الحوادث اشتغل المجلس بانتقاد الادارة المالية وظهر خلاف بين لجنة الشؤون المالية والوزارة فى مسألة الميزانية ولما اصرت الحكومة على الدفاع عن رأيها ازاء المجلس الذى كان يدقق فى صرف كل درهم من الميزانية

البالغة واحدا وثمانين مليون جنيه عثمانى فقد استقالت الوزارة . وكان لاستقالتها عقب استقالة بكر سامى اثر سبىء فى محافل الاستانة وأشاع المرجفون ان الحكومة الوطنية تنبذ كل سياسة معقولة وان الاهواء والتجزبات تنماز عها ولكن الوزارة أعيد تأليفها برأسة فوزى باشا ولم يتغير من أعضائها سوى وزير الخارجية والمالية والحقانية واختير للخارجية يوسف كمال بك بدلا من بكر سامى بك الذى ظل مع ذلك من اكبر زعماء الحركة التركية ومن اطولهم باعاً فى المفاوضات السياسية . وجاء تأليف الوزارة الجديدة نكذيباً لاشاعات المرجفين ودليلا على ان سياسة انقرة لم تتغير

خطبه رئيس الوزراء

وقد القى فوزى باشا رئيس الوزراء فى اوائل يونيو سنة ١٩٢١ خطبة بالمجلس الوطنى الكبير تبين سياسة الحكومة الوطنية وانها لم تتبدل فى خطبها العامة قال :

« لم يتبدل شئ ما فى قواعد سياستنا الداخلية والخارجية . وان المراحل التى قطعناها منذ توصلنا بمجهدنا الوطنى والنتائج التى حصناها عليها فى الداخل والخارج لتسجعنا على الاستمرار فى طريقنا حتى النهاية . وسنستمر فى هذا الجهد الى أن يتقبل العالم ميثاقنا الوطنى الذى يحفظ لنا استقلالنا السياسى والاقتصادى والوطنى والعامى وفاق الدساتير التى وضعها المجلس الوطنى فى داخل حدودنا الوطنية ، كعهد دولى . لقد تنجى بعض اعدائنا عن معاداتنا معاداة فعلية لكن البعض الآخر لم يياس نمام اليأس رغماً مما أصابه من الخذلان مراراً . فلا يفتأ هؤلاء يجربون حفظهم رغماً من سقوط الاساحة التى استعملوها ضدنا واحداً اثر واحد لكننا نرى بعين ايماننا الراسخ ان اليوم الذى ينجلي فيه آخر جندى من اعدائنا عن بلادنا وديار اجدادنا ليس بعيداً . اننا لم نرض ان نقضى ذرة من حقوقنا الوطنية فى أشد أيام ادبارنا وهزيمتنا . ولم يحل الفتور فى قاب امتنا النبيلة قط وكيف يحل فى قابها الفتور وهى الامة التى رأت أياماً من أمجد الايام وحفظت لنفسها بجدها ودهانها مقاماً تاريخيا جليلا فى التاريخ العام . وها نحن أولاء لانطالب اليوم بشئ جديد اذ بتوالى انتصار اسلحتنا الظفيرة . اننا كما لم نرفض بالامس صلحا

يمنح أمم العالم حق الحياة والاستقلال كذلك لا يرفضه اليوم ولا يرفضه غدا .
اننا سنحصر جميع قوانا المادية والمعنوية في سبيل الوصول الى غايتنا . ولا نزال
نأمل من العالم المدني الذي يرفع صوته أحيانا في مصاحبة الامم المظلومة ألا
يستمر ساكنا حتى النهاية ازاء سياسة التدمير والتقتيل التي يتبعها اليونانيون فيما
يحتلونه من بلادنا منذ عامين والى زداد شدة كلما مرت الايام . وهانحن أولاء
ننتظر الحكم الانساني الذي يصدر من وجدان الامم المتمدينة ازاء التوحش الذي
ارتكبه اليونانيون من احراق جميع القرى والمدن التي صادفوها على أثر هزائم
(اين اونو) و (دوه لوبينار) : لقد تحولت ولايتنا الغربية الاناضولية وهي
أرقى وأجل بلادنا الى خرابة عظيمة مغطاة بسيل من الدماء . وانا لانتظر خلاص
هذه البلاد المسكينة بواسطة أساحتنا وبالنصر المتعلق بمقوتها قبل كل شيء .

أما سياستنا الخارجية فاقسم الخاص بالشرق منها قد تكامل تكاملا ساراً
بمعاهدة المودة الى عقدناها مع روسيا . ونحن على وشك أن نرسل سفراءنا
الى الحكومة الافغانية، أختنا الصديقة وسنقدم للمجاس المحترم ماعقدناه من
المعاهدات مع روسيا والافان وكذلك نسعى لتأسيس العلاقات السياسية
مع أختنا وجارتنا ايران كما اننا نأمل ان نعقد العلاقات مع ايطاليا وفرنسا من
جديد في دائرة مطالبنا الوطنية

أما في السياسة الداخلية فان أمتين دعامة نستند عليهما هو ماظهرته أمتنا من
الرشد . وان أمتنا اليوم لاقوى منها في أى وقت بفضل هذا الرشد وما كونه
من الاتحاد . ان امتداد اجل جهادنا يحملنا تضحيات جديدة . ولا ريب ان الامة
التي لم تتأخر حتى الآن عن بذل دمها ومالها في سبيل خلاصها أو استقلالها تتقبل
تفدية كل شيء توصلا للنتيجة

وانى لا ذكر شهامة جنودنا البواسل الذين فازوا بانتصارات باهرة في الشرق
والغرب فان شهاتهم وتقائهم في سبيل بلادهم أعظم كفيل بخلاصنا وفوزنا
بالاستقلال كما أعرض عليكم أن أحوالنا العمومية تزداد صلاحا كل يوم بفضل
رشد الامة وكياستها وعزمها وإيمانها الراسخ «

فاستعفاء الوزارة واستقالة بكر سامى بك لم يؤثر في العلاقات الودية الى
بدأت توجد بين حكومة انقره وفرنسا وقد بذل الفريقان المساعي لتعديل الاتفاق

تمهيدا لابرامه فسافر الميسو فرنكلن بويون مندوب فرنسا الى أنقره للمفاوضة في الاتفاق وسافر الى أوروبا بكر سامى بك وجلال الدين عارف بك ويوسف بك كمال وزير الخارجية الجديد للوصول الى انجاح الانفاقين الفرنسى والايطالى

دسائس انجلترا

وفي غضون ذلك بدأت انجلترا تتظاهر بميائها الى استئاف تدخل الحلفاء بين اليونان والأتراك وذلك بعد أن نكبت اليونان في المعارك الاخيرة وتبين عجزها عن تنفيذ معاهدة سيفر بالقوة . فاجتمع الورد كرزون وزير الخارجية البريطانية بالميسو بريان رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية في باريس في شهر يونيه سنة ١٩٢١ وكان يحضر اجتماعهما السنيور لونجبارى سفير ايطاليا في باريس لتبليغ نتائج اجتماعهما لكونت سفورزا بروما وقد اسمر الاجتماع عن اتفاق دول الحلفاء على التوسط من جديد بين تركيا واليونان لوقف القتال بينهما ويسوى الخلاف بينهما بالطريقة التي تقرها تلك الدول

والظاهر ان انجلترا بابدائها هذا الاقتراح كانت تخفي حقيقة قصدها وهو مد يد المساعدة الى اليونان سرا لتستأف هجومها المقبل لأز الانجليز لم يتحولوا عن سياستهم القديمة وهى سحق تركيا ووضع العقبات في طريقها حتى يأمنوا على احتلالهم للاستانه والبواغزو تثبيت اقدامهم في تلك الجهات الى ما شاء الله فكانهم ارادوا ان يعيدوا مأساة مصر على ضفاف البو فور فقد نزلوا الى الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لقمع العصيان كما يدعون واعادة النظام ثم طلوا اربعين سنة واحتلالهم باق في مصر بحكم القوة والعدوان

فالانجليز كان بهمهم ان لا تمتد الحركة الوطنية الى الاستانه وان لا ترد نراقيا الشرقية الى تركيا ليكونوا آمنين في عاصمة آل عثمان برا وبحرا وبهمهم أيضا اضعاف مصطفى كمال والحركة الوطنية لان هذه الحركة من شأنها انهاض امم الشرق وتحريك عواطف التضامن بين الأتراك والشعوب التي تن من النير الانجليزى ولا تجد انجلترا اسلحا محارب به الحركة الوطنية خيرا من اليونان تساعدوا وتقويها

وحرصها على قتال الوطنيين الاتراك . لذلك لم يكن افتراح الوساطة الذي قبله الحلفاء سوى خدعة انجليزية جديدة ترتبها التنصل رسمياً من مسؤولية مساعدتها لليونان أو النغير بالاتراك لاجلهم أن اليونان لا تسأنف الحرب ولا تساعد انجلترا في تسليم الاتراك لهذه الخدمة ولولا يقظة زعماء الحركة الوطنية وبعد نظرهم ومهارتهم في ميدان السياسة لوقعوا في هذا الفخ واستكنهم كانوا شديدي الحذر بعيدى النظر فأعدوا اعدوهم نكبة كبرى كما سيجيء في معركة سقاريا ذلك تفصيل :

« عرض الحلفاء رسمياً وساطتهم على اليونان في يونيو وطلبوا منها أن تترك لهم حل المسائل المنازع عليها بينها وبين تركيا والا كان لكل دولة من دولهم حرية التصرف فيما نعمله »

على ان اليونان رفضت وساطة الحلفاء ودلت صيغة رفضها على عزمها الوطيد على استئناف القتال ودل ذلك أيضاً على ان السياسة الانجليزية عامة على تأييد اليونان لانه لولا هذا التأيد لما غمرت اليونان بنفسها في حرب الاناضول وتخرجت الحال في أوروبا من وجهة النظر المعنانية حيث استقالت وزارة جيوليتى في ٢٧ يونيو بسبب الحملة على سياسة السكونت سفورزا فكان ذلك نذيراً بتغيير سياسة العطف الايطالية حيال الاناضول لان سفورزا كان يمثل هذه السياسة بل هو واضع قواعدها والداعى الماصع للحلفاء باتباعها في مؤتمراتهم بهيت وبولون وسبا وباريس ولوندره . والواقع ان السياسة الايطالية في عهد وزارة بونومى الذى خلف جيوليتى كانت أقل عطفاً على الاتراك واكثر ميلاً الى اليونان وظهر هذا التغيير من بعض تصريحات الماركيز دلانورتيا وزير الخارجية الدالة على تقرب ايطاليا من انجلترا في سياستها الشرقية

وفي غضون ذلك كانت الحكومة الانجليزية تحبس نبض حكومة انقره بواسطة الجنرال هارنجتون قائد القوات البريطانية في الاستانة ولكن مشروع المفاوضة فشل في أوائل شهر يوليو فكان ذلك نذيراً ببدء الهجوم اليونانى

الهجوم اليوناني الثالث

بدأ هجوم الجيش اليوناني في ٨ يوليو بعد أن جهزه الانجليز بالمعدات مدة ثلاثة أشهر وتقدم نحو خط اسكى شهر 'وكوتاهيه — أفيون قره حصار فاحتل هذه المدن بعد ان انسحب الاتراك منها وكان مركز الجيش التركي في وقت من الاوقات حرجا وترددت في الاذهان اشاعة قرب سقوط انقره نقلا عن المصادر اليونانية فكان للانباء التي يذيعها اليونانيون في ذلك الحين اسوأ الاثر في نفوس محبي الاتراك وأنصار هذا الشعب المجيد . ولما بدأ الهجوم اليوناني تداولت الجمعية الوطنية في الحالة وقررت اسناد القيادة العامة الى مصطفى كمال باشا لمدة ثلاثة أشهر وخولته ساطة واسعة في تنظيم الدفاع وقد كانت هذه الجلسة من الجلسات التاريخية في الجمعية لان الوطن كان في خطر . والساعة عصبية . على ان الامة التركية قد قاومت الخطر ببسالة فائقة

خطبة مصطفى كمال

وخطب مصطفى كمال في تلك الجلسة لمناسبة اسناد القيادة العامة اليه خطبة رنانة قال فيها

« أيها السادة الرفاق الاعزاء ! أشكركم شكرا جزيلا على تعيينكم اياي للقيام بواجب القيادة العامة فعلا ، وهو الواجب الذي يتجلى ويندمج في الشخصية المعنوية لمجلسكم العالي . وحيث ان هذا التعيين دليل من دلائل ثقة هيئتكم الجليلة فاني أعد هذا التعيين تعظفا قيا منكم على . وستكون أعظم مكافأة أناها في حياتي ان أقابل هذا التعطف بما يابق به ولذلك أرجوكم أن تكونوا على أتم ثقة بأني لا أتردد لحظة واحدة في بذل كل مجهود وتفدية كل حياتي تحقيقا لآمالكم »

« أيها السادة ! لم تتزعزع ثقتي لحظة واحدة في اننا سنتوفق بعناية الله للقضاء على أعدائنا الذين يريدون ان يأسروا هذه الامة المظلومة واني لاعن هذا الاطمئنان ازاء هيئتكم الجليلة وازاء الامة كلها والعالم بأسره . وأنا كبير الامل في اني سأصادف منكم ومن أمتنا العظيمة كل عناية وكل صيانة ، ولهذا فاني من هذه اللحظة أسرع في القيام بواجبات القيادة العامة فعلا »

ثم صعد على منبر الخطابة مبعوث أدرنه شرف بك وهو الرئيس الثاني للجمعية للدفاع عن حقوق الروم ايلي والاناضول فألقى خطابة قال فيها :
« ان العدو الذى يستولى على بلادنا سيضمحل كلما رأى الامة التركية كلها كتلة واحدة . وستأقيه هذه الامة بقوة عزمها وإيمانها فى أفواه البحار . ولا ريب ان عناية الخالق ونصر الله مع الامة التركية التى تدافع عن كتاب الله وكعبته »

ثم وجه النائب خطابه الى مصطفى كمال باشا قائلاً :
« وان الامة قد حملتك هذا الواجب العظيم . قد حملتك علم النصر ، حملتك العلم العثمانى الاحمر لتسير به الى الامام وستوفق بعناية الله وعزم الامة وإيمانها الى انقاذ أولئك الذين بين شرفهم فى ايدى الاعداء فى ازمير وادرنه وباليكسرس ، وهنالك سيكتب اسمك فى التاريخ بأحرف من ذهب »

معركة سقاريا

وقد اشتبك الجيشان التركى واليونانى بالقرب من نهر سقاريا وبدأت معركة سقاريا الشهيرة فى ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢١ وكان اليونانيون ينوون تطويق الجيش التركى ليصبح طريق انقره مفتوحا امامهم وكانت آخر محاولة قام بها اليونانيون لتنفيذ هذه الخطة فى ٥ سبتمبر حيث ارتكزوا بميسرهم على مدينة بولاتلى الواقعة فى شرق سقاريا على السكة الحديد وتبعد نحو ثمانين كيلو عن أنقره وكانت ميمنتهم مرتكزة على جبل تارديج الواقع فى جنوب أنقرة مباشرة والذى يبعد مثل هذه المسافة عن عاصمة الاناضول وكان الجيش التركى واقفا بالمرصاد مستعدا للمعركة الحاسمة على هضبة (كاوتوك) التى تبعد عن مواقع اليونانيين نحو ١٢٠٠ متر وقد انتهت محاولة اليونانيين بالفشل فى هذه المعركة ولم يستطيعوا التغلب على مقاومة الاتراك الذين تحولوا من موقف الدفاع الى موقف الهجوم وكان مصطفى كمال باشا مع أركان حربه فى مدينة (ايستانوس) الواقعة غربى أنقره وعلى أثر هجوم الاتراك باربعة أيام شعر اليونانيون بعجزهم عن الاحتفاظ بمواقفهم وأخذوا يرتدون الى الوراء

وكان القائد عصمت باشا يتولى قيادة المعركة عند ما هجم بقاب الجيش على مواقع اليونانيين في (بولاتلى) يعاونه جيش نور الدين باشا في الميمنة وجيش غالب باشا في الميسرة وقد حاول اليونانيون أن يقفوا على الضفة اليمنى لنهر سقاريا ولكنهم لم يستطيعوا واضطروا للتخلى عنها وعبور النهر حيث فقدوا فيه آلاف عديدة من جنودهم وكانت هذه المعركة هى بدء الكارثة التى انتهت باندحار اليونانيين اندحارا تاما بعد أن استمرت ٢١ يوما

خاتمة مصطفى كمال

بعد معركة سفاريا

عاد مصطفى كمال الى أنفذه بعد أن انتهت معركة سقاريا بنفوز الجيش التركى وكان العالم بأسره ينتظر ماذا يكون موقف الاتراك بعد هذا الانتصار الباهر و ما يقوله القائد العام وما يقرره المجلس الوطنى الكبير فى هذه الآونة التاريخية انعقد المجلس فى ١١ سبتمبر وكان المعروف أن مصطفى كمال باشا سيقاى فى ذلك اليوم خطبة جامعة عن الاحوال الحربية والسياسية فكانت هذه الجلسة تاريخية هرع لها النواب وكبار الموظفين والامراء العسكريين فحضر مصطفى كمال فى الساعة الثالثة الى مكان الاجتماع مرتديا كسوة عسكرية بسيطة وجلس بين الاعضاء فى أواخر الصفوف . ثم أعلن رئيس الجلسة ان الكلام للقائد العام فتقدم مصطفى كمال بين هتاف الحاضرين الى منصة الخطابة وشرع يلقى خطبته بدأ القائد العام خطابه بشرح موقف الدولة العثمانية بعد عقد الهدنة واحتلال اليونان لازمير وما بذاته الامة التركية لتأسيس جيش يقاى هؤلاء المغيرين وما حازه هذا الجيش وهو فى المراحل الاولى من تكوينه من الانتصارات ثم انتقل الى المعارك الاخيرة وشرح أدوار الهجوم اليونانى من ١٣ أغسطس الى ٢ سبتمبر وأخذ يصف العوامل التى أدت الى اضمحلال الهجوم اليونانى ثم انكساره وانتصار الاتراك الحاسم قال :

اضمحلال القوة الهجومية اليونانية

في يوم ٣ سبتمبر التزم العدو السكوت في الجبهة كلها وكان تبعه ظاهراً وقد شعرنا باتخاذ بعض التدابير . إلا أنه في اليوم الرابع من سبتمبر قوى مواضعه الواقعة ازاء قلب الجيش وجناحنا الايمن . وأراد أن يعاود الهجوم من هذه الجبهة . لكن العدو قد طرد من كل جهة بخسائر مدهشة . وقد قرب من الهزيمة أو انهزم فعلاً . بيد انه لجريه وراء الاماني والخيالات لم يرد أن يعترف بالهزيمة . ولهذا قام يوم ٥ سبتمبر بآخر جنوده الاحتياطية التي جمعها بهجمة أخيرة هي هجمة اليأس ولكن لم تتمكن هذه القوات الا من مهاجمة قلب الجيش وقدرت هذا الهجوم بخسائر فادحة . وهناك اضطر العدو الى صرف النظر عن الهجوم في الجبهة كلها وأحس بضرورة التزام خطة الدفاع

لقد قرأت هنا البلاغات التي أذاعها بابولاس وفيها يقول أنه أتم الحرب يوم ٦ سبتمبر وهزم جيوشنا واستقر في شرق نهر سقاريا . والحال أنه لم تتم اذذاك الا الصحيفة الاولى من خطتنا ولم نشرع في الصحيفة الثانية بعد . اذ كانت خطة جيش المجلس الوطني الكبير أن يحارب العدو في المكان الذي ينتخبه وأن يضطره الى الحرب فيضربه ويكسره ثم يرتجم عليه . وقد تم مقصدنا الاول فبدأنا نعمل للحصول على المقصد الثاني .

انكسار العدو

اتضح في يوم ٦ سبتمبر أن العدو لا يستطيع حراكاً . وقد فاجأناه بالهجوم من مركزنا حتى نتهم درجة انكساره . وقد وفقنا في هذا الهجوم . وواصلنا هذه الحركة يوم ٨ سبتمبر فتضاعفت انتصاراتنا وتأكدنا أن العدو قد حان وقت القضاء عليه .

الهجمات التركبية وفرار العدو

فضاعفنا همتنا في التأهب وقد قضينا يوم ٩ سبتمبر نتجهز ثم هاجمنا العدو في الجبهة كلها هجمة عامة وعلى الاخص هاجمنا جناحه الايسر في شرق (بطلك

كويرو). وقد كانت مدة هجومنا هذا قصيرة انما كانت نتائجها كبيرة جدا اذ قد احتل جنودنا المواضع الخطيرة التي لها علاقة بحياة العدو ومماته في الحال. وقد فر العدو من الجبهة بغير انتظام تاركا مدافعه وبنادقه
قرر العدو ان يتقهقر في الحال بعد أن كان قرر أن يستقر هنالك وأن يتأهب للحركات المقبلة. أجبرنا العدو على التقهقر بهذه الضربة وفي الحقيقة ابتداء العدو في التقهقر نحو الغرب بسحب جناحه الايمن يوم ١١ سبتمبر. انما كان الهجوم الذي صوبناه نحوه مؤثرا ما حقا الى درجة أن العدو قد اضطر الى اظهار كل ماله فيه من بسالة وجسارة. وقد قابلنا بالهجوم اذ قوى نفسه بالجنود التي اتي بها من جناحه الايمن حتى نضطر الى التقهقر ولكننا سحقنا هجمة العدو سحقة شديدة يوم ١١ سبتمبر وقد واصلنا الهجوم يوم ١٢ سبتمبر بشدة فاضطر العدو الى ترك أهم المواضع لسيوف جنودنا. ترك العدو (قارتال تبه) و(اش تبه ر) ومواقع (اذربان) التي في جنوبها. وقد تضعضعت قوته مادة ومعنى. وظهر انه لا يفكر الا في القاء نفسه الى غرب سقاريا في حالة مضطربة تحت تأثير تلك الضربة وقد طهرنا يوم ١٣ سبتمبر كل هذه الساحة من العدو وبينما تجرى الحرب في هذا الميدان على هذا النحو هاجمت جنودنا التي في حوالى (آقيون قره حصار) و(دنبار) العدو على خط (عشاق وقره حصار) وخربت الجسور والخطوط الحديدية. وقد تمكنت من اتلاف مواصلات العدو وساعدتنا على الانتصار في حرب الميدان وبينما يتقهقر العدو هاجمت كتائبنا الخفيفة خط رجعته من وراء جناحه الايمن وهزمت الاعداء الذين وقفوا امامهم وقد دخت (سيورى حصار) كما تملدون واقتنمت كثيرا من الغنائم حتى بعض الاشياء الخاصة بالجنرال بابولاس وسأعرض عليكم ما حدث بعد ذلك من يوم ١٣ سبتمبر الى اليوم (١٩ سبتمبر) باختصار

لما رمينا العدو الى غرب سقاريا لم يكن العدو في حالة تمكنه من التقهقر. ولهذا كان مضطرا لجمع شمله أولا ثم السير. من أجل احتل ممرات النهر وعمل على جمع شمله وراه فقابلناه باحتلال شواطئ النهر وقطع خط رجعته من خارج جناحه الشمالى والجنوبى. وقد وقفنا في حركتنا هذه ونحن نستمر فيها بكل توفيق. وكم كنت أود أن يطيل العدو اقامته هنا الا انه يظهر أنه قد لحظ المخاطر التي تهدده ولهذا صرف النظر عن الدفاع عن النهر وشرع يتقهقر بسرعة نحو الغرب

والحالة الحربية الآن (أى يوم ١٩ سبتمبر) كما يأتى: يجتمع العدو بين (منجبالجق وسيورى حصار) فى ماتقى الخطوط الحديدية على الأكثر. وقد عبرت قواتنا النهر من كل جهة واقتربت من خط (منجبالجق-سيورى حصار) وإن قسمنا من قواتنا المطاردة موجودة فى جوار (حميدية ومحمودية وغرب اورن) أى أنها فى الشمال الشرقى لسيدى غازى وجنوب آنى كوى وقد احتلت قواتنا المطاردة الأخرى قارتال قبه ونسير نحو آنى. فوقف العدو ليس من شأنه ان يسره

واذا ما أردتم أن أخلص لكم هذه المعلومات المتفرعة أقول: كان يريد العدو ان يحيط جناحنا الايسر ليحصل على نتيجة سريعة ماحقة. وقد خيبتنا العدو فى هذه الحركة وهزمناه هزيمة كبرى ثم اراد العدو ان يفتقر مركزنا فلم يتوفق الى هذا ايضا. ثم قرر ان يثبت فى مكانه بالتزام خطة الدفاع فمنعناه عن ذلك بمبادرته بالهجوم. وعلى هذه الصورة فاز جيشنا فى حرب سقاريا التى استمرت واحدا وعشرين يوما بلباليها

حرب سقاريا فى التاريخ الحربى

أيها السادة: ان حرب الميدان التى انتصر فيها جيش المجلس الوطنى الكبير فى سقاريا حرب عظيمة جداً. بل هى حرب قد لا يكون لها شبيه فى تاريخ الحرب. تعلمون ان حرب (موكدن) التى تعد من أكبر حروب الميدان لم تستمر واحدا وعشرين يوما. ولهذا فانى أهنى هيئتكم الجالبة على انتصار جيشنا فى هذه الحرب التى ستكون مثالا فى التاريخ الحربى

الفواد العثمانيون والجنود أجمعون

وانى لارى أن من الواجبات الوجدانية أن أذكر الرجال الذين كانوا عوامل هذا النصر الباهر بكل احترام وتقدير. فان ما أداه رئيس أركان حربنا العمومية فوزى باشا من الخدم خلال هذه الحرب لجدير بأعظم ثناء. فلقد حضر هذا الرجل الجليل القدر المحترم فى كل نقطة من ميدان الحرب ليلا ونهارا وبلغ تدبيره الناصبة القيمة الى مرؤوسيه فى كل محل وبذل نصائحه السارة المؤيدة للقوة المعنوية على الدوام فخدماته تستحق كل استحسان وتوقير

وان عصمت باشا قائد الجبهة الغربية قد استوعب بذكائه الماضى وعزوه
الثابت وإيمانه الراسخ وجده ليلاً ونهاراً جميع الحركات الحربية حتى اصغر نقطتها
وقد أدار جيشه احسن ادارة ووصل به الى هذا النصر الباهر كما ان جميع قواد
الفيالق والفرق والكتائب قد سبقوا بعضهم بعضاً فى التضحية والبطولة والمهارة
ولعمر الله انى لأجد كلعة أصف بها ما أثر ضباطنا انما اكتفى بأن اقول ان
هذه الحرب كانت حرب ضباط . وانى لا ذكر جميع اخوانى الضباط حتى أصغرهم
رتبة بكل قلبى ووجدانى ذكراً مكلاً بكل تمجيد

أما جنودنا الآسـاد ففوق كل مدح وثناء . ولا غرو فان أبناء هذه الامة
لا يمكن الا أن يكونوا كذلك ولا يمكننى أن أجد مثلاً أصف به شهامة أبناء
بلادنا وإسـانهم . انما أريد أن أزيد شيئاً آخر فى وصف جنودنا وهو انهم قد
أدركوا معنى حرب الاناضول تمام الادراك وحاربوا لغاية جديدة

ايها السادة . ان أمة لها هؤلاء الابناء وتلك الجيوش المؤلفة من هؤلاء
الابناء لابد أن توفق الى المحافظة على استقلالها وحياتها أم توفيق . وما محاولة
اغتصاب استقلال هذه الامة الا اشتغال بالخيال
أيها السادة ان ناظر الدفاع الوطنى رأفت باشا قد أمد الجيش بكل ما يازمه
وما لا يلزمه وكان ذلك فى الوقت المناسب بكل توفيق وهذا من أهم عوامل
الانتصار ولهذا فانى أقدم اليه الشكر

الموقف السياسى ومطالب الاناضول

« نحن لانطالب الا أن نعيش فى داخل حدود الوطنىة أحراراً مستقايين
نطلب من أوروبا أن تتعدى على حقوقنا . لقد تحملنا حزاء انزام دول الوسط
فى الحرب العامة أن تنزل عن حقوق سيادتنا فى ممالك واسعة كالعراق وسوريا
للشعوب التى تسكن تلك البلاد . وقد تركنا لهذه الشعوب ان تنتخب الادارة التى
تريدها وأن تعين مصيرها كما تشاء . لم يسلم من أى دولة مغلوبه بلاد واسعة
كانت أخذت منا . وكل ما نتمهم به ادارتنا لساخ تلك البلاد مناصها . الاتهم
لا تمتد على أساس . ان هى الا أسباب ظاهرة لا غير . كذلك كل ما يشاع من
أن حكومتنا وأمتنا نسيء معاملـة العناصر المسيحية مغاير للحقيقة . فان تقاليدنا

القومية ومعتقداتنا الدينية تحتم علينا معاملة العناصر المسيحية معاملة عادلة .
وأعظم دليل على اننا نعامل العناصر المسيحية اعدل معاملة ان المسيحيين حتى
في أصغر بلد من بلادنا في أى قرية من قرانا أكثر رفاهية وأعظم ثروة وأحسن
حالا من المسلمين . فلو كانوا يعاملون معاملة جائرة لما كانوا اليوم على هذا الحال
لهذا فاني لأرى حاجة الى الاتيان بدليل آخر يثبت ذلك . انما لا بد لنا ان
نحول دون من يكفر بنعمة البلاد عليه من هذه العناصر فيسعى لاضرار حياتنا
الوطنية وفسادها . وایس لاحد ان يخطيء حكومة المجلس الوطنى الكبير من
جاء ذلك . اذ من المعلوم ان أكبر الامم واقواها وأمدنها نتخذ اراء امثال
هذه الأحوال من التدابير الزجرية ما هو شديد جداً بالنسبة للتدابير التى نتخذها
انما يجدر بالعالم أجمع ان يعلم ان رعايانا الوادعين المطيعين والكون لجميع حقوقهم
القديمة . كذلك جميع ما ينشول به علينا أعداؤنا من المقولات الاخرى لا أصل
له . هؤلاء اليونانيون يقولون ان الاكثرية للاروام في البلاد التى احتلوها
مغتصبين ، والحال ان الحقيقة نفاض ذلك تمام المناقضة . وذلك أمر تؤيده جميع
الاحصائيات التى نظمها المجاهدون كما أنه أمر قد أيدته تقارير اللجان الدولية
وقد نقبل مندوبونا في مؤتمر لندن ما اقترح عليهم من اجراء التحقيقات فى
المناطق الحربية فى حين رفض اليونانيون اجراء تلك التحقيقات . لانه لا مشاحة
فى ان نتيجة التحقيقات ستؤيد ما نقوله . وقد أراد اليونانيون على اثر ذلك ان
زهقوا الحق بالقوة لكن الله قد أيدنا بعونه أيها السادة . وقد ولى الجيش
اليونانى الادبار أراء جيش المجلس الوطنى الكبير ولا ريب اننا لا نترك أساجتما
الا بعد أن نحصل على حقوقنا . انما يجب الا يظن من ذلك اننا قوم متطرفون
يريدون الحرب والضرب . كلا . فان مثل ذلك الظن اثم . ونحن على نقيض ذلك
نريد أن نبرم الصلح مع كل أحد . أجل أيها السادة ، اننا قد توسلنا بكل وسيلة
حتى نفوز بحقوقنا فوزا ساهيا ولم نقصر مقدار ذرة فى هذا السبيل . لكنهم قد
كتموا عن العالم المدنى حسن نيتنا وحقيقة مطالبنا ثم قابلونا بمعاملة لا تعامل بها
الا الامم المتوحشة وبتهديدات لا يصح أن يهدد بها الاطفال .
أيها السادة . يجدر بالعالم المدنى جميعه أن يعلم حق العلم ان الشعب التركى
والمجلس الوطنى التركى الكبير وحكومته لا يرضون بأن يعاملوا معاملة العبيد .

بل أنهم مصريون على أن يعترف بحقوقهم في الحياة وحريتهم واستقلالهم .
هذه قضيتنا مخصصة . وانا لسنا ميالين للحرب . بل نحن طلاب سلام وجل
مبتغانا أنت نرى توطد السلام . وان نعمل على توطيده . نحن أصدقاء روسيا
لان الروس كانوا أول من اعترف بحقوقنا الوطنية وأول من عمل على رعايتها
ويتسنى للروسيا أن تعتمد على صداقة تركيا اليوم وغدا مادامت تراعى هذا الشرط .
وكذلك اذا أقرت الدول المتحالفة بحق حياتنا واستقلالنا فلا يبقى بيننا وبينها
أى سبب للخلاف . بل يتأسس السلام وتتوطد العلاقات بيننا في الحال

« واني لاصرح من هذا المقام بصفتي رئيس هيئتكم الجليلة الجامعة للقوة
التشريعية والتنفيذية حتى تتضح وجهتنا الحقيقية الصريحة تمام الوضوح ، انا
لانطاب الحرب بل نطلب الصالح ونحن مستعدون لآبراه . وليس هناك لدينا أى
سبب يحول دون عقد الصالح . اذا كانوا يظنون ان الجيش اليونانى سيتمكن من
ان يجعنا نصره النظر عن قضيتنا المشروعة فذلك من المستحيل . ويكفى النظر
الى الوقائع لاثبات بطلان هذه النظرية . لقد قال لويد جورج فى تصريحاته فى مجلس
العموم يوم ١٦ اغسطس أنه ينبغي معاملة البلاد التى تحارب حربا محفوفة بالتوفيق
معاملة صالحة . وقد أحرزت تركيا هذا التوفيق وفازت بالانتصار . لهذا فانى
أمل ان لا يتحول المستر لويد جورج عن كلمته . بيد أن من الطبيعى ان نعصم
بأساحتنا للدفاع عن حياتنا والمحافظة عايتها ازاء من يتبعون نظرية محققنا من
الوجود . اذ ليس ثمة حركة طبيعية مشروعة كحركتنا الوطنية

أيها السادة : اننى الآن اعرض عليكم آخر المعلومات وآخر كلمة عن حركاتنا
الحربية قائلًا . ان الجيش الوطنى سيواصل هجومه ومطاردته وضغطه على العدو
حتى لا يترك فردا واحدا منه فى داخل البلاد

قرار المجلس الوطنى

وقد قوبلت هذه الخطبة بحماسة عظيمة وقرر المجلس الوطنى السكبير شكر
الجيش ومنح مصطفى كمال رتبة (المشيرية) ولقب (الغازى) وقد هنأه الجيش
باسان عصمت باشا قائد الجبهة الغربية وهنأه كذلك سفير الافغان والامام
السوسى وغيرهم من العظماء

المساعي والجهود السياسية

ان الحركة الوطنية في الاناضول قد اعتمدت من جهة على تنظيم الجهاد الوطنى فى الداخل ومن جهة اخرى على مساعى رجالها السياسيين فى الخارج وجهودهم فى سبيل كسب صداقة الامم فى الشرق والغرب وكانت انتصارات الاتراك فى ميادين القتال تؤيدهم فى مسعاهم السياسى لأن الامة التركية رهنت على أنها جديرة بكسب صداقة الدول والشعوب فبينما كانت بكر سامى بك يفاوض فى لوندرد وباريس ورومانى سبيل عقد الاتفاقات مع فرنسا وايطاليا كان يوسف كمال بك فى موسكو يعمل على توثيق الروابط وعقد المعاهدات مع روسيا والافغان وقد كانت نتيجة المساعى السياسية فى الشرق اسبق الى الظهور من المساعى فى الغرب ولا غرو فالتفاهم بين الاتراك والدول الشرقية أقرب منالا من تفاهمهم واتفاهمهم مع دول الحلفاء على أنهم ساروا فى طريق النجاح فى الجهتين كما يتبين ذلك من عرض ساسلة الاتفاقات والمعاهدات التى توصلوا الى ابرامها

المعاهدة التركية الروسية

فقد أسفرت مفاوضات يوسف كمال بك ورضا نور بك وعلى فؤاد باشا فى روسيا عن عقد المعاهدة التركية والروسية فى موسكو يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١ وهى من اهم المعاهدات السياسية العصرية ننقل هنا نصها لاهميتها « ان حكومة المجلس الوطنى التركى الكبير والجمهورية الروسية السوفيتية الاشتراكية المتحدة وهما الحكومتان المتحدتان على قاعدة تأسيس المودة بين الامم وتعيين كل أمة مصيرها بنفسها قد قررتا عقد معاهدة صداقة واءاء بينهما ادامة لتعاضدهما فى مكافحة لامير يالزم (أى الفكرة الاستعمارية) وتدعيا لعلاقتهما الودية لان المشاكل التى نتمرض لها احدهما تبعث على وقوع الاخرى فى تلك المشاكل أيضا : وقد عينت تركيا ناظر الاقتصاد الوطنى يوسف كمال بك وناظر المعارف رضا نور بك والسفير على فؤاد باشا وعينت الحكومة السوفيتية الروسية المسيو تشيشيرين وجلال قارقومازوف من أعضاء اللجنة التنفيذية المركزية مفوضين

لهم الساطة الكاملة لتحقيق هذه الأمانة . فقرر هؤلاء المندوبون بمدتديق
اعتادهم المواد الآتية :

المادة الأولى - يقبل كل من الطرفين المتعاقدين رفض كل معاهدة دولية
أو معاهدة صاحبة من أى نوع يجبر الطرف الآخر على قبولها كرها . ولا تقبل
الحكومة الجمهورية السوفيتية جميع المعاهدات الدولية الخاصة بتركيا والى لم
تتقبها ولم تصدق عليها الحكومة التركية التى عنها الجراس الوطنى التركى الكبير .
وعموما الأتراك الذين يسكنون البلاد المعينة فى (الميثاق الوطنى) الذى وضعه
مجلس المبعوثين الثماني خلال اجتماعه بالاسنانة يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ والذى
أبلغ الى الدول جبهة وأعان فى الصحف داخلون فى الأمة التركية . وتبدأ الحدود
التركية الشرقية والشمالية من (صارب صولى) الواقعة على البحر الاسود وعمر من
جبل (كديس) ثم تسير على جبل (شانتة) حتى جبل (فاني) وتمر من الحدود
الملكية تقارص واردهان ثم تمر من السطوح المائية (لاياياحاي) و(آارات)
وتسير على مصب (قاراصو) وتراجع الحظر الماحقة بهذا التفصيلات مسائل الحدود
المادة الثانية - رضى تركيا بترك السيادة على باطوم والاراضى النى فى شمال
الحدود المذكورة فى المادة الاولى الى حكومة الكرج بان شروط الآتية :

أولا - منح الاهالى الذين يسكنون الاراضى المبينة فى هذه المادة استقلالا
داخليا يحفظ الحقوق الدينية لكل جماعة ويضمن لها القيام بالاصلاحات الزراعية
وفق رغباتها

ثانيا - يكون لتركيا الحرية فى نقل بضائعها من نغر باطوم بحيث تكون
معفاة من رسوم الكمارك ورسوم الثغر جميعها

المادة الثالثة - يتقبل الطرفان أن تكون لنهجوان (على الحدود الايرانية)
ادارة مستقلة تحت حماية اذربيجان فى دائرة الحدود الموضحة بالخرائط المرفقة
بهذه المعاهدة ولا نحال حماية هذه الادارة الى اية دولة أخرى

المادة الرابعة - يتقبل الطرفان اعتبار الأمم الشرقية متمثلة فى حركاتها الوطنية
الرامية الى التحرير واعتبار اتحاد العمال الروسين من التشكيلات الاجتماعية الجديدة

ولهذا يسمان بحقوق حرية تلك الامم واستقلالها وفتح البواغيز لتجارة جميع الامم . ويعرض الطرفان المتعاقدان التعليمات الدولية الخاصة بالبواغيز والتي لانفس السيادة التركية وأمان الاستانة على هيئة مؤلفة من دول البحر الاسود

المادة الخامسة — الطرفان المتعاقدان متفقان في أن يعدا جميع الاتفاقات والمعاهدات التي عقدت بينهما من قبل بحيث لا توافق منافعهما المتبادلة كأنها لم تكن . والحكومة السوفيتية الروسية تعد جميع المعاهدات المالية التي تبادلها تركيا مع الحكومة القيصرية الروسية لاجية

المادة السادسة — حيث ان الحكومة الجمهورية السوفيتية ترى ان الامتيازات الاحتكارية لا تنفق وما ينبغي أن تحوزه كل حكومة من الحرية في كيانها كما انها تعارض تطبيق حقوق السيادة فانها تعد جميع المعاملات والحقوق المستندة على الامتيازات الاجنبية في تركيا ماغاة

المادة السابعة — يتعهد الطرفان المتعاقدان بالاسمحة للتشكيلات التي تدعى أنها تقوم بوظائف حكومة أخرى والتي ترمى الى محاربة احدهما أن تتأسس أو تقيم في داخل أراضيها . وتتعهد تركيا والروسيا تعهداً متبادلاً برعاية هذه المادة فيما يختص بالحكومات السوفيتية وقافقاسيا

المادة الثامنة — يتعهد الطرفان بتأسيس الخطوط الحديدية والتاغرافية في أسرع مدة تأمينا لاستمرار العلاقات وضمانا لحرية تبادل الاشخاص والاشياء ولكن الصادرات والواردات تكون تابعة للاصول والقواعد التي تعينها حكومة كل من الطرفين

المادة التاسعة — اذا اقام رعايا دولة من الدولتين المتعاقبتين في الدولة الاخرى فيكونون حاضعين لقوانين البلاد وتكليفاتها وانما تدون حقوق رعايا كل من الدولتين والمسائل الخاصة بالخدمة العسكرية والحقوق العائلية والوراثة في اتفاقية خاصة يعمل بها عند اقامة رعايا دولة في دائرة حدود الدولة الاخرى

المادة العاشرة — يعامل كل من العارفين رعايا الطرف الاخر عند سياحتهم في بلاده بصفتهم من افراد أمة متمتعة بأقصى حدود الامتياز بين الأمم . ولا يسري مفعول هذه المادة على نعمة الحكومات السوفيتية المتفقة مع الحكومة الجمهورية السوفيتية الروسية ولا على الحكومات الاسلامية المتفقة مع تركيا

المادة الحادية عشرة - أهالى الاراضى التى كانت للروسيا قبل سنة ١٩١٨ يمكنهم أن يغادروا تركيا بكل حرية . وهذه المادة تنطبق على أهالى باطوم التى تركت للكرج

المادة الثانية عشرة - تتعهد روسيا بارسال جميع الأسرى العثمانيين من ماسكيين وعسكريين على تفقة الحكومة الروسية فى ظرف ستة أشهر على الأقل حتى حدود الروسيا و قافقاسيا . وتتعد تركيا بتطبيق هذه المادة بعينها ازاء الماسكيين من الروس . وتوضع بين الدولتين اتفاقية توضح فيها تفصيلات ارسال هؤلاء الأسرى

المادة الثالثة عشرة - يعقد الطرفان الاتفاقات الخاصة بتأسيس القنصليات والعلاقات الاقتصادية والمالية فى أقصر مدة تقوية للعلاقات المذكورة فى مقدمة هذه المعاهدة

المادة الرابعة عشرة - تتعهد الحكومة الروسية بجعل الجمهوريات القافقاسية تراعى أحكام المعاهدات التى عقدت بين تركيا والجمهوريات القافقاسية ورعاية مواد هذه المعاهدة التركية الروسية

المادة الخامسة عشرة - تعرض هذه المعاهدة ليصدق عليها . ويتبادل الطرفان الصور المصدق عليها فى (قارص) ويبدأ فى رعاية احكام هذه المعاهدة من هذا التاريخ الا المادة الثانية عشرة

وقد حررت من هذه المعاهدة صورتان فى مدينة موسكو يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١ ووقع عليها المندوبون السانقوالذكر الحائزون للصفات الكاملة لابرامها الامضاءات

تشيشرين . جلال فارقومازوف . يوسف كمال . رضا نور . على فؤاد «
ولا شك ان هذه المعاهدة تعد من اهم الوثائق السياسية فى التاريخ الحديث لانها الفت بين الدولتين المتعاديتين من قديم الزمان واذا كان من المجازفة التنبؤ بجميع النتائج المحتملة لهذه المعاهدة فما لاجدال فيه أن المسألة الشرقية دخت بعدها فى دور جديد لان أوروبا لم يعد لها تلك السيطرة القديمة فى الشؤون الشرقية بل أخذ الشرق يستقل شيئاً فشيئاً بتقرير مصيره والدولة الروسية هى الآن أقرب أن تكون دولة شرقية فهذا الطور الجديد من شأنه أن يبعد تأثير أوروبا واتفاقاتها ومؤثراتها عن حل كثير من المسائل الشرقية وقد اتفقت الدولتان المتعاهدتان

على احترام استقلال الأمم الشرقية جميعها وهذا من أهم أحكام المعاهدة . ثم ان هذه المعاهدة تدل على ان تركيا لم تنهج سبيل البلشفية بل تعاقدت مع روسيا تعاقدًا سياسيًا لا دخل له في الأنظمة الاجتماعية والواقع ان الأناضول قد احتفظ بصبغته السياسية والاجتماعية ولم يكن للمذاهب البلشفية أى أثر فيه . وقد نجات معاني العلاقة الجديدة بين الدولتين في حفلة استقبال سفير روسيا السوفيتية الجديد في انقره « الماسيو ناجارنيوس » وتبادل الخطب بينه وبين مصطفى كمال باشا . ففي ٢٧ يونيو سنة ١٩٢١ قدم السفير المذكور الى رئيس المجلس الوطنى الكبير أوراق اعتماد وقعا عليها من « لينين » رئيس الجمهورية الروسية وتشيشيرين وزير الخارجية والقي بين يدي مصطفى كمال باشا خطبة اعرب فيها عن شعور روسيا وعواطفها الودية نحو تركيا فرد عليها مصطفى كمال باشا بالخطبة الآتية :

خطبة مصطفى كمال باشا

« يا جناب السفير

أشكركم على الكلمات الودية التى نطقتم بها نحو الامة التركية ومحوى . وانى لسعيد اذ أحييكم واحيى في شخصكم روسيا الصديقة . ان المنازعات الحالية ما اخذت شكلا مدمرا قاسيا الا لأن الدول الاستعمارية تبتغى ان تأسر الامم التى تكفى بالدفاع المشروع عن ديارها ولهذا فانها تظلمها وتضغط عاها . فن الطبعى ان تتمق الامم الساعية لوقاية حق حياها واستقلالها من هذه القوات المستعمرة . وانا لنتمنى ان يظل هذا الاتفاق الذى بيننا فى الغد كما هو اليوم كفيلا بمنهاضة الافكار التى ترمى للفتح والاستيلاء . قد تشبث امتنا باهداب الدفاع المشروع اذ الفت حق حياها واستقلالها مهددا . والاسباب التى أدت الى هذه النهضة وهذا الدفاع قد أدت كذلك الى هذه الصداقة التى تنظر اليها امتنا بكل سرور . ولا ريب ان هذا المثال الذى ينشأ من تكاتف الاملتين التركية والروسية فى محاربة الظلم والاعتداء سيكون عبرة منبهة للامم المظلومة جمعا . أما القواعد التى تقبها الامة الروسية من الغاء المعاهدات التى يتكون منها ميراث الحكومة القيصرية الدموى وقبول ادارة الامم نفسها بنفسها وتأسيس حكومات

حرة مكان المستعمرات ، وعقد المعاهدات المبنية على تساوى الامم بدلا من
العهود العتيقة المستندة على الشدة والاكراه ، فلها من القواعد التى تقدرها
امتنا أعظم تقدير . وكلما ارتقت روسيا فى تطبيق هذه القواعد تضاعفت قيمة
الحكومة السوفيتية الروسية وزادت أهميتها

كذلك قد الفت امتنا جميع العهود والقيود الى ثقل اسنقلها وعينت
القواعد السياسية الحالية الى تضمن حا كميته التامة . كما أنها قد نقبات أمر
ادارة الامم نفسها بنفسها كشعار خاص ، وراعت مقتضياته بكل اخلاص

ولعمري ان انصراف الامة الروسية عن غايات القيصرية وقيام الامة التركية
لتحطيم الاغلال التى تقيد اسنقلها لمن الحوادث التى كان بينها من حسن التاكف
ما تولدت منه المودة الحالية المتأسسة بين الامتين . اما معاهدة موسكو المعقدة
فى يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١ فسكا هى مجردة من جميع الميول التى كانت تشعر
بها القيصرية الروسية والنبلاء الروسون كذلك هى سند سيمهد سبيل التعارف
بين الامة الروسية والامة التركية التى تسعى لتحقيق مبادئها الوطنية والفوز
باستقلالها التام ، على حقيقةها

أجل ، ان هذه المعاهدة الى تعترف بها الامنان كل منهما بالآخرى وبغاياتها
الجديدة والتى تكون من جراء ذلك سببا فى تحكيم اواصر المودة المتينة لذات
قيمة عظمى فى نظرنا

انى لا ذكر كل ما صادفته الامة الروسية والامة التركية من انواع العناء الى
اليوم . كما انى اقدر ما ضحت به هاتان الامنان فى سبيل النجاة من هذا العناء والاحظ
ما يحتمل ان تصادفاه بعد اليوم من المشا لل . لكننى اتلى يقين تام من ان أمننا
ستوفق الى اقتحام هذه المشا كل جميعها بصلاية ايمانها ورسوخ عزيمتها . لقد كانت
القيود التى غات بها الدولة العثمانية من الاسباب المؤدية الى انبمطاطها شيئا فشيئا .
وقد اريد غلنا بهذه الاغلال باسم (سيفر) التى تسكاد تقضى علينا بالاعدام .
ولكن الامة التركية مقتنعة بانها ما نزلت بها هذه المصائب المتتابعة الا لأنها

غير متصرفة في شؤونها وان السعى في تطبيق معاهدة (سيفر) ناجم من السبب عينه ولهذا فقد نهضت واست حكومة مدعمة على سلطة الشعب وتسدت أمورهما بيدها وستظل على هذه الحال وهذه الادارة تنطبق تمام الانطباق على احوال بلادنا وحاجياتها الوطنية والاجتماعية . واني لاشكركم على ما تظهرونه من الثقة بفوزنا بحقوقنا المشروعة جميعها كما أرجو أن تتفوقوا في وظيفتكم الى تقوية روابط المودة بين المملكتين وتنجحوا نجاحا باهرا وثقوا تمام الثقة اني سأعاونكم بكل ما في يدي لتنالوا التوفيق »

ولا شك ان هذه الخطة توضح حقيقة العلاقات بين روسيا والافغان وناضول بأجلى بيان وتكذب ما اذاعه اعداء الامة التركية من انها اسلمت زمام امرها للبولشفيك وتدل على الاخص على ان الامة التركية لاتتأخر عن ان تصافح أى أمة تعترف لها باستقلالها

المعاهدة التركية الافغانية

وقد وفقت الحكومة الوطنية ايضا الى عقد معاهدة سياسية مع الافغان وقعها في موسكو عن الحكومة التركية يوسف كمال . ورضا نور اللذان كانا هناك يتفاوضان مع روسيا لعقد المعاهدة التركية الروسية والمعاهدة الافغانية هي أول معاهدة سياسية عقدت بين تركيا والافغان وهي لاتقل في اهميتها السياسية عن المعاهدة الروسية وقد امضيت في اول مارس سنة ١٩٢١ وصدقت عليها الجمعية الوطنية في انقره في ٣ أكتوبر سنة ١٩٢١ وهذا نصها

« بسم الله الرحمن الرحيم . الدولتان العليتان تركيا والافغان مرتبطتان ارتباطا خالصا قلبيا شاعرتان بأمل ومقصد مقدسين ، مالتان لمنافع مشتركة عالية مادية ومعنوية ، مقتنعتان بأنهما شريكتان في السراء والضراء معتقدتان بأنه لا يمكنهما ان تعيشا على انفراد وبلا ارتباط في هذا الوقت الذي يريان فيه بكل حمد وشكران ، انتباه العالم الشرق وسعيه للخلاص ، مشاهدتان انه لا يصيب أحدهما سوء أو أذى الا ويألم منه الآخر ولذلك قد قررت هاتان الدولتان

والامتان المتآخيتان أن تنقلا ما بينهما من الاتحاد المعنوى والاتفاق الطبيعى المشيد من غابر الزمان الى الساحة السياسية وأن تفرغاه فى قالب اتفاق مادى رسمى وان آتقدا بينهما معاهدة اتفاق تكون مقدمة خير للمستقبل السعيد الذى ينتظره الشرق . وقد عينت الحكومة التركية لتحقيق هذا المقصد أحد أعضائها ووزير أمورها الاقتصادية يوسف كمال بك ووزير معارفها الدكتور رضا بك نور كما عينت الحكومة الافغانية سفيرها ومندوبها الجنرال محمد ولى خان . وقد خص هؤلاء المندوبون أوراق اعتمادهم ثم تقبلوا المواد الآتية :

المادة الاولى — الدولة التركية التى تعيش مستقلة الى ما شاء الله ترى فرضاً عليها أن تعترف بكامل استقلال الدولة العلية الافغانية التى ترتبط معها بأخلص وابطة وجدانية

المادة الثانية — الطرفان العاليان المتعاقدان يعترفان باستقلال الامم الشرقية جميعها أو حريتها السكاملة وان لكل أمة منها أن تختار لنفسها أى ادارة تربدها لبلادها كما تصدقان على استقلال دولة (بخارا) ودولة (خيوا)

المادة الثالثة — تصدق الدولة العلية الافغانية بهذه المناسبة على انها تقتدى بتركيا التى تخدم الاسلام خدمات جلية منذ قرون وتحمل علم الخلافة الاسلامية

المادة الرابعة — يقبل الطرفان المتعاقدان أن يعتبر كل منهما أى اعتداء يقع على الآخر من طرف أى دولة استعمارية تريد الاستيلاء على الشرق كأنما قد وقع على نفسه ويتعهد بدفع ذلك الاعتداء بجميع الوسائط الممكنة

المادة الخامسة — يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين ألا يعقد أى معاهدة أو يقبل أى اتفاق دولى يكون موافقاً لمصلحة دولة ثالثة بينها وبين أحد المتعاقدين خلاف أو يكون مضرراً بمصالح الطرف الآخر كما يتعهد كل منهما بأن يخبر الآخر بمشروع عقد أى معاهدة قبل ابرامها مع أى دولة أخرى

المادة السادسة — يعقد الطرفان الاتفاقات اللازمة لتأسيس العلاقات الاقتصادية والتجارية وتنظيم معاملات الوكالات السياسية على انفراد و بوسلان من الآن السفراء الى مراكز الحكومتين

المادة السابعة — يؤسس الطرفان المتعاقدان بين المملكتين بريداً خصوصياً

منتظما ويعطيان لبعضهما المعلومات المريعة عن موافقتهما السياسية وأحوال المعارف والتجارة وسائر الاحوال والاحتياجات

المادة الثامنة — تتعهد تركيا بمعاونة الافغان وارسال الضباط والمعلمين وابقاء هؤلاء المعلمين خمس سنين على الاقل وارسال هيئة معلمين آخرين اذا طلبت الحكومة الافغانية

المادة التاسعة — يصدق على هذه المعاهدة في أقل مدة وتراعى أحكامها من حين تصديقها

المادة العاشرة — حررت من هذه المعاهدة نسختان في مدينة موسكو وقد وقع عليها مندوبو الطرفين يوم ٢٧ جادى الاخرة من سنة ١٣٣٩ الموافق يوم ١ مارس من سنة ١٩٢١

التوقيعات : السفيرولى . يوسف كمال . رضا نور

سفير الافغان فى انقره

وقد ارسل الامير امان الله خان سفيره الى انقره سلطان احمد خان بعد عقد هذه المعاهدة وهو من اكابر الرجال الافغانين وعجلت أنقره بتنفيذ مواد المعاهدة فارسلت عدداً من أهم ضباط اركان الحرب مع هيئة عسكرية وجماعة من المعلمين الى بلاد الافغان لتنظيم الجيش الافغانى . وتشكيل المعارف الافغانية . وما افتتحت السفارة الافغانية فى انقره حتى اشتركت جميع حكومة انقره فى افتتاحها وقام مصطفى كمال باشا برفع العلم الافغانى عليها بيده وتدل الخطب التى القيت عند زيارة السفير الافغانى لرئيس المجلس الوطنى على درجة المودة القلبية والاخلاص العظيم الذى يربط الامتين حيث قال السفير فى خطبته :

« لقد استطاعت الامة الافغانية أن تصل الى ما كانت ترغبه من منعم قلبها منذ أعوام طوال وهو ارسال سفير لها الى الامة التركية التى تقضى بها الامة الافغانية وتحذو حذوها اظهارة لعظيم حبها واخلاصها للامة التركية . ولقد أيد الاتفاق الذى عقد بين الامة التركية والامة الافغانية التى تبلغ عشرة ملايين من

النقوس ما بيننا من الروابط الدينية بعلاقات رسمية . ولعمري الله ان اتفاننا هذا ليملا قلوبنا آمالا كبارا لخلص العالم الاسلامى . نحن المسلمين الذين قد طفى عليهم المستعمرون نستعين بقوله تعالى « لا تقنطوا من روح الله » ولا نركن الى اليأس أبدا . لقد عزم العالم الاسلامى على أن يدافع عن حقوقه المهضومة ازاء مغتصبها من عدائنا الذين يبتغون محونا ولهذا فاننا آمنون من المستقبل لاسيا وان لنا عزمنا سيتقوى به استقلالنا وانا لا أرتاب أبدا فى أن المسلمين الذين سيجتمعون حول غاية واحدة سيستردون حقوقهم ويضاعفون لمجد النجم والهلل «

وقد أجب مصطفى كمال باشا على هذه الخطابة بقوله :

« لقد كانت الروابط القوية متوفرة بين تركيا والافغان كما هو الشأن مع جميع العالم الاسلامى . وقد كان قاب تركيا يخفق بهذه الاخوة كما كان الامر مع الافغان ولا ريب أن شروع تركيا والافغان فى تأسيس الروابط الودية أمر خطير يتولد منه توازن فى عالم السياسة . وستسعى تركيا والافغان سعى عامل مخلص للعالم الاسلامى فى سبيل الاستقلال . ان العالم الاسلامى لا يريد أن يجتمع ويتحد ليبغى على أحد . اننا نريد أن نفتخر برؤية كل أمة اسلامية ، حرة ، مستقلة ، كالأمة الافغانية . وسيسر الشرقيون الذين يعيشون تحت التحكم الاستعمارى من تحالف الافغان وتركيا والحكومات الثورية الروسية . وسنوفد الى بلاد الافغان سفارة لمضاعفة روابطنا . فى القريب العاجل . »

معاهدة قارص

انعقد فى مدينة قارص مؤتمر سياسى يضم مندوبى حكومات روسيا و تركيا وحكومات اذربيجان والكرج (غيورغيا) وأرمينيا وكان الغرض من عقد هذا المؤتمر توطيد العلاقات بين الاناضول والحكومات القافقاسية وازالة اسباب النزاع بينهما . واول ما اشتغل به فحص المعاهدة التركية الروسية فى القسم الخاص بالقافقاس فقد تناولت المادة الثانية من هذه المعاهدة مسألة باطوم التى تتعلق

بتركيا وكريلستان وبمحت المادة الثالثة منها مسألة (نخجوان) التي تركت تحت حماية أذربيجان . وقد تكفلت الحكومة الروسية في المادة الخامسة عشرة من المعاهدة بقبول الحكومات القافقاسية تلك الحدود التي خطتها بالنسبة لتركيا والمواد الخاصة بالحالة التجارية والسياسية مع تنفيذ ما ورد في المادة الثانية والثالثة من المقررات . فانعقد المؤتمر في سبتمبر سنة ١٩٢١ للوصول الى حل هذه المسائل .

وأُسفر انعقاده عن التوقيع على « معاهدة قارص » في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢١ من مندوبي حكومة المجلس الوطني التركي الكبير ومندوبي الحكومة الروسية والحكومات القافقاسية وهذه المعاهدة تقع في عشرين مادة

وقد جاء في المادة الاولى ان الحكومات التركية والارمنية والاذرية والكرجية تعتبر المعاهدات المنعقدة بين الحكومات التي تولت الاراضى التي هي تحت ادارة المتعاقدين اليوم ، والمعاهدات التي عقدت بشأن الجمهوريات القافقاسية الجنوبية كأنها لم تكن . انما تستثنى من ذلك المعاهدة التركية الروسية التي انعقدت في موسكو يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢١

وجاء في المادة الثانية بان كلا من المتعاقدين يتعهد ألا يعترف بأى معاهدة سلمية أو أى سند دولى يراد منها ان تقبله كرها . وقد صرح في هذه المادة بأن ارمينيا وأذربيجان وكرجستان لاتعترف بأى سند دولى متعلق بتركيا لايقبله المجلس الوطنى التركى الكبير . كما صرح بان المفصود من تركيا . البلاد التي ينص عليها الميثاق الوطنى التركى . وقد تقبلت الحكومات القافقاسية الميثاق الوطنى التركى بهذه المادة وصدقت عليه

والمادة الثالثة تنص على الغاء الامتيازات الاجنبية واعتبارها كأنها لم تكن وقد قبلت الجمهوريات القافقاسية بهذه المادة الغاء الامتيازات الاجنبية في تركيا .

والمادة الرابعة خاصة بالحدود وتبدأ الحدود التركية في الشمل الشرقى بناء على ذلك من قرية (صارب) على البحر الاسود وتسير على خط مستقيم مار من (كديس ، مفاداغ) و (شاوشت داغ) ثم تمر من (فاني داغ) وبعده تمر حدود قارص واردهان الشمالية وفاق الادارة القديمة ثم تسير حتى منصب (اريه جاي

آراس ، نالوه غى نيزنى ، قره صو) . وبهذه المادة أقرت ارمينيا وكرجستان الحاق اراضى (قارص) و (اردهان) بتركيا

وتقبل حكومات تركيا والارمن واذريجان والكرج فى المادة الخامسة أن تكون منطقة (نخبوان) منطقة حائزة على استقلالها الداخلى تحت حماية اذريجان فهذه المادة قد حات مشككة (قره باغ) القائمة بين اذريجان وأرمينيا منذ ثلاثة أعوام وقد كان الحل فى مصاحبة اذريجان

وتركت تركيا فى المادة السادسة ثغر باطوم ومدينتها والاراضى الخاصة بلواء باطوم فى شمال الحدود التركية المصرحة فى المادة الرابعة لحكومة الكرج بناء على الشروط الآتية

- ١ - الحرية الدينية والمدنية لكل جماعة قاطنة فى هذه البلاد والاستقلال الداخلى الواسع لها مع توزيع الاراضى على الالهين فى صورة ملائمة لرغائبهم
- ٢ - التكفل بمرور جميع المواد والاشياء التجارية الداخلية الى تركيا أو الخارجة منها بواسطة ذلك الثغر مع اعفاؤها من جميع الرسوم الجمركية واستثنائها من المصاريف الخصوصية

وجاء فى المادة السابعة والثامنة ان حكومتى تركيا والكرج تسهلان لقاطنى التخوم المشتركة أن يعبروا الحدود للاستفادة من المراعى الموجودة فى تلك المناطق . وهذه المادة تتكفل بالمنافع الاقتصادية التركية فى بلاد الكرج أما المادة التاسعة فخاصة بالبحر الاسود والمضائق التركية وهى كما يأتى :

« الحكومتان التركية والكرجية متفقتان على فتح المضائق للمعاملات التجارية الخاصة بكل الامم . كما ان الحكومتين التركية والكرجية متفقتان على أن يقوم بتعيين القواعد الدولية التى تراعى بشأن البحر الاسود والمضائق البحرية مؤتمراً يتألف من مندوبى الدول التى لها سواحل على البحر الاسود بشرط أن لاتعبر مقررات ذلك المؤتمر السيادة التركية المطلقة أو سلامة تركيا .

والاستانة « فهذه المعاهدة هي مكمله للمعاهد الروسية التركية ومنفذة لبعض أحكامها وحافطة لمصالح تركيا



وكانت الوفود الشرقية تفد على أنقره وتشد اليها الرحال لما نالته من المركز العظيم في نهضة الشرق فأصبح بها سفارة روسية وسفارة أفغانيه وسفارة آذرية ووصاها وفد ايراني لتوثيق عرا المودة بين الدولتين . فالحكومة الوطنية في أنقره سائرة سيراً حثيثاً في تقوية روابطها بالأمم الشرقية . على أن هذه السياسة لم تمنعها من السعى في أحكام روابطها بالأمم الغربية التي ليس لها اطماع استعمارية في تركيا . فالسياسة التركية التي تتبعها الحكومة الوطنية سياسة حكيمة ليس من شأنها أن تثير عليها العداوات في أوروبا . وقد شرح مصطفى كمال باشا تلك السياسة في خطبة ألقاها بالمجلس الوطني الكبير لمناسبة المناقشة في مشروع قانون مسئولية الوزارة . قال

« لقد ذكر أحد الخطباء تلك الروابط المتينة التي تربط أمتنا ودولتنا وحكومتنا بالعالم الاسلامي وما قامت به أمتنا من الفتوحات في سبيل اعلاء كلمة الله . ولقد شعرت بانشرح قلبي وأنا اسمع هذه الكلمات ورأيت فكري يرتقي الى غاية خيالية . اجل قد انبسطت امرتي من تلك الكلمات انما أدى بي ذلك الانشراح في الحال الى التساؤل عن المقصود من ذلك . ترى هل المقصود من تلك الكلمات « الجامعة الاسلامية » أو « الجامعة التركية » ربما يكون قد خطر ببالكم أيضاً مثل ذلك . أو ربما لم يدر بخلدكم شيء منه . بيد اني واثق انه لا يطلع العالم على تلك السطور حتى يستنتج ذلك المعنى من تلك الكلمات

أيها السادة . ان لكل متدين بديننا ، أو مواطن من مواطنينا أن يربي في فكره مثلاً عالياً كل منا حر مختار في ذلك . وليس لأحد أن يمترض عليه . لكن للحكومة الوطنية سياسة ثابتة ، ايجابية ، مادية ، وهي عبارة عن الفوز بحياتنا واستقلالنا في داخل حدودنا الوطنية . ان حكومة المجلس الوطني بعيدة عن الخيال ، متشبثة باهداف الحقيقة لا غير . ولهذا فانها تسن قوانينها من هذه

الوجهة وفي دائرة الحقيقة لا غير . ان الحكومة الوطنية لا تجرى وراء احساسات سامية فقط ولكنها احساسات ذات قيمة عملية

أيها السادة . ربما كان كلامي مرأ . وربما أعيب به أنفسنا . بيد اني أرجوكم المعذرة اذا قات لكم ان منشأ جميع الأعمال والحركات التي وصلت بهذه الامة حتى مواقف الاعداد هو الخيال . ولا حاجة بنا للتعلم في تاريخ الماضي اذ يكفي أن تفكر في الاسباب التي أدت بهذه الامة الى اعلان النفير العام قبيل اشتراكها في الحرب العامة وأن تتأمل الحقائق والاحساسات الحقيقية التي أدت بها الى اختيار تلك السبيل . لقد كان الداعي الى ذلك هو الاحساس لا غير . كذلك ما الذي دفع هذه البلاد الى الاشتراك في الحرب العامة في وقت غير مناسب وعلى أي حقيقة تستند تلك الحركة ؟ على الاحساس لا غير . فلننظر الآن في الحوادث الغابرة . لقد شاء الصدر الاعظم قره مصطفى باشا وهو يدفع هذه الامة نحو أسوار (فينا) أن يفتح المانيا الشمالية وأن يؤسس امبراطورية عثمانية مترامية الحدود . انما لم يفكر جدنا أنه بينما كان يجري وراء تلك الفتوحات كان يهيء لا بناء السبيل لاضاعة ما ورثوه من الاراضي . لذلك يمكننا أن نصرح على انفراد بالعقيدة السياسية التي تؤمن بها .

أيها السادة . اني أفهم الجامعة الاسلامية على الصورة الآتية :

ان أمتنا وحكومتنا التي نتمناها تتمنيان بالطبع لجميع المسلمين الذين على ظهر الارض كل سعادة ورفاهية ونحن نريد أن نحيا كل هيئة اجتماعية اسلامية في مختلف البلاد حياة مستقلة . ولعمر الله اننا نشعر بانشرح وسعادة من ذلك فان سعادة جميع الامم الاسلامية ورفاهية العالم الاسلامي هي في نظرنا كسعادتنا ورفاهيتنا . اننا مرتبطون بهذا الامر . كما أننا نرى الامم الاسلامية مرتبطة بنا وبسعادتنا على هذه الصورة . وهذا أمر يتجلى كل يوم . انما اذا أردنا أيها السادة أن نجمع هذه الهيئة الاجتماعية في شكل امبراطورية مادية فهذا خيال محض . خيال مخالف للعلم والمنطق والفن . اننا يجدر بنا ألا ننسى قط ان لكل جسم سياسي غاية من القوى لا يتعدها أبداً كما ان هناك خطوطاً طبيعية معقولة لحسن تشكل كل انسان .

وكما أن التشكل الانساني مبني على هذه القاعدة فان الجماعات التي تتألف من الناس كذلك لا تشذ عنها

أيها السادة : لننمّن النظر في موقفنا قبل قرون . انظروا الى افريقية وسوريا والعراق ومقدونيا وبلغاريا والصرب وغيرها من أقسام ممالكنا ثم قارنوا بين حالنا اذ ذاك وحالنا اليوم . هل من الممكن أن تعيش هذه الامم المختلفة الطبائع ، المختلفة في كل شيء تحت ظل امبراطورية واحدة ؟ هذا أمر مغاير للطبيعة والعقل وقد كانت النتيجة ما رأيناه . اذ لا بد ان يختلف الامر في افريقية وان يختلف في سورية وان يختلف في العراق ، وان يختلف في بلادنا فاذا سمعنا لان نجعل الجميع واحداً اخطأنا . انما نحن نتمنى ان تتشكل كل هيئة اجتماعية اسلامية تشكلاً طبعياً وان تحافظ على استقلالها وان تعيش عيشة حرة ولا شك اننا نأتمنّى بآن سعادة الامم الاسلامية سعادة لنا نحن والعالم الاسلامي جميعه نلتف حول عرش الخلافة وكلنا نقدره ونبجله »

الاتفاق التركي الفرنسي

بينما كانت حكومة انقره توالى مساعيها السياسية العظيمة في الشرق كان ممثلوها يتفاوضون مع ساسة الغرب على ابرام الاتفاقات وقد اسفرت مساعيهم عن ابرام الاتفاق التركي الفرنسي بعد أن تم تعديله وفاقا لرغبات المجلس الوطني الكبير ووقع عليه في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢١ وهو من الاتفاقات الكبيرة الشأن التي أثارت مخاوف بعض الدول المعادية لتركيا وفي مقدمتهن انجلترا واليونان وذلك بسبب المنافع والمزايا التي تدهاها منه تركيا وهذا نص الاتفاق المذكور

المادة ١ — يصرح الطرفان العاليان المتعاقدان أن حالة الحرب تكف بينهما بمجرد امضاء الاتفاق الحالي وأن تعلن بذلك في الحال الجيوش والسااطات المدنية والأهالى

المادة ٢ — بمجرد امضاء الاتفاق الحالي يهرح في الحال أسرى الحرب من الجانبين وكذا جميع الاشخاص الفرنسيين أو الاتراك المحجوزين أو المحبوسين

ويمادون على نفقة الطرف القابض عليهم الى أقرب بلد تعين كذلك ويتناول الانتفاع بهذه المادة جميع المحجوزين أو المحبوسين من الجانبين مهما كان تاريخ ومكان حجزهم أو حبسهم أو القبض عليهم

المادة ٣ - في خلال شهرين على أكثر تقدير من امضاء الاتفاق الحالى تنسحب الجنود التركية الى الشمال والجنود الفرنسية الى جنوب الخط المعين في المادة ٨ المادة ٤ - الجلاء أو الاستيلاء المحدد للقيام بهما المدة المذكورة في المادة ٣ يصير اجراؤها طوع طرق تحددها بالاتفاق المشترك للجنة مختلطة معينة بواسطة قواد الجانبين العسكريين

المادة ٥ - يعلن الطرفان المتعاقدان العفو الشامل في المناطق المتخلى عنها بمجرد استيلائهما عليها

المادة ٦ - تصرح حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا ان حقوق الاقليات المعترف بها صراحة في الميثاق الوطنى ستؤكدها هذه الحكومة على نفس الاساس المقرر بالاتفاقات المبرمة في هذا الموضوع بين الدول المتحالفة وخصوصها وبعض من حلفائها

المادة ٧ - سيقام نظام ادارى خاص لمنطقة اسكندرونة . وسيتمتع سكان الجنس التركى في هذه المنطقة بجميع التسهيلات اللازمة لترقية تثقيفاتهم . ويكون للغة التركية فيها صفة رسمية

المادة ٨ - الخط المذكور في المادة ٣ يتعين ويتحدد كما يأتى .
يبدأ خط الحدود من نقطة تختار على خليج اسكندرونة وتقطع مباشرة في جنوب باياس وتتجه بوضوح نحو ميدان - اكبس - (وتبقى محطة السكة الحديد والمحلة تابعتين لسوريا)

ومن هناك يتجه خط الحدود الى الجنوب الشرقى بحيث يترك الى سوريا محطة مرسوه . والى تركيا محطة قرنبه وكذا مدينة كليس . ومن هناك يصل الى السكة الحديد عند محطة جوبان بك . ثم يتبع خط سكة حديد بغداد التى تبقى أرضها داخله فى الأراضى التركية حتى نصيبين وجزيرة ابن عمر حيث يلتقى بدجلة وتبقى محلتا نصيبين وجزيرة ابن عمر وكذا الطريق فى أرض تركيا ولكنه يكون

للبلدين (سوريا وتركيا) الحقوق عينها في الانتفاع بهذا الطريق : وتكون
المواقف والمحطات بين جوبان بك ونصيبين ملكا لتركيا كأنها جزء من أرض
سكة الحديد

المادة ٩ - يبقى قبر سليمان شاه جد السلطان عثمان مؤسس الاسرة العثمانية
(وهو القبر المعروف باسم ترك مزار) الواقع في جرابلس مع ملحقاته ملكا
لتركيا التي يكون لها الحق في وضع حراس عليه ورفع الراية التركية فوقه

المادة ١٠ - تقبل حكومة المجلس الوطني الكبير لتركيا نقل امتياز سكة
حديد بغداد بين بوزنتي ونصيبين وكذا مختلف الفروع الخارجة منه والمنشأة
في ولايه أطلن الى جم من الفرنسيين تعينه الحكومة الفرنسية وذلك بجميع
الحقوق والمزايا والمنافع المرتبطة بالتنازل عن امتيازات وعلى الاخص فيما يتعلق
باستغلال السكة الحديد وتسييرها

ويكون لتركيا الحق في اجراء نقلياتهم العسكرية بالسكة الحديد من ميدان
اكبس الى جوبان بك في المنطقة السورية ويكون لسوريا الحق في اجراء نقلياتها
العسكرية بالسكة الحديد من جوبان الى نصيبين في الارض التركية .

ولا يمكن مبدئياً تقرير أى تعريفة متفاوتة فوق هذا القطاع وهذه الفروع
ومع هذا فان الحكومتين تحتفظان بحق دراسة كل عدول ضرورى عن هذا
المبدأ يقرر بالاتفاق في حالة الاقتضاء

وفي حالة استحالة الاتفاق تمود لكل من الجانبين حرية العمل

المادة ١١ - تعين لجنة مختلطة ، بعد التصديق على الاتفاق الحالى ، لابرار
اتفاقية جمركية بين تركيا وسوريا . وتحدد هذه اللجنة شرائط هذه الاتفاقية
ومدة العمل بها . والى أن يتم ابرامها يحتفظ البلدان بحرية العمل

المادة ١٢ - توزع مياه قوئيق بين مدينة حلب ومنطقة العمل الباقية
تركية بكيفية عادلة مرضية في اعطاء المياه للجانبين

ويكون لمدينة حلب أيضاً الحق في اخذ فتحة من مياه دجلة وتسييرها على
حسبها فوق الارض التركية للقيام بحاجات المنطقة في المياه

المادة ١٣ - الاهالى البدو أو الذين هم في حكم البدو والذين لهم حق التمتع
بمراعى أو ممتلكات في جهة أو أخرى من الخط المحدد في المادة ٨ يستمرون
كما كانوا في الماضى متمتعين بمقوقمهم ولهم بمقتضى ضروراتهم ان ينقلوا من

جة أو أخرى من هذا الخط بحرية وبدون دفع رسوم جركية أو عوائد مرعى أو أى رسم كان مواشيهم وصغارها وآلاتهم وادواتهم وبدور زرعهم وحاصلاتهم الزراعية لانه مفهوم انه مفروض عليهم ألا يدفعوا الرسوم والعوائد الخاصة بذلك في البلد الذى اتخذوا فيه مقرهم اه

جواب يوسف كمال

لمناسبة امضاء الاتفاق فى أنقره يوم ٢٠ أكتوبر الماضى كتب يوسف كمال بك وزير خارجية حكومة المجلس الوطنى الكبير فى أنقره الخطاب الاتى نص تعريبه الموجه الى ميسيو فرنكلان بويون الذى قاد هذه المفاوضات فى أنقره باسم الحكومة الفرنسية

انقره فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١

صاحب السعادة .

يسرنى ان أوصل ان الاتفاق المعقود بين حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا وحكومة الجمهورية الفرنسية للوصول الى تحقيق سلم نهائى ثابت ستكون نتيجته إعادة وتوثيق العلاقات الصميمة التى كانت تربط فى الماضى الامتين سيما وان حكومة الجمهورية الفرنسية تجتهد فى ان تحل ، بروح من الاتفاق الودى ، جميع المسائل المتعلقة بالاستقلال وبسيادة تركيا . ولما كانت حكومة المجلس الوطنى تريد من جهة أخرى أن تساعد فى توسيع نطاق المصالح المادية بين البلدين فهى تأخذ على نفسها أن تصرح لكم باستعدادها لتحويل امتياز مناجم الحديد والفضة الواقعة فى وادى هرشيت لمدة ٩٩ سنة الى جمع من الفرنسيين

وينتفع بهذا الامتياز فى غضون خمسة اعوام بتبدئ من تاريخ الاتفاق الحالى ويكون الانتفاع بواسطة شركة مؤلفة طبقا للقوانين التركية وباشتر الشرووس الاموال التركية بنسبة ٥٠ ٪ من رأس مال هذه الشركة

والحكومة التركية مستعدة أيضا أن تفحص بعين العطف الزائد الطلبات الاخرى التى يمكن أن تقدمها جماعات اخرى من المالىيين الفرنسيين بخصوص امتياز المناجم والسكك الحديدية والثغور والانهار تحت شرط أن تكون هذه الطلبات منطبقة على المصالح المتبادلة بين تركيا وفرنسا .

ثم ان تركيا ترغب من جهة أخرى في الانتفاع من معاونة الاساتذة الاخصائيين الفرنسيين لمدارسها الفنية . ولهذا فانها ستبلغ فيما بعد احتياجاتها في هذا الباب الى الحكومة الفرنسية وتؤمل تركيا انه بمجرد ابرام الاتفاق ترضى الحكومة الفرنسية الترخيص لرؤوس الاموال الفرنسية بالدخول في العلاقات الاقتصادية والمالية مع حكومة المجلس الوطنى الكبير لتركيا

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول تأكيد مالمكم في نقسى من أحسن مراتب الاعتبار يوسف كمال

ان الاتفاق التركى الفرنسى قد وضع حدا لحالة الحرب التى كانت بين الدولتين وأحل محلها علاقة سلام ووداد وجعل من فرنسا صديقة لتركيا وهذا من اكبر مزايا الاتفاق لان صداقة دولة كبيرة من دول الحلفاء مثيل فرنسا وتعضيدها لتركيا فى المشاكل السياسية الدولية من المزايا الكبيرة التى لا يستهان بها . واذا شئت أن تقف على مثل من نتائج هذه الصداقة فأنظر ما كتبه المسيو هنرى دى جوفنيل العضو فى مجلس شيوخ فرنسا فقد كتب بجزيرة الماتان فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٠ مقالة طعن فيها على سياسة انجلترا العدائية حيال تركيا وقال ضمن ما قال :

« لقد كان الاتراك موفقين غداة انتصاراتهم الاخيرة اذ قرروا الافراج عن الاسرى الفرنسيين فليستمرروا على اظهار التاطف والاعتدال والروح السياسية ليلم الصلح بينهم وبيننا

يؤكد مصطفى كمال أن هذه أمنيته وما الذى يدعونا نحن لأن نخفى ان هذه أمنيتنا كذلك ؟ فى شهر مارس الماضى كان مسيو بريان هو أول من فتح المحابر مع مندوبى كمال فى لوندرد وان كان ذلك قد أثار غضب لورد كيرزون والظاهر ان تلك المحادثات فشلت الا ان مسيو فرانكلين بويون^(١) استأنفها فى

(١) مسيو فرانكلين بويون عضو سابق فى مجلس النواب الفرنسى ووزير من وزراء فرنسا السابقين وهو الذى انتخب أيام الحرب رئيسا للبعثات التى انتدبتها برلمانات الحلفاء وتألف منها برلمان الحلفاء المختلط . وكان مسيو فرانكلين بويون رئيسا للجنة الامور الخارجية فى مجلس النواب الفرنسى أيام مفاوضات

أنقره : ولم يبق اليوم الا أن تقال كلمة واحدة لتصل المحادثات الى الغرض المطلوب ليس مسيو فرانكلين بويون من أولئك الذين يكنى أن يلاقوا عقبة واحدة ليتسرب اليأس الى نفوسهم فهو أول رجل من أعضاء البرلمان اجترأ أن يقف أمام مجلس مخدوع أو مرعوب ليشنع على تدمير النصر بأيدي المفاوضين في معاهدة فرساي . ولقد كان هذا الخطاب ، الذي يكنى وحده لتشريف حياة سياسية ، سببا لابعاد مسيو فرانكلين بويون مؤقتا من البرلمان فعمل على أن يخصص أوقاته لخدمة بلاده

وإذا ارتبنا بعض الشيء في أن أعمال البريد والتاغراف في فرنسا ليست على أحسن مايرام فالظاهر أنها عظيمة الانتظام بين باريس وأنقره . ورغبة في إزالة سوء التفاهم عاد مسيو فرانكلين بويون الى وزارة الخارجية وانقض كالصاعقة وسط اجتماع المجلس الأعلى في اللحظة التي كان اليونانيون يعطرون العالم وابلا من بلاغاتهم المذومة بانتصاراتهم وقد بلغ من اقتناع مستر لويد جورج ولورد كيرزون بانتصار قسطنطين في النهاية ان رئيس وزارة الخارجية ذهب به الجراءة حتى قال لرئيس الوزارة الفرنسية :

ومع هذا فلو أراد اليونانيون ان يحتلوا الاستانة غدا فاست أرى من يستطيع منهم

فاقتاده مسيو بريان نحو خريطة لشرق الأدنى وقال :
لست ترى من عندهم ! اذن فأنظر في هذا المكان في كيليكية حيث يوجد أكثر من ثمانين ألف جندي فرانسى . ألا تظن ان هؤلاء الجنود يتجددون عند الحاجة مع جنود مصطفى كمال اذا مشى اليونانيون على الاستانة والا تظن اننى مقدورهم ايقاف سيرهم ؟

فارتعد لورد كيرزون صائحا ؟ - انك تعمل هذا ؟
فاجاب مسيو بريان بلطف : - أنى فاعل ذلك بكل تأكيد

الصلح واشتهر بعدائه الشديد لمسيو كليمانسو مما حدا بانصار مسيو كليمانسو لمحاربته في الانتخابات التي جرت بهد الصلح فلم ينجح في الرجوع الى البرلمان الفرنسي الا ان مسيو بريان استخدمه في الوساطة بين فرنسا والكيمايين

انتهى الحديث ولم يرجع اليه أحد بعد ذلك

ولو ان مسيو بريان من أو تلك الذين ينتهزون الفرص كما يصوره بعض الناس لصديق رجال السياسة البريطانيين وترك الاتراك يتعرون في هزيمتهم الا أن الساعة التي لاح فيها ان مصطفى كمال مشهور هي نفسها التي دعا فيها رئيس الوزارة مسيو فرنكلين بويون للرجوع الى انقره يتابع المفاوضات التي بدأ بها» وقد نال الأناضول فوق ذلك مزايا مادية وحنوية كبيرة فقد وفقت حكومة انقره بمقتضى الاتفاق الى تأسيس ادارة خصوصية في منطقة اسكندرونه وجعل اللغة الرسمية فيها اللغة التركية وتسهيل كل ما من شأنه أن يرقى بالشعب التركي هنالك . وقد صانت المادة التاسعة من الوفاق (قبر حليمان) شاه جد السلطان عثمان خان الاول مؤسس الدولة العثمانية ، المدفون في قلعة جعفر . حيث قد مات وهو يعبر الفرات غرقا .

ومما هو جدير بالذكر في الوفاق المواد الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة فلقد حافظت هذه المواد على حرية المعاملات بين سوريا وتركيا وقد تقبل الأناضول عقد اتفاقية كمركية مع سوريا وتقديم ما تحتاج « حلب » من المياه وترك الحرية للعشائر المجاورة للحدود لتستفيد من المراعي والاملاك والاراضي وجعل لها الحرية التامة للمرور والاستفادة منها

أما المنافع المادية التي حصل عليها الأناضول من عقد هذا الوفاق فانها أهم وأعظم من كل ما ذكرنا . فلاجدا ان جلاء الفرنسيين عن اطنه من أهم الانتصارات التي فاز بها الجهاد الوطني التركي . اذ ستتضاعف قوة الحركة الوطنية باسترداد اطنه وأودفه ومرعش وغازي وعينتاب . وتبلغ مساحة هذه الاراضي نحو (٢٥٠٠٠) كيلو مترا وهي اراض خصبة زراعية . وتسكن محمولاتها لتكوين جميع الجيش الوطني الى الابد كما انها تصدر الى المارج . ويسكن هذه الاراضي نحو نصف مليون من الاهالي فيسهل للحركة الوطنية أن تخرج منها (٥٠٠٠٠) جندي مدرب يكون لهم تأثير أعظم في الانتصار النهائي .

ولا ريب ان اهم المصالح التي يحصل عليها الأناضول من الوفاق هي المنافع العسكرية . ولا يخفى ما للوسائل النقلية من الاهمية في الحروب الحديثة لهذا فان انتقال خط بغداد الى يد القوة الوطنية له شأن عظيم . لأنه يضمن المواصلات

بين اطنه وأرفه ومرعش وعينتاب وافيون قره حصار . وقد كانت تمون جهة آفيون قره حصار من ولاية قونية وحواليها أما الآن فستكون اطنه من أهم القواعد الحربية ويصل القطار من اطنه الى آفيون قره حصار بالسرعة المتوسطة في يومين على الأكثر ولهذا فسيكون لهذه المواصلات السريعة تأثير عظيم في الحركات العسكرية . وبما ان اليونانيين قد حاقت بهم هزيمة سقاريا رغما من ارسالهم جميع قواهم الى الاناضول حتي اضطروا الى اغضاء الطرف عن القيام بأي هجوم فلا ريب ان استفادة الاناضول من اللوازم الحربية التي يتركها تسعون ألف جندي فرنسي في كيليكيا يجعل بالنصر النهائي وصفوة القول ان الوفاق التركي من أهم الانتصارات السياسية التركية من وجهة المنافع السياسية والمنافع المادية التي من شأنها أن تتوج السلام في الشرق بانتصار عظيم . اذ قد وقعت في يد الاناضول أقصر طرق المواصلات بين الاناضول الشرق والجهة الغربية

وصف انقره

لقد أصبحت انقره بعد انتصارات الاتراك في ميادين الحرب والسياسة قبلة الانظار ومحط رحال رجال السياسة والعلم من الشرق والغرب وموضع اعجاب الناس في مختلف الاقطار . وقصدها كثير من مراسلي الصحف ووصفوا تلك المدينة التاريخية وما فيها من آيات العظمة الانسانية . وانا ناولون هنا خواطر مراسل جريدة « توحيد افكار » التركية عند ما زار انقره وشاهدها لأول مرة في نوفمبر سنة ١٩٢١ قال يصفها :

« اذا كنت ايها القارئ لم يسبق لك المجيء الى انقره — وهي المدينة التي انفجرت منها حماسة القومية التركية ، فنسخت خططا رسمها رجال السياسة لاستبعادنا ورسمت في افئدة الامة آيات الاعجاب بنا — فلا بد انك قد تصورتها في ذهنك مدينة ضخمة البنيان ، واسعة العمران . ولا بد ان الخيال قد زينها لك بلون الشفق ، وأنارها بأشعة الفجر ، وفتح لك فيها الشوارع ، واقام على حفافها شوامخ القصور ، والانيق من مباني الدواوين الرسمية

ولكنك لو تيسر لك الوصول اليها فان اول ماتراه منها بعد خروجك من باب المحطة جدران قلعة قديمة تساقطت احجارها ، ومدينة أفنى الحريق

شطرها وأخى الزمان على الشطر الآخر . الا انك سترى مع ذلك أموراً أخرى تحمل من هذه المدينة الخربة المتواضعة محل ما كنت تتصوره من بنيان ضخم وعمران واسع ، وربما كان ماستراه أبدع من لون الشفق في شواامخ القصور ، وأجل من أشعة الفجر في أنيق المباني . انك سترى وانت في المحطة مظاهر الحياة الوطنية السامية التى عمت هذه المدينة ، ومفاخر الحماسة القومية النامية التى التهابت بها نفوس سكانها

هذا هو العامل المؤثر الذى حجب مدينة انقره الى جميع الناس ، وهذه هى الحقيقة المتواضعة التى اذا بحثت من ذهنك ذلك الخيال الذهبى لانقره فانها أهل لان تملأ موضعه من نفسك ، وتفيض عليها من حسن الجلال والحشمة والوقار مالا يستطيع القلم ان ينوب فيه عن المشاهدة

ان هذا العمران المعنوى الذى حل فى أنقره منذ صارت مركزاً للحركات الوطنية هو الذى سيقع نظرك عليه اذا دخلتها لأول مرة ، فانك لا ترى حينئذ مواضع الحريق من احيائها . ولا تنتبه لمبانيها القديمة المنخفضة ، ولا يخطر على بالك أن تتمنى لو كانت انقره مدينة من مدائن العمران ، وحاضرة من حواضر الابداع والاتفاق

مدينة انقره ، وجميع الاناضول ، مركز حركة ما كينات نشيطة ، لالصنع البضائع وواد التجارة ، بل لاداء الواجب الذى اخذت على عاتقها اداءه . ولا نقاذ القومية التركية من خطر الانحلال والاضمحلال

أبصرت من المحطة فرأيت حولها مخازن المؤونة والطاحون الميكانيكية للدقيق ومباني شركة السكة الحديدية قد تحولت كلها الى ورشات عسكرية يشتغل العمال فيها لاجل الجيش التركى ، فشئت هذه المواضع بفقير النجل لما رأيت فى فيها من نشاط ومثابرة على أداء الواجب

وهناك على مقربة من هذا المشهد مشهد آخر لكتائب من الجند بكرت تشب نيرانها، وتطبخ حساءها . الى جانب مضارب هذه الكتائب كتائب اخرى تجندت حديثا وهى تتمرن على التعلم العسكرى فوق عشب هذا المرج الاخضر الزمردى مستنشدة نسبات أواخر الخريف . وانى أصغى من قريب الى صوت مارش موسيقى عسكرى صادر من احدى الغرف المملوءة بالجنود فتزيد نفماته البديعة فى هيبة هذا المحيط النشط

وبعد أن أتم المفتشون تفتيش مامعى من أوراق ومعاينة ما احمل من حقائب ومتاع ، اسرعت الى عربة قريبة من المحطة فركبتها ، وأخذت تحترق فى الطريق المؤدية الى المدينة ، فكنت أرى كل شئ قد تحول الى خدمة الجيش وفائدة الجيش والعمل لاجل الجيش . ثم مالبت الحوذى أن لفت نظرى الى منزل على يسارنا وقال لى :

— قصر مصطفى كمال باشا

فنظرت فاذا منزل يحرسه جنود أقوياء فى ريعان الشباب ، يلبسون ملابس عهد الانكشارية ، وعلى رؤوسهم القواوبق الواسعة محلاة بالنحاس الأصفر وأمام المنزل حديقة فرشت ارضها بمرج جميل

من هذا المنزل ظهرت الحركة الوطنية وفيه صنعت الاداة التى تمكنت بها القومية التركية من كسر النير الذى يراد وضعها فى عنقها . فأى قلب لا يمتشعر المنة والشكر ، لساكن هذا القصر . وأى لسان لا ياهج بتمنى النصر المبين، للاسد الرابض فى هذا العرين . ان النظر الى هذا القصر يثير فى النفس عواطف عجيبة ، ويبعث فى الذهن معانى يعجز القلم عن تصويرها . فتود العيون أن تترجم عنها بدء وعها ، محاولة أن لاتصرف بصرها عن هذا البناء التاريخى الذى سادت فيه السكينة والهيبة معاً

وكانت العربة تستمر فى طريق غرباء ممتدة كأن شريط الابيض بين ديباجتين

خضراوين من مزارع القمح النابتة حديثا . واني آيات السعادة منقوشة على جباه كل من يقع نظرك عليه من القاطنين في هذه الانحاء

وعلى أثر ذاك دخانا المدينة ، فاعترضنا عند مدخلها بناء أبيض نظيف صغير الحجم ، يتموج العلم العثماني الأحمر من فرقته ، وبحرسه الجنود يبنادقهم وحراهم ، وشمس الضحى تزيده بأنوارها نوراً ، وبأشعتها حبورا . فقال لي الخوذي من قبل أن أسأله :

— مجلس تركيا الوطني الكبير

ذلك هو المجلس الذي تتجسم فيه مقدره القومية التركية ، ذلك هو مطمح الآمال الذي يتعبد له كل تركي . وكأنه تمثال أقيم هنا تذكارا لما قام به الترك من عمل وما برزوه من شهامة وما قدموه من تضحية وهذه الراية الخافقة من فوقه هي الراية التاريخية المخضبة بالدماء تتلو على الامم مناقب تلك الشهامة وأخبار تلك التضحية . وما أسعدني برؤية هذه الراية خافقة في سماء أنقرة ما لبثت فيها « وكنت يعقوب قدرى بك أحد أدباء الترك فصلا في جريدة (اقدام) ضمنه وصف أنقره قال :

« شكرا لله فقد أصبحنا في أنقرة ودخلنا هذه المدينة المحفوفة بالامرار بعد ان عانينا ما عانيناه والله أعلم بما يقاسيه مكاتب غربي للوصول اليها

فأى مدينة مثالا موضع البحث والاستطلاع ؟ انها عندى احدى مدن السياسة العالمية الثلاث بل انها فاقت موسكو ولندن في الايام الاخيرة . فتصفحوا أى جريدة شئتم من جرائد أوروبا وأمريكا تجدوا ديار الاناضول وعاصمتها أنقرة اكثر ذكرا فيها من كل ماعداها . ولكن لا تظنوا ان لانقره من الفضامة والجلال ما يناسب هذه الشهرة

لقد اتخذ الوطنيون الاتراك مستقرهم في انقاس واطلال وقد نزل مؤتمرهم الوطني الكبير الذي وقف كسد من حديد يصد أمواج الفتوحات الغربية في

منزل صغير ذى طبقة واحدة غير انه يضم كل ما تشتمل عليه عزيمة الترك القومية من حزم و ارادة وقوة وبطولة وآمال وأمانى بعد حرب عشر سنوات قاتلوا فيها ما لا يحصى من الاعداء

فما أعظم الفرق بين المكان والمكين ! ولكن اليس هذا الفرق هو الذى يعلى شأن الاتراك ويرفع مافى نفوسهم من السمو والفضيلة الى الملأ الاعلى ؟ ولو أن أنقره مثل واشنطون فى جلالها وعظمتها أو قصر وستهنستر فى بهائه وفخامته لما كان لحركة الاستقلال والوطنية فى الاناضول ذلك الشأن الفائق الذى يجلب النفوس

نلك الثياب البالية التى يتلفع بها جيش الاتراك هى التى تقويه على مقاومة الحديد والآلات الجهنمية التى اخترعها القرن العشرون فى مدنيته وحضارته ! ان الذين ألقوا أن يستخرجوا الحوادث من أسبابها الظاهرة لا يستطيعون أن يفهموا سر هذه الحادثة

أما أنا فما كنت لانسى ذلك الباصرى الذى ولد فى بيت نجار منذ ١٩٢٢ سنة وتمكن اثنا عشر سماً كما من أتباعه أن يهذبوا الاله براطورية الرومانية ! ولا أنسى ذلك العربى اليتيم الذى لم يكن له منذ ١٣٣٩ سنة الا أنصار قليلون فى طرف من أطراف الجزيرة اليابسة فأصبحوا يعدون بمئات الملايين ؟ ولذلك فانى لا أحفل بالعدم الظاهر وأحول نظرى الى مافى نفسى من الاسرار الالهية فيخيل الى اننى فى بلدة أهلة بالابطال والمردة . تناطح بروجها وشرفاتهما قبة الفلك

وحقا ان الأجيال المقبلة لا تظن فى أنقره غير هذا الظن ولا يمكن أن تتعمدها الى سواه . فليقولوا اليوم ماشوا ان انقره انتقاض واطلال وان محفل المؤتمر الوطنى الكبير لا يصلح أن يكون الا منزلا لامرأة أرملة وان الوزارات حجب بسيطة . وكيفما كان ذلك فلا بد أن يعد التاريخ انقره فى صف بابل وروما وباريس ولندره وموسكو

يرى بعض كتاب الافرنج ان في الدنيا ربوعا تهب عايتها نفحات قدسية .
ومن هذه الربوع القدس ومكة في عين الموحدين وروما وقرطاجه في عين الفاتحين
وبطرسبرج وموسكو في عين الاشتراكيين . وأما أنقره فهي مهيب النفحات
الالهية للأمم المظلومة المستضعفة . فليست عظمة المدائن ومكانتها بما فيها من
نصور ومناهج وقباب وأساطين ولكن بما يجري فيها من حوادث وما ينبت
فيها من أفكار وما يهب فيها من نفحات !

ولا يحتاج الشعور بهذه النفحة الى قوة حدس وفراصة اذ لا يكاد المرء يدخل
في ذلك المضيق الوعر والوادي المضطرم بطائفة من الناس حتى يشعر بها . ولا
سيما اذا كان التادم من الاستانة ! ولا سيما اذا أدرك الحسرة على الاستقلال التام
وتلف عليه وذاق مرارة المصائب الوطنية فانه يشعر بتلك النفحة شعورا و يفوق
ذلك الشعور ويسبقه سبقا بعيدا

ولم لي لاجل ذلك ما كدت أدخل أنقره حتى اشتمات جوانحي على فرح عظيم
ورأيت المدينة أحسن مما كنت أتصورها هناء وعرضا وانتظاما »

عطف العالم المتهمدين

على الحركة الوطنية التركية

لم يكن العالم يتوقع أن تنهض الامة التركية بعد خروجها من الحرب مقهورة
مضعضة القوى فتكسر سلاسل الاسر التي طوقها بها أعداؤها بل كان الناس
في الجسلة ينتظرون أن تذعن لشروط الحلفاء كما أذعنت المانيا والنمسا والجر
وبلغاريا حليفاتها في ميدان القتال . ولذلك لم يكن العالم يعير الحركة التركية
الاناضولية في مبدأ عهدها التفاتا ما بل كان ينظر اليها كأنها حركة عصيان
لا تلبث أن تخمد وتتلشى أمام القوة وأمام ارادة الحلفاء وليكن الامة التركية

لم تلبث أن أسمعت العالم صوتها عالياً فأعلنت أنها لا تنزل على حكم الظلم وإنما تؤثر الموت على حياة الذل والعبودية . ولم يمر على نهضتها عام حتى أخذت تدهش العالم بجلال أعمالها وبسالة أبنائها في الدفاع عن كيائها والذود عن استقلالها فأدرك المترددون أن الحركة التركية إنما هي نهضة أمة عظيمة تدافع عن مجدها وتذود عن كيائها وأن الانكسارات التي أصابها في ميادين القتال لم تضعف قوة الحياة الكامنة فيها . فلا غرو أن نالت الأمة التركية عطف العالم وأعجابه في الشرق والغرب لأن الظروف التي نهضت فيها كانت من أخرج الظروف . والصعاب التي تغلبت عليها تنوع بها الأمم . ولو بحثنا عن نظير لهذه النهضة في التاريخ لوجدنا شبهة بينها وبين الثورة الفرنسية الكبرى مع اختلاف في أوجه المقارنة فهي تشبه الثورة الفرنسية في الأوجه الآتية :

(أولاً) ان الثورة الفرنسية قامت لتحقيق مبادئ الحرية السياسية والشخصية مجردة عن الأهواء والمطامع والاعتداء على الغير وكذلك رسمت الحركة التركية برنامجاً خالياً من كل نية اعتداء قائماً على تحقيق مبادئ الحرية والاستقلال

(ثانياً) ان الثورة الفرنسية كان لها تأثير كبير في نهضة شعوب الغرب في القرن الثامن عشر والتاسع عشر فسمت من فرنسا مبادئ الحرية والمساواة إلى الأمم الأوروبية الأخرى وكذلك كان للحركة التركية تأثير في سائر الأمم الشرقية لأن المبدأ الذي تدافع عنه هو نفس المبدأ الذي تصبو إلى تحقيقه أمم الشرق

(ثالثاً) ان الثورة الفرنسية قد حاربت دول أوروبا المتآمرة عليها وكان مركز فرنسا في عهد الجمعية الوطنية الكبرى (جمعية الكونغرسيون) حرجاً كما تقدم بيان ذلك في الرسالة الثانية وقد نجحت فرنسا في رد عادية أعدائها واحباط مؤامرتهم بعد أن بذلت في سبيل تلك الغاية المقدسة أعظم الجهود والضحايا . وكذلك نهضت الأمة التركية في وجه الحلفاء المتآمرين عليها من كل جانب واستطاعت أن تحافظ على كيائها وتذود عن استقلالها ونالت بفضل ثباتها صداقة فريق من الأمم التي كانت تحاربها بالامس فالموقفان متشابهان من بعض الوجوه

والجمعية الوطنية التركية في انقره تشبه في هماتها وجهودها الجمعية الوطنية الفرنسية الكبرى صحيح ان جمعية الكونغرسيون فوق انقاذها فرنسا وحريتها قد استطاعت أن تغزو بلاد الاعداء فنشرت مبادئ الحرية في البلاد التي فتحها

وزعمت اركان النظام الاستبدادى القديم فى سائر ارجاء أوروبا . وهذا فضل لم تقله جمعية وطنية أخرى

ولكن يجب أن لانسى ان موقف الأمة التركية اصعب بكثير من موقف فرنسا فى عصر الثورة الفرنسية ذلك ان فرنسا كانت ترد عادية اعدائها وهى مستجمة لقواها وفى يدها عاصمتها وحكومتها وجيشها واسطولها .

أما الأمة التركية فقد نهضت وهى محرومة عاصمتها وأساحتها وجيوشها وحصونها . قامت والمدو تحت أثم مواقعها الحربية قابض بيده على عاصمة ملكها ومفاتيح بلادها ومستول على حكومتها . وكانت فرنسا تحارب دولاً أضعفها الاستبداد وفساد الحكم . اما الأمة التركية فقد قامت فى وجه دول راقية منظمة قوية خرجت فائزة راحة من الحرب العامة . فانفرق بين المرفقين كبير . ولا نسى كذلك أن الثورة الفرنسية قد ارتكبت بجانب أعمالها العظيمة فظائع كثيرة امتلأ بها (عهد الارهاب) وشوهت محاسن الثورة باعتراف المؤرخين ولكن الحركة التركية خلت من هذا الارهاب وحافظت على عرش السلطنة كما حافظت على الارواح والاموال والافراد فلم تمسهم سوء . فالجمعية الوطنية التركية انقره هى من هذه الوجهة أفضل من جمعية الكونفانسيون فى فرنسا

وهناك أيضاً شبه كبير بين الحركة التركية وحرب استقلال أمريكا فى القرن الثامن عشر . والجمعية الوطنية فى انقره تشبه فى كثير من الوجوه المؤتمر الأمريكى الذى أعلن الاستقلال وتولى تنظيم الجهاد الوطنى . ولكن الحركة الاناضولية قامت فى ظروف أشد حرجاً من ظروف النهضة الأمريكية لان أمريكا نالت مساعدة دولة من أقوى الدول وهى فرنسا واشتركت معها فى حرب انجلترا براً وبحراً وكان لا شراكها وإياها أثر عظيم فى تحرير أمريكا . أما تركيا فقد نهضت منفردة وحاربت وحدها أعداءها الكثيرين

من أجل ذلك نالت تركيا احترام العالم المتمدن فى الشرق والغرب . أما فى الشرق فلأن الحركة التركية أصبحت مثال النهضات الوطنية بين الامم الشرقية بسبب الغاية المشتركة من الجميع وهى التخلص من النير الاستعماري واسترداد الحرية وتحقيق الاستقلال . وأما فى الغرب فلأن الإنسانية مهما أثرت

فيها الالهواء السياسية والمطامع الاستعمارية لا يسمها الا أن تعجب بكل أمة مجيدة
تظهر كل يوم آيات البسالة والشجاعة والثبات وتبرهن على سمو أخلاقها وفضائلها
في جهادها الوطني . لذلك اعجب العالم الغربي في أوروبا وأمريكا بالحركة التركية
ولقيت انصارا مؤازرين من ذوى الوجدان الشريف فنوهوا بفضائها ونشروا
الحقائق عنها وسرت الفكرة الى فريق من رجال السياسة يزداد عددهم كل يوم
ويرون أن مصادقة هذا الشعب المجيد خير من معاداته . وقد ظهر أثر هذا
التطور في المركز الذي نالته تركيا في الدوائر والمحافل والصحافة السياسية في
مختلف البلدان .

نسأل الله تحقيق الآمال وحسن الختام

والحمد لله أولاً وآخراً



مراجع البحث

نذكر هنا أهم المؤلفات التي رجعنا إليها في أبحاث الكتاب

— تاريخ الثورة الفرنسية لـ تييرس في عشرة أجزاء

Histoire de la Revolution française p. Thiers

— دروس وأبحاث عن الثورة الفرنسية للاستاذ أولار : في سبعة أجزاء

Etudes et leçons sur la Revolution fr. p. Aulard

— تاريخ الجمعيات والمجالس السياسية في فرنسا لأوجين يير في جزئين

Histoire des Assemblées politiques en France p.
Eugène Pierre

— تاريخ أوروبا في عصر الثورة الفرنسية للعلامة الألماني سييبل
ومترجم للفرنسية في ستة أجزاء

Histoire de l'Europe pendant la Revolution fr. p.
H. Sybel

— ميرابو للمسيو لويس بارتو رئيس وزراء فرنسا سابقاً

Mirabeau p. L. Barthou

— دانتون للمسيو مادلين

Danton p. L. Madelin

-- الأيام الكبرى في الجمعية الوطنية المؤسسة لألبير ماثيه

Les Grandes Journées de la Constituante p. Albert Mathiez

— الدفاع الوطني (سنة ١٧٩٢ - ١٧٩٥) إبيير كارون

La Defense nationale p. Pierre Caron

— تاريخ الجمهورية الثانية لسبولار

Histoire parlementaire de la seconde Republique
p. E. Spuller

— لامارتين لالبرت كيم

Lamartine p. A. Keim

— نابليون الصغير لفكتور هيجو

Napoleon le Petit p. V. Hugo

— تاريخ جريمة لفكتور هيجو

Histoire d'un Crime p. V. Hugo

— تاريخ أوروبا السياسى والاجتماعى لدريول

Histoire politique et sociale (1815-1915) p. Drioult

— الجمعية الوطنية سنة ١٨٧١ لدى مارسير في جزئين

L'Assemblée Nationale de 1871 p. de Marcère

— تاريخ فرنسا الحديث لجبريل هانوتو في أربعة أجزاء

Histoire de la France contemporaine P. G. Hanotoux

— تاريخ الجمهورية الثالثة لزيفورت في جزئين

Histoires de la III^{me} Republique p. Zevort

— جامبتا - للمسيو دوشانيل رئيس جمهورية فرنسا السابق

Gambetta p. M. P. Deschanel

— حياة جامبتا السياسية - للمسيو ريناك

Le Vie politique de Gampette p. G. Reinach.

— آلامى وجهادنا (١٨٧١ - ١٨٧٣) لمادام جوليت آدم

Mes Angoisses et nos luttes P. M.^{me} Juliette Adam

— دساتير فرنسا وقوانينها السياسية من سنة ١٧٨٩ الآن لدجوى
ومونيه

Les Constitutions et Les Principales lois politique de la France
depuis 1789 P. L. Duguitt et H. Monnier

— القانون الدستورى الفرنسى ومقارنته بالدساتير الاخرى للاستاذ
اسمن طبع سنة ١٩٢١

Elements de Droit Constitutionnel Fr. et Comparé P. Esmein

— الدساتير الحديثة لدارست

Les Constitutions Modernes P. Dareste

القانون السياسى لاجينبير

Traité de droit politique P. E. Pierre

— حرب الاستقلال الأمريكية لروبوون

La Guerre de l'Independance Americaine P. L. de Royaumont

— تاريخ الولايات المتحدة لجورج ويل

Histoire des Etats - Unis P. G. Weill

— واشنطنون لالبرت كيم Washington P. A. Keim

— دائرة المعارف الكبرى La Grande Encyclopedie

— الثورة الألمانية ابول جاننيزون طبع سنة ١٩١٩

La Revolution Allemande P. P. Gentizon

— الجمهورية الألمانية ابول جاننيزون طبع سنة ١٩٢٠

L'Allemagne en Republique P. P. Gentizon

— الدستور الألماني الجديد لرينه برونه طبع سنة ١٩٢١

La Constitution Allemande du 11 août 1919

— دستور الأمبراطورية الألمانية لجوزيف دييوا

La Constitution de l'Empire allemand P. Joseph Dubois

— دائرة المعارف البولونية لنتخبه من علماء بولونيا (لجنة نشر دائرة

المعارف البولونية بفريبورج سويسرا)

Encyclopedie Polonaise, publiée P. le Comité des Publications encyclopedique, sur la Pologne à Fribourg, Suisse

— دائرة المعارف البولونية الصغيرة لاراسم پيلز

Petite Encyclopédie Polonaise P. Erasme Piltz

— بولونيا الحية للبلون La Pologne Vivante P. Leblond

— بولونيا تاريخها ونظامها وحياتها النخبة من علماء بولونيا برئاسة
الاستاذ سيمسكى

La Pologne - son histoire, son organisation et son état public
sous la direction du Professeur Siemienski

— بولونيا وآلامها لأوجستان رى

La Pologne son long martyre P. Augustin Rey

— بولونيا الكبرى وأوروبا الجديدة. لأوجستان رى

La Grande Pologne et la Nouvelle Europe P. Augustin Rey

— مايجب معرفته من المسألة البولونية لجورج بيانيميه

Ce qu'il faut savoir de la question Polonaise P. G. Bienaimé



اما الحركة الوطنية الاناضولية فقد رجعنا فيها الى الصحف والمجلات
السياسية وعوانا على المصادر والخطب والروايات الرسمية البعيدة عن
المنازعات والشكوك. وقد اعتمدنا فى ترجمة الوثائق والمصادر التركية
على رسائل مكاتب (الاخبار) فى الاستانة

تصحیح بعض اغلاط

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢٦	١٣	وحرمة الاديان	وحرية الاديان
٣٢	١٣	لا يكونوا	ألا يكونوا
٣٣	١٠	للهيئة والهيئتين	للهيئة أو الهيئتين
٤٤	١٣	قبلوا	قبلوا
٤٤	١	ماهرب	ملزرب
٦٠	٩	»	»
٦١	٧	مستأثرين	مستأثرين
٦٩	١٤	سبق	سبق
٧٤	١٣	على ان	على أنه
٨٠	١٦	سنة ١٨٩٥	سنة ١٧٩٥
٨٣	١٧	١٢٠٠	١١٢٠٠
٨٨	٤	واياها	معا
٨٨	٩	جودفرا	وجودفروا كافيناك
١٠٥	٦	سبتمبر	ديسمبر
١٠٧	٢٠	»	»
١١٦	٣	٢٤	١٤
١٢٣	١	الفدوة	الندوة
١٣٥	٨	الجمهور	الجمهورية
١٤٣	١٥	قباته	قبلتها
١٤٩	٨	١٨٩٢	١٨٩١
١٦١	٨	١٨٧٠	١٨٧٥
١٥٦	١١	القرن السابع	القرن السابع عشر
١٨٧	١٨	يانسلفانيا	بانسلفانيا
١٨٧	١٩	انا يوليس	اذا يوليس

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٨٩	١١	تقرر	« تقرر
٢٢٧	٤	السنوية	النسوية
٢٣٦	١	١٧٧١	١٧٧٢
٢٤٧	١٤	يعنون	يعينون
٢٦٨	١٣	البنك	البنك الاهلى
٢٦٨	١٧	عمليات	عملياته
٢٧٨	١	تتجلى	تتجلى
٢٧٨	١١	المؤسمة	المؤسسة
٢٩٠	٢٣	اعيش	أعين
٢٩٤	١٨	السلطة	السلطنة
٢٩٥	١	باطون	باطوم
٢٩٦	١٢	عدنال	عدنان
٢٩٩	١٩	الحركة	الجمعية
٣٠٤	٩	ثم	تم
٣٠٧	١٥	باليكر	باليكسر
٣٠٩	٢٥	الأولية	الدولية
٣١٥	٢	وزير الحرية	وزير البحرية
٣١٨	٤	١٥ يناير	١٦ يناير
٣٢٤	٢٣	حامى بك	جامى بك
٣٢٧	٧	جيشنا	وسيقوم جيشنا
٣٢٨	٣	٢٧ مارس	٢٣ مارس
٣٢٨	١٦	ايسكيشهر	يكيشهر
٢٣٣	١١	جيش	جدين
٣٣٤	١٤	توصلنا	توصلنا
٣٣٥	٢٦	وفرنسا	وفرنسا وايطاليا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣٧	٧٠	ذلك تفصيل	كما سيُجيء تفصيل ذلك
٣٤١	٢٤	بطلك	بكلك
٣٥٢	٢٣	باسم سيفر	باسم معاهدة سيفر
٣٤٤	١٢	أوحريتها	وحررتها
٣٥٧	١	كرباستان	كرجستان
٣٥٧	٢	المادة الخامسة	المادة الرابعة
٣٧٥	٢	لم تنله	لم تنله



فهرست

مقدمة (١) - ابواب الكتاب (ح)

الرسالة الاولى

ص ١ - الجمعية الوطنية الفرنسية المؤسسة سنة ١٧٨٩

صفحة	صفحة
٢٥ قواعدا دستور سنة ١٧٩١ - ضمان	٢ الجمعية العمومية
الحقوق الشخصية	٣ حركة الانتخابات
٢٧ السلطة التشريعية	٤ مطالب الأمة اثناء الانتخابات
٢٧ نظرية المجلسين	٦ نتيجة الانتخابات
٢٩ أجلس واحد أم مجلسان	٧ افتتاح الجمعية العمومية
٣٠ حقوق الجمعية التشريعية	٨ المشكلة الأولى
٣٠ نظام الانتخابات	٩ الجمعية الوطنية واليمين التاريخية
٣١ اصلاح نظام الانتخابات	١١ انكار الملك صفة الجمعية الوطنية
٣٢ السلطة التنفيذية وحقوق الملك	١٢ وقفة ميرابو التاريخية
٣٣ عدم تقرير مبدأ المسؤولية الوزارية	١٣ تأييد الشعب للجمعية
٣٤ قاعدة الفصل بين السلطات	١٤ الاستيلاء على الباستيل ونتائجه
٣٥ أهمية مبدأ المسؤولية الوزارية	١٦ اعلان حقوق الانسان
٣٦ اعمال الجمعية الوطنية	٢١ احزاب الجمعية
٣٨ الجلسة الأخيرة للجمعية	٢٢ مشاهير اعضاء الجمعية
	٢٥ وضع الدستور

الرسالة الثانية

٣٩ - الجمعية الوطنية الفرنسية الكبرى (الكونفانسيون) سنة ١٧٩٢	
٤٠ الاندية السياسية وأحزاب الجمعية	٣٩ من الجمعية التشريعية الى الجمعية
٤١ الخلاف بين الجمعية والملك	الوطنية الكبرى

صفحة	صفحة
٥٩ محاكمة الماسكة ماري انطوانيت	٤٤ الوطن في خطر
٥٩ محاكمة زعماء الجيرونديين	٤٤ أسباب الدعوة الى عقد الجمعية
٦١ التنازع على الزعامة بين اليعقوبيين	الوطنية الكبرى
٦٢ عبرة التاريخ	٤٧ الغرض من انتخاب الجمعية
٦٥ سقوط روبسبير	٤٧ نتيجة الانتخابات
٦٩ اعدامه	٤٩ انعقاد الجمعية وقراراتها . اعلان
٧١ اصلاحات الجمعية الوطنية	الجمهورية
٧٢ دستور سنة ١٧٩٣	٥٠ لجان الجمعية
٧٥ هجوم الغوغاء على الجمعية الوطنية	٥١ احزاب الجمعية
٧٧ استئناف الفتنة	٥٢ الجمعية الوطنية وحرية الشعوب
٧٨ الهجوم الثاني	٥٣ محاكمة الملك
٧٩ مقتل النائب فيرو	٥٥ نتائج الحكم على الملك
٨٠ اخماد الفتنة	٥٦ الجمعية الوطنية والدفاع عن الوطن
٨٠ دستور سنة ١٧٩٥	٥٧ عهد الارهاب
٨٣ منشآت الجمعية الوطنية	٥٧ انشاء محكمة الثورة ولجنة السلام
٨٤ انتهاء جاسات الجمعية	العام
	٥٩ مقتل مارات

الرسالة الثالثة

٨٦ - الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ١٨٤٨

٩٢ اشتعال نار الثورة	٨٦ مقدمات الجمعية - ثورة سنة ١٨٤٨
٩٥ الدعوة الى انتخاب الجمعية الوطنية	٨٧ افساد النظام النيابي
٩٧ الانقسام وعواقبه	٨٧ حركة التذمر والاصلاح
٩٨ انعقاد الجمعية الوطنية	٨٩ حملة المآذب
١٠٠ دستور سنة ١٨٤٨	٩١ مصادرة المآذب

صفحة	صفحة
١٠٨ القبض على زعماء الجمعية الوطنية	١٠١ عيب الدستور في انتخاب رئيس
١٠٩ مقاومة النواب وقرارات الجمعية الوطنية	الجمهورية
١١٠ قرار المحكمة العليا	١٠٣ اتحاد الشعب في لويس بونايرت
١١١ لجنة المقاومة	١٠٥ نتيجة الانتخابات
١١٥ مقتل النائب بودان	١٠٦ مساعي لويس بونايرت في قتل
١١٦ الاذعان للأمر الواقع	الجمهورية
	١٠٧ يوم الجريمة

الرسالة الرابعة

١١٨ - الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ١٨٧١

١٣٠ حكم الجمعية على نابليون الثالث	١١٨ مقدمات الجمعية - الحرب الفرنسية
١٣٢ قبول المعاهدة	الالمانية سنة ١٨٧٠
١٣٢ الاحتجاج التاريخي على المعاهدة	١١٨ انعقاد مجلس النواب واقتراح خلع
١٣٤ وضع الدستور	نابليون الثالث
١٣٤ الحزب الملكي في الجمعية	١٢١ اعلان الجمهورية
١٣٥ انتقال الجمعية الى باريس واضطراب	١٢١ حكومة الدفاع الوطنى
الاحوال	١٢٢ حصار باريس
١٣٦ اخذ قننة الكومون	١٢٣ عقد الهدنة
١٣٦ مساعي الحزب الملكي للاستقاط	١٢٤ الانتخابات للجمعية الوطنية
الجمهورية	١٢٥ انعقاد الجمعية في بوردو
١٣٧ كفاءة الرئيس تييرس	١٢٥ تصريح نواب الرايس والاورين
١٢٧ حملة الملكيين على الرئيس تييرس	١٢٧ انتخاب تييرس رئيسا للسلطة
١٣٨ استئناف جلسات الجمعية	التنفيذية
١٣٩ دسائس الملكيين	١٢٧ الوثيقة التاريخية
١٢٩ قوة الحزب الجمهورى	١٢٩ تأليف الوزارة
١٤٠ قانون ١٣ مارس سنة ١٨٧٣	١٢٩ المناقشة في معاهدة الصلح

صفحة	صفحة
١٥٠ مسؤولية الوزاوة	١٤٢ استقالة رئيس الجمعية
١٥١ السلطة التشريعية	١٤٣ استقالة تيرس ورياسة مكماهون
١٥٢ مجلس الشيوخ	١٤٣ تفوذ الملكين في الجمعية والحكومة
١٥٣ الاختصاص الجنائي	١٤٥ يقظة الشعب وفشل الحزب الملكي
١٥٤ حرمة النواب	١٤٦ خطة الملكين الجديدة
١٥٤ تعديل الدستور	١٤٧ دستور سنة ١٨٧٥
١٥٥ نقص دستور سنة ١٨٧٥	١٤٧ السلطة التنفيذية
١٥٥ انتهاء اعمال الجمعية	١٤٨ حق حل مجلس النواب

الرسالة الخامسة

١٥٦ - المؤتمر الامريكى واستقلال الولايات المتحدة

١٧٤ مساعى فرنكان فى باريس	١٥٦ منشأ حركة الاستقلال
١٧٧ انتصار الامريكان فى معركة ساراتوجا	١٥٧ استياء الامريكان من سوء معاملة الانجليز
١٧٧ المعاهدة بين فرنسا والولايات المتحدة	١٥٩ زعماء الحركة
١٧٨ درس للأمم الناهضة	١٦٠ غاية الحركة فى مبدئها
١٧٩ اشتراك فرنسا فى الحرب الامريكية	١٦١ مقاطعة التجارة الانجليزية
١٨١ لافايت وفرنكان	١٦١ الدعوة الى عقد المؤتمر الوطنى
١٨٢ هزيمة الجيش الانجليزى	١٦٣ اشتعال نار الثورة و ررات المؤتمر
١٨٣ اعتراف انجلترا باستقلال الولايات المتحدة	١٦٤ جورج واشنطنون
١٨٤ واشنطنون محرر امريكا	١٦٦ العهد المقدس
١٨٥ واشنطنون فى عزله	١٦٨ اعلان استقلال الولايات المتحدة
١٨٦ عودة واشنطنون الى السياسة	١٧٠ عطف فرنسا على الامريكان فى
وانعقاد الجمعية الوطنية	١٧٢ الماركيز لافايت
	١٧٢ بعثة فرنكان فى فرنسا
	١٧٤ وطنية فرنكان

صفحة	صفحة
للجمهورية	١٨٨ وضع الدستور
١٩١ قواعد الدستور الامريكى	١٨٩ انتخاب واشنطن رئيسا

الرسالة السادسة

١٩٨ - الجمعية الوطنية الالمانية

٢٠٨ انعقاد الجمعية	١٩٨ مقدمات الجمعية
٢٠٩ الدستور المؤقت	١٩٩ الدستور القديم والاصلاحات
٢١١ معاهدة فرساي	الحديثة
٢١٢ الاذعان لشروط الحلفاء	٢٠١ الثورة الالمانية
٢١٣ قبول المعاهدة	٢٠٣ اعلان الجمهورية
٢١٤ وضع الدستور الجديد	٢٠٥ الدعوة الى عقد الجمعية الوطنية
٢١٧ قواعد الدستور الالمانى	٢٠٧ انتخاب الجمعية

الرسالة السابعة

٢٣٨ - تاريخ النهضة فى بولونيا

٢٦٠ التعليم	- ١ -
٢٦٣ الجهود الاقتصادية :	
٢٦٣ فى بولونيا الروسية	٢٣٨ صفحة من جهاد البولونيين فى
٢٦٥ فى بولونيا الالمانية	خلال مائة وخمسين سنة
٢٦٨ فى بولونيا النمساوية	٢٤١ بولونيا الروسية
- ٢ -	٢٤٩ بولونيا الالمانية
٢٧١ صوت بولونيا فى العالم	٢٥١ بولونيا النمساوية
- ٣ -	٢٥٤ الاحزاب والجمعيات السياسية
٢٧٤ بولونيا المستقلة	والوطنية فى بولونيا وامريكا
٢٧٨ قواعد الدستور البولونى	٢٥٩ الصحافة فى بولونيا

الرسالة الثامنة

٢٨٣ - الحركة الوطنية في الاناضول والجمعية الوطنية في انقره

صفحة	صفحة
٣١٤ في سبيل التفاهم بين انقره والاستانة	٢٨٣ مقدمة
٣١٧ معركة ابن اونو وهزيمة الجيش اليوناني	٢٨٤ مصطفى كمال
٣١٨ مؤتمر الحلفاء بباريس	٢٨٨ كيف تأسست الحركة الوطنية التركية
٣١٩ المراسلات التاريخية بين انقره والاستانة	٢٩١ سوء الحال في الاستانة واستقالة الوزارة
٣٢٢ حديث مصطفى كمال باشا عن المطالب التركية	٢٩٢ مفاوضات الحلفاء في لندره في شأن المسألة التركية
٣٢٤ مؤتمر لوندرد والمطالب التركية	٢٩٣ مجاز المبعوثان وخطبة رئيسه
٣٢٦ نتائج مؤتمر لوندرد	٢٩٤ الميثاق الوطني
٣٢٧ استئناف الهجوم اليوناني - معركة ابن اونو ودولو بينار	٢٩٥ احتلال الاستانة والقبض على الزعماء
٣٣٠ تأثير انتصار الاتراك ومظاهرات الاستانة	٢٩٦ استقالة الوزارة وتأليف وزارة الداماد فريد
٣٣٢ نداء مصطفى كمال الى العالم المتمدن	٢٩٩ الجمعية الوطنية في انقره
٣٣٣ استقالة بكر سامي بك واستعفاء الوزارة	٣٠٢ دستور الاناضول
٣٣٣ خطبة رئيس الوزراء	٣٠٧ الهجوم اليوناني الأول
٣٣٤ دسائس انجلترا	٣٠٨ معاهدة سيفر
٣٣٨ الهجوم اليوناني الثالث	٣١٠ سقوط وزارة الداماد فريد وبدء التفاهم مع الاناضول
٣٣٨ خطبة مصطفى كمال	٣١١ اتصال الكمالين واستيلائهم على قارص
٣٣٩ معركة سقاريا	٣١٣ مؤتمر لوندرد والحالة الجديدة في المشرق

صفحة	صفحة
٣٤٦ قرار المجلس الوطني	٣٤٠ خطبة مصطفى كمال
٣٤٧ المساعي والجهود السياسية	
صفحة	صفحة
٣٦١ الاتفاق التركي الفرنسي	٣٤٧ المعاهدة التركية الروسية
٣٦٤ جواب يوسف كمال بك	٣٥١ خطبة مصطفى كمال ورده على
٣٦٨ وصف إنقرة	السفير الروسي
٣٧٣ عطف العالم المتمدين على الحركة	٣٥٣ المعاهدة التركية الافغانية
التركية	٣٥٥ سفير الافغان في انقرة
٣٧٧ مراجع البحث	٣٥٦ معاهدة قارص
٣٨٢ تصحيح بعض اغلاط	٣٥٩ خطبة مصطفى كمال

فهرست الهامش

نيكر ص ٣ — ميرابو ص ٦ — باي ص ٩ — الاب سييس ص ١٢ — لافانيت
ص ١٦ — روبسبير ص ٢٣ — بارناف ص ٢٤ — مونيه ص ٢٤ — فرنيو
ص ٤٣ — دانتون ص ٤٦ — جريجوار ص ٤٨ — مارات ص ٤٨ — كاميل ديمولان
ص ٤٨ — كوندورسيه ص ٥٠ — الدوق دورليان ص ٦٠ — الكومون
ص ٦٩ — بواسي دانجلاس ص ٧٨ — لامارتين ص ٨٩ — تيرس ص ٩٣ —
لدرو رولان ص ٩٥ — جول جريني ص ١٠٢ — فيكتور هيجو ص ١١٢ —
جامبتا ص ١١٩ — بانجمان فرنكلان ص ١٥٩ — فرانكلان بويون ص ٣٦٥

كتاب حقوق الشعب

هو كتاب وضعناه سنة ١٩١٢ يتضمن شرح المبادئ والنظريات والنظامات الدستورية وحقوق الانسان وحظ مصر منها تخيرنا في وضعه طريقة فريق كبير من المؤلفين الغربيين الذين وضعوا الكتب والمؤلفات في قالب محاضرات ومحاورات لتعميم حقوق الشعب

نقابات التعاون الزراعية

نظامها وتاريخها وثمراتها - في مصر وأوروبا

كتاب نشرنا فيه تاريخ التعاون الزراعى ومنشآته ونظاماته في أوروبا والثمرات التى عادت منه على البلاد الأوروبية . وبحثننا فيه عن نشأة التعاون في مصر وتاريخه ونظامه ونقابات ومنشآته وعلاقته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية
طبع سنة ١٩١٤

